

صورة أهل السنة

في الكتب المدرسية الإيرانية

إعداد

مركز العصر للدراسات الاستراتيجية والمستقبلية

قسم الدراسات الإيرانية

بإشراف

د/ نبيل بن علي العتوم

تقديم

أ.د/ عبد الستار الراوي

الناشر

دار الدراسات العلمية
للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية
مكة المكرمة
بطحاء قريش
ص.ب: ١٤٧٠٠
الرمز البريدي: ٢١٩٥٥
هاتف: ٥٣٥٥٥٦٦-٢-٩٦٦+
فاكس: ٥٣٥٥٥٧٧-٢-٩٦٦+
البريد الإلكتروني:
Alaser1427@gmail.com

ALASER STRATIGIC
AND FUTURE STUDIES
CENTER LTD

Registered Office:
55 WELLS HOUSE ROAD
LONDON, GREATER LONDON
GREATER LONDON, NE10 6ED

الموقع الإلكتروني:
www.alasersfs.com

المجموعة الاستشارية
العالمية

١٠ غرب سوميد مجاورة
١٤ بجوار محافظة
٦ أكتوبر – ٦ أكتوبر
هاتف: ٣٨٣٥٤٠٣٥ (٠٢)
فاكس: ٣٨٣٥٢٢٢٤ (٠٢)
٠١٢٢٣٣٠٥٥٥٢

Email:
GCGegypt@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.GCG-CO.net

رقم الإيداع
11556/2012

الرقم الدولي
978-977-5220-06-6

بسم الله الرحمن الرحيم

الإطار النظري للكتاب

*** مشكلة الدراسة:**

تعتبر المدرسة من أهم المؤسسات التي تتولى مسؤولية التنشئة الاجتماعية للفرد التي تعنى دمج الفرد في مجتمعه ودمج ثقافة المجتمع في الفرد من خلال تكيّفه مع معايير وقيم وعادات وتصورات هذا المجتمع، فهي المؤسسة التربوية النظامية التي أوكلت إليها وظيفة التربية بصورة رسمية، حيث تتضمن إكساب التلاميذ القيم المرغوب فيها من خلال المناهج الدراسية التي ينبغي أن يكون محتواها شاملاً للنسق القيمي أو لمنظومة القيم التي يتبناها المجتمع ويرغب في غرسها في عقول أبنائه.

من هنا تعد المدرسة إحدى المؤسسات المهمة والمحورية التي أنشأتها إيران الثورة بهدف توجيه الناشئة، فالكتب المدرسية من ناحية، والمدرسة من ناحية أخرى يُجسِّدان الأهداف التي تضعها المؤسسات التربوية في إيران.

تُعَدّ الكتب المدرسية –عموما– أحد العناصر المهمة في بلورة التنشئة التربوية التي تعمل على توفير إطار مهمٍّ لتوجيه سلوك الأفراد والجماعات وتنظيمها، والتي تعمل على تشكيل وترسيخ الأفكار لدَى طلابها بهدف بناء أوطانهم، ودمجهم مع أهداف التنمية والتقدم والتواصل العلمي والقيمي مع العالم المعرفي.

والمناهج الدراسية التي تنفذها المدرسة للقيام بتلك المهمة تعتبر من أهم مدخلات العملية التربوية التي تسهم في مخرجات تربوية، ولذلك فإن محتوى هذه المناهج يكون له أكبر الأثر في إكساب التلاميذ والمتعلمين النظام القيمي الذي يتبناه المجتمع.

لهذا تعتبر الكتب المدرسية من أهم الوسائل التي تترجم بها المدرسة وظيفتها وأهدافها وتحقق تطلعات وآمال بقية أفراد المجتمع الذين أوكلوا إليها مهمة تربية وتنشئة وطبع أبنائهم بطابع حياتهم الثقافية، الاجتماعية، الدينية، وتحمل في طياتها ومضامينها قيمًا مرغوبًا فيها ولها دورها الكبير في عملية التنشئة عنده.

لهذا عكفنا على دراسة الكتب المدرسية الإيرانية في المدارس لا غير؛ وعلى كُلٍّ فإن لهذا العنوان مغزاه ودلالاته الكبيرة؛ إذ إن ما يتلقاه الطالب الإيراني في المدرسة يؤثر فيه أكثر مما تؤثر فيه المواد والمعلومات التي يتلقاها من المصادر الأخرى؛ خاصة لما يترسَّب في تكوينه العقلي والذهني، ولهذا ركزنا على الكتب المدرسية على مستوى التعليم المدرسي التأسيسي بمراحله الثلاث.

إن إيران هي دولة تختلف عن غيرها من الدول التي تعمل على غرس التوجهات لدى طلابها؛ فهي تُعِدُّهم للقيام بتنفيذ رسالةٍ مستقبلية، حيث لا يتوقف إعدادهم على ما يتم تزويدهم به من معارف، كالمعرفة بالدول الأخرى، بل يتعدَّى ذلك إلى تشكيل وترسيخ الكثير من الأفكار الشخصية التي تسهم في بناء شخصية الطالب صاحب الرسالة، وتشكيل توجهات "مذهبية وقومية" تتناسب مع الدور المنتظَر قيامهم به مستقبلاً؛ ولهذا فإن دراسة الأفكار التي تحاول الكتب المدرسية الإيرانية غرسها تُسهم- إلى حدٍّ كبير- في فهم سلوكهم وتفسيره، وبالتالي توجيهه صوبَ تحقيق الأهداف، ولا يغيب أنَّ هناك عددًا من العوامل المختلفة تشترك في تشكيل الرؤى الشخصية وترسيخها، ومن أهم تلك العوامل في الحالة الإيرانية المدرسة؛ حيث تُعَدُّ المدارس في إيران أهم مؤسسات التنشئة على الإطلاق بوصفها البيئة التي تحتضنهم لمدة لا تقل عن ١٢ سنة دراسية؛ إذ تعمل خلالها على إعدادهم للقيام بأدوار سياسية واجتماعية وعسكرية وأمنية في المستقبل، إذ ما يتم تزويدهم به

من العلوم والمعارف المذهبية والقومية، بل تتجاوز ذلك إلى صقل المعارف، وإكسابهم العديد من القيم المذهبية والقومية الذي باتت تضطلع به المدارس الإيرانية.

إذا كانت مصادر التأثير في سلوك الطالب متعددة بسبب تعدُّد المؤسسات التربوية التي تُسهم بهذه المهمة في إيران تحديدًا، حيث تتمثل في الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام والمؤسسات الثقافية الدينية: كالحوزة والحسينية... وغيرها، فإنَّ كلًا من هذه المصادر يعمل بطريقة معينة على ادماج سلوكيات الناشئ ضمن ثقافة مجتمعه بما فيها من قيم ومعايير وعادات وتقاليد، ومن الضروري أن يكون هناك تناسقٌ وتكامل في أداء هذه المؤسسات حتى لا يقع الأفراد ضحية التناقض في توجهاتها ومنطلقاتها.

فللمناهج دور كبير في تشكيل شخصيات الطلاب، من هنا تكمن أهمية دراسة الكتب المدرسية وتحليل مضامينها بشكل عام.

تكمن مشكلة هذه الدراسة في التعرّف على صورة أهل السنة التي تسعى الكتب المدرسية إلى بلورتها وغرسها في عقول طلبة المدارس الإيرانية، ووجدانهم، لمعرفة مدى مطابقة هذه الصورة لأهداف الثورة الإسلامية ونظرتها للآخر الذي تسعى لترسيخه في وجدان النشء، خدمة وتعرية لهذه الثورة التي تطبل وتزمر للوحدة الاسلامية.

إن المؤسسات التربوية سبيل إيران إلى غرس القيم القومية والمذهبية في بطون المناهج والبرامج المقدمة للتلاميذ، فينشأ الجيل الذي يحمل هذه الأفكار نتيجة ما تعلمه أثناء نموِّه في صغره أو ما اكتسبه من تنشئته التعليمية، وما استقر في قلبه بفعل الأحوال المحيطة.

لا شك بأن الثورة الإيرانية عظمت الأخذ بالمذهب؛ لأن في ذلك أهمية لتحقيق أهدافها، فضمّت في صفوف قادتها التي صاغت السياسة التعليمية، الأجنحة الدينية ودورها، كما أنَّ المؤسسة السياسية الإيرانية تضمُّ أحزابًا دينية يفوق نفوذُها حجمَها التنظيمي.

يحاول صانعوا القرار التربوي المزاوجة بين المذهبة الشيعية والقومية الفارسية، وذلك بإكساب المفاهيم التربوية صبغة مذهبية قومية، باعتبار الثورة تعبيرًا عصريًّا للفارسية الشيعية، فالتربية تستقي مقولاتها من المذهب والقومية الفارسية، وبغضِّ النظر عن طابع العملية التربوية مذهبيًّا كان أم قوميًّا، فإن الهدف النهائي هو إقامة دولة ثورية على أرض إيران، وأن تصبح الدولة الشيعية المركزية مقرًّا لكل شيعة العالم، وهذا الهدف الثوري سيجعل من إيران دولة توسعية بشكل حتمي تلقائي، على الرغم من تحديد حدود الدولة سياسيًّا.

وقد دعا مفكرو الثورة الإيرانية، وفي مقدمتهم الخميني، إلى التركيز على التربية والتعليم أكثر من المفاهيم السياسية، حيث يمكن من خلالها أن يتشرب النشء بالثقافة القومية والمذهبية وينصهروا بها، فيكون تأثيرها عليهم كبيرًا، لأن التربية تؤدي إلى قبول الطلاب للقوانين وشرائع المذهب الشيعي قبولاً داخليًّا، ومن ثم البحث عن أفضل السبل لتنشئة الأجيال الإيرانية على تعاليم التشيع، ولم يكن ذلك يتم بشكل اعتباطي أو عشوائي، وإنما بشكل مدروس ومنظَّم مستندًا إلى فلسفة تربوية، وبرامج للوصول إليها، فمصطلح "أهل السنة" يعني الانطباعات التي يكونها الطالب الإيراني عن شخص آخر أو أشخاص آخرين هم غالبية الأمة الإسلامية، ولمحتوى هذه الصور أثر عميق في تفاعلات الإيراني مع أهل السنة؛ ولذلك تحتل دراسة المصادر المتعددة التي يستقي منها الناس انطباعاتهم عن الآخرين الأهمية العليا عند دراسة السلوك الإنساني.

من هنا دأبت الثورة الإسلامية دومًا على حقن طلابها وناشئتها بأمصال الحقد والكراهية النابعة أصلاً من النظرية الاستعلائية والشوفينية المذهبية البغيضة، إذ أن الإيرانيين هم "شعب الله الذين يعتنقون الإسلام الحقيقي"، واعتبار سائر الشعوب الأخرى "ليسوا مسلمين". لهذا فهي تقوم على تزويد الطلاب بالأفكار الأكثر عنصرية والأشد حقدًا، المفعمة بالمواد الكافية لإجراء عمليات غسيل دماغ مبرمجة، إلى حد تمكن هؤلاء الطلاب من الشعور بالكراهية نحو كل من هو غير شيعي فارسي، أو أي عنصر آخر يقيم أو يستقر فوق نفس الأرض أو الأرض المجاورة لها لا يؤمن بهذا التوجُّه.

أما أخطر الكتب توجيهًا للناشئة الإيرانيين فهى الخاصة بتربية الطلاب منذ نعومة أظفارهم، بهدف إثارة عواطفهم وشجونهم وتركيز أذهانهم وقدراتهم نحو التميز والتفرُّد المطلق، قائمة على الفصل والفرز المذهبى والتمييز الفاضح وإنكار (الآخر السنى) وحقوقه فوق أرض وطنه (الأقليات غير الشيعية "السنية")، وبواسطة هذه الكتب يمكن إخصاب خيال الطفل وتربيته على القسوة والتطرف القومي والمذهبي الأكثر تعصبًا، والاستهانة بالآخرين وحقوقهم.

إن مؤلفى الكتب المدرسية، ومنذ نجاح الثورة الإسلامية، اعتقدوا أن الاهتمام بالقصة وبأدب الأطفال بموضوعية وربطهم بعجلة التوجيه التربوي، ورفع روح المقاومة والعزة ضد الآخر، أمر من شأنه أن يعزِّز مناعة أجيال المستقبل. فالقصص والروايات التى تضمن في الكتب المدرسية الإيرانية تدخل ضمن الحرب النفسية التي تسعى إليها الثورة الإسلامية لتقوية نفوس أبنائها، ولغرس روح التفوق، والاستعلاء في نفوس الطلاب منذ نعومة أظفارهم، لذلك فقد عمدت بعض الكتب المدرسية إلى استخدام وتوظيف محتوى الكتب المدرسية لتحقيق ذلك.

من هنا يعتبر الاعتماد على الكتب المدرسية الإيرانية أحد أهم مصادر الفكر التربوي الإيراني الذي نحن يصدد دراسته في الموضوع قيد الدراسة.

لاشك بأن أحد المصادر التي تُساهِم في تكوين هذه الانطباعات هي التجربة المدرسية من الابتدائية إلى مرحلة الدراسة الثانوية، ومرحلة ما قبل الجامعة، أو ما يعرف بمرحلة "بيش دانشكاه" فالمدرسة في إيران توازي من حيث أهميتها مؤسسة الأسرة، في تأثيرها البالغ، ومن الناحية العلمية، يجتاز كل طالب إيراني الحياة المدرسية كما يمضي كثيرون قسمًا كبيرًا من نهارهم في غرفة الصف، وتستقبل المدارس، ولاسيما الابتدائية منها، في نهاية المطاف الأولاد في سن مبكرة يسهل معها التأثير عليهم.

وتُعد الكتب المدرسية جزءًا أساسيًّا ورئيسيًّا في الجهاز المدرسي الإيراني، فهي ركيزة التعليم النظري في المراحل كافة، حيث يعتمد المعلمون بصورة مكثفة على الكتب المدرسية، كوسائل رئيسة لعملهم التعليمي، ومصدر أساسي للمعرفة.

إذن؛ فالكتب المدرسية، وخصوصًا تلك التي تتناول العلوم الإنسانية والاجتماعية، هي مصدر رئيسي يكتسب الطالب منه مواقفه ومعتقداته ومشاعره حيال عالمه الخاص، وحيال الآخرين الذين يأتون من خلفيات مختلفة، وهي تعطي الطلاب المعلومات الضرورية والحقيقية للتعرف على التاريخ الإسلامي الذي يعيشون في محيطه.

فالمعرفة المكتسبة في المراحل التعليمية الأساسية (الابتدائية والإعدادية والثانوية) تفضي إلى ترك أثر دائم، ويمكن تقصي جذور المواقف التي يتخذها المتعلمون فيما يتعلق بمجموعات معينة جزئيًّا في هذا التوجيه.

تمارس إيران قدرًا كبيرًا من الرقابة على التعليم، وتستخدم الحكومة الإيرانية الكتب المدرسية والمدرسين لتعظيم نقل المعرفة بإيران، والأمم غير الإيرانية إلى الطالب أيضًا، وبالتالي يمكن استخدامها كوسائل لنقل وتكوين صور عن الدول الأجنبية، ويتم ذلك بواسطة عمليتين: "الإغفال المُتَعَمَّد" و"التوكيد السلبي"، والعملية الأولى تقوم على تجنب الموضوعات والمعلومات التي يمكن أن تلقي ضوءًا أكثر إيجابية على الأمة العربية أو حتى الإسلامية، أما "التأكيد السلبي" فهي عملية يتم من خلالها إدراج العبارات السلبية والناقصة وغير الدقيقة في النص عن السُّنة بهدف خلق الصورة المشوهة والسلبية التي يستهدفها النص.

كما يؤكد على أهمية هذه الدراسة كونها دراسة رائدة على مستوَى العالم العربي، حيث تعنى بهذا الموضوع الحيوي والمهم حول الكتب المدرسية الإيرانية، ومن هنا تتوخَّى أن تؤسِّس هذه الدراسة لتأخذ طابع التميُّز، خاصة مع نسبية المعرفة والاطلاع بهذا الموضوع، من هنا تحاول هذه الدراسة التعرُّف على التوجهات التي تحاول الكتب المدرسية غرسها في عقل ووجدان الطالب الإيراني، وبالتالي رفد المكتبة بدراسة علمية متميزة تُعنى بالمناهج التي يتم تدريسها في المدارس الإيرانية.

فالطلاب يكتسبون القيم والتصورات والمعتقدات السياسيّة من خلال ما يتعرضون له من تنشئة، وما يتلقونه من أفكار وقيم في المناهج المدرسيّة، فضلاً عن القيم السائدة في مجتمعهم، التي من شأنها أن تؤثِّر في سلوكهم ووعيهم بالقضايا الوطنيّة والقوميّة وفعلهم السياسيّ في مرحلة النضج، وترسم لهم نهجًا خاصًا ليسيروا عليه، فهذه المعتقدات والخبرات والمعارف والعمليات التربويّة والتصورات التي يتعرَّض لها الطفل أثناء تنشئته تشكل جزئيًّا هويته ومعارفه

واتجاهاته ومواقفه[١].

من هنا فعملية التنشئة في إيران عملية مُوَجِّهة من قبل الحكومة الإيرانية، وتوافق فلسفة الدولة وأهدافها سواء كان ذلك في المؤسسات التعليمية أو خارج هذه المؤسسات في حين يجب أن تعمل الدولة أثناء تربية الطالب على تكوين عادات ومستويات مذهبية وقومية تُسَهِّل على الدولة تعبئة هذا النشء كما تريد.

وتُعدُّ الكتب المدرسية أحد المكونات الأساسيّة للنظام التربويّ، وأكثرها فعالية في تحقيق أغراضه، ولَمَّا كان المجتمع يتغير ويتطور تبعًا لتغيرات في البيئة والثقافة، فلا بدّ للمناهج المدرسيّة أن تتغير وتتطور؛ لأن المجتمع من أهم المؤثرات في المناهج التربويّة؛ فالمناهج الدِّراسيّة صورة صادقة تعكس حالة المجتمع، وثقافته، وحاجاته، وتطلعاته المستقبليّة[٢].

والمناهج والكتب المدرسيّة تمثِّل في حقيقة الأمر رؤية الدولة ومؤسساتها المسئولة عن تربية النشء فيها وتشكيل شخصياتهم؛ فللمناهج دور عظيم في بلورة شخصيات الناشئة العقليّة والفكريّة والنفسيّة والجسميّة والاجتماعيّة[٣]، وتعدّ دراسة المناهج والكتب المدرسيّة وتحليلها من الدّراسات المهمة في ميدان المناهج

(١) عيسى أبو زهيرة: التسامح والمساواة في المنهاج الفلسطيني، مواد الصفين الأول والسادس الأساسيّ نموذجا، مجلة تسامح، مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان، العدد ٤، ٢٠٠٤، ص٦٩-٧٠.

(٢) محمد أبوصعيليك: الأسس النفسيّة المتضمنة في كتب اللغة للصفوف الرابع والخامس والسادس الأساسيّة في الأردن، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة آل البيت، المفرق، الأردن، ١٩٩٩، ص١-٢.

(٣) ماجد الخطابية: بناء المنهج المدرسي، عمان، دار الشروق، ٢٠٠١، ص٤٦.

وطرائق التدريس؛ لأن الكتاب المدرسيّ أحد العناصر المكونة للنظام التعليميّ، وهو أداة المنهاج في تحقيق أهدافها، وأداة أساسيّة في عمليتي التعليم والتعلم[(١)].

تعتبر إيرانُ- الدولة موضع البحث- المدرسةَ- جزءًا مهمًّا من منظومة النظام التعليمي، ويرجع ذلك إلى هيكل المجتمع الإيراني وبِنْيَته الاجتماعية والسكانية والثقافية، حيث إنه يتكون من جماعات مختلفة في تقاليده وعاداته وأفكاره وطبقاتها الاجتماعية؛ إذ إن المجتمع الإيراني مجتمع مصنوع بأكثر من ثقافة، حيث اختلفت ألسنة شعبه ولهجاتهم وجاءوا ليسكنوا في بلدٍ واحد هم غرباء عنه ثقافيًّا وعقائديًّا اجتماعيًّا.

وتهتم الدول عامة بمرحلة الدراسة المدرسية وتعطيها عناية خاصة؛ لما لها من أثر فاعل في حياة الإنسان وصقل شخصيته ومستقبله، فالاهتمام بالمناهج المدرسية ليس حدثًا جديدًا في الفكر والممارسات التربوية، وطبيعي أن تختلف دواعي الاهتمام بهذه المرحلة في المجتمعات نتيجة اختلاف تلك المجتمعات في فلسفتها التربوية وظروفها السياسية وأوضاعها الاجتماعية والديموغرافية والاقتصادية والعقائدية...، فمرحلة الطفولة هي مرحلة تكوينية للفرد يتم فيها نموه الجسمي والعقلي والانفعالي والاجتماعي، وتؤثِّر هذه المرحلة تأثيرًا عميقًا في حياته المستقبلية، في مراهقته ورشده حتى شيخوخته.

والواجب هنا على المربِّين المسلمين وعلى مناهج التربية الإسلامية أن تُعرِّف أبناءنا عقلية الشيعة وتاريخهم، وأن تُنَبِّه على مخططاتهم وأساليبهم وأدواتهم وإستراتيجيتهم، ووسائلهم المعلنة.

---

(١) محمد عبد القادر: الجديد في تعليم التربية الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٩، ٧٩.

وإن كان حلم إيران يتمثل في جمع الشيعة في إمبراطورية واحدة، فإن تجسيد هذا الحلم هو الهدف النهائي الذي تسعى إلى تحقيقه الدولة بأدوات وطرق كثيرة، لكن خلق مجتمع سليم وتنظيم حياة اجتماعية لهذا الخليط العجيب من أبرز المشكلات التي وقعت فيها إيران وما زالت، فوجدت أن التعليم الأداة الوحيدة للقضاء على هذا الاختلاف وصهر السكان مذهبيًّا في بوتقة ثقافية واجتماعية وفكرية واحدة، وهذه إحدى أهم أهداف التنشئة المدرسية في إيران.

وتتمثل سياسة "الصهر التعليمي" أكثر ما تتمثل في النظام المدرسي؛ حيث يؤخذ الطالب منذ نعومة أظفاره في سنٍّ مبكرةٍ ويخضع لإعادة تكوين الشخصية وصهره من جديد؛ فالتوجيه المذهبي المجبول على بعض القيم (ولاية الفقيه، العقائد الشيعية: مثل كُرْه أهل السنة والجماعة، والطعن فيهم، وتشويه تاريخهم... إلخ) في المدارس، والذي لا يعتمد على تلقين الكبار صغارهم بهذه العقائد التي تتفق مع الهدف المذهبي للدولة الفارسية، بل تحقيق ذلك مؤسسيًّا من خلال المؤسسات التعليمية، ولكن ما يحدث الآن من خلال المناهج التربوية الإيرانية يدلُّ على أن هناك شكلاً مُحَدَّدًا تقررت صياغتهم وفقًا له، ثم اختاروا وسائل الصياغة (مؤسسات التنشئة التعليمية) بشيء من المهارة والذكاء.

من هنا أدركت إيران دور المناهج التربوية في غرس هذه القيم القومية والمذهبية الجديدة، فأكثر ما يُشَدَّد عليه في هذه المناهج هو ليس مجرد تعليم اللغة الفارسية التي تشكِّل وعاء وحدة الثقافة والمشاعر للمجتمع الفارسي غير المتجانس، الذي يشعر بغربة جامع اللسان الواحد؛ إذ إنَّ قسمًا لا بأس به من الإيرانيين يتقنون الفارسية ولا يتكلمونها في منازلهم نظرًا لكونهم كُردًا أو بلوش أو حتى أذريين، وعلى هذا الأساس فإنَّ اللغة الفارسية لم تعد القاسم المشترك الأعظم الذي يوحِّد هذه الدولة؛

نظرًا للأسباب الموضوعية التي ذكرناها سابقًا، من هنا ركزت الدولة الإيرانية على المذهب وتلقين الأفكار التي يُفْتَرَض بها أن توحِّد المجتمع الإيراني بفئاته، كما أنها أداة تعمق الانتماء والولاء لنظام ولاية الفقيه، ولم تجد الدولة الفارسية أفضل من التعليم لتحقيق ذلك؛ إذ إن المناهج التعليمية هي التي تسهم في استمرار ثقافة المجتمع ودوامها، وذلك بأن يحقن النسل التعليمي قيم الدولة والمجتمع، ومعايير السلوك الذي يحقِّق لدولة الملالي أهدافها.

وتأتِي هذه الدِّراسة أيضًا بمناسبة إعلان إيران أهمية حوار الحضارات، وحوار المذاهب وتخصيصها مجلس مستشارين لتطوير العلاقات مع الدول العربية السنية؛ وهذه كلها تعدُّ مشاريع ثقافيّة وحضاريّة في غاية الأهمية على المستويين الإقليمي والدوليّ.

*** أهمية الدراسة:**

تنبع أهمية هذه الدراسة من الدور الذي تضطلع به الكتب المدرسية الايرانية في رسم صورة أهل السنة؛وما يشكله ذلك من أهداف تسعى لها إيران الثورة لتحقيقها، حيث تسعَى هذه الكتب إلى ترسيخ آراء وانطباعات.... خطيرة، تشكل شخصية الطالب الإيراني وفكره عن الآخر " السني ".

لهذا تستمد هذه الدِّراسة أهميتها من أهمية الموضوع الذي تتناوله؛ لذا وجدنا ضرورة الاطلاع على نماذج الكتب المدرسيّة الإيرانية، بهدف إدراك الاتجاه الذي يتم غرسه في عقول الناشئة الإيرانيين ووجدانهم، من هنا تنبع أهمية هذا الدراسة عن صورة أهل السنة في الكتب المدرسية الإيرانية من خلال ضرورة معرفة أوجه اهتمام الإيرانيين بدراسة وتحليل صورة أهل السنة من خلال المدارس، وذلك بُغْية التعرُّف بدقة ووضوح على المداخل والأساليب والأدوات التي يتناولون بها هذا الموضوع؛

لأنَّ ذلك كله مما يؤثِّر في فهم الدارسين، فلا بدَّ من الوقوف عن كثب لمعرفة ما يقوله الإيرانيون، وكيف يرسمون ملامح هذه الصورة، وفي النهاية كيف يؤثِّر ذلك بطريق مباشر أو غير مباشر في عملية التنشئة لدى الطالب الإيراني.

تتجلَّى أهمية هذا الدراسة من خلال تحليل مضمون الكتب المدرسية الذي سيكشف عن دور هذه الكتب في التعريف بأهل السنة ودورهم لتدعيم وترسيخ قيم معينة لدى الطالب الإيراني، وبالتالي المحافظة على الثقافة الإيرانية كثقافة قومية فارسية ومذهبية شيعية، في ضوء التحديات ونظرية المؤامرة وثقافة الخوف من السنة، وتعظيم خصوصية المذهب الشيعى وتفرده، بالمظلومية واحتكارهم للحقيقة، ومحاولة صياغة قيم خاصة بالأمة الإيرانية ضمن رؤية مذهبية صرفة.

وتكتسب الدِّراسة الحاليّة أهميتها أيضًا لكونها تزوِّد التربويين وصناع القرار العرب بمعلومات تساعدهم في اتخاذ القرارات لتقويم محتوى مناهج التعليم الإيراني من أجل بناء تصوُّر علمي واضح لكيفية نظرتهم إلينا، لتكون الدراسة صورة صادقة تعكس نظرتهم لنا.

*** أهداف الدراسة:**

تهدف هذا الدراسة إلى الكشف عن درجة توافر الملامح الصريحة والضمنيّة لمكوِّنات صورة أهل السنة في المراحل المدرسية الثلاث، باستخدام أسلوب تحليل المحتوى، مما يفيد في التعرف إلى الملامح التي تمّ التركيز عليها، وتلك التي ضمنت بدرجة (سلبية، إيجابية) أو لم تضمن، كما تبدو في الكتب المدرسية الإيرانية المخصصة للمواد، وقد شملت هذه الدراسة السنوات الدراسية من أول المرحلة الابتدائية حتى السنوات النهائية للمرحلة الثانوية، جرى البحث عن هذه الصورة

في الأجزاء والفصول التي تمسّ أهل السنة بشكل مباشر أو غير مباشر في الكتب المدرسية الإيرانية، وهذه الأجزاء والفصول قد تم إقرارها صراحة في البرنامج المدرسي الذي وضعته وزارة التربية والتعليم الإيرانية.

*** مصادر الدراسة:**

المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة لتحليل صورة أهل السنة، فقد تمثَّلت في الكتب الدراسية المعتمدة في المدارس الإيرانية لمراحل: الابتدائية والإعدادية والثانوية، وقد تم قراءة هذه الكتب، وترجمة النصوص التي تتعلق بموضوع الدراسة الواردة في هذه المصادر من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية، ثم تمَّ تبويبها، تمهيدًا لجمعها في وحدة عضوية، وموضوعية واحدة، كأساس لاستجلاء كيفية رسم هذه الكتب لصورة أهل السنة.

لقد تحدّد حجم الكتب المدرسية محل البحث في ضوء اعتبارات وضرورات عديدة، فضّلنا أولاً الاعتماد على كتب المرحلة الابتدائية والإعدادية والثانوية في مختلف المواد، ليس لضمان شمولية البحث فقط، ولكن لأنَّ هذه الكتب لها أهمية في تكوين صور وتثبيت الأحكام في أذهان تلاميذ لا يزالون في مرحلة مبكرة من عمرهم يسهل فيها التأثير فيهم.

إن المساحة التى خصصتها الكتب لمعالجة صورة أهل السنة وصلت إلى حيز لا بأس به من الكتب المدرسية المختلفة، وهذه الصفحات موزعة بين مجموعة من الكتب وفي مختلف الموضوعات؛ فلقد كانت صورة أهل السنة الحقيقية والصحيحة حاضرة بامتياز في موضوعات الكتب المدرسية، ولكنه يظهر كمكان تدور فيه أحداث التاريخ المستقاة من تاريخ الحالة الصراعية بين العرب السنة والإيرانيين

الشيعة، وهى الصفة الغالبة، وقد أصبحت هذه الأحداث، وتحليلها حسب الرؤية الإيرانية، إطارًا للسرد والتحليل التاريخى الصراعى، وأحيانًا موضوعًا له، وتحتل أكبر مكان بالنسبة إلى الصور المرفقة بدروس التاريخ.

إذا نظرنا إلى الخطاب المدرسى نرى أن الكتب المدرسية تشترك في تناول جذور النزاع المذهبى والقومى، وتعطى بعض هذه الكتب اهتمامًا لكيفية نشأة التشيع من منظور لا يتسم بالعلمية وبعيد تماما عن الحقائق التاريخية؛ لذا رأينا من المناسب اتباع أسلوب تحليل نظرة الإيرانيين إلى أهل السنة، وسنكتشف في الواقع من خلال هذا النوع من التحليل وجود نظرة سلبية لأهل السنة، حيث نلاحظ الموقف أو النظرة السلبية غير الإيجابية، وهذا يعكس العداء المتنامى للسنة عبر مراحل البيئة الصراعية التي مرَّت بها هذه العلاقة.

إنَّ قسما لا بأس به من الإيرانيين وأبنائهم في إيران لا يعرفون عن أهل السنة إلا ما يتعلمونه في المدارس والكتب المدرسية، التي تحوي الأكاذيب والافتراءات، يتقبلها الطالب الإيراني، وتصبح عقيدة لديه، لا يمكن إزالتها أو تغييرها في المستقبل.

تشكل الكتب المدرسية بذار حصاد لاحق من العداء عن طريق تشويه الوقائع في إطار غير ملائم ومنافٍ للحقيقة كمًّا ونوعًا، لكنهم يمكن أن يكونوا بذر حصاد من سوء التفاهم والكراهية ومشاعر الازدراء التي تغرسه إيران حول أهل السنة، نتيجة لتقديم بيانات غير حقيقية وغير دقيقة، على أنها حقائق، ولا تظهر حدة وخطورة مشكلة التحامل والتشويه والإغفال هذه في أي مكان آخر أكثر منها في الأدبيات المتوافرة عن صورة أهل السنة، والصراع العراقي الإيراني، والصراع المذهبي.

إنَّ تحليلاً عميقًا لمحتوى الكتب المدرسية الإيرانية قاد إلى تكوين أفكار سلبية مسبقة عن صورة أهل السنة، تمحورت فقط على فكرة الصراع من منظور مذهبي، يعكس مصطلحات قاموس الفكر السياسي الإيراني، حيث وُضِعت هذه الكتب المدرسية وفق روح المذهب الشيعي وتعاليمه، فالكتب المدرسية تلك تتضمن حقائق مشوهة ومزورة في أحيان كثيرة تم إخضاعها مسبقًا لأيدولوجية السياسة، والإغفال المتعمد لتعريف الطلاب بالحضارة الإسلامية؛ وهي إفراز للحقن العنصري الذي قامت عليه الثورة الإسلامية من خلال ثورتها الثقافية التي ركّزت فيها على تغيير الكتب المدرسية الإيرانية بما ينسجم مع مبادئ الثورة ومرتكزاتها؛ فالثورة عملت على صناعة تربوية كاملة من خلال الكتب المدرسية، هدفها الفصل بين التاريخ الممنوع والتاريخ المسموح، وذلك في سياق بناء شخصية الطالب الإيراني وبشكل غدت معه الكتب المدرسية عارية من الحقائق العلمية ومستغرقة في الميثولوجيا، وقد استصلحت كتب التاريخ أساطير ورموزًا أخذت من الذاكرة الفارسية والمذهبية الجمعية، وساعدت في إيجاد صورة الماضي وتدوينها والتعامل معها كحقيقة تلبي احتياجات الثورة ومتطلباتها ومشاريعها المستقبلية.

فالغاية من تعلم التاريخ وهدفه الأعلى- حسب تحليلنا لمحتوى الكتب المدرسية الإيرانية- تنمية مشاعر التضامن القومي والمذهبي، وتعبئتها تجاه الآخر، والآخر هنا "السنة".

إنَّ رؤية الذات هي في نهاية الأمر رؤية الآخر، ويمكننا أن نحاول تحديد الإدراك الإيراني لأهل السنة أو للآخر من خلال الإدراك الثوري الإيراني الذي صاغ فكرة الكتب المدرسية الإيرانية، فالإيراني الشيعي حسب الرؤية إنسان، يملك حضارة، وتاريخًا عريقًا، وتراثًا خدم الإنسانية، فيه صفات الوفاء، والصدق، ومحب

ومخلص لآل البيت، والأهم أن لديه رسالة لإنقاذ البشرية. أما إيران فهي أرض الحضارات: عنوان المدنية والتقدم.......

*** منهجية الدراسة:**

هذه الدراسة تهدف إلى التعرُّف على شكل الصورة النمطية لأهل السنة المضمنة في الكتبَ المدرسية الإيرانية، وما هي التوجهات التي يراد غرسها في عقل الناشئ الإيراني، وما هي التوجهات والأفكار التي تكررت أكثر من غيرها في هذه الكتب المتعلقة بصورة أهل السنة، وكيف توزَّعت في الكتب المدرسية، ومدى توافق وانسجام التوجهات التي تضمنتها الكتب المدرسية حول هذه الصورة مع أهداف ومتطلبات الثورة، والكيفية التي تؤثر بها المناهج التعليمية في إيران في تشكيل وبلورة صورة أهل السنة لدى الطالب الإيراني، وهذا يساعد على التعرف على الإيجابيات والسلبيات في تناول المناهج لهذه الصورة، وأبعاد ذلك.

ستسعى الدراسة إلى تحليل الصورة النمطية لصورة أهل السنة، وللشخصية السُّنية، وكيف يتم تناولها من خلال هذه المناهج، وهل يعكس ذلك فقط الكُرْهَ العِرْقي أم المذهبي أم الاثنين معًا؟.

نجد أن هناك ضرورة ملحّة للكشف عن صورة أهل السُّنّة في الكتب المدرسية في المراحل الثلاث الابتدائية والإعدادية والثانوية في إيران؛ حيث يمكن توضيح أهم مكونات صورة أهل السنة المُضَمَّنة في الكتب المدرسية في المراحل المدرسية التعليمية الثلاث في إيران، والتعرف على درجة تضمين الكتب المدرسية لمكونات هذه الصورة، وكيف توزعت، ومستوى التتابع والاستمرارية بين مكوناتها.

وقد تمَّ تحقيق محتوى النصوص الواردة حول صورة أهل السنة لمعرفة مدى دقة هذه النصوص وصحتها، أما المرحلة الأخيرة فتمثَّلت باستجلاء كيفية رسم الكتب المدرسية الإيرانية لهذه الصورة، وتحليل محتواها، بما ينسجم مع أهداف الدراسة.

استعانت الدراسة بمنهج تحليل المحتوى بصفة عامة بهدف دراسة هذا الموضوع.

وقد استخدمنا هذه المنهجية في دراسة وتحليل محتوى جميع الكتب المدرسية الإيرانية، حيث اتخذت النصوص كوحدات للتحليل لاستخراج الصورة المتضمنة في الكتب المذكورة، وهي منهجية تقوم على أساس تشكيل صورة أهل السنة في الكتب المدرسية بعد تحليل محتوى الكتب المدرسية بعد ترجمتها من اللغة الفارسية إلى العربية، ثم جمع البيانات وتحليلها، تحقيقها علميا ودلالات هذه البيانات، ثم استخلاص هذه النتائج. مع الاحتفاظ بخصوصيات ما ذكرته الكتب المدرسية، حتى وعلى صعيد الدلالة اللفظية كمصطلحات التعظيم لآل البيت (عليه السلام، قدس سره الشريف.....، حتى نكون أمينين على مستوى الترجمة).

أما بالنسبة إلى المستوى الكامن في صورة أهل السنة من خلال الكتب المدرسية، فلقد تناولناه بتحليل المواد التي استخدمتها هذه الكتب لإنتاج الصورة، إذ خضعت أيضًا لأسلوب تفكيك النصوص التي أمكن استخلاص الحقل السياقي لكل منها، مع تصنيفها في فئات حسب موضوعها، وما بينها من مشتركات وتضادات.

ويوجد مستوى آخر لجأت له الدراسة لتناول صورة أهل السنة وهو المستوى العميق الذي لا يتبدّى عند مجرد القراءة المتواصلة والتحليل، ولكن يتعيّن للتوصل إليه تفكيك كل من النصوص ومرفقاتها لاكتشاف الطريقة التي تم بواسطتها إنتاج

الصورة، وفي هذا النطاق تضمنت الدراسة كيفية إنتاج صورة أهل السنة في الكتب من خلال تحليل عملية الكتابة أو الصياغة التي تناولتها، وهذا يعني تحديد المواد والعناصر التي استخدمت في إخراجها أو إنتاجها والعملية التي تم من خلالها ترتيب المواد وتحويلها لإنتاج الصورة.

واستخلصنا في النهاية الصورة التي تنسب إلى الفاعلين: أهل السنة، والى شخصيات: أهل السنة، وهي تشمل الأحكام والصفات والتقديرات العامة والمتكررة ذات الدلالة الإيجابية أو السلبية. وفي الختام قمنا بتركيب الصورة الجزئية والكلية لصورة أهل السنة خدمة لموضوع الدراسة.

*** صعوبات الدراسة:**

الصعوبات التي واجهتنا في هذا الدراسة فهي كثيرة ومن أبرزها اتساع المادة العلمية وتشعُّبها بشكل كبير؛ وخاصة ما يتعلق منها بترجمة المادة العلمية من اللغة الفارسية إلى العربية، وجمع المادة العلمية، وفهرستها، وتبويبها، وترتيبها بحسب موضوع البحث، تمهيدًا لتحليلها، تمهيدا لتحقيقها، وهذا لم يكن بالأمر اليسير أو السهل المنال، وقد تم تجاوز هذه الصعوبات من خلال تنظيم العمل وتقسيمه، وبما يتناسب مع المضامين الفكرية والمنهجية التي هي مناط بحثنا عن "صورة أهل السنة في الكتب المدرسية الإيرانية".

وقد بذلنا الجهد قدر استطاعتنا في متابعة المتغيرات التي كانت تَطرَأ على المقررات المدرسية الإيرانية حينًا بعد حين؛ خاصة أن هذه المناهج جرى تغيير بعضها بشكل مستمر، وجرى إدخال تعديلات وإضافات عليها، فضلاً عن أن هذه المناهج غير موحدة حسب التخصصات التي يتم تدريسها في المدارس الإيرانية.

لا بد من البيان أن الكتابة في هذا الموضوع تحتل درجة كبيرة من الصعوبة والتعقيد لأسباب عديدة بعضها خاص بطبيعة البحث والموضوع، والحاجة أن نقدم ولو إسهامًا متواضعًا قد يسهم في فتح الباب أمام الباحثين من ناحية معرفته بإيران المجاورة جغرافيًّا للعالم العربي، والتي نجهل عنها الكثير بحيث نستطيع الاقتداء بها، فصحة المعرفة بالواقع التربوي لإيران يستلزم بالضرورة تحليل نصوص هذه المناهج ومحتواها، والقيم التي تحاول غرسها، وتحليلها ضمن سِياق علمي محايد، وتلك المعرفة تتطلب قدرًا كبيرًا من الإصرار والعزم للمضي لتكوين سلسلة معرفية جامعة حول الكتب المدرسية الإيرانية.

الإسلام في الكتب المدرسية الإيرانية

*** ظهور الإسلام:**

يقول النص: "دعوة خاصة: دعوة الرسول ﷺ كانت في البداية قائمة على ركنين أساسيين؛ التوحيد بالله والإيمان بيوم القيامة، في الثلاث سنوات الأولى للدعوة اقتصرت الدعوه على الأشخاص الذين كان عندهم الاستعداد الفكري والنفسى، وعندهم الاستعداد لقبول عين الحق، أول ثلاثة أشخاص آمنوا بالإسلام كانوا: خديجة (س) وعلى بن أبي طالب (ع) وزيد بن حارثة، وخلال هذه الفترة تشكلت النواة الأولية لنهضة الإسلام وكان اسمهم (السابقون) وكانوا روَّاد الإسلام والتوحيد في السعودية".

تحليل النص:

لماذا لم يُشِر إلى أبي بكر رغم أنه من أوائل الرجال الذين أسلموا.

يقول ابن هشام[1]:" فلما أسلم أبو بكر ﷺ أظهر إسلامه ودعا إلى الله وإلى رسوله. كان أبو بكر رجلاً مَأْلَفًا لقومه مُحَبَّبًا سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر. وكان رجلاً تاجرًا ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر لعلمه وتجارته وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه".

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٢٨٦.

ألم يكن من أهل السابقة في الإسلام؛ جاء في صحيح البخاري[١]: "أخبرنا عبيد الله بن سعد بن إبراهيم بن سعد، قال: ثنا عمي، قال: أنا أبي عن صالح عن أبي الزناد أنَّ أبا سلمة بن عبد الرحمن عن عوف أخبره، أنَّ عبد الرحمن ابن نافع بن عبد الحارث الخزاعي أخبره، أنَّ أبا موسى الأشعري أخبره: أنَّ رسول الله ﷺ كان في حائط بالمدينة على قُفِّ البئر مُدلِّيًا رجليه فدق الباب أبو بكر، فقال رسول الله ﷺ: ائذن له وبشِّره بالجنة، ففعل فدخل أبو بكر فدلّى رجليه ثم دق الباب عمر، فقال له رسول الله ﷺ إئذن له وبشِّره بالجنة، ففعل ثم دق عثمان الباب، فقال له رسول الله ﷺ ائذن له وبشره بالجنة وسيلقى بلاء.

- ألم يكن أبو بكر الصديق ﷺ صاحب الرسول ﷺ في الغار؛ قال الإمام مسلم في فضائله[٢]: "حدثني زهير بن حرب وعبد بن حميد وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمى، قال عبد الله: أخبرنا، وقال الآخران: حدثنا حبان بن هلال حدثنا همام، حدثنا ثابت حدثنا أنس بن مالك أنَّ أبا بكر الصديق حدَّثه، قال: نظرت إلى أقدام المشركين على رءوسنا ونحن في الغار، فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما».

*** دعوة عامة:**

يقول النص: "أمر الرسول ﷺ أن يعلن دعوته ويجعلها عامة، أول من دعاهم إلى الإسلام كان بين أهله بنى هاشم حتى يحصل على الدعم من عشيرته في ظل النظام القبلي الذي كان سائدًا، في مراسم حضرها أكثر من أربعين شخصًا من بنى

(١) صحيح البخاري، حديث٨١٣١.

(٢) صحيح الإمام مسلم، حديث رقم٦٣١٩.

هاشم، ودعاهم إلى الإسلام وتفضل: من منكم يساعدني في هذا الأمر ليكون أخي ووصي وخليفتي، لم يستجيب أحد إلى دعوة الرسول ﷺ غير علي عليه السلام، بعد هذه القصة أعلن الرسول ﷺ رسالته من فوق جبل الصفا، وندَّد بالمعتقدات وإشراك قومه والتقاليد الخاطئة، ونشأت بينه وبين رؤساء وأشراف مكة عداوة، في البداية حاولوا معه عن طريق الإغراءات وبعد ذلك عن طريق الإذلال والتهديد حتى يترك دعوته، على الرغم من حماية ودفاع أبي طالب عن الرسول ﷺ إلا أنَّ المشركين لم يكُفُّوا عن إذاء الرسول ﷺ، وعذَّبوا أتباعه إلى درجة الموت، ياسر وسمية (شهداء الإسلام) اشتهدوا من أثر التعذيب".

* **تفسير**:

يقول النص: "استخدم أعداء الرسول ﷺ من أجل منع انتشار الإسلام، وتقليل محبة وشعبية الرسول ﷺ بين الناس كافةَ الأساليب، ومن بينهم نضر بن حارث الذي شبَّه القرآن بالأساطير القديمة وبأنَّها منقولة من الأساطير الفارسية وذلك للتقليل من أهمية القرآن، والوليد بن المغيرة الذي اتَّهم الرسول ﷺ بالسحر، والعاص بن وائل الذي حاول إذلال الرسول ﷺ لأنه ليس له أولاد ذكور، وأبو لهب الذي اتَّهم الرسول ﷺ بالكذب وأشخاص آخرون مثل أبي جهل الذي لم يترك أي نوع من الأذى"[١].

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظرى (رشته أدبيات وعلوم إنساني)، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسى إيران، جاب يزدهم، ١٣٨٩، ص، ٩٣-٩٤.

*** الهجرة إلى الحبشة:**

يقول النص: "الرسول ﷺ وبعد أن أسَّس قاعدة لنشر الدين الإسلامى بين أتباعه، أرسل مجموعةً من المسلمين إلى الحبشة، ملك الحبشة النجاشى كان معروفًا بالعدالة، أرسل المشركون مجموعة من بينهم عمرو بن العاص لإعادة المهاجرين إلى الحبشة، ولكن النجاشي- المعروف عنه حسن الأخلاق ومراعاة الآداب ومؤمن بالاعتقادات التوحيدية- احترم المسلمين الذين لجئوا إليه ورفض أن يُسلِّمهم"[١].

*** محاصرة المسلمين الاقتصادية والاجتماعية:**

يقول النص: "صمَّم المشركون بعد فشلهم في إعادة المسلمين من الحبشة عن طريق المحاصرة الاقتصادية أن يُبْعِدوا أتباع الرسول صلى الله وعليه وسلم عن دينهم، وذلك عن طريق محاصرتهم اقتصاديًّا واجتماعيًّا، الرسول ﷺ وأصحابه الأوفياء ومن أجل إفشال مؤامرة المشركين لجأوا إلى تله بين جبال مكة معروفة بـ(شعاب أبي طالب)، قضى هؤلاء ثلاث سنوات تحت أصعب الظروف وتعرَّضوا خلالها لضغوط نفسية ومعيشية صعبة ورغم أنَّ المسلمين قاموا إلا أنَّ المشركين أُجْبروا في النهاية على رفع الحصار، بعد مرور عدة أسابيع تُوفِّيت خديجة وأبو طالب وكانوا من أقرب الناس إلى الرسول ﷺ وهذا سبب الحزن الكبير له ولأتباعه[٢].

---

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته أدبيات وعلوم إنساني)، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، جاب يزدهم، ١٣٨٩، ص ٩٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٥.

*** بيعة العقبة مهَّدت الطريق للهجرة إلى المدينة:**

يقول النص: "بعد انتهاء المحاصرة أصبح إذاء مشركي مكة بالنسبة إلى الرسول ﷺ، وخلال وجود كبار ورؤساء القبائل العربية الذين كانوا يأتون إلى مكة لزيارة الكعبة كان يدعوهم إلى الإسلام، في هذه الأيام وفي السنة الحادية عشره للهجرة آمَن ستة من كبار مدينة يثرب (المدينة لاحقًا) بالإسلام وكانوا السبب الأول لانتقال الإسلام إلى هذه المدينة، في السنة التالية حضروا ومعهم ستة آخرون وفي مكانٍ يسمَّى العقبة عقدوا بيعة؛ أن لا يشركوا بالله، وأن لا يسرقوا، وأن لا يقتلوا أبناءهم، وأن يأخذوا الأوامر من رسول الله في أعمال الخير، هذه البيعة معروفة ببيعة العقبة الأولى.. هذا مهَّد لانتشار الإسلام في يثرب، وفي السنة الثالثة عشر للهجرة حضر سبعون شخصًا من كبار هذه المدينة إلى العقبة وعقدوا بيعة أخرى عُرِفَت ببيعة العقبة الثانية وعلى أساس هذه البيعة تعهّد أهالي يثرب أن يُدافِعوا عن رسول الإسلام ﷺ وأصحابه كما يدافعون عن أنفسهم، وأن يناصروا رسول الله وسلم ضد اعدائه، وبهذا الشكل مهَّدت الطريق للهجرة التاريخية لرسول الإسلام وأصحابه من مكة إلى يثرب"[1].

*** مؤامرة لقتل الرسول:**

يقول النص: "في الأيام الأخيرة وقبل هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة قرَّر المشركون وباقتراح من أبي جهل أن يقتلوا رسول الله ﷺ وأن يهاجموا بيته في ظلام

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته أدبيات وعلوم إنساني)، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسى إيران، جاب يزدهم، ١٣٨٩، ص ٩٥.

الليل، عندما علم الرسول ﷺ بمؤامرة المسلمين، وضع علي عليه السلام روحَه على كفِّه ونام تلك الليلة في فراش رسول الله حتى يهاجر إلى يثرب براحه.

سورة التوبة الآية (٢٠) ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ** ﴾[١].

تحليل النص:

جاء في النص: "وفي السنة الثالثة عشر للهجرة حضر سبعون شخصًا من كبار هذه المدينة إلى العقبة وعقدوا بيعةً أخرى عُرِفَت ببيعة العقبة الثانية".

جاء في المصادر الموثوقة أن بيعة العقبة الثانية كانت قبل الهجرة. قال ابن هشام[٢]: قال ابن اسحاق: ثم إنَّ مصعب بن عمير رجع إلى مكة وخرج مَن خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجَّاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة، فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته والنصر لنبيِّه وإعزاز الإسلام وأهله، وإذلال الشرك وأهله.

وجاء في النص أيضًا:" قرَّر المشركون وباقتراح من أبي جهل أن يقتلوا رسول الله ﷺ وأن يهاجموا بيته في ظلام الليل، عندما علم الرسول ﷺ بمؤامرة المسلمين، وضع علي عليه السلام روحَه على كفِّه ونام تلك الليلة في فراش رسول الله حتى يهاجر إلى يثرب بسرية.

---

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته أدبيات وعلوم إنساني)، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، جاب يزدهم، ١٣٨٩، ص ٩٥.

(٢) السيرة النبوية، ج٢، ص٥٤-٥٥.

إليكم نص الحديث حول نوم على بن أبي طالب ﷺ في فراش الرسول ﷺ وآراء العلماء الثقات فيه:

أخرج عبد الله بن أحمد في زوائده على مسند أبيه: حدثنا يحيى بن حماد، حدثنا أبو عوانة، حدثنا أبو بلج، حدثنا عمرو بن ميمون، قال: إني لجالس إلى ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط، فقالوا: يا أبا عباس، إما أن تقوم معنا وإما أن يخلونا هؤلاء.

قال: فقال ابن عباس: بل أقوم معكم. قال وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى، قال: فابتدءوا، فتحدثوا فلا ندري ما قالوا. قال: فجاء ينفض ثوبه ويقول أف وتف، وقعوا في رجل له عشر، وقعوا في رجل قال له النبى ﷺ: «لأبعثن رجلاً لا يخزيه الله أبدًا يحب الله ورسوله».

قال: فاستشرف لها من استشرف، قال: «أين على؟» قالوا: هو في الرحل يطحن، قال: «وما كان أحدكم ليطحن؟» قال: فجاء وهو أرمد لا يكاد يبصر، قال: فنفث في عينيه ثم هز الراية ثلاثًا، فأعطاها إياه فجاء بصفية بنت حيى، قال: ثم بعث فلانًا بسورة التوبة، فبعث عليًّا خلفه فأخذها منه، قال: «لا يذهب بها إلا رجل منى وأنا منه».

قال: وقال: «لبنى عمه أيكم، يوالينى في الدنيا والآخرة؟» قال: وعلى معه جالس، فأبوا، فقال على: أنا أواليك في الدنيا والآخرة، قال: «أنت وليى في الدنيا والآخرة»، قال: فتركه، ثم أقبل على رجل منهم فقال: «أيكم يوالينى في الدنيا والآخرة» فأبوا قال: فقال علي: أنا أواليك في الدنيا والآخرة، فقال: «أنت وليي في الدنيا والآخرة».

قال: وكان أول من أسلم من الناس بعد خديجة. قال: وأخذ رسول الله ﷺ ثوبه فوضعه على عليٍّ وفاطمة وحسن وحسين فقال: «إنَّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا».

قال: وشرَى عليٌّ نفسه، لبس ثوب النبى ﷺ ثم نام مكانه. قال: وكان المشركون يرمون رسول الله ﷺ فجاء أبو بكر وعلى نائم. قال: وأبو بكر يحسب أنه نبى الله، قال: فقال: يا نبى الله، قال: فقال له على: إنَّ نبى الله ﷺ قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه، قال: فانطلق أبو بكر، فدخل معه الغار.

قال: وجُعل على يُرمى بالحجارة كما كان يرمى نبى الله وهو يتضوَّر قد لف رأسه في الثوب لا يخرجه حتى أصبح، ثم كشف عن رأسه، فقالوا: إنك للئيم كان صاحبك نرميه فلا يتضور وأنت تتضور، وقد استنكرنا ذلك... حدثنا أبو مالك كثير بن يحيى قال: حدثنا أبو عوانة، عن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، عن ابن عباس، نحوه[١]. والحديث مداره على أبي بلج واسمه يحيى بن سليم، أو ابن أبي سليم. قال البخاري: فيه نظر.

وقال ابن حبان في "المجروحين" (٢/ ٤٦٤) يحيى بن أبي سليم أبو بلج الفزاري، من أهل الكوفة، وقد قيل: إنه واسطى، يروي عن محمد بن حاطب، وعمرو بن ميمون، روى عنه شعبة وهشيم، كان ممن يخطئ، لم يفحش خطؤه حتى استحق الترك، ولا أتى منه ما لا ينفك منه البشر، فيسلك فيه مسلك العدول، فأرى أن لا يحتج بما انفرد من الرواية فقط، وهو ممن أستخير الله فيه.ا.هـ.

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في "المسند " (١/ ٣٣٠ - ٣٣١)، والحاكم في "المستدرك " (٣/ ١٣٢)، وابن أبي عاصم في " السنة " (١٣٥١).

وقال الشيخ مقبل الوادعى- رحمه الله- في تتبُّعه لأوهام الحاكم التى سكت عنها الذهبى (٣/ ١٥٥ رقم ٤٧١٥) عند قول الحاكم: "هذا حديث صحيح": لا، أبو بلج يحيى بن سليم، ويقال: ابن أبي سليم مختلف فيه، والراجح ضعفه؛ إذ الجرح فيه مفسر، قال البخاري: فيه نظر، وهى من أردى عبارات التجريح عند البخاري.ا.هـ.

وهذا الحديث مما تفرد به أبو بلج يحيى بن سليم.

وقد تابع العلامة الألباني- رحمه الله- الحاكم والذهبى في تخريجه لحديث: «من كنت مولاه، فعلى مولاه، اللهم والِ من والاه، وعاد من عاداه» في "الصحيحة " (٤/ ٣٤١ رقم ١٧٥٠) عند ذكره لطرق الحديث فقال (٤/ ٣٤١): وهو كما قالا.

وذهب الشيخ أحمد شاكر- رحمه الله - في تعليقه على المسند (٥/ ٢٥ رقم ٣٠٦٢) إلى تصحيح سنده فقال: إسناده صحيح. أبو بلج، بفتح الباء وسكون اللام وآخره جيم: "اسمه يحيى بن سيلم" ويقال: "يحيى بن الأسود" الفزاري، وهو ثقة، وثقَّه ابن معين وابن سعد والنسائى والدارقطنى وغيرهم، وفي التهذيب أن البخاري قال: "وفيه نظر"! وما أدري أين قال هذا؟ فإنه ترجمه في الكبير ولم يذكر فيه جرحًا، ولم يترجمه في الصغير، ولا ذكره هو ولا النسائى في الضعفاء، وقد روى عنه شعبة، وهو لا يروي إلا عن ثقة...ا.هـ.

وممن توسع في تخريج هذا الحديث توسعًا جيدًا محقق "مسند الإمام أحمد" (٥/ ١٧٨-١٨٨)، بعد أن أعلَّ الحديث بتفرُّد أبي بلج يحيى بن سليم، وسأنقله بنصه فقال: إسناده ضعيف بهذه السياقة، أبو بلج- واسمه يحيى بن سليم، أو ابن أبي سليم- وإن وثّقه غير واحد، قد قال فيه البخاري: فيه نظر، وأعدل الأقوال فيه

أنه يُقبل حديثه فيما لا ينفرد به كما قال ابن حبان في "المجروحين"، وفي متن حديثه هذا ألفاظ منكرة بل باطلة لمنافرتها ما في الصحيح، ولبعضه الآخر شواهد.

وقد تتبع ألفاظ الحديث وبيَّن ما فيها من النكارة والمخالفة للأحاديث الثابتة، فمن ذلك:

١ - نقله لكلام شيخ الإسلام في "المنهاج" (٥/ ٣٤-٣٦) على الحديث فقال شيخ الإسلام بعد أنّ ساق الحديث: وفيه ألفاظ هي كذب على رسوله ﷺ... ا.هـ.

٢ - قصة نوم على ﷺ في فراش الرسول ﷺ رُوِيت في كتب السير وغيرها وليس فيها إسناد قائم.

٣ - قصة تأخُّر خروج أبي بكر إلى رسول الله ﷺ في الهجرة، فهى مُخالِفة لما وقع في الصحيح في أنهما خرجَا معًا من بيت أبي بكر، أخرجه البخاري في صحيحه (٣٩٠٥).

قال ابن كثير في "السيرة النبوية" (٢/ ٢٣٥): وقد حكى ابن جرير عن بعضهم: أنَّ رسول الله ﷺ سبق الصديق في الذهاب إلى غار ثور، وأمر عليًّا أن يدُلَّه على مسيره ليلحقه، فلحقه في أثناء الطريق. وهذا غريب جدًّا، وخلاف المشهور أنهما خرجا معًا.

٤- وفي قصة سدّ الأبواب غير باب على أحاديث... وليس في أسانيد هذه الأحاديث إسناد صالح، بل هى أسانيد ضعيفة لا تثبت على نقد، ولم يصنع الحافظ ابن حجر رحمه الله شيئًا في تقوية هذا الحديث بمثل هذه الأسانيد، ولم يصب في تنقيد الحافظيْن ابن الجوزي والعراقى رحمهما الله في إيرادهما هذا الحديث في "الموضوعات".

هذا ملخص لما أورده المحقق لمسند الإمام أحمد- طبعة الرسالة- من إيرادات على الحديث.

لهذا السبب سميت السنة الحادية عشرة للهجرة بعام الحزن.

الرسول ﷺ في المدينة

*** المدينة مركز الحكومة الإسلامية:**

يقول النص: "كما قرأنا، أخيرًا وبعد مرور رسول الله ﷺ بأيام صعبة ومتتالية من السير واستنفاذ طاقته وصل إلى يثرب، وكان موضع استقبال مسلمين هذه المدينة، وقد قام هؤلاء قبل وصول الرسول صلى الله وعليه وسلم إلى المدينة بإزالة كل أثر للأصنام والوثنية، بعد ذلك سُمِّيت يثرب بمدينة النبي. إنَّ دخول النبي إلى المدينة عُرِف بعهد بداية تأسيس الحكومة الإسلامية، تأسيس الحكومة كان جزءًا من الأهداف الأساسية لرسالة النبي ﷺ، وقد كان في مدرسة الإسلام تعاليم وأحكام وقوانين تنظِّم جميع جوانب الحياة الفردية والجماعية، ولا يوجد إمكانية لتحقيق ذلك بدون تشكيل حكومة، في السنة التي هاجر فيها الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة وتأسيس هذه الحكومة هي بداية التاريخ الإسلامي، نبي الإسلام ﷺ بعد وصوله إلى المدينة في البداية بنى مسجدًا، هذا المسجد بالإضافة إلى كونه مكانًا لعبادة المسلمين، كان مركزًا للحكومة واتخاذ القرارات واجتماعات مسلمي المدينة.

ويضيف النص أنّ "من الأمور الأخرى التي قام بها الرسول ﷺ إلى المدينة إيجاد الروابط الدينية الأخوية بين المسلمين بدلًا من التعصُّب القبلي الذي كان سائدًا في ذلك الوقت، لهذا آخَى بين كل اثنين من المسلمين، وتآخَى الرسول مع علي عليه السلام واتخذه أخًا في الدنيا والآخرة"[1].

---

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلي، مرحلة دوم تعليمات عمومي، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٩، ص ٧.

في انتظار رسول

يقول النص: "كان عدد اليهود الذين يسكنون المدينة، قد قرأوا في كتبهم الدينية القديمة أن آخر رسول ﷺ سيبعث من بين أبناء إبراهيم وأنّه في النهاية سوف ينتصر على الكفار والمشركين، كانوا يتوقعون ظهور هذا الرسول من بينهم وكانوا يضايقون الأوس والخزرج، وكانوا متحمسين ويهددونهم بأنَّ الرسول الخاتم سيكون من بيننا، ونحن نؤمن به، لهذا السبب كان الناس في يثرب لديهم الخلفية الذهنية قبل ظهور الإسلام عن احتمالية بعثة الرسول ﷺ، أما اليهود والذين كانوا السبب في إيجاد هذا الاستعداد- ولأسباب مختلفة- رفضوا قبول الدين الإسلامى، من بينها أن الرسول لم يبعث من قومهم على عكس تصورُّهم".

أهم الأعمال التي قام بها الرسول ﷺ بعد الهجرة إلى المدينة:

يقول النص: "تأسس المسجد ليكون أول مركز اجتماعى للعبادة، حيث أمر الرسول ﷺ ببناء المسجد بعد وصوله إلى المدينة. المسجد في عرف الأنبياء لم يكن محلًّا للعبادة وإبلاغ الآيات الإلهية، كان يعتبر القاعدة الرئيسية للرسول ﷺ ومركز إدارة المجتمع. الرسول ﷺ طوال فترة حياته في المدينة كان ينظِّم شؤون المجتمع. مثل التعليم والتربية، القضاء والأحكام، الاستشارة واتخاذ القرارات في الأمور المهمة مثل الصلح والحرب، استقبال مندوبين سائر القبائل، تدريب وتجهيز الجنود. مشاركة كافة المسلمين المهاجرين (مسلمى مكة) والأنصار (مسلمى المدينة) والأفراد الذين ينتمون إلى القبائل المختلفة، الطبقات الفقيرة والغنية في بناء المسجد، أول تدريب كان لنسيان الخلافات السابقة والنظر لبعضهم على أنهم خصماء"[1].

---

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته أدبيات وعلوم انساني)، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي =

يضيف النص: "تأسيس الأخوة الدينية بدل من التعصُّب القومى.. لم يكن أهل المدينة يعانون فقط من العداوة التاريخية والخلافات بين القبائل والأعراق ولكن الرقابة بينهم مع أهالي مكة، بالإضافة إلى الخلافات الطبقية والاجتماعية بين المهاجرين التى كانت واضحة، وجود مثل هذه الاختلافات يسبِّب مناقشات غير قابلة للاحتواء في المجتمع الإسلامى، لهذا قام الرسول ﷺ آخى فورًا بعد بناء المسجد بين كل اثنين، وأصبح كل اثنين إخوة، ومسئولين عند بعضهم وملتزمين إزاء بعضهم البعض وهذا منع ظهور أي نوع من الخلافات في المجتمع المنشأ حديثًا، الرسول ﷺ في آخر اجتماع للأخوة أعلن عليًّا عليه السلام أخًا له في الدنيا والآخرة[1].

* فكِّر واجب:

يقول النص: "من جملة الأشخاص الذين عقد الرسول ﷺ بينهما عقد الأخوة عمُّه حمزة وغلامه الذي حرَّره زيد، هذا العقد كان عزيزًا على المسلمين، لدرجة أنَّ حمزة وصَّى لزيد أن يرث منه. برأيك ما هى نقطة وجهة نظر الرسول في هذه الأخوه؟"[2].

ايران، جاب يزدهم، ١٣٨٩، ص ٩٨.

(١) المصدر نفسه، ص ٩٩.

(٢) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته أدبيات وعلوم انساني)، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسى إيران، جاب يزدهم، ١٣٨٩، ص ٩٩.

عقد معاهدة للتعايش السلمي

يقول النص: "في بداية دخول الرسول ﷺ إلى المدينة، كان فيها أناس من معتقدات مختلفة بما في ذلك، مسلمون يهود، وحتى كان في المدينة أيضًا عبدة الأصنام، لهذا كان من الضرروي إيجاد وحدة سياسية واجتماعية بين جميع القبائل والفرق والاتجاهات الفكرية والدينية من أجل إيجاد الأمن والدفاع عن المدينة مقابل هجمات الأعداء، وعلى هذا الأساس وبخبرة وحنكة الرسول ﷺ كتب اتفاقية ووافق عليها الجميع، ووفقًا لهذه الاتفاقية والتى تعتتبر جزءًا من القانون الأساسى للحكومة الإسلامية، كلُّ سكان المدينة من مسلمين ويهود ملتزمون بضمان الحرية في الدين وإقامة الأعمال الدينية، وأن يحترموا ويحافظوا على حرمة العقيدة والاعتقادات الدينية للآخرين، والابتعاد عن العدواة فيما بينهم وكذلك تجنب تقديم المساعدة لأعداء بعضهم البعض"[١].

تحليل النص:

لماذا الإصرار على أنَّ تاريخ المسلمين وتأسيس الدولة في المدينة- كما ترى الكتب المدرسية- شيعى، فالذين أبرزهم النص في المؤاخاة هم على بن أبي طالب وعمه حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنهما. وكأنَّ المؤاخاة لم يحضرها غيرهم، أليس في تظليل للطالب المقبل على العلم، بأن نغرس بعقله أنه لولا آل البيت لما قام الإسلام.

ألم يؤاخِ الرسول ﷺ بين جميع الصحابة من المهاجرين والأنصار؟

(١) المصدر نفسه، ص ٩٩.

إليكم ما جاء في سيرة ابن هشام حول المؤاخاة[1]: "وآخَى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار قال- فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل-: «تآخوا في الله أخوين أخوين»، ثم أخذ بيد على بن أبي طالب فقال: هذا أخى فكان رسول الله ﷺ سيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد وعلى بن أبي طالب ﷺ أخوين، وكان حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسد رسوله ﷺ وعم رسول الله ﷺ وزيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ أخوين، وإليه أوصَى حمزة يوم أحد حين حضره القتال إن حدث به حادث الموت، وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين الطيار في الجنة ومعاذ بن جبل أخو بنى سلمة أخوين.

قال: ابن هشام: وكان جعفر بن أبي طالب يومئذ غائبًا بأرض الحبشة

قال ابن إسحاق: وكان أبو بكر الصديق ﷺ ابن أبي قحافة وخارجة بن زهير أخو بلحارث بن الخزرج أخوين، وعمر بن الخطاب ﷺ وعتبان بن مالك أخو بنى سالم ابن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج أخوين، وأبو عبيدة بن عبد الله بن الجراح واسمه عامر بن عبد الله وسعد بن معاذ بن النعمان أخو بنى عبد الأشهل أخوين، وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخو بلحارث بن الخزرج أخوين، والزبير بن العوام وسلامة بن سلامة بن وقش أخو بنى عبد الأشهل أخوين، ويقال بل الزبير وعبد الله بن مسعود حليف بنى زهرة أخوين، وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر أخو بنى النجار أخوين، وطلحة ابن عبيد الله وكعب بن مالك أخو بنى سلمة أخوين وسعد بن زيد بن عمرو بن نفيل وأبي بن كعب أخو بنى النجار أخوين، ومصعب بن عمير بن هاشم وأبو أيوب خالد بن زيد أخو بني النجار

(١) السيرة النبوية، ج٢، ص١١٨-١١٩.

أخوين، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وعباد بن بشر بن وقش أخو بنى عبدالأشهل أخوين، وعمار بن ياسر حليف بنى مخزوم وحذيفة بن اليمان أخو بنى عبد عبس حليف بنى عبد الأشهل أخوين. ويقال: ثابت بن قيس بن الشماس أخو بلحارث ابن الخزرج خطيب رسول الله ﷺ وعمار بن ياسر أخوين، وأبو ذر وهو برير بن جنادة الغفاري والمنذر بن عمرو المعنق ليموت أخو بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج أخوين. وسمعت غير واحد من العلماء يقول أبو ذر جندب بن جنادة.

قال ابن إسحاق: وكان حاطب بن أبي بلتعة حليف بنى أسد بن عبدالعزى وعويم بن ساعدة أخو بنى عمرو بن عوف أخوين، وسلمان الفارسى وأبو الدرداء عويمر بن ثعلبة أخو اللحارث بن الخزرج اللذين كانا أخوين.

تقوية قاعدة الإسلام

يقول النص: "على الرغم من أن المواجهات المستمرة بين المسلمين وأعداء الإسلام، والتى تسبَّبت في الخسائر المادية والبشرية الكثيرة في المجتمع الإسلامى، ولكن الانتصارات المتكررة للمسلمين والتى أدَّت إلى تقوية الإيمان والثقة بالنفس لدى المسلمين[1].

من ناحية أخرى إلى زيادة قوتهم التي كانت واضحة أمام أعدائهم، النصر في معركة الأحزاب انعدام الأمن والانهيار بين اتحاد الشرك والكفر في المنطقة، إخراج اليهود ناقضي العهود من المدينة، انتشار رسل الرسل بصفتهم مبلغين للدين الإسلامي بين القبائل العربية المختلفة، ودخول بعض هذه القبائل في الإسلام كل

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته أدبيات وعلوم إنساني)، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، جاب يزدهم، ١٣٨٩، ص ٩٩.

هذا أدى إلى إثبات التفوق والسلطة للمدينة في شبه الجزيرة العربية، بالإضافة إلى ذلك نزول الآيات القرآنية بالتدريج والأحكام الدينية التي تتناسب مع المجتمع الإسلامي، كل هذا شكّل الهيكلة التنظيمة المنسجمة للمجتمع الإسلامي"[١].

غزوة بدر

يقول النص: "في السنة الثانية بعد الهجرة، قامت معركة بين المسلمين والمشركين، وقامت هذه المعركة بسبب أن قافلة تجارية للمشركين كانت عائدة من الشام إلى مكة وتمرّ بالقرب من المدينة، المشركون، ومن شدة خوفهم من أن تصل بضاعة هذه القافلة إلى يد المسلمين، أرسلوا الجند إلى المدينة لحماية القافلة، وابتعدت القافلة عن أطراف المدينة، ولكن قامت المعركة بين هؤلاء الجند بقيادة أبو سفيان وجند الإسلام بقيادة الرسول ﷺ، قامت هذه الحرب بالقرب من بئر يسمى بئر بدر، واشتهرت باسم معركة بدر، ولأنَّ رسول الله شارك شخصيًا في هذه المعركة عرفت بغزوة بدر، أصاب الغرور المشركين لكثرة عددهم وأسلحتهم، وتصوَّروا أنهم سوف يهزمون المسلمين، ولكن المسلمين الذين توجهوا إلى ساحة المعركة متسلحين بإيمانهم بالله صمدوا أمامهم كالجبل واستطاعوا أن يهزموهم، وقد كان لشجاعة حمزة عم النبي وسيدنا علي عليه السلام تأثير كبير في انتصار المسلمين في هذه المعركة"[٢].

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٠٢.

(٢) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلى، مرحله دوم تعليمات عمومي، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٩، ص ٧-٨.

غزوة أحد

يقول النص: "في السنة الثالثة للهجرة قام مشركو مكة ولتعويض هزيمتهم في بدر بجيش عدده ثلاثة آلاف مقاتل مزوّدين بالكثير من العتاد بالتوجُّه إلى أطراف المدينة، عندما وصل خبر هذه الحملة إلى الرسول، رأي أنَّ من مصلحة المسلمين أن يدافعوا عن المدينة من داخل المدينة، وبما أنَّ عددًا كبيرًا من شباب المسلمين كانوا في معارك خارج المدينة، لقد جاهد الرسول ﷺ قائد جند الإسلام، واستطاع المسلمون في البداية أن ينتصروا، وبما أن فريقًا من جند المسلمين خالفوا أوامر رسول الله قائد الحرب وغفلوا، واستطاع المشركون أن يُحوِّلوا هزيمتهم إلى انتصار"[1].

غزوة الخندق

يقول النص: "في السنة الثامنة للهجرة شكّل مشركو كافة الأراضي السعودية حلفًا فيما بينهم واتفقوا أن يهاجموا المدينة بجيش كبير جدًّا، كذلك فإنَّ يهود المدينة كانوا منزعجين من انتشار الإسلام، كذلك شكلوا حلفًا فيما بينهم، عندما علم الرسول ﷺ بأمر جيش الكفار وتحالفهم استشار أصحابه في الأمر، فاقترح سلمان الفارسي لمقابلة الأعداء أن يحفروا خندقًا شمال المدينة وذلك بسبب وجود أشجار النخيل والجبال لا يستطيع الأعداء دخول المدينة من طريق أخرى (سلمان كان إيرانيًّا) عرف الإسلام في المدينة وانضمَّ إلى جموع أصحاب رسول الله.

---

(١) المصدر نفسه، ص ٨.

عندما وصل المشركون إلى المدينة وجدوا الخندق أمامهم ولم يكونوا قد رأوه من قبل، لم يكن أمامهم إلا أن يتوقفوا أمام الخندق ويحاصروا المدينة، بعد مرور عدة أيام من حصارهم للمدينة قرَّر مقاتلو قريش أن يتجاوزوا عن الخندق، ذهب سيدنا علي عليه السلام لمقابلتهم وبعد مقتل عمرو بن عبد ودّ من أشهر مقاتلي الكفار وأحد مرافقيه فرّوا باتجاه الخندق، عندما ذهب سيدنا علي لمبارزة عمرو قال الرسول ﷺ: «كل الإسلام الآن يبارز كل الكفر»، في هذا الوقت قامت زوابع شديدة واقْتُلِعت خيام المشركين من مكانها، مما أدَّى إلى انتشار الفوضى بين صفوف المشركين".

يضيف النص: "ومع حدوث اشتداد الخلاف بين المشركين، قرّروا أن يعودوا إلى مكة، وبدون تحقيق هدفهم انسحبوا من أطراف المدينة وأصابتهم الهزيمة"[1].

صلح الحديبية انتصار واضح

يقول النص: "قرَّر الرسول صلى الله عليه في السنة ٦ للهجرة برفقة مجموعة من المسلمين زيارةَ بيت الله، وقصد مكة للزيارة لا للحرب، توفيق الرسول ﷺ بهذا السفر يعنى انتهاء سلطة عبدة الأصنام والشرك في شبه الجزيرة العربية، لهذا فقد قاوم قادة مكة المشركون هذا الأمر ومنعوا دخول المسلمين إلى مكة وزيارة بيت الله، على الرغم من أن المسلمين كانوا يرتدون ملابس الإحرام ولم يكن معهم سلاح إلا السيوف في أغمادها، ولكن مع البيعة التى عقدها رسول الله ﷺ مع تأكيده وحماية لحياة الناس، ومع رغبة الرسول في تحاشي المواجهة العسكرية، بالنهاية تَمَّ عقد

---

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلي، مرحله دوم تعليمات عمومي، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٩، ص ٨- ٩.

مناقشة وصلح مع الطرفين في مكان يدعى الحديبية، ومن بنوده الأصلية اتفقوا أن يتركوا الحرب بين مكة والمدينة هذه السنة، وعلى أساس هذا الصلح تَمَّ الاتفاق أن يصرف المسلمون النظر عن زيارة مكة هذا العام، ولكن في السنة القادمة على المشركين أن يتركوا مكة عدة أيام ليزور خلاها المسلمون بيت الله بهدوء وجو معنوي، أما أهم معطيات هذا الصلح أن المناسبات الدينية للمسلمين أخذت شكلها في الأداء، وإتاحة المجال لنشر الإسلام"[1].

صلح الحديبية وانتشار الإسلام

وفي موقع أخر حول نفس الموضوع يقول النص: "بعد غزوة الخندق ازدادت قوة المسلمين ووضحت للكثيرين من العرب، للحدّ الذي أصبح فيه المشركون مستعدين للصلح مع المسلمين، وبالتالِي حدث صلح الحديبية، على أساس هذه المعاهدة تعهد المشركون بعدم دخولهم في حرب مع المسلمين لمدة عشر سنوات، وسمحوا لهم بزيارة بيت الله وتأمين الأمان والهدوء لهم".

يضيف النص: "وبتوقيع صلح الحديبية استطاع رسول الإسلام ﷺ أن ينشر دين الإسلام ليس فقط في الأراضي السعودية بل دعا الدول الأخرى إلى هذا الدين الإلهي، ومن أجل هذا الهدف أرسل رسول الإسلام رسائل إلى ملوك إيران والروم ومصر ودعاهم فيها إلى الإسلام"[2].

---

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته ادبيات وعلوم إنساني)، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، جاب يزدهم، ١٣٨٩، ص ١٠٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩-١٠.

فتح خيبر

يقول النص: "بعد توقيع الصلح، ويومًا بعد يوم توسَّع انتشار الإسلام أكثر، وازداد غضب المشركين أكثر وخاصة يهود منطقة خيبر وكانوا يحاولون إيجاد المشاكل للمسلمين، لهذا السبب وفي السنة السابعة للهجرة ذهب الرسول ﷺ لمحاربتهم، وحاصرهم في حصونهم، هذه الحرب كانت بقيادة الإمام علي عليه السلام والتضحيات الجلية للمسلمين، وانتهت بانتصار المسلمين، في هذا الوقت عاد إلى المدينة جعفر بن أبي طالب والمسلمون الذين هاجروا قبل سنوات إلى الحبشة".

فتح مكة

يقول النص: "بعد مرور سنتين تقريبًا على صلح الحديبية ونقض المشركين لهذا الصلح، ونتيجة لذلك توجَّه رسول الإسلام على رأس جيش كبير إلى مكة، لم يرَ المشركون في أنفسهم القدرة على المقاومة وقاموا بالاستسلام، أعطى رسول الإسلام الأمان إلى أهالي مكة، وبالتالي وبعد ثمان سنوات من الهجرة فُتِحت مكة من قبل المسلمين واستطاع المهاجرون أن يعودوا إلى مكان ولادتهم، بدخول المسلمين مع الرسول الكريم إلى مكة، قام الكثيرون بالاستسلام ودخلوا في دين الإسلام، وقام الرسول ﷺ بالعفو عنهم، في بيت الله وبأمر من الرسول ﷺ أخذ الإمام علي عليه السلام على عاتقه تحطيم جميع الأصنام، وبالتالِي أصبحت الكعبة مكانًا لعبادة الله الواحد".

يضيف النص: "في ذلك الوقت كان أبو سفيان وعائلته من ألدِّ أعداء الإسلام، وأعلنوا إسلامهم وقد عفَا عنهم رسول الإسلام يوم فتح مكة والتي هي من أهم وأكبر مدن الحجاز والمركز الديني والتجاري للعرب، وقد وصلت شهرة مكة والمدينة إلى أصقاع الأرض، حيث شهدتا عظمة ومجد الإسلام، ودخل الناس في الدين الإسلامي أفواجًا أفواجًا، ولم يمضِ وقت طويل حتى أصبح معظم الناس في السعودية مسلمين"(١).

* فتح مكة أهمِّ قاعدةٍ للوثنيةِ:

يقول النص في موقع أخر حول نفس الموضوع: "في السنة الثامنة للهجرة نقض مشركو مكة صلح الحديبية من خلال بعض العمليات العسكرية المتفرقة، سكوت الرسول ﷺ على النقض الواضح لبنود المعاهدة، كان من الممكن أن تؤدي هذه الجرأة في تكرار مثل هذه الحوادث إلى إخلال الأمن في المجتمع الإسلامى ويعرضه للخطر، لهذا قام الرسول ﷺ بتجهيز جيش كبير وتوجّه إلى مكة، الرسول ﷺ ومراعاة أن مكة هى مدينة الأمن الإلهى كان يرغب أن يفتح مكة بدون إراقة دماء، المشركون أيضًا عندما شاهدوا عظمة وقوة جيش المسلمين يأسوا من المقاومة، واضطروا إلى الاستسلام وبهذا دخل المسلمون إلى مكة بهدوء وقوة، وأُجْبر أبو سفيان زعيم المشركين على دخول الإسلام".

يضيف النص: "فتح مكة كان فتح عسكري بسيط، إن هذه الحادثة أظهرت ذروة رحمة وتسامح الرسول، الرسول ﷺ وبكمال قدرته العسكرية سامح كل أهالي

---

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلي، مرحله دوم تعليمات عمومي، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٩، ص ١٠.

مكة الذين حاربوه لمدة عشرين عامًا، وعذبوا أتباعه حتى وصلوا إلى الشهادة وحتى لم يمتنعوا من تقطيع أجسادهم، الرسول وبهدف جذب مسلمى مكة الجدد إلى المجتمع الإسلامى، وحتى إنه سمح لجنود مكة بأن يرافقوا جيش المسلمين في معركة حنين التى وقعت بعد فتح مكة، وحتى يؤلِّف بين قلوبهم كانت حصتهم من الغنائم أكثر"[١].

تحليل النص:

جاء في النص: "وبهذا دخل المسلمون إلى مكة بهدوء وقوّة، وأُجْبر أبو سفيان زعيم المشركين على دخول الإسلام".

إن في هذا افتراء على الإسلام وعلى الرسول محمد ﷺ الذي جاء بدعوة لا إكراه فيها. فلمجرد الطعن بأبِي سفيان ﷺ أباح الكاتب مثل هذه الأفكار أن تتسلل لما كتبه. وقد أجمعت كتب السير وعلى رأسها سيرة ابن هشام أن أبا سفيان دخل الإسلام رغبة؛ جاء في السيرة: "كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة قد لقيَا رسول الله ﷺ أيضًا بنيق العقاب فيما بين مكة والمدينة فالتمسا الدخول عليه فكلمته أم سلمة فيهما، فقالت: يا رسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك. قال: لا حاجة لي بهما، أما ابن عمي فهتك عرضي وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال. قال: فلما خرج الخبر إليهما بذلك ومع أبي سفيان بني له، فقال: والله ليأذنن لي أو لآخذن بيدي بني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشًا وجوعًا، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رقَّ لهما، ثم أذن لهما فدخلا

---

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته ادبيات وعلوم إنساني)، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، جاب يزدهم، ١٣٨٩، ص ١٠٣.

عليه فأسلما"[١].

بعد نهاية النص، تطرح الأسئلة التالية على الطلبة لترسيخ بعض الأفكار:

*** فكِّر واجب:**

بعد فتح مكة خاطب الرسول ﷺ (أنتم الطلقاء) يعنى أن عفو الرسول ﷺ شمل قادة قريش، بعد ملحمة كربلاء السيدة زينب سلام الله عليها خاطبت يزيد (يا ابن الطلقاء).

بنظرك إلى ماذا كانت تهدف السيدة زينب عندما استخدمت هذه العبارة[٢].

تحليل النص:

إنَّ النص وضع نصب عينيه منذ البداية عداوة بنى أمية، وأنهم بلاء على الأمة وعلى آل البيت، ويريد أن يربط من خلال ما نسبه للسيدة زينب التأكيد على ذلك، وأنَّهم ظلوا يناصبون الإسلام العداء حتى فتح مكة.

يقول النص: "بعد فتح مكة أُجْبر المسلمون على القيام ببعض التدابير العسكرية، مثل غزوة حنين، التى وقعت بين آخر معاقل الفتنة والتأمر في شبه الجزيرة العربية، وغزوة تبوك التى حدثت لقمع تحركات جنود الروم في الحدود الشمالية".

---

(١) السيرة النبوية، ج٤، ص٤٩.

(٢) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته ادبيات وعلوم إنساني)، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، جاب يزدهم، ١٣٨٩، ص ١٠٣.

آخر سنوات من حياة رسول الإسلام

في السنوات الأخيرة لحياة الرسول قَوِيت أسس الإسلام في السعودية، وأصبح نشر وتبليغ الإسلام من أهم ما قام به الرسول الكريم، في هذه السنوات تَمَّ تعيين علي عليه السلام خليفة للرسول، وفي أثناء عودته من الحج، أمر بجمع جميع زائري بيت الله في مكان يسمى غدير خم، وهناك أعلن الرسول الكريم عليًّا بصفته خليفة للرسول وقائدًا المسلمين وقد خطب فيهم قائلًا (من كنت مولاه، فهذا علي مولاه) بعد ذلك قام جميع الحجاج بمبايعة علي عليه السلام، بعد ذلك نزلت هذه الآية من القرآن: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣].

يضيف النص: "حاول الرسول الكريم وفي آخر أيام حياته، جاهدًا أن يرسل جيشًا إلى الشام، وقدر أرسل جيشًا بقيادة أسامة إلى الشام (الحدود مع الروم)، ولهذا السبب اعترض عدد من المسلمين على تعيين أسامة قائدًا لهذا الجيش من المهاجرين والأنصار وذلك لصغر سِنّه. وقال الرسول الكريم إنه أهلٌ لهذه القيادة في هذه الأيام".

ويضيف النص: "مرض الرسول ﷺ، استغل البعض ذلك، وبحجة مرض الرسول غضبوا ورفضوا قيادة أسامة للجيش، وتخلَّف البعض منهم عن الالتحاق بالجيش، وقد لامهم الرسول الكريم على ذلك، توفِّي الرسول في السنة الحادية عشر للهجرة يوم ٢٨ صفر، وكان في حالة ذكر لله سبحانه وتعإلى، وكان معه في آخر أيام حياته سبعة دنانير قسَّمها بين الفقراء قبل وفاته.

الرسول ﷺ من وجهة علي عليه السلام

يقول النص: "قال سيدنا علي عليه السلام: عندما كانت تصعب علينا الحرب كنَّا نلجأ إلى رسول الله، كان أكثر الناس عبادة في زمانه، كان يصوم معظم الأيام ويقضي الليل في الصلاة، كانت حياته في قمة البساطة، كان يفترش تحته حصيرة من ورق وقش شجرة التمر، كان معظم طعامه من خبز الشعير وحبات من التمر، وأحيانًا الخبز والماء، وكان يحلب الحليب بيديه، ويطحن القمح، ومع أنَّ حياته كانت بسيطة إلا أنه كان يراعِي النظافة والطهارة بدقة. لقد كان يشدِّد على ضرورة سواك الأسنان، وغسل الجسم، كان مثالاً للخجل والحياء، كان قليل الكلام ويتحدث بهدوء، ولم يلعن أحدًا في أي وقت من الأوقات. كان خليطًا من العدالة والرحمة والسماح في تحقيق العدالة. لم يقصِّر في حق أحد ولم يظلم أحدًا. كان يوصِي بالنساء باستمرار، وكان يساعد بنفسه في أعمال المنزل، من أنسك العباد، وأشجع القادة، وأعدل الحكام، وأدقّ الحكام والقضاة، وأب عطوف، وزوج حنون، وكان أخًا لكل المؤمنين يحمل همومهم، وينبغي أن تكون حياته قدوة لنا"[(١)].

ختم الدرس يطرح الأسئلة للمناقشة وهي:

١- ما هو أول عمل قام به الرسول بعد هجرته من مكة إلى المدينة؟

٢- ما معني الغزوة؟

٣- ما هي نتائج فتح مكة على يد المسلمين؟

---

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلى، مرحله دوم تعليمات عمومى، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٩، ص ١٣.

٤- ما هي الأحداث المهمة التي حصلت بين السنة الثانية والثامنة للهجرة بالترتيب؟

٥- ما هي بنود صلح الحديبية؟

٦ – املأ الفراغات التالية بالكلمات المناسبة

أ – وقعت غزوة بدر قرب..............

ب- أعلن الرسول ﷺ عند غدير خم..................... خليفة له.

ت- بناء الخندق شمال المدينة كان باقتراح من.....................[1]

تحليل النص:

يحاول الدرس تسطيح التاريخ الإسلامي، والتركيز على محورية سيدنا علي بن أبي طالب في هذا التاريخ، إضافة إلى أننا نلاحظ أن الدرس يريد أن يبرز للطالب دور الفرس في أحداث التاريخ الإسلامي في عهد النبي ﷺ من خلال الإشارة إلى دور سلمان الفارسي ﷺ وإشارته ببناء الخندق، ووضع جنسية هذا الصحابي بين قوسين "إيراني".

والسؤال رقم (ت) هو لترسيخ اسم سلمان الفارسي لدى الطالب الإيراني وأنه هو الذي أمر بحفر الخندق، ولكن من هو سلمان الفارسي حسب الرؤية الإيرانية ومكانته.

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٣.

اختلف الباحثون في اسم سلمان الفارسي الأصلي وفي موطنه. ومهما يكن فقد كان سلمان من أبناء الدهاقين، ثم كان سائحًا بعد أن ترك المزدكية، وجعل يبحث عن النبي الجديد الذي أخبره الرهبان عنه. وقد عانى سلمان العبودية في سبيل الإسلام، حتى صار من موالي الرسول صلى الله عليه وسالم[١]. وقد اتجه سلمان منذ البداية إلى الإسلام بكُلِّيته، وأنه كان يبحث عن حقيقة ينشدها فوجدها في محمد ﷺ، فاعتنق الدعوة وخدمها من بدء دخوله فيها بإشارته بحفر الخندق[٢].

لكن ما هو سر تعلق الشيعة والفرس بسلمان الفارسي؟

يرى الشيعة أن الصلة بين سلمان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما كانت قوية، فإنه كان يقود بغلة النبي الشهباء التي كانت تركبها فاطمة في زفافها إلى علي[٣]. وكان من الأربعة التي تشتاق إليهم الجنة وعلي أولهم، وقد روى ابن الجوزي أنَّ عليًّا قال فيه: "ذلك امرؤ منا وإلينا أهل البيت، أدرك العلم الأول والآخر وقرأ الكتاب الأول والكتاب الآخر"[٤]. وإن سلمان قال قي علي ما خشي أن يفصح عن حقيقة مقامه خوف تعرضه للقتل أو للسخرية فقد قال:"فلو حدثتكم بكل ما أعلم من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام لقالت طائفة منكم هو مجنون، وقالت أخرى اللهم اغفر له"[٥]. وينسب الشيعة لعلي بن الحسين زين العابدين ما يوضح برأيهم

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٢١٥.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣، ص٢٣٨.

(٣) ابن بابويه القمي، من لا يحضره الفقيه، كتاب النكاح، باب النثار، حديث رقم ١. طبعة إيران ١٩٥٦.

(٤) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج١، ص٢٢٠.طبعة حيدر آباد ١٣٥٥هـ.

(٥) معصوم علي الحاج، طرائق الحقائق، طبعة إيران، ١٣١٩هـ.ج١، ص٢٣٢.

حدود علم سلمان السري: "لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله وقد آخى رسول الله بينهما، فما ظنكم بسائر الخلق"[١].

لماذا اختار الشيعة سلمان الفارسي كأقرب الناس لعلي بن أبي طالب؟

نقول إن الشيعة اختاروا من بين جميع صحابة رسول الله ﷺ أربعة وجعلوهم من أقرب الناس لعلي بن أبي طالب ودعوهم بالنقباء وهم: سلمان وأبو ذر وعمار والمقداد رضي الله عنهم. فهؤلاء أقرب الناس وأخلصهم لعلي بعد الهاشميين وأولاد علي بن أبي طالب ﷺ.

التبليغ العالمي للدعوة الإسلامية

يقول النص: "في ظل الهدوء والأمن من ترك الحرب في السنة السابعة للهجرة أرسل الرسول الرسل إلى خارج أراضي الجزيرة العربية وأصبحت رسالته عالمية، كتب رسائل إلى قادة الدول دعاهم فيها إلى الإسلام، ذكر المؤرخون أن الرسائل أرسلت إلى هرقل إمبراطور الروم في القدس واستلمها، يقول بعض المؤرخين إنه أسلم في قلبه، ولكنه خشي أن يفقد قدرته أمام الناس ولهذا لم يعلن إسلامه، المعروف أن خسرو برويز في تيسفون أنه مزّق رسالة الرسول ﷺ وهذا أغضب الرسول، واستلم أيضًا حاكم مصر وأكرم رسول الرسول وأعطاه هدايا قيمة.

١- يقول البعض ان هذه المعاهدات عقدت في أواخر السنة السادسة للهجرة.

٢- يقال إن النجاشي ملك الحبشة أسلم أيضًا وأرسل ابنه برفقة آخرين إلى المدينة لإظهار المحبة، ولكنهم غرقوا في السفينة ولم يصلوا إلى غايتهم.

---

(١) معصوم علي الحاج، طرائق الحقائق، ج١، ص٢١١.

يضيف النص: "على الرغم من أن الناس في هذه البلاد لم يسلموا في أول مرة، ولكن ما قام به الرسول ﷺ نقل الإسلام إلى هذه المناطق، وأكَّد على قدرة الحكومة الإسلامية الوليدة في مواجهة أهم مراكز القوة في العالم"(١).

مكتسبات الإسلام وإنجازات الرسول ﷺ

يقول النص: "ظهور الإسلام وثلاثة وعشرين عامًا من الجهد والتغيير الأساسي في الأفكار، والأخلاق والأوضاع الاجتماعية والسياسية في حياة العرب والشعوب الأخرى. بعض إنجازات الرسول صلى الله وعليه وسلم الهامة عبارة عن:

١- إصلاح العقائد والأفكار: من أهم إنجازات الرسول ﷺ انتهاء عقائد الشرك، والأفكار الخرافية، تشكلت العقيدة التوحيدية الأصيلة، التمتع بالشريعة الإلهية الكاملة والثابتة.

٢- تقديم نموذج من الأخلاق: الرسول ﷺ طوال فترة بعثته إلى تقوية وصقل النواحى الفكرية والمعنوية للمسلمين وتعزيز روح المساواة، وإزالة الحقد الجاهلي، نبذ العنف والحروب، وكذلك اهتم بتعزيز روح التسامح والتعاطف.

غزوة يقال عن المعارك التى شارك فيها الرسول بشخصه وكان متواجدًا فى ساحة الحرب ويصدر الأوامر إلى الجند، أما المعارك التى لم يشارك فيها الرسول ويوكل شخص آخر لقيادة الجيش كانوا يقولون عنها سرية.

---

(١) المرجع السابق، ص ١٠٢-١٠٣.

٣- تحقيق العدالة الاجتماعية: إزالة الامتيازات الطبقية والحقد الاجتماعى القائم على معايير عرقية، والأوضاع الاقتصادية، والتأكيد على الإيمان، والعمل باعتبارهما مقياس للتفوق والكرامة في المجتمع الإسلامى، النقطة المهمة أن الرسول ﷺ ومن خلال جهده لإضعاف التقاليد العرقية، أيضًا أزال التفرقة بين العرب والعجم، الأبيض والأسود، الرجل والمرأة وضعهم في كفة اجتماعية واحدة، حتى العبيد الذبن كانوا يفتقدون إلى المكانة الاجتماعية في عصر الجاهلية أعاد لهم الحقوق الأساسية.

٤- ارتفاع مستوى العلم والثقافة العامة: من أهم أمجاد الحركة الإسلامية تشويق الدراسة والبحث العلمي لمجتمع كان معروفًا عنه الجهل وعدم المعرفة.

٥- التمهيد لظهور حضارة عالمية كبيرة: مجموعة التعاليم القرآنية، وأحاديث وأعمال الرسول صلى الله وعليه وسلم والقادة الدينيين كانت البنية الأساسية لنشكيل الحضارة الإسلامية، أصل الحضارات"[(١)].

(١) المرجع السابق، ص ١٠٣-١٠٤.

الاستفادة من أي فرصة لانتشار التعليم

يقول النص: "وفقًا للعادات السائدة بين العرب (وحتى الشعوب الاخرى) أن أسرى الحرب كانوا يأخذون إلى الرقّ أو يدفع فدية أو أحد أقاربه لإطلاق سراحهم، بعد انتصار الرسول ﷺ في غزوة بدر حدَّد أن يعلِّم كل أسير عشرة أفراد القراءة والكتابة، كان هذا في حالةٍ كان المسلمون يعانون من وضع مالي صعب، وإن مبلغ الفدية سوف يساعد في تحسين الوضع الاقتصادي.

٦- تقديم خطة شاملة لحياة المجتمع: وفق الإسلام في وضع خطة ومنهج لحياة الأفراد، والاهتمام بالمعنويات والاستفادة من نِعَم الحياة، ولا يوجد مانع من الاستفادة من نعم الحياة وكذلك الاهتمام بشؤون الحياة اليومية، مع عدم إغفال الواجبات الدينية.

٧- تأسيس الحكومة الإسلامية: تحقيق الأهداف الدينية والتربية والاجتماعية والإسلامية وكذلك الدفاع عن المجتمع، هذه الأمور كافة مهددة من قبل الأعداء، وهذا يتطلب كفاءة عالية وسلطة اجتماعية. لهذا وعلى الرغم من الرسول ﷺ لم يحظَ بقاعدة سياسية واجتماعية قوية، ولكن الحكومة في المدينة تأسست على فكرة المحتوى الدينى. استطاعت هذه الحكومة أن تسير بقوة لإدارة الأمور الداخلية والتغلب على التهديدات الخارجية، وأن تكون نموذجًا للحكومات من بعدها.

٨- التهديدات التى واجهت المجتمع الإسلامى في آخر سنوات الرسول: على الرغم من أن جهود الرسول ﷺ طوال ثلاثة وعشرين عامًا أحرزت نتائج عظيمة لا تصدَّق، لكن هناك نقطة لم يستطع أن يضع نهاية المخاطر والتهديدات

التى تواجه مستقبل المجتمع بعد وفاته، مع أنه لم يغفل عنها، أهم هذه المخاطر والتهديدات عبارة عن: -

١- إحياء العقائد والعادات الجاهلية مرة أخرى.

٢- الفهم الخاطئ للدين، والتفاسير الغلط.

٣- التهديدات العسكرية الخارجية وخصوصًا الروم التى أصبحت جادة في أواخر حياة الرسول ﷺ"[١].

تحليل النص:

ماذا يقصد الكاتب بـ"إحياء العقائد والعادات الجاهلية مرة أخرى"، و"الفهم الخاطئ للدين، والتفاسير الغلط".

يريد أن يعدّ الطالب لتلقِّى معلومته المغلوطة بعد قليل بأن اختيار أبي بكر الصديق خليفةً كان نتيجة لهذه الأفكار، وأن المسلمين ما أن توفِّي الرسول صلى اله عليه وسلم حتى عادوا إلى جاهليتهم.

أليس هذا ما يهدف الكاتب إليه؟

(١) المرجع السابق، ص ١٠٤.

الطاعة لشاب يستحق ذلك

يقول النص: "مع ارتفاع خطر الحملات العسكرية الرومية، أمر الرسول ﷺ بتجهيز جيش يشارك فيه المسلمين ذوو الخبرة، على الرغم أن أكثر الجيش كان من الشباب المتوسط العمر وحتى الصغار، الرسول ﷺ سلم القيادة في هذه المهمة والخطيرة إلى أسامه الجندي الشجاع والغيور، لكنه توفي صغيرًا، عمل الرسول ﷺ هذا من آخر الجهود التى بذلها الرسول ﷺ للتخلص من العادات الجاهلية، التى كانت تؤكد على توزيع القيادات على الشيوخ وكبار السن، وقد أدت مخالفة بعض أصحاب الرسول ﷺ لقيادة أسامة أدَّت إلى تأخير حركة الجيش، وهذه إشارات مختلفة لبقاء أثر الفكر الجاهلي.

ظهور مدعى النبوة: في عدة مناطق من شبه الجزيرة العربية ظهر عدد ممن ادعى ادعاءات كاذبة بالنبوة، وحاولوا أن يصلوا إلى سلطة ونفوذ سيدنا محمد ﷺ[1].

تحليل النص:

يرى الكاتب أن المسلمين اعترضوا على قيادة أسامة للجيش انطلاقًا من: "العادات الجاهلية التى كانت تؤكد على توزيع القيادات على الشيوخ وكبار السن". هذا غير صحيح، والدليل على ذلك حرص الخليفة الصديق على إنفاذ بعث أسامة بعد أيام قلائل من تولِّيه أمر الخلافة، بل كان أول أمر أصدره. قال الطبري[2]: "لما

---

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته ادبيات وعلوم إنساني)، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، جاب يزدهم، ١٣٨٩، ص ١٠٥.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٣، ص٢٢٣-٢٢٤.

بويع أبو بكر ﷺ، وجمع الأنصار في الأمر الذي افترقوا فيه، قال: ليتم بعث أسامة وقد ارتدت العرب، إما عامة وإما خاصة في كل قبيلة ونجم النفاق واشرأبت اليهود والنصارى والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية لفقد نبيِّهم ﷺ وقلتهم وكثرة عدوِّهم. فقال له الناس: إنَّ هؤلاء جل المسلمين والعرب على ما ترى قد انتقضت بك، فليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين. فقال أبو بكر: والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفنى لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته".

تاريخ الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ

*** موضوع الخلافة:**

يقول النص: "رغم أن الرسول ﷺ كان مشغولاً حتى آخر أيامه يبذل جهده ويضع الخطط لإزالة المشاكل والتهديدات أعلاه، ولكن التصرف الوحيد والجاد ليضع حدًّا للمواجهة الأساسية مع المشاكل التى تواجه العالم الإسلامى، العمل بما جاء بالقرآن (إكمال الدين وجعل الكفار يأسون) وقد فسره (١)، الرسول ﷺ ومنذ الأيام الأولى لرسالته كان يفكِّر في موضوع تعيين خليفته، بعد ذلك وفي حوادث مختلفة أشار إلى هذا الموضوع، ومن أهم هذه الحوادث بالتأكيد كانت حادثة غدير خم، الرسول ﷺ في طريق عودته من الحج في السنة العاشرة للهجرة وقبل أن يتفرق الحجاج ويذهب كل واحد في طريقه، توقف في مكان يسمَّى غدير وبعد ثلاث أيام من الانتظار حتى اجتمع جميع الحجاج في هذا المكان وفي خطاب عام له عرف على بن أبي طالب عليه السلام خليفته له وقائد المجتمع الإسلامى من بعده، بعد خطاب الرسول ﷺ وسلم الناس على عليه السلام وأعلنوا تبريكهم ومساندتهم له وبايعوه، الرسول ﷺ في آخر خطبته أكد على عدم فصل القرآن عن أهل البيت وضرورة أن يتمسك الناس بهاتين الذكرتين القيمة.

الرسول ﷺ بالنهاية في ٢٨ صفر في السنة الحادية عشر للهجرة لبى نداء الحق وترك المجتمع الإسلامي على عتبة اختبار كبير جدًّا[١].

---

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته ادبيات وعلوم إنساني)، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، جاب يزدهم، ١٣٨٩، ص ١٠٥.

بعد نهاية النص، تطرح الأسئلة التالية على الطلبة لترسيخ بعض الأفكار:

*** أسئلة نموذجية:**

١- وضِّح أسباب انعقاد اتفاقية صلح بين أهالي المدينة.

٢- ماذا فعل يهود المدينة ليوجهوا الضربات إلى المسلمين؟

٣- من هم المنافقون؟ وما هي الأعمال التي قاموا بها؟

٤- كيف ولماذا عقد صلح الحديبية وما هي البنود التي احتواها؟

٥- ما هي طرق الرسول ﷺ من أجل تأسيس العدالة الاجتماعية؟

٦- ما هى طريقة الرسول ﷺ من أجل إنهاء كل أنواع القلق من المخاطر التى تهدد المجتمع الإسلامي؟[1]

تحليل النص:

يطرح الكاتب على الطالب سؤالاً يقول:

"ما هى طريقة الرسول ﷺ من أجل إنهاء كل أنواع القلق من المخاطر التى تهدِّد المجتمع الإسلامي؟

يرى الكاتب الذي اعتاد تزييف الحقائق أنّ الرسول ﷺ كان جلَّ همه موضوع اختيار الخليفة من بعده، وأنه اختار عليًّا ليتولَّى الأمر من بعده. إذا كان الأمر كذلك، لماذا لم يصرح الرسول ﷺ بالأمر باعتباره من أهم أسس الحكم؟ فلقد أوضح ﷺ للمسلمين كل صغيرة وكبيرة تخص أمر دينهم.

(١) المرجع السابق، ص ١٠٦.

ما يريد الكاتب أن يرسِّخه في أذهان الطلبة إذًا هو أن أمر خلافة على كان همّ النبي وأنه أوصَى بها له من بعده.

*** البحث والأفكار:**

١- قارن بين وظائف المسجد في حيِّك وقريتك ومدينتك وبين المسجد في عصر الرسول ﷺ.

٢- بمراجعتك للقرآن والكتب التاريخية أعدَّ موضوعًا عن مباهلة الرسول ﷺ والمسيحيين.

٣- اكتب موضوعًا حول معاملة المسلمين للناجين وأسرى الحرب وقارن هذه المعاملة مع معاملة والممارسات الشائعة في الحروب بين العرب والإيرانيين والروم قبل ظهور الإسلام.

٤- بمراجعة كتب التاريخ ودراسة تاريخ المعارك الإسلامية في حياة الرسول ﷺ أعدَّ مواضيع عن أهم شخصيات كل معركة مثلًا حمزة في بدر وأحد. سيدنا على عليه السلام في الخندق وخيبر، جعفر الطيار في مؤتة.[1]

تحليل النص:

يطلب الكاتب من الطالب أن يعدَّ موضوعًا عن: على عليه السلام في الخندق وخيبر، جعفر الطيار في مؤتة.

---

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته ادبيات وعلوم إنساني)، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، جاب يزدهم، ١٣٨٩، ص ١٠٦.

نقول: لماذا الإصرار على عزل آل البيت عن مجتمع المسلمين آنذاك- ومع إيماننا المطلق بدورهم عبر تاريخ المسلمين- إلا أنَّ بقية الصحابة كان لهم دور كبير في ذلك ولولا جهود الجميع لما قامت دولة الإسلام، ولما انتشر في أرجاء الأرض.

المجتمع الإسلامي بعد الرسول

خلافة أبوبكر

يقول النص: "بعد وفاة الرسول وعندما كان سيدنا علي مع أقرب صحابة الرسول ﷺ مشغولين بدفنه، اجتمع فريق من الأنصار معًا وذلك لانتخاب واحد من بينهم ليحكم المسلمين، ولم يأخذوا بوصية الرسول ﷺ بوصية الرسول في غدير خم، وصل خبر اجتماع هذا الفريق إلى أبو بكر وعمر وكانوا من المهاجرين وصحابة رسول الله ذهبوا إلى مكان اجتماع الأنصار ووقع خلاف بينهم حول أحقية الخلافة للمهاجرين أم إلى الأنصار، خطب أبو بكر، وذكر.

يضيف النص: "في خطابة فضل المهاجرين على الأنصار، عند ذلك عادت الخلافات القبلية من جديد، وبايع عدد من الحاضرين أبا بكر بالخلافة، بعض المسلمين قَبِل بالبيعة ولكن البعض الآخر كان مصرًّا أن الخلافة حق علي حسب وصية الرسول ﷺ ومنهم الصحابة المقربين من الرسول ﷺ ومنهم أبو ذر وعمار. بعد أن أصبح أبو بكر خليفة، سكت الإمام علي عليه السلام على هذا الأمر، وذلك حفاظًا على وحدة المسلمين"[(١)].

تحليل النص:

جاء في النص: "ولم يأخذوا بوصية الرسول ﷺ في غدير خم".

---

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلى، مرحله دوم تعليمات عمومى، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٩، ص ١٤.

نقول: يرَى الشيعة أن الرسول ﷺ أوصى لعلي بن أبي طالب ﷺ بالإمامة. وأهم ما ترجع إليه الشيعة في ذلك ما يروَى من نزول النبي ﷺ غدير خم بعد حجة الوداع. فقد أجمعت مصادر الشيعة على رواية حديث الغدير وأنه دليل على إمامة علي بن أبي طالب.

لم تنكر مصادر أهل السنة حديث الغدير فقد ذكرته وعدته في جملة فضائل سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ، ثم بينت أهميته وأنه يفيد معنى المحبة، فالباقلاني (ت٤٠٣هـ) يعتبر حديث الغدير من أحاديث الآحاد، وقد فسر: من كنتُ مولاه بقوله: "أنه يحتمل أمرين أحدهما من كنت ناصره على هذا السبيل، ويحتمل أن يكون من كنت محبوبًا عنده ووليًّا على ظاهري وباطني، فعلي مولاه، أي من أن ولاءه ومحبته ظاهرة واجبة، كما أن ولائي ومحبتي على هذا السبيل"(١).

ثم نقول، لو كان حديث الغدير يفيد الوصية بالإمامة لعلي بن أبي طالب، فلماذا يدور مثل هذا النقاش بين علي بن أبي طالب وعمه العباس عندما كان الرسول ﷺ على فراش الموت. أورد الزهري أنَّ علي بن أبي طالب خرج من عند الرسول ﷺ أثناء مرضه الأخير، فأخذ العباس بيده، وقال له: انطلق بنا إلى رسول الله، فإن كان الأمر فينا عرفناه، وإن كان في غيرنا كلمناه، فأوصى بنا الناس. فقال له علي: إني والله لا أفعل، والله لئن منعناه لا يؤتيناه أحد بعده، فتوفي النبي ﷺ حين اشتد الضحاء من ذلك اليوم"(٢).

---

(١) الباقلاني، التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة، ص١٧٢.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص١٨٩.

وتناولت الكتب المدرسية موضوع خلافة ابي بكر بن أبي قحافة من زاوية أهم الأعمال في عهد خلافته، وهي- كما ذكرتها نصوص الكتب المدرسية- عبارة عن:

١- إرسال جيش أسامة، هذا الجيش كان يجب أن يتحرك وبأمر من الرسول لمحاربة الروم، ولكن تأخرت حركته حتى عهد خلافة أبي بكر.

٢- القضاء على الثورات الداخلية: بعد وفاة الرسول ﷺ عادت مجموعة من البدو إلى الشرك وعبادة الأصنام، وامتنعت بعض القبائل الأخرى عن دفع الزكاة إلى الخليفة وأكدت استقلالها (١) قضى أبو بكر بإخماده لهذه الثورات قام أيضًا بالقضاء على الكاذبين مدعي النبوة.

٣- بدء الفتوحات في المناطق التي تحت سلطه إيران والروم: في عهد خلافة أبي بكر اشتدت الحروب بين القبائل العربية في حدود الحكومة الساسانية، ومع ردع المرتدين، أمر الخليفة الجنود المسلمين أن يجاهدوا حتى حدود الإمبراطورية الساسانية والبيزنطية، هذه الفتوحات أدت إلى انتشار الإسلام في أراضي جديدة ولفتت الأنظار إلى خارج الجزيرة العربية وحفظ الهدوء حول المجتمع الإسلامي[1].

هذه المجموعة هي لم تكن مرتدة (يعني تركت الدين) ولكن الخليفة اعتبرهم جميعًا مرتدين.

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته ادبيات وعلوم إنساني)، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، جاب يزدهم، ١٣٨٩، ص ١٠٨.

تحليل النص:

التحليل الأول:

لماذا الإصرار على الإساءة إلى الصحابة، وعدم إعطائهم حقهم من التكريم، ألم يسمِّ الرسول أبا بكر بالصديق. كما جاء في قصة الإسراء والمعراج، عندما ردَّ أبو بكر على قومه عندما كذبوا النبي ﷺ: "والله لئن كان قاله لقد صدق فما يعجبكم من ذلك فوالله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه، فهذا أبعد مما تعجبون منه، ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا نبي الله أحدثت هؤلاء القوم أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة؟ قال: نعم، قال: يا نبي الله فصفه لي فإنِّي قد جئتهن، قال الحسن: فقال رسول الله ﷺ فرفع لي حتى نظرت إليه فجعل رسول الله ﷺ يصفه لأبي بكر ويقول أبو بكر: صدقت، أشهد أنك رسول الله، كلما وصف له منه شيئًا. قال: صدقت أشهد أنك رسول الله، حتى إذا انتهى. قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: وأنت يا أبا بكر الصديق، فيومئذ سَمَّاه الصديق[1].

التحليل الثاني:

في إطار بارز وضع الكاتب العبارة التالية: "هذه المجموعة هى لم تكن مرتدة (يعني تركت الدين) ولكن الخليفة اعتبرهم جميعًا مرتدين".

ماذا يقصد من ذلك؟

يرى الشيعة أن المرتدين على نوعين، نوع ارتد حقيقة عن الإسلام، وقسم لم

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص١٢.

يرتد عن الإسلام وإنما اعترض على خلافة أبي بكر الصديق، وأنهم كانوا مؤمنين بأحقية على بن أبي طالب ﷺ بالخلافة بناءً على الوصية المزعومة، ويرون أنَّ مالك بن نويرة الذي قُتِل في حروب الردة واحدًا منهم.

وفي بعض الكتب المدرسية تَمَّ تناول هذا الموضوع من زاوية الخلافات التي نشأت، وأحقية سيدنا علي كرم الله وجهه بالخلافة، حيث يقول النص: "بعد وفاة رسول الإسلام الكريم سيدنا محمد ﷺ، ظهر خلاف بين جماعات من المسلمين على من يخلف الرسول، مجموعة وحسب ما قال الرسول كانوا يعترفون بخلافة سيدنا علي عليه السلام.

في النهاية انتخب أبو بكر للخلافة، بايع مجموعة من الناس أبا بكر يعني عاهدوه أن يطيعوا أوامره، اختار سيدنا علي وأتباعه الصمت حتى لا يقع خلاف بين المسلمين، وهذا الصمت كان له أثر بالغ ومؤثر في تنمية الإسلام في شبه الجزيرة العربية، وخلال سنتين وتسعة أشهر فترة خلافة أبو بكر قمع المسلمون ثورات المعارضين، وأدى ذلك إلى انتشار الإسلام في خارج الجزيرة العربية. [١]

التحليل الثالث:

من هم الذين كانوا يعترفون بخلافة علي بن أبي طالب؟

حسنًا، إن كانوا يعترفون بأن الرسول ﷺ قد أوصى بالخلافة من بعده لعلي. فإن مخالفتهم للأمر هو خروج عن الدين. أليس هذا ما يريد الكاتب أن يوصله إلى الطالب؟

(١) تعليمات اجتماعي، بنجم دبستان، اداره كل جاب وتوزيع كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٨، ص٨٨.

إن الحديث في إثبات بطلان هذا الكلام قد كتب فيه الكثير من قبل جهابذة المؤرخين والمفكرين قديمًا وحديثًا. وإن تكرار الكلام هو نوع من الاجترار، والإعادة.

لكن نودّ أن نؤكد على حقيقة مهمة غابت عن الكاتب وأمثاله من المتنطعين. أن جميع القرآن الكريم وكتب السيرة والأحاديث الموثوقة لم تورد نصًّا صريحًا في هذا الأمر. وإلا كيف يمكن التوفيق بين مفهوم الوراثة الذي يزعمه النص وبين مفهوم الشورى الذي جاءت به النصوص الصريحة في الكتاب والسنة. وقد حرص الرسول ﷺ على ممارسته وتطبيقه عمليًّا في حياته، كل ذلك ليعلم أصحابه مبدأ الشورى واحترام رأي الأغلبية، ولعل ما جرى في غزوة أحد خير مثال على ترسيخ مبدأ الشورى.

وقد أفردت بعض الكتب المدرسية تناولاً لهذا الموضوع، تحت عنوان عصر الخلفاء الأوائل؛ حيث يقول النص: "تعرفنا في الدرس الماضى إلى النهضة العظيمة للاسلام في العهد النبوي، وقرأنا عن المشاكل التى وجدت في آخر سنوات حياته في هذا الدرس نبحث في أعمال خلفاء الرسول ﷺ حتى شهادة الإمام على عليه السلام والفتوحات الإسلامية في خارج شبه الجزيزه العربية والمشاكل والنزاعات داخل المجتمع الإسلامى، وفي النهاية الفترة الحرجة والمليئة بالاضطراب من الخلافة القصيرة للإمام حسن عليه السلام وأسباب وطريقة الصلح مع معاوية"[(١)].

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته ادبيات وعلوم إنساني)، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، جاب يزدهم، ١٣٨٩، ص ١٠٧.

وأسهبت في شرح موضوع الخلافة تحت عنوان قيادة المجتمع بعد الرسول، يقول النص: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ [آل عمران:١٤٤].

يضيف النص: "على الرغم من أنَّ الرسول ﷺ أعلن في غدير خم أن عليًّا عليه السلام خليفة له، إلا أنَّ هناك عوامل تسببت في أن لا يستطيع سيدنا على أن يدير أمور الحكومة الإسلامية بعد وفاة الرسول ﷺ والتى عهد بها إليه من أهم هذه العوامل:

١- بقاء الطابع الأخلاقى وبعض العادات والتقاليد الجاهلية من بينها عادة الشيوخ: كان كبر السن من أهم شروط الوصول إلى الرئاسة والقيادة في المجتمع الجاهلى، مع هذا الفكر امتنع البعض عن قبول على عليه السلام خليفة الذي كان عمره أقل من ٢٥ سنة[(١)].

تحليل النص:

جاء في النص: "على الرغم من أنَّ الرسول ﷺ أعلن في غدير خم أن عليًّا عليه السلام خليفة له".

نقول: يرى الشيعة أنَّ الرسول ﷺ أوصى لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بالإمامة. وأهم ما ترجع إليه الشيعة في ذلك ما يروى من نزول النبي ﷺ غدير خم بعد حجة الوداع. فقد أجمعت مصادر الشيعة على رواية حديث الغدير وأنه دليل على إمامة علي بن أبي طالب. لم تنكر مصادر أهل السنة حديث الغدير فقد ذكرته وعدته في جملة فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم بيَّنت أهميته وأنه يفيد معنى المحبة، فالباقلاني (ت٤٠٣هـ) يعتبر حديث الغدير من أحاديث الآحاد، وقد فسر: من كنت مولاه

(١) المرجع السابق، ص ١٠٧.

بقوله: "أنه يحتمل أمرين أحدهما من كنت ناصره على هذا السبيل، ويحتمل أن يكون من كنت محبوبًا عنده ووليًّا على ظاهري وباطني، فعلي مولاه، أي من أن ولاءه ومحبته ظاهرة واجبة، كما أن ولائي ومحبتي على هذا السبيل[1]. ثم نقول: لو كان حديث الغدير يفيد الوصية بالإمامة لعلي بن أبي طالب، فلماذا يدور مثل هذا النقاش بين علي بن أبي طالب وعمه العباس عندما كان الرسول ﷺ على فراش الموت. أورد الزهري أنَّ علي بن أبي طالب خرج من عند الرسول ﷺ أثناء مرضه الأخير، فأخذ العباس بيده، وقال له: انطلق بنا إلى رسول الله، فإن الأمر فينا عرفناه، وإن كان في غيرنا كلمناه، فأوصى بنا الناس. فقال له علي: إنِّي والله لا أفعل، والله لئن منعناه لا يؤتيناه أحد بعده، فتوفِّي النبي ﷺ حين اشتد الضحاء من ذلك اليوم"[2].

وتحت عنوان فكر واجب، يقول النص: "الرسول ﷺ في آخر أيام حياته عيَّن أسامة الشاب لقيادة جيش عظيم، برأيك هل يمكنك أن تجد العلاقة بين قراره وبين توقعه من ظهور مخالفة البعض لخلافة علي عليه السلام؟

٢- الحقد والحسد: الدور الفريد والقَيِّم للإمام على عليه السلام للنهوض بالإسلام طوال سنوات بعثة الرسول ﷺ، وحب رسول الله الكبير له أثار حسد الكثيرين، البعض الآخر بسبب أن أحد أو عدد من أفراد عائلته قتل في الحروب المختلفة على يد الإمام عليه السلام، كانوا يكنون له الكراهية في قلوبهم[3].

---

(١) الباقلاني، التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة، ص١٧٢.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص١٨٩.

(٣) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته ادبيات وعلوم إنساني)، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسى إيران، جاب يزدهم، ١٣٨٩، ص ١٠٧.

يذكر المؤرخون أن الاشخاص الذين قتلوا بضربة علي عليه السلام في الحروب المختلفة حوالي أربعة عشر شخصًا منهم حنظله ابن أبي سفيان وأخ معاوية.

تحليل النص:

ماذا تقصد الكتاب المدرسي بذلك؟

ألا تقصد أنَّ ما حدث من قتال بين المسلمين وقريش قبل فتح مكة كان هو العامل الأساسى في موقف أهل مكة العدائى لعلى بن أبي طالب في قضية الحكم، وعلى رأسهم أبي سفيان.

يقول النص: "في غزوة الخندق عندما عبر عمرو بن عبدود أحد شجعان العرب المعروفين وطلب المبارزة، لم يخرج أحد من المسلمين لمبارزة عمرو، حتى خرج على عليه السلام له، وقال: أنا أبارزك، قال الرسول ﷺ: «هذا ابن عبدود»، ولكن عليًّا أجاب، من دون أي تراجع: «وأنا أيضًا ابن أبي طالب»، يقولون: إنه عندما كان يذهب ليبارز عمرًا كان الرسول ﷺ يقول: كأن كل الإسلام خرج ليباز كل الكفر، خطاب الرسول ﷺ زاد من محبة المسلمين لعليٍّ عليه السلام"(١).

تحليل النص:

ذكر الكاتب حديثًا مكذوبًا على النبى ﷺ: "كأنَّ كل الإسلام خرج ليباز كل الكفر". إنَّ هذا الحديث لم يرد في الكتب المعتبرة ولا حتى في الضعيف منها.

---

(١) المرجع السابق، ص ١٠٨.

٣- المنافسة وطالبى الامتيازات من الفرق المختلفة: يقول النص: "من ناحية الأنصار وبالاعتماد على الخدمات ودورهم في تأسيس وانتصار الحكومة الإسلامية كانوا يرون أنهم أحق بخلافة الرسول ﷺ، من ناحيةٍ أخرى قادة قريش الذين يرون أن لقبيلتهم حق احتكار خلافة الرسول صلى الله عليه علاوةً على الخلافات والمنافسة بين أفرع قريش الأخرى، الرسول ﷺ كان من بنِى هاشم والكثير من الأفرع الأخرى لم يرغبوا أن تستمر الخلافة في هذه العائلة".

٤- المؤامرة المخفية: فتنة أعداء الإسلام مثل أبي سفيان، والتى ظهرت في ثوب جديد؛ فكَّر في إيجاد التفرقة وتوجيه ضربة للإسلام، بهذه الظروف الخطيرة كانوا يفكرون في إثارة الفتنة.

٥- اختيار خليفة الرسول ﷺ: عندما كان الإمام على عليه السلام ومجموعة من الصحابة مشغولين بمراسم دفن الرسول ﷺ، في ناحية أخرى من المدينة باسم سقيفة بنى ساعدة وضمن اجتماع صغير ولكنه جمع قادة الأنصار والمهاجرين، انتُخِب أبو بكر خليفة للرسول ﷺ بتأييد جادٍّ من عمر بن الخطاب ومعارضة الإمام على عليه السلام ومجموعة أخرى من المسلمين، الذين أبدوا عدم رضاهم عن تجاهل أمر الرسول ﷺ ولكنهم لم يصلوا إلى نتيجة"[(١)].

تحليل النص:

يلاحظ أنَّ الكاتب من خلال ما أورده من صفات قادحة بالصحابة الذين توفِّي

---

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته ادبيات وعلوم إنساني)، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، جاب يزدهم، ١٣٨٩، ص ١٠٨.

الرسول وهو عنهم راض عادوا بمجرد موته إلى الجاهلية والتقاليد القبلية، تدفعهم المصالح الخاصة: "فتنة أعداء الإسلام مثل أبي سفيان والتى ظهرت في ثوب جديد، فكَّر في إيجاد التفرقة وتوجيه ضربة للإسلام، بهذه الظروف الخطيرة كانوا يفكرون في إثارة الفتنة".

إذا كان الوضع كما يزعمون فإن هذا يدل (برأيه) على أنَّ الرسول- حاشاه- لم يستطع أن يبدِّل في نفوسهم، ولم يستطع أن يغيِّر في العقلية العربية.

لكن أقول إنه لمجرد إثبات الولاية لعلى، فإنَّ الشيعة ترى أنَّ كل شيء مباح حتى الإساءة للمجتمع الذي بناه الرسول، بل والكذب عليه.

وهنا سؤال مهم يجب طرحه وهو: إذا كان الصحابة رضوان الله عليهم قد ارتدُّوا.. وقد كفروا بعد وفاة الرسول ﷺ، فكيف يرضَى الإمام على بأن يكون وزيرًا ومستشارًا لأبي بكر ولعمر ولعثمان؟ وقد عَلِم كُفرهم وارتدادهم ومفارقتهم لملة الإسلام والإيمان.

إذا كان على ﷺ ووفق آراء الشيعة الإمامية ومَرْوِيّاتهم التاريخية- هو الإمام والخليفة المنصوص عليه من قِبَل الله تعالى، ثم من قبل رسوله ﷺ ومع ذلك تَمّ سرقة الخلافة منه وذهبت إلى أبي بكر الصديق ثم إلى عمر الفارق، ثم إلى عثمان، رضى الله عنهم، كيف يرضى لنفسه ﷺ أن يكون مستشارًا وناصحًا وأمينًا لثلاثة من الخلفاء المرتدين، والكافرين والعاصين لأمر الله ورسوله؟ أليس في هذا تناقضًا بيِّنًا وواضحًا؟

ناهيك عن أنَّ قياس على ﷺ على يوسف عليه السلام باطل؛ لأنَّ يوسف عليه السلام عمل مستشارًا مطلوبًا مستخلصًا، وهو كتبي يُحَبِّذ ذلك، ليوصل دعوته، أما

علي ﷺ فهو يعلم أن المرتدين لا ينصحون ولا يُهادنون، إذ هناك حكم شرعي بشأنهم إمَّا أن يستطيع إنفاذه فيهم، أو يعتزلهم.

هذا من جهة ومن جهة أخرَى، هؤلاء الصحابة الذين كفروا وارتدُّوا عن الإسلام، كيف يحملون الإسلام ويُوصلونَه إلى غيرهم من الأمم والشعوب، وهم- أي الصحابة- رجعوا إلى الكفر والزندقة والجاهلية؟ إنَّ منطق الأشياء يقول: (إنَّ فاقد الشيء لا يعطيه) كان من المفترض على هؤلاء الصحابة أن يدعوا تلك الأمم وتلك الشعوب إلى الجاهلية الرعناء وليس إلى الإسلام العظيم.

نحن لا نقول بهذا المنطق ولا نفكر على هذا النحو، نحن نقول: إن عليًّا كان وزيرًا مخلصًا ومستشارًا أمينًا للخلفاء الثلاثة ولكل الصحابة الكرام، والصحابة الكرام هم الذين فتحوا البلاد.. وهم الذين حرروا العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وعلى أكتافهم قام هذا الدين العظيم وبفضلهم بعد فضل الله انتشر الإسلام في ربوع الأرض.

وهذه هى قبورهم في تلك الأراضى البعيدة عن جزيرة العرب، شاهدةٌ على صدقهم وإخلاصهم وتفانيهم في حمل رسالة هذا الدين للعالمين.

هل الشيعة الإمامية هم الذين فتحوا فارس والشام ومصر وبلاد ما وراء النهر ونشروا الإسلام هناك. أم أنَّهم صحابة رسول الله ﷺ ؟

لقد ترضَّى الله تبارك وتعالى عن هؤلاء الصحابة، وأنزل رضاه ومدحه لهم في كتابه العزيز ليتلوه الناسُ إلى يوم القيامة، حيث قال عزّ من قائل: ﴿ **لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا** ﴾ [الفتح:١٨].

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾ [الأنفال:٧٤].

وقوله جلت قدرته: ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾ [الفتح:٢٩].

وقوله عزَّ من قائل: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [التوبة:١٠٠].

والآيات في هذا المقام عديدة وكثيرة، وكلها تثنِي وتمتدح وتترضى على هؤلاء الكرام رضوان الله عليهم، فكيف يترضَّى الله تبارك وتعالى عليهم، وأنتم يا معشر الشيعة الإمامية تسبونهم وتطعنون فيهم وتحطون من قدرهم؟ وهم الذين قال النبى ﷺ عنهم: "لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسى بيده لو أنّ أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهبًا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه"(١).

(١) صحيح البخاري، حديث رقم ٣٦٧٣، صحيح مسلم، حديث رقم: ٦٦٥١.

خلافة عمر

تناولت الكتب المدرسية الإيرانية خلافة سيدنا عمر بن الخطاب من زاويا عديدة

خلافة عمر بين الخطاب وتوسعة الأقاليم الإسلامية:

يقول النص: "عيَّن أبو بكر قبل وفاته عمر بن الخطاب خليفة له، الانتصار الكبير للمسلمين في المعارك مع أهم قوتين في ذلك الوقت يعنِى إيران والروم وفتح أراضى كثيرة من الشام ومصر تعتبر من أهم الإنجازات في عهد الخليفة الثانِي، سرعة تفوق جنود الإسلام مقابل الجيوش الكبيرة العدد والمجهزة الإمبراطورية الساسانية والرومانية قائمة على العوامل التالية:

١- الضغوط الداخلية وفقدان العدالة الاجتماعية: الكراهية الشديدة وفقدان الحد الأدنى من العدالة في النظام الطبقى عند الساسانين، والظلم والوحشية للإمبراطورية الرمانية على المناطق التى تحت سلطتها (الشام ومصر......) أدَّت إلى ظهور عدم الرضا الشديد واحساس الناس إلى ضرورة التغير.

٢- جاذبية الإسلام: هذا الموضوع كان له أهمية خاصة عند الإيرانيين، قارنوا بين الإسلام وبتعاليمة السمحة وبخرافات الدين الزردشتى والسلطة غير المحدوده للكهنة، فصدَّقوا الإسلام أكثر.

٣- المعاملة الإنسانية وطلب الصلح لقادة جند الإسلام: لم يكن الحق أن يطلب جنود الإسلام من الناس في الأراضى التى يتعرضون فيها لهجوم من جنود الإسلام- أن يطالبوهم بأيِّ نوع من الضرائب باسم الجزية، وأن يبقوا على

دينهم وأن يعيشوا بأمان كامل في ظلّ المجتمع الإسلام، سكان الكثير من هذه الأراضي في إيران ومصر والشام عن هذه الطريق اتفقوا على الإسلام"(١).

الآثار المترتبة عن الفتوحات الإسلامية

يقول النص: "على الرغم من أن الفتوحات الإسلامية كانت سببًا لتوسيع أقاليم الحكومة الإسلامية وزيادة عدد المسلمين، هذا الأمر كان له جوانب سلبية أيضًا من بينها.

١- تقديم نموذج ناقص ومضلل عن الدين: أكثر أفراد جيش المسلمين يتشكل من البدو أو المسلمين حديثي الإسلام ويفتقرون إلى التربية الإسلامية، لهذا السبب كانوا يوصلون الدين بشكل ناقص وفي بعض الأحيان كانوا يُوصِّلونه ناقصًا إلى البلاد المفتوحة.

٢- تقوية الروح المعنوية وإضعاف وتقويض القيم الأخلاقية: آداب وسلوك هو ببساطة من أهم الأسباب الرئيسية لانتصارهم، ولكن على المدى الطويل بعد توسع الفتوحات الإسلامية الثروات الكبيرة التى وصلت إليهم وسعى الكثير من المسلمين لجمع الثروات، عندما ترك الخليفة الثانِي توزيع المكاسب، ظهرت روح تكديس الثروات والتميز الاقتصادي في المجتمع الإسلام فيى، وصلت إلى أوجها في عهد الخليفة الثالث"(٢).

---

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته ادبيات وعلوم إنساني)، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، جاب يزدهم، ١٣٨٩، ص ١٠٨.

(٢) المرجع السابق، ص ١٠٩.

تحليل النص:

التحليل الأول:

يقول النص إن المسلمين قدموا:" نموذجًا ناقصًا ومضللاً عن الدين".

يريد كاتب النص التقليل من الجهود التى بذلها الفاروق عمر من ترسيخ لمفهوم الدولة الإسلامية ونشر للدين والقضاء على دولتى المجوس والروم. فحاول جاهدًا الإساءة للمجتمع المسلم الذي أنجب أولئك القادة العظام.

لن أخرج في تعليقى وأستشهد بأقوال العلماء والمؤرخين لإثبات بطلان ذلك، وإنما سأستشهد بما قاله في أماكن متفرقة، تثبت تناقضه.

من ذلك قوله: "آداب وسلوك هو ببساطة من أهم الأسباب الرئيسية لانتصارهم". وكذلك: "المعاملة الإنسانية وطلب الصلح لقادة جند الإسلام".

أليس في هذا ما يكفي لإثبات التضليل الذي يمارسه الكاتب؟

التحليل الثاني:

جاء في النص: "عندما ترك الخليفة الثاني توزيع المكاسب، ظهرت روح تكديس الثروات والتميز الاقتصادي في المجتمع الإسلام، وصلت إلى أوجها في عهد الخليفة الثالث".

إليكم الحقيقة، اعتمادًا على المصادر الموثوقة إضافة للدراسة الحديثة الجادة.

بعد أنَّ تَمَّ وضع الديوان على عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ وتَمَّ تثبيت أسماء المقاتلين ومقدار أعطياتهم كان لا بد من مورد ثابت لتأمين عطاء الجند وأرزاقهم ولمن يأتِي بعدهم. وقد طلب بعض الصحابة من الخليفة عمر ﷺ أن يوزع

عليهم ما أفاء الله عليهم من الشام والعراق وقالوا: أقسم الأرضين بين الذين افتتحوها كما تقسم غنيمة العسكر فأَبَى الخليفة ذلك عليهم وقال: قد أشرك الله الذين يأتون من بعدكم في هذا الفيء فلو قسمته لم يبقَ لمن بعدكم شيء ولئن بقيت ليبلغن الراعي بصنعاء نصيبه من هذا الفيء ودمه في وجهه[١]. ثم كتب إلى سعد بن أبي وقاص بعد تحرير العراق: فإذا أتاك كتابي هذا فانظر ما أجلب الناس عليك به إلى العسكر من كراع ومال فأقسمه بين من حضر من المسلمين، واترك الأرضين والأنهار لعمالها ليكون ذلك في أعطيات المسلمين فإنك إن قسمتها بين من حضر لم يكن لمن بعدهم شيء[٢].

وقد دلَّ هذا الإجراء على بُعْد نظر الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ في تطبيق النهج الإنساني والحضاري لرسالة الإسلام، لأنَّ تقسيم دخل هذه المقاطعات بين من اشترك في تحريرها من المقاتلة سيؤدي إلى خلق طبقة من المقاتلة الأوائل الذين سيستأثرون وحدهم بالواردات ولا يبقى شيء لمن يأتي بعدهم، وبذلك سيصبح في كل مصر طبقتان أحدهما تأخذ العطاء والأخرى محرومة منه مما سيكون سببًا للتصادم والانشقاق، وإذا اقتصر توزيع الفيء على المقاتلة الأوائل فقد يؤدي بهم إلى التراخي وعدم الاشتراك في الحروب المقبلة ويعوق الدولة عن تهيئة المقاتلة الذين تحتاج إليهم لغرض الاستمرار في حروب التحرير[٣]، ورغم معارضة بعض الصحابة للخليفة عمر في هذا الإجراء[٤]. إلا أن غالبية الصحابة أيَّدوه في ذلك

(١) أبو يوسف، الخراج، ص٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٤.

(٣) العلي، التنظيمات الاقتصادية، ص١٢٦.

(٤) أبو يوسف، الخراج، ص٢٤، ٢٦.

وعلى رأسهم علي بن أبي طالب ﷺ الذي قال: "إن قسمتها اليوم لم يكن لمن يجيء بعدنا شيء ولكن نقرّها في أيديهم يعملونها فتكون لنا ولمن بعدنا"[١].

وفي رواية عن البلاذري أنَّ الخليفة عمر قدم الجابية فأراد قسمة الأرض بين المسلمين لأنها فتحت عنوة، فقال معاذ بن جبل: "والله لئن قسمتها ليكونن ما تكره ويصير الشيء الكثير في أيدي القوم ثم يبيدون فيبقى ذلك لواحد، ثم يأتِي من بعدهم قوم يسدون الإسلام مسدًّا فلا يجدون شيئًا فانظر أمرًا يسع أولهم وآخرهم، فصار إلى قول معاذ"[٢].

وبعد أن عقد الخليفة عمر مجلسًا حضره عددٌ من المهاجرين والأنصار للتشاور في الأمر قال لهم: "وقد رأيت أن أحبس الأرضين بعلوجها وأضع عليهم فيها الخراج وفي رقابهم الجزية يُؤدّونها فتكون فيئًا للمسلمين، المقاتلة والذرية ولمن يأتِي بعدهم أرأيتم هذه الثغور لا بدَّ لها من رجال يلزمونها أرأيتم هذه المدن العظام كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر لا بدَّ لها من أن تشحن بالجيوش وإدرار العطاء عليهم فمن أين يعطي هؤلاء إذا قسمت الأرضون[٣]. لذلك أصبحت أموال الفيء وهي واردات الأراضي المفتوحة من الخراج والجزية هي المورد الأساس لعطاء الجند وأرزاقهم[٤]. وقد اعتبر ابن سلام موارد الأرض التي حررت عنوة أو صلحًا هي المورد الأساس لعطاء الجند فيقول: "فهذان النوعان من

(١) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ١٢٩.

(٢) البلاذري، فتوح، ص١٥٦.

(٣) أبو يوسف، الخراج، ص٢٥.

(٤) أبو يوسف، الخراج، ص١٢٤.

الأرضين الصلح والعنوة التي تصير فيئًا تكونان عامًا للناس في الأعطية وأرزاق الذرية وما ينوب الإمام من أمور العامة"(١).

مما تقدَّم يتضح أن أهم الأسباب التي دعت الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ إلى عدم تقسيم الأراضي هي: تحقيق موردٍ ماليٍّ ثابت ومستمر لبيت المال، وجعل واردات الفيء لكل المسلمين وعدم تحقيق مبدأ الملكية الكبيرة أو مبدأ وراثة الأرض، وأخيرًا استمرار شحن الجيوش وإدرار العطاء عليها وحماية الثغور والذَّوْد عنها(٢).

قسم الخليفة عمر ﷺ أموال الفيء وكما كان مُتَّبعًا أيام الرسول ﷺ وأبي بكر ﷺ إلى خمسة أقسام، فقسم الخمس الأول عملًا بالآية الكريمة: ﴿ **مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡ** ﴾ [الحشر:٧]، وأما أربعة أخماس الفيء الأخرى فقد أوضح الماوردي وُجُوهَ صرفها بقوله: "وأما أربعة أخماس (الفيء) ففيه قولان: أحدهما أنه للجيش خاصة لا يشاركهم فيه غيرهم ليكون معدًّا لأرزاقهم، والقول الثاني أنه مصروف في المصالح التي منها أرزاق الجيش وما لا غنى للمسلمين عنه"(٣). وفي كلتا الحالتين اللتين أوردهما الماوردي فإنَّ أعطيات الجند وأرزاقهم تشكِّل النصيب الأوفر من أموال الفيء.

---

(١) ابن سلام، الأموال، ص٦٨٧-٦٨٨.

(٢) الجنابي، تنظيمات الجيش، ص٨٧.

(٣) للمزيد: الماوردي، الاحكام السلطانية، ص٣١ وما بعدها.

وتَمَّ تناول موضوع خلافة عمر من خلال استعراض الكتب المدرسية لكيفية اختيار الخليفة الثالث.

يقول النص: "بعد أن جُرِح عمر نتيجة سوء قصد وشعر أن موته قريب، قرَّر وبدون سابقه أن يضع موضوع اختيار خليفة له بعهدة الشورى الإسلامية، تتكون هذه الشورى من على ابن أبي طالب عليه السلام، عثمان بن عفان، عبد الرحمن بن عوف، طلحة بن عبيد الله، الزبير بن العوام، وسعد بن ابي وقاص، وكان حق التحكيم النهائى لعبد الرحمن بن عوف بعد محادثات الأعضاء اشترط عبد الرحمن بن عوف على الخليفة القادم على ضرورة أن يلتزم بثلاثه بنود: العمل بكتاب الله، الامتثال على طريق الرسول ﷺ - والسير على نهج الشيخين (أبو بكر وعمر)، عرض شروطه الثلاثة على على ابن أبي طالب رضى الله عليه، سيدنا على وافق على الشرطين الأولين، ولكنه لم يكن على استعداد الالتزام بالشرط الثالث، ولكن عثمان قبل بالشروط الثلاثة، وأصبحت الخلافة في عهدته، رغم أنه لم يلتزم بوعده"[1].

تحليل النص:

يقول النص في سبب وفاة الخليفة العادل الفاروق: "بعد أن جُرِح عمر نتيجة سوء قصد".

اسأل لماذا لم يذكر قاتله؟ لو كان من العرب، لذكره ووصف العرب بأفدح الأوصاف، لكن لأنه مجوسي فارسي، قال: إن قتله كان بدون قصد، أليس الذي قتله

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته ادبيات وعلوم إنساني)، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، جاب يزدهم، ١٣٨٩، ص ١١٠-١١١.

أبو لؤلؤة المجوسي. جاء تفاصيل ذلك عند الطبري وأنَّ القاتل كان قد دبَّر فعلته من قبل. قال الطبري[١]: "خرج عمر بن الخطاب يومًا يطوف في السوق فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة- وكان نصرانيًّا- فقال: يا أمير المؤمنين أعدني على المغيرة بن شعبة فإنَّ علي خراجًا كثيرًا. قال: وكم خراجك؟ قال: درهمان في كل يوم. قال: وأيش صناعتك؟. قال: نجار نقاش حداد. قال: فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال، قد بلغني أنك تقول لو أردت أن أعمل رحا تطحن بالريح فعلت، قال: نعم. قال: فاعمل لي رحا. قال: لئن سلمت لأعملن لك رحا يتحدث بها من بالمشرق والمغرب. ثم انصرف عنه فقال عمر رضي الله تعالى عنه: لقد توعدني العبد آنفًا، قال: ثم انصرف عمر إلى منزله، فلما كان من الغد جاءه كعب الأحبار فقال: له يا أمير المؤمنين اعهد، فإنك ميت في ثلاثة أيام. قال: وما يدريك؟. قال: أجده في كتاب الله عز وجل التوراة. قال عمر: آلله إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟. قال: اللهم لا، ولكني أجد صفتك وحليتك وأنه قد فَنِي أجلك. قال: وعمر لا يحس وجعًا ولا ألمًا، فلما كان من الغد جاءه كعب، فقال: يا أمير المؤمنين ذهب يوم وبقي يومان. قال: ثم جاءه من غد الغد، فقال: ذهب يومان وبقي يوم وليلة وهي تلك إلى صبحتها. قال: فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجالاً فإذا استوت جاء هو فكبّر، قال: ودخل أبو لؤلؤة في الناس في يده خنجر له رأسان نصابه في وسطه فضرب عمر ست ضربات إحداهن تحت سُرّته وهي التي قتلته، وقتل معه كليب بن أبي البكير الليثي، وكان خلفه فلما وجد عمر حرّ السلاح سقط، وقال: أفي الناس عبدالرحمن بن عوف؟ قالوا: نعم، يا أمير

(١) تاريخ، ج٤، ص١٩٠-١٩٢.

المؤمنين، هو ذا، قال: تقدَّم فصلِّ بالناس، قال: فصلى عبدالرحمن بن عوف وعمر طريح، ثم احتمل فأدخل داره.... يا عبدالله بن عمر اخرج فانظر من قتلني، فقال: يا أمير المؤمنين قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، قال: الحمد لله الذي لم يجعل مَنِيَّتي بيد رجل سجد لله سجدة واحدة".

يقول النص: "في أواخر خلافة أبو بكر عيَّن عمر خليفة له، في هذه الأثناء كان المسلمون يحاربون على حدود الرومان وإيران، بعد تولِّي عمر الخلافة، حيث قام بإرسال قوة لمساعدتهم، وكذلك أمر بتغيير قائد الجند"(١).

يقول النص: "بعد أبي بكر وفي زمان عمر أضاف المسلمون أراضي كثيرة إلى الأقاليم الإسلامية ومن بينها إيران، أصيب عمر بجراح على يد أحد معارضيه بعد عشر سنوات من الخلافة، وتوفي بعد عدة أيام(٢).

تحليل النص:

لقد تحدَّثنا مطولاً ومفصلاً عن موضوع الخلافة بعد الرسول ﷺ في السابق. عند التعليق على عنوان خلافة أبي بكر، وعند مناقشة عنوان المؤامرة المخفية. ويبدو أنّ كتَّاب النصوص وبتوجيهٍ من المسئولين عن التعليم (المعممين) في إيران يحاولون ترسيخ مفاهيم وعقائد يؤمنون بها في أذهان الطلاب.

---

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلى، مرحله دوم تعليمات عمومى، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٩، ص ١٤.

(٢) تعليمات اجتماعي، بنجم دبستان، اداره كل جاب وتوزيع كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٨، ص٨٨.

ولكن لماذا لم يشر الكاتب إلى قاتل الفاروق ﷺ، أليس لأنه فارسي مجوسي. ألم يكن الذي قتَل الخليفة أبو لؤلؤة المجوسي. نسأل لماذا لم يذكر قاتله؟ لو كان من العرب، لذكره ووصف العرب (هذا ما سوف تناوله في دراسة أخرى مستقلة) بأفدح الأوصاف، لكن لأنه مجوسي فارسي، قال: إنَّ قتله كان من خلال أحد معارضيه. ولا ندري ما هي أسباب المعارضة وما هو الفكر العقائدي الذي كان يحمله المجوسي غير الحقد الفارسي على كل شيء أصله عربي. وخاصة الفروق الذي أزال دولة الفرس من الوجود.

نرجو أن يقرأ الطالب الإيراني ما جاء من تفاصيل ذلك عند الطبري وأنَّ القاتل كان قد دبَّر فعلته من قبل. قال الطبري[١]: "خرج عمر بن الخطاب يومًا يطوف في السوق فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة- وكان نصرانيًا- فقال: يا أمير المؤمنين أعدني على المغيرة بن شعبة؛ فإنّ عليَّ خراجًا كثيرًا. قال: وكم خراجك؟. قال: درهمان في كل يوم. قال: وأيش صناعتك؟. قال: نجار نقاش حداد. قال: فما أرَى خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال، قد بلغني أنَّك تقول لو أردت أن أعمل رحا تطحن بالريح فعلت، قال: نعم. قال: فاعمل لي رحا. قال: لئن سلمت لأعملن لك رحا يتحدث بها من بالمشرق والمغرب. ثم انصرف عنه فقال عمر رضي الله تعالى عنه: لقد توعدني العبد آنفًا، قال: ثم انصرف عمر إلى منزله، فلما كان من الغد جاءه كعب الأحبار فقال: له يا أمير المؤمنين اعهد، فإنَّك ميت في ثلاثة أيام. قال: وما يدريك؟. قال: أجده في كتاب الله عز وجل التوراة. قال: عمر آلله إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟ قال: اللهم لا، ولكني أجد صفتك وحليتك وأنه

(١) تاريخ، ج٤، ص١٩٠-١٩٢.

قد فني أجلك. قال: وعمر لا يحس وجعًا ولا ألًما فلما كان من الغد جاءه كعب، فقال: يا أمير المؤمنين ذهب يوم وبقي يومان. قال: ثم جاءه من غد الغد فقال: ذهب يومان وبقي يوم وليلة وهي تلك إلى صبحتها. قال: فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة وكان يوكِّل بالصفوف رجالاً فإذا استوت جاء هو فكبَّر، قال: ودخل أبو لؤلؤة في الناس في يده خنجر له رأسان نصابه في وسطه فضرب عمر ستَّ ضربات إحداهن تحت سُرَّته وهي التي قتلته، وقتل معه كليب بن أبي البكير الليثي، وكان خلفه فلما وجد عمر حر السلاح سقط، وقال: أفي الناس عبدالرحمن ابن عوف؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين هو ذا، قال: تقدم فصلِّ بالناس، قال: فصلى عبدالرحمن بن عوف وعمر طريح، ثم احتمل فأدخل داره.... يا عبدالله بن عمر اخرج فانظر من قتلني؟ فقال: يا أمير المؤمنين قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، قال: الحمد لله الذي لم يجعل مَنِيَّتي بيد رجل سجد لله سجدة واحدة".

هزيمة الساسانيين وفتح ايران

يقول النص: "كما قلنا سابقًا، إنَّ جند المسلمين كانوا منشغلين بالحرب في أوائل أيام خلافة عمر على حدود إيران، على الرغم من انتصارهم على الجيش الساسانِي في بادئ الأمر، بعد هزيمة الرومان، وأدَّى ذلك إلى أخذ عدد من جند المسلمين أسرى وأرسلوهم إلى الحدود الإيرانية، كما درسنا في السنة الماضية كان يحكم إيران في ذلك الوقت يزدجر الثالث وفي نهاية المطاف هزم من قِبَل المسلمي"(١).

الآن وفقًا إلى ما تعلمته في السنة الماضية أجب على الأسئلة التالية:

ما هي أسباب هزيمة الساسانيين من قبل المسلمين؟"(٢).

تحليل النص:

في هذه الفقرة تظهر النزعة الفارسية على حساب التوجُّه الإسلامي الذي يحاول النصّ الترويج له حسب الفهم الإيراني للإسلام، فقد حاولت الفقرة إظهار قوة الفرس وأنَّهم استطاعوا في البداية هزيمة المسلمين.

ويظهر ذلك واضحًا من خلال صيغة السؤال الذي أدرج في نهاية الفقرة: ما هي أسباب هزيمة الساسانيين من قبل المسلمين؟

يضيف النص نشاطًا فحواه:

---

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلى، مرحله دوم تعليمات عمومى، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٩، ص ١٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥.

هل تعرف من قام بتحديد التاريخ الهجري:

في عهد خلافة عمر توسعت الأقاليم الإسلامية وزاد عددهم، وتوسعت الأمور الإدارية والمالية، لهذه الأسباب رأى الإمام علي عليه السلام أن تكون السنة التي هاجر فيها الرسول هي بداية التاريخ الإسلامي وأن تثبت بشكل دائم[١].

تحليل النص:

في هذا النص خطأ تاريخي واضح وهو أنَّ الذي وضع التقويم الهجري هو علي ابن أبي طالب ﷺ، وهو مخالف لما أجمعت عليه جميع كتب التاريخ المعتبرة حول أوَّل من اتخذ التاريخ الهجري والأسباب التي كانت وراء ذلك. ونُورِد تفاصيل ذلك ممَّا أورده ابن كثير في هذه المسألة، حيث قال[٢]: "اتفق الصحابة رضي الله عنهم في سنة ستّ عشرة وقيل سنة سبع عشرة أو ثماني عشرة في الدولة العمرية على جعل ابتداء التاريخ الإسلامي من سنة الهجرة، وذلك أن أمير المؤمنين عمر ﷺ رفع إليه صكّ، أي حجة لرجل على آخر، وفيه إنه يحلّ عليه في شعبان، فقال عمر: أي شعبان أشعبان هذه السنة التي نحن فيها أو السنة الماضية أو الآتية؟ ثم جمع الصحابة فاستشارهم في وضع تاريخ يتعرفون به حلول الديون وغير ذلك، فقال قائل: أرِّخوا كتاريخ الفرس فكره ذلك- وكانت الفرس يؤرِّخون يملكوهم واحدًا بعد واحد- وقال قائل: أرِّخوا بتاريخ الروم- وكانوا يؤرخون بملك إسكندر بن فلبس المقدوني- فكره ذلك. وقال آخرون: أرِّخوا بمولد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلى، مرحله دوم تعليمات عمومى، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٩، ص ١٥.

(٢) البداية والنهاية، ج٧، ص١٨١، وانظر كذلك ابن الجوزي، المنتظم، ج٤، ص٢٢٤.

وقال آخرون: بل بِمَبْعَثِه. وقال آخرون: بل بهجرته. وقال آخرون: بل بوفاته عليه السلام. فمال عمر ﷺ إلى التاريخ بالهجرة لظهوره واشتهاره. واتفقوا معه على ذلك.

وقال الواقدي: حدثنا ابن أبي الزناد عن أبيه قال: استشار عمر في التاريخ، فاجمعوا على الهجرة. وقال أبو داود الطيالسي عن قرة بن خالد السدوسي عن محمد ابن سيرين قال: قام رجل إلى عمر فقال: أرِّخوا. فقال: ما أرِّخوا؟. فقال: شيء تفعله الأعاجم يكتبون في شهر كذا من سنة كذا. فقال: عمر حسن. فأرخوا. فقالوا: من أيّ السنين نبدأ؟. فقالوا: من مبعثه. وقالوا: من وفاته. ثم أجمعوا على الهجرة، ثم قالوا: وأي الشهور نبدأ؟. قالوا: رمضان ثم قالوا المحرم فهو مصرف الناس من حجهم وهو شهر حرام، فاجتمعوا على المحرم[١].

وقال ابن جرير[٢]: حدثنا قتيبة، ثنا نوح بن قيس الطائي، عن عثمان بن محصن، أنَّ ابن عباس كان يقول في قوله تعالى: ﴿ **وَٱلْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ** ﴾ هو المحرم فجر السنة. وروَى عن عبيد بن عمير قال: إنَّ المحرم شهر الله وهو رأس السنة، يكسى البيت، ويؤرّخ به الناس، ويضرب فيه الورق[٣].

وضمن النشاط الصفي تطرح الكتب مسألة الخلافة للبحث والمناقشة في الصف، من خلال عرض التساؤل الرئيسي التالي، تليه مجموعة من الأسئلة الفرعية:

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٢، ص٣٨٩.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٨٩.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٨٩.

برأيك ما السبب وراء حماس وضغط الناس على سيدنا علي عليه السلام لتولّي الخلافة؟[(١)].

الأسئلة:

١- بعد وفاة الرسول ﷺ ما الأمر الذي اختلف عليه المسلمون؟

٢- ماذا تعنِي البيعة؟

٣- لماذا صمت سيدنا علي وأتباعه بعد انتخاب أبي بكر؟

٤- في عهد أي خليفة هاجم المسلمون إيران وهزموا حكومة الساسانيين؟[(٢)].

تحليل النص:

يهدف السؤال الثالث إلى التأكيد على أنَّ علي بن أبي طالب وحفاظًا على وحدة الأمة صمت عن المطالبة بحقِّه. لكن كما أشرنا سالفًا، ألم يخالف- حسب زعمهم علي بن أبي طالب أمرًا نبويًّا- بأحقيته بأمر الخلافة.

ماذا يقصد الكاتب من السؤال الرابع والأخير؟

أليس إلى تعزيز روح العداء والثأر لدى الطالب الإيراني من عمر بن الخطاب الفاروق ﷺ؟ والمثير هو استخدام لفظ هجوم المسلمين على إيران، وكأنه اعتداء، وليس فتحًا لإخراج الفرس من الظلمات إلى النور.

---

(١) تعليمات اجتماعي، بنجم دبستان، اداره كل جاب وتوزيع كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٨، ص٨٩.

(٢) تعليمات اجتماعي، بنجم دبستان، اداره كل جاب وتوزيع كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٨، ص٨٩.

ثم يهرب النص دون الإشارة إلى ما حققه المسلمون بعد فتح فارس، إلى موضوع محاربة الروم والاستيلاء على الشام، وكأنَّ أهداف المسلمين الفاتحين هي ضم أراضٍ جديدة، وليس نشر الدعوة، يقول النص: "الجند الذين ذهبوا إلى الحدود الرومانية، هزموا الروم في سلسلة من المعارك الصعبة ولاحقوهم في كافة أراضي الشام، مما أدى لفتحها، بعد ذلك فتحوا لبنان وفلسطين، هذه الانتصارات أدَّت أيضًا إلى فتح مصر، التي كانت تحت سلطة الرومان"(١).

أما تعليقنا على ما ورد، فالنص يثير بشكلٍ واضحٍ تهمة فحواها: أن أبا بكر الصديق ﷺ قد انفرد بالرأي في مسألة تعيين عمر بن الخطاب ﷺ ولم يستشر أحدًا من المسلمين في هذا الأمر المهم لجميع المسلمين. لكن الحقائق التاريخية التي في المصادر الأصلية والمعتمدة تشير إلى غير ذلك. فقد شعر الخليفة الصديق ﷺ بضرورة العهد لرجل من بعده تجنبًا للمشاكل(٢).

ويبدو أنَّ أبا بكر اتخذ هذه الخطوة تجنبًا لما حدث بعد وفاة النبي ﷺ من انقسامات حول مشكلة الحكم. فقد قال: "اللهم إنِّي لم أرد بذلك إلا صلاحهم، وخفت عليهم الفتنة"(٣).

نفهم من الرواية التي أوردناها قبل قليل أنَّ البادرة الأولَى لبحث مشكلة الحكم كانت من قبل آل البيت، وأنَّ العباس هو الذي فكر في الأمر، لكن هذه المبادرة لم

---

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلى، مرحله دوم تعليمات عمومى، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٩، ص ١٤-١٥.

(٢) حمدان، نشأة الخلافة الإسلامية، ص٤٤. نقلاً عن البلاذري، أنساب الأشراف.

(٣) حمدان، نشأة الخلافة الإسلامية، ص٤٤.

تتم بسبب تخوف علي بن أبي طالب من رفض الرسول ﷺ، وبالتالي حرمانهم من حق المطالبة بالحكم من بعده.

أما مسألة الاستشارة في أمر تولية عمر فقد أجمعت المصادر على ذلك، فقد استمزج رأي كبار الصحابة، فلما اطمأن إلى الرضا لدى غالبيتهم، استخلف عمر بن الخطاب[١] وأثبت المسلمون إمامته[٢]. وكان رأي الصديق في خلفه: "ولَّيْتُ عليهم خيرهم، وأقواهم عليهم، وأحرصهم على ما أرشدهم"[٣].

وجاء في النص أيضًا: "بعد أن أصبح أبو بكر خليفة أمام علي عليه السلام سكت عن الأمر، وذلك حفاظًا على وحدة المسلمين".

القارئ العادي يلاحظ التناقض الواضح في النص، كما يلاحظ أنَّ مثل هذا الكلام فيه إساءة لعلي بن أبي طالب ﷺ. فإذا كان أمر الحكم والإمامة محسومًا كما يدعي الشيعة من خلال حديث الغدير، وأنه أمر من الرسول ﷺ، فهو بالتالي أمر غير قابل للنقاش أو التفاوض، بل واجب التنفيذ امتثالاً لأمر النبي ﷺ، فإذا جانب الصحابة وغالبية المسلمين الحق- كما يزعمون- فكيف يقبل علي بن أبي طالب (وهو صاحب الحق الشرعي بأمر من النبي) أن يوافقهم على مخالفة أمر الله ورسوله، أليس هو الإمام المعصوم بنظرهم؟

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص٢٠٧.

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٨.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص٢٠٧. للمزيد انظر: الدوري، النظم الإسلامية، ص٣٢.

خلافة عثمان

يقول النص: "وصلت الخلافة بعد عمر إلى عثمان، وفي عهد خلافة عثمان كان بعض حكام المدن يظلمون الناس، طلب الناس من عثمان أن يعزل هؤلاء الحكام، ولكنَّه لم يهتم بطلبهم، وبالنهاية قام عدد من معارضية بمحاصرة منزله وقتله".

بعد قتل عمر طلب المسلمون وبالتوسل وبحماس، طلبوا من سيدنا علي عليه السلام أن يقبل بالخلافة"[(١)].

وفي كتاب مدرسي آخر تَمَّ تناول نفس الموضوع، يقول النص: "في أواخر أيام خلافة عمر شُكِّل مجلس حتى يعين الخليفة من بعده، وكان من ضمن أعضاء هذا المجلس علي عليه السلام، وعثمان وعبد الرحمن بن عوف".

يضيف النص: "أمر عمر أن تكون الخلافة لمن يعطيه أعضاء المجلس أصواتًا أكثر، وفي حالة مساواة الأصوات ستكون الخلافة لمن يقبل به عبد الرحمن بن عوف، بالنهاية وبعد ثلاثة أيام من المناقشة والبحث التفت عبد الرحمن إلى الإمام علي عليه السلام وقال له: أبايعك ولكن بشرط وهو أن تعمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتسير على نهج الخليفتين من قبلك، وقبل الإمام علي بشرطين وهما العمل بكتاب الله وسنة نبيِّه الكريم، وقبل عثمان بكل الشروط وأصبح خليفة. في عهده تَمَّ فتح باقي إيران إلا السواحل جنوب بحر الخزر كيلان وجزء من مازندران وذلك لوجود الجبال الشاهقة والغابات الكثيفة.

---

(١) تعليمات اجتماعي، بنجم دبستان، اداره كل جاب وتوزيع كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٨، ص٨٩.

يذكر النص كذلك "في أواخر خلافة عمر (سنة ٣٥ للهجرة) كان الناس في مصر غير راضين عن الحاكم الذي أرسله عثمان إلى مصر، قام عدد من أهالي مصر بالحضور إلى المدينة وقاموا بثورة ضد الخليفة وبعد مدة حضر كذلك عدد من أهالي الكوفة والبصرة إلى المدينة وحاصروا بيت عثمان، كانوا يريدون من الخليفة أن يعزل مروان بن الحكم الذي كان سكرتيره ونسيبه وكان يتدخَّل في كافة الأمور، رفض الخليفة هذا الأمر، ومرة أخرى زادت حدة الاعتراض وذلك بتحريض من بعض الأشخاص مثل طلحة والزبير وعمرو بن العاص وحاصر المعترضون بيت عثمان، الإمام علي عليه السلام ومن أجل الحد من الفتنة والفوضى طلب من المعترضين أن يحافظوا على الهدوء، ولكن جموع المعترضين هاجموا منزل عثمان وقتلوه[١].

تحليل النص:

يحاول النص اختيار ما يلاءم اتجاه الدولة الإيرانية وفكرها، فالدرس يركِّز في معرض حديثه: "وقبل الإمام على بشرطين وهما العمل بكتاب الله وسنة نبيِّه الكريم".

نقول: إنه في صبيحة يوم الانتخاب جعل عبد الرحمن بن عوف اتِّباع سياسة أبي بكر وعمر أساسًا للترشيح؛ فقد طلب من كلٍّ من علي وعثمان رضي الله عنهما" أن يقسم كل منهما أن يجعل كتاب الله وسنة نبيِّه وسيرة الخليفتين من بعده، وأن لا يحمل أي منهما بني أمية أو بني عبد المطلب على رقاب الناس[٢]".

---

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلى، مرحله دوم تعليمات عمومى، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٩، ص ١٥-١٦.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٤، ص ٢٣٨؛ مجهول، الإمامة والسياسة، ص٢٧.

أمَّا علي بن أبي طالب فأجاب بتحفُّظ قائلاً: "اللهم لا ولكن على جهدي وطاقتي". أما عثمان فوافق عبد الرحمن على شرطه قائلاً: "اللهم نعم". وبهذا يظهر أنَّ علي بن أبي طالب اتَّبع أسلوب الاجتهاد أساسًا لبيعته. فكان لهاتين الإجابتين الأثر المهم في تقديم عثمان على علي، وإعطائه البيعة من قبل عبد الرحمن وأصحاب الشورى، ثم تتابع الناس على بيعته وبايَعَه علي أيضًا[1].

تناولت الكتب المدرسية الإيرانية موضوع خلافة عثمان بن عفان، من زاويةٍ أخرى، حيث يقول النص: "في عهد عثمان، استمرَّت انتصارات جند الإسلام اللافتة إلى إيران، أرمينيا وآسيا الوسطى وشمال إفريقيا، في ذلك العصر أول مرة تطأ أقدام المسلمين أوروبا، وتأسست القوات البحرية لجيش المسلمين ووصلوا إلى جزيرة قبرص، كان يزد كرد الثالث الذي بقى وحيدًا أيضًا في إيران، وقتل في مرو وانقرضت الحكومة الساسانية سنة ٣١ هجريًّا قمريًّا".

الاعتراض على أداء عثمان، يقول النص: "كان الخليفة الثالث من بنى أمية على الرغم من أنه يعدّ من المسلمين الأوائل إلا أنه ضعف مقابل مصالح أقاربه الأمويين، ومهد الطريق لطالبى السلطة الأمويين وهيمنت هذه الأسرة على أراض واسعة من الأراضى الإسلامية. وبالتالي ونتيجة للارستقراطية الأموية طالبى الرفاهية والسلطة العسكرية والمناصب أدَّى هذا بالتدريج إلى ظهور وانتشار عدم الرضا العام عنهم.

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٤، ص ٢٣٨-٢٣٩؛ مجهول، الإمامة والسياسة، ص٢٧.

منتقدو الخليفة كان لهم دوافع مختلفة، بعضهم مثل أبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر خافوا من نسيان الدين وذهاب السنة النبوية، والبعض مثل طلحه والزبير كانوا يريدون مقابل انتسابهم إلى الأمويين الحصول على امتيازات، ومع ذلك فإنَّ عدم اهتمام الخليفة باعتراضات المحيطين والتصرفات الخاطئة للمحيطين به مع هؤلاء المعترضين، أدَّى ذلك إلى تصعيد موجة الغضب ومعارضة عظيمة، بالنتيجة أدَّى إلى مقتل الخليفة على يد أناس غير معروفين"[١].

وتضيف بعض الكتب المدرسية تفسيرًا لترسيخ ما تقوله، يقول النص: "في غزوة تبوك تأخّر أبو ذر عن جند الإسلام، بعد عدَّة أيام من تحمله لمشقات كثيرة لَحِق بالجيش، عند مشاهدة الرسول لأبي ذر نهض من مكانه وأخذه بحضنه وقال: (أهلًا وسهلًا أبا ذر) رحمك الله تأتِي وحدك وتموت وحدك وتخرج من التراب وحدك. أبو ذر وبسبب اعتراضه على عثمان أُبْعِد إلى قرية نائية وتوفي هناك".[٢]

تحليل النص:

التحليل الأول:

أسهب المؤرخون في الحديث عن الفتنة وأسبابها، ويمكن تحديد أهم الأسباب وراء الفتنة بما يلي:

---

(١) تاريخ إيران وجهان، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، جاب يزدهم، ١٣٨٩، ص١١١.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١١.

أولاً: أثر العرب في الفتنة:

عندما جاء الإسلام دخل الأعراب الإسلام، وكان هؤلاء العرب على ثلاثة أصناف؛ صنف أسلم وحسن إسلامه، وصنف آخر دخلوا الإسلام خوفًا ونفاقًا وطمعًا. ويندرج هؤلاء تحت قوله تعالى: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ﴾ [التوبة:٩٧].

أما الصنف الثالث فقد تعبَّد عبادة شديدة، وترك الدنيا كل الترك، وتمسك بالإسلام تمسكًا تلازمه شدة والتعصب للرأي والغلو في الدين، وتأويل النصوص تأويلاً يتناسب مع مزاجهم الحادّ، المنطق عندهم ضعيف جدًّا، والعاطفة شديدة جدًّا، لا يفهمون من الأمور إلا ظواهرها(١). وهؤلاء هم القرَّاء سلف الخوارج الذين قال فيهم رسول الله ﷺ(٢): «يخرج قوم من أمتي يقرأون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم شيئًا، ولا صلاتكم إلى صلاتهم شيئًا ولا صيامكم إلى صيامهم شيئًا، يقرأون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية».

ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ عثمان بن عفان ﷺ اضطر إلى تجنيد الأعراب (وغالبيتهم من الأعراب المرتدين) أثناء توسُّع رقعة الفتوح. وشكل هؤلاء بعد فترة

---

(١) ويظهر ذلك جليًّا في قضية التحكيم عندما قالوا: "لا حكم إلا لله". فبلغ علي بن أبي طالب ذلك، فجمع الناس ليريهم سوء الفهم، فدعا بمصحف عظيم، وقال: أيها المصحف حدث الناس، فقالوا: ما هذا إنسان إنما هو مداد وورق، ونحن نتكلم. بما روينا منه، فقال على كتاب الله بيني وبين هؤلاء. انظر: مسند الإمام أحمد، حديث رقم: ٦٥٦.

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه في باب التحريض على قتال الخوارج حديث رقم٢٤٦٧.

طبقةً ساهمت في تهيئة أجواء الفتنة. وقد خالف عثمان بن عفان الخليفتين السابقين اللذين رفضَا الاستعانة بهؤلاء الأعراب. فأبو بكر كتب إلى عمال الردة: "لا تستعينوا بمرتد في جهاد عدو"(١).

كان اجتهاد الخليفة عثمان الذي ارتكز عليه في الاستعانة بهؤلاء أنه ارتأَى أن عامل الزمن كافٍ لأن يتخلص من قد ارتد من رواسب الردة، كما أنه اضطر إلى إرسالهم إلى الغزو اضطرارًا؛ إذ توسعت رقعة الفتح، ولم يكن بالإمكان أن يقوم الصحابة وحدهم مع القبائل التي حسن إسلامها وتمسَّكت بالإسلام. فهو استعملهم استصلاحًا لهم، لكن ذلك لم يصلحهم، بل زادهم فسادًا وإغراءً بالخليفة؛ حيث كان في أسماء المتهمين في دم الخليفة والذين حاصروا المدينة رجال ينتسبون إلى المرتدين(٢).

ثانيًا: طبيعة التحول الاجتماعي في عهد عثمان ﷺ.

شهدت خلافة عثمان بن عفان ﷺ تطورات خطيرة في حياة الدولة الإسلامية بعد أن تحولت من دولة محدودة النطاق إلى دولة عالمية تمتد من بلاد إفريقيا غربًا إلى بلاد فارس وأرمينا شرقًا. وقد ظهر نتيجة هذا التحول في طبيعة الدولة، أجناس الخاضعين لها والمنتمين إلى دينها جيل جديد من المسلمين يعتبر في مجموعه أقل من الجيل الأول من المسلمين بقوة الإيمان والفهم السليم لجوهر العقيدة الإسلامية والاستعداد التام لإخضاع النفس لنظام الإسلام السليم لجوهر العقيدة، والاستعداد التامّ لإخضاع النفس لنظام الإسلام المتمثّل في الكتاب والسنة.

(١) الطبري، تاريخ، ج٣، ص٣٤١.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٤٨؛ أمحزون، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، ص٢٥٤.

وكانت هذه الميزات أقل ظهورًا في الجيل الجديد الذي وُجِد نتيجة للفتوحات الواسعة، وظهرت فيه المطامع الفردية، وبُعثت فيه العصبية للأجناس والأقوام، يحملون رواسب كثيرة من رواسب الجاهلية التي كانوا عيها. ولم ينالوا من التربية الإسلامية على العقيدة السليمة. وهذه الظاهرة لها ما يبرِّرها في كتاب بعث به عثمان إلى أمرائه: "أما بعد فإن الرعية قد طعنت في الانتشار، ونزعت إلى الشر، وأعداها على ذلك ثلاث: دنيا مؤثرة، وأهواء متشرعة، وضغائن محمولة"[(١)].

ويكشف النقاب أيضًا عن طبيعة التحول والتغيير في المجتمع الإسلامي ما كتبه سعيد بن العاص أمير الكوفة إلى عثمان؛ حيث يقول[(٢)]: "إن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم وغلب أهل الشرف منهم والبيوتات والسابقة والقدمة، والغالب على تلك البلاد روادف ردفت، وأعراب لحقت حتى ما ينظر إلى ذي شرف ولا بلاء من نازلتها ولا نابتتها".

علاوة على أنَّ هذه القاعدة الصلبة من المهاجرين والأنصار لم تكن قادرة على استيعاب هذه الأفواج الكبيرة واحتوائها. فلما ظهرت الفتنة وجدت من هذه القبائل الممتزجة مادتها ومشعلها، خاصة وأن الاختلاط- ينتج فرصة اللقاء بين العناصر المشبوهة من كل قبيلة[(٣)].

ثالثًا: الرخاء وأثره على المجتمع في عهد عثمان ﷺ.

أقبلت الدنيا على المسلمين بعد حركة الفتح وزادت وَارِدات بيت المال، التي

(١) أمحزون، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، ص٢٦٢، نقلا عن تاريخ ابن عساكر.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٧٩.

(٣) أمحزون، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، ص٢٦٣.

كان لها دور في حركة المجتمع وتطوره، فجلبت الرخاء، الذي ساهم بدوره في انشغال الناس بالدنيا والافتتان بها، كما أنَّه مادة للتنافس والبغضاء، خاصة بين أولئك الذين لم يصقل الإيمان نفوسهم من أعراب البادية، ومن مسلمة الفتح. وقد ظهر هذا الثراء بشكلٍ واضحٍ أيام خلافة عثمان، حيث أدرك الخليفة نفسه هذه الحقيقة، مُنذرًا مما ستؤل إليه أمور الأمة من التبدل والتغيُّر في كتابه الموجه إلى الرعية: "فإنَّ أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاثة فيكم؛ تكامل النعم، وبلوغ أولادكم من السبايا، وقراءة الأعراب والأعاجم للقرآن"[(١)].

رابعًا: مجيء عثمان بعد عمر واختلاف الطبع بينهما:

لقد كان مجيء عثمان بن عفان مباشرة بعد عمر بن الخطاب واختلاف الطبع بينهما مؤديًّا إلى تغير أسلوبهما في معاملة الرعية، فبينما كان عمر قويَّ الشكيمة شديد المحاسبة لنفسه ولمن تحت يده، كان عثمان ألْينَ طبعًا وأرقَّ في المعاملة، ولم يكن يأخذ نفسه ويأخذ الناس بما كان يأخذهم عمر حتى يقول عثمان: "يرحم الله عمر، ومن يطيق ما كان يطيق[(٢)].

وحين بدت نوايا الخارجين وقد ألزمهم عثمان الحجة في ردِّه على المآخذ التي أخذوها عليه أمام الملأ من الصحابة والناس، أبَى المسلمون إلا قتلهم، وأبَى عثمان إلا تركهم لحلمه ووداعته قائلاً: "بل نعفو، ونبصرهم بجهدنا، ولا نحاد أحدًا حتى يركب حدًّا ويبدي كفرًا"[(٣)].

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٤٥.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٠١.

(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص٣٣١-٣٣٢.

خامسًا: العصبية القبلية (استثقال بعض القبائل العربية لرئاسة قريش):

وكان من عوامل الفتنة شعور القبائل بتسلُّط قريش واستئثارها بالخلافة، ففي سنة ٢٩هـ خرج قوم من البصرة إلى المدينة يرأسهم غيلان بن خرشة وطلبوا من عثمان عزل أبي موسى الأشعري فأجابهم إلى طالبهم. يقول غيلان في سبب ذلك: "في كل أحد عوض من هذا السيد الذي قد أكل أرضنا وأحْيَا أمر الجاهلية فينا، فلا ننفك من أشعري كان يعظم ملكه من الأشعريين ويستصغر ملك البصرة"[(١)]. وفي هذا القول يظهر لنا النقمة التي اتجهت إلى أبي موسى الأشعري أساسها قبلي، فهو رجل يمني يتولَّى أمر الحكم، ويعظِّم حكم الأشعريين. وهي وإن عبرت عن شيء فإنَّها تعطي روح حب الاستقلال والانفراد بالشؤون الداخلية عن المركز، كما يلاحظ فيه روحًا قبلية، ويفهم منها اعتبار الأرض حق للمقاتلة يتصرفون فيها[(٢)].

ولعلَّ في موقف المسيرين من أهل الكوفة والشام عام ٣٤هـ تعبير أكثر وضوحًا عن نزعة القبائل البدوية في كره الحكم المركزي وعدم الرِّضا عن مركزية قريش[(٣)].

التحليل الثاني:

جاء في النص: "وتأسَّست القوات البحرية لجيش المسلمين ووصلوا إلى جزيرة قبرص".

السؤال المطروح، من هو الذي أسَّس هذا الأسطول في بلاد الشام، أليس معاوية بن أبي سفيان. ألا يعدّ هذا من منجزاته في حماية الدولة الإسلامية؟

---

(١) المصدر نفسه، ج٤، ص٢٦٤-٢٦٥.

(٢) حمدان، نشأة الخلافة، ص٩٤.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٧٩.

وقد جاء في النص أنَّ الخليفة عثمان نفى أبا ذر: "أبو ذر وبسبب اعتراضه على عثمان أُبْعِد إلى قرية نائية وتوفي هناك".

رأى أبو ذرّ ﷺ أنَّ الولاة قد توسّعوا في المراكب والملابس والبيوت والانغماس الزائد في الدنيا، فمن الطبيعي أن يحدث تحوُّل في موقفه تجاه ولاة عثمان وهو يرَى ما حذّر منه أبو بكر وعمر يزداد يومًا بعد يوم، ثم انطلاق الصحابة في فجاج الأرض واتساعهم في البناء والكنز، فاعترض على معاوية وهو يبنِي قصر الخضراء بدمشق، فيقول: يا معاوية: إن كانت هذه الدار من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت من مالك فهذا الإسراف.

أما السبب المباشر لخروجه من المدينة إلى الربذة فهو الخلاف الذي وقع بينه وبين معاوية حينما كان في الشام حول تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [التوبة:٣٤].

فبعث معاوية إلى عثمان يخبره ما يفعل من حثِّ الفقراء على مطالبة الأغنياء بما لهم من حق في أموالهم ويغلِّظ القول للأغنياء حتى إذا ما شاهدوه وابتعدوا عنه، وكان أبو ذر ﷺ لا يقبل من الأغنياء إخراج الزكاة فقط بل الإنفاق الشديد حتى لا يبقَى عنده إلا ما يكفيه لحاجاته الضرورية، عن الأحنف بن قيس قال: "كنت بالمدينة فإذا أنا برجل يفرّ الناس منه حين يرونه قال: قلت من أنت؟ قال: أنا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ قال: قلت: ما يفر الناس منك؟ قال: إني أنهاهم عن الكنوز بالذي كان ينهاهم عنه رسول الله ﷺ"[١].

(١) انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٥، ص١٧٧.

ولما وصل أبو ذر إلى المدينة المنورة اجتمع حوله الناس وأخذ يطلق من الكلام ما لم يكن يصدر منه في عهد عمر بن الخطاب فخشي من العامة أن تثور وتحصل الفتنة، فإنَّ أبا ذر كان يحملهم على التزهُّد وهذا الأمر لا يتحمله جميع الناس وإنَّما هي مخصوصة ببعض المسلمين الذين وصلوا إلى مستوى معين من الزهد والترفع عن الدنيا وملذاتها، فقال عثمان ﷺ لأبي ذر: "لو اعتزلت" ويقصد من ذلك إبعاده عن الناس؛ لأنه صاحب مذهب يجب عليه أن ينفرد به بنفسه، فخرج إلى الربذة[1].

(١) للمزيد انظر: الدراسة الجامعية بعنوان أبي ذر وآراءه في السياسة، ص١٦١ وما بعدها.

خلافة الامام علي (عليه السلام)

يقول النص: "والذي فلق الحبوب وخالق الكائنات، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة وما أخذ الله على العلماء أن لا يُقارُّوا على كِظَّة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها".

(نهج البلاغة / الخطبة الثالثة)[1]:

يضيف النص: "بعد عثمان وبعد مرور ٢٥ سنة على يوم عيد الغدير اليوم الذي نصب فيه الرسول ﷺ الإمام علي لقيادة المسلمين، طلب الناس من الإمام علي أن يكون الخليفة، في البداية رفض قبول الخلافة، ونتيجة لإصرار الناس على ذلك قَبِل، وكان أول من بايع الإمام علي طلحة والزبير.

عندما تولى الإمام علي الخلافة كان المجتمع الإسلامي يعانِي من مشاكل كثيرة، وخلال تلك السنوات كان قد تم فتح أراضٍ واسعة وزاد عدد المسلمين، ولكن بعض العرب كانوا يخالفون تعاليم الإسلام وكانوا يفرِّقون بين العرب وغير العرب، وكذلك ومع التوسع وفتح الكثير من الأراضي وحصول المسلمين على الكثير من الغنائم، ولكن مع وجود قانون الإسلام الذي يدعو إلى مراعاة العدالة كان عدد منهم بدون وجه حقّ يجمعون لأنفسهم الثروات الكبيرة، بالإضافة إلى ذلك أولئك الذين لم يكونوا مؤهلين لحكم المسلمين، ومع ذلك كانوا يصدرون الأوامر، لهذا قام الإمام علي عليه السلام بعزل الحكَّام غير المؤهلين، وكذلك ساوى بين كل المسلمين سواء كانوا عربًا أو غير عرب فقراء أو أغنياء".

---

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته ادبيات وعلوم إنساني)، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، جاب يزدهم، ١٣٨٩، ص ١١١.

يضيف النص: "سعد الكثير من الناس بما قام به الإمام علي عليه السلام، الإيرانيون كذلك شهدوا بوضوح تأثير عدالة الإسلام من خلال نمط حكمِه وتعلَّقوا به أكثر فأكثر، وكان هناك أيضًا فريق غير راضٍ من أعمال الإمام.

في الدرس القادم ستتعرف على بعض هؤلاء الأفراد والمشاكل التي سببوها للإمام علي عليه السلام".[1]

وبعد نهاية النص، تطرح الأسئلة التالية على الطلبة:

الأسئلة والبحث:

١- يوم غدير خم بماذا أمر الرسول الكريم لإدارة المجتمع الإسلامي من بعده؟

٢- لماذا لم يصل الإمام علي عليه الإسلام إلى الخلافة بعد عمر؟

٣- أي من أجزاء إيران لم يتم فتحها في عهد خلافة عثمان؟ ولماذا؟

٤- ما المشاكل التي واجهها الإمام علي عندما قبل بالخلافة؟ اكتب اثنتين من هذه المشاكل[2].

تحليل النص:

يحاول النص التأكيد من جديد على أحقية آل البيت بالخلافة، وأنَّ هذا الحق رد

---

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلى، مرحله دوم تعليمات عمومي، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٩، ص ١٧-١٨.

(٢) المصدر نفسه، ص١٨.

إلى أصحابه "بعد مرور ٢٥ سنة على يوم عيد الغدير اليوم الذي نصب فيه الرسول ﷺ الإمام علي لقيادة المسلمين".

كما يحول تذكير الدارسين- كالعادة- بأن المسلمين قد تخلَّوا عن حق آل البيت في الحكم وتخليهم عن دعم علي بن أبي طالب ﷺ صاحب الحق الشرعي.

أكرِّر ما قلته في موضوع حديث الغدير بأنَّ هذا الكلام فيه إساءة لعلي بن أبي طالب ﷺ. فإذا كان أمر الحكم والإمامة محسومًا كما يدعي الشيعة من خلال حديث الغدير، وأنه أمرٌ من الرسول ﷺ، فهو بالتالي أمر غير قابل للنقاش أو التفاوض، بل واجب التنفيذ امتثالاً لأمر النبي ﷺ، فإذا جانب الصحابة وغالبية المسلمين الحق- كما يزعمون- فكيف يرفض علي بن أبي طالب الخلافة (وهو صاحب الحق الشرعي بأمر من النبي).

كما يحاول النص الإساءة للصحابة من خلال قوله: "وكان أيضًا هناك فريق غير راضٍ من أعمال الإمام". وقوله: "في الدرس القادم سنتعرف على بعض هؤلاء الأفراد والمشاكل التي سببوها للإمام علي عليه السلام".

وفي موقع آخر يقول النص: "بعد مقتل عثمان اقترح المسلمون الخلافة على الإمام على ليحلَّ أزمة المشاكل التى عمَّت المجتمع الإسلامى، سيدنا على ووفقًا لمعرفته بالناس في ذلك الوقت رفض الأمر في البداية، ولكنه في النهاية ومع إصرار الناس قبل الخلافة، قام الإمام عليه السلام في بداية تولِّيه الخلافة بعزل كل الولاة الذين كانوا في عهد عثمان، واهتم بتوزيع الثروات العامة بالعدل، وسعى عليه السلام إلى إحياء طريقة حكم الرسول ﷺ وتنمية العدالة الاجتماعية في مجتمع يفصله خمسة وعشرون عامًا عن القيم الاجتماعية للعصر النبوي، وقد واجه مشاكل

ومعارضة كبيرة، المعارضون الأصليون للحركة طالبى[١] عدالة الإمام على عبارة عن:

طالبو الامتيازات: طريقة إدارة حكومة عثمان في توزيع الثروات العامة وعزل وتنصيب السياسيين والعسكريين، أدَّى إلى تلاشي روح المساواة والأخوة التي كانت سائدة في العصر النبوي، الأشخاص الذين لهم تاريخ في الإسلام أو لهم دور في انتشار الإسلام طالبوا بامتيازات اقتصادية وسياسية خاصة، بالإضافة إلى أشخاص مثل طلحة والزبير الذين كان لهم دور في الشغب ضد عثمان، كانوا يعتقدون أنهم يستحقون الحصول على امتيازات خاصة من الإمام علي، ولم يكونوا مستعدين لقبول توسيع العدالة الاجتماعية والاقتصادية، عى الرغم من أنهم بايعوا الإمام علي في البداية، ولكنهم بعد مدة قصيرة نقضوا البيعة. وبدأوا في حشد الحشود، إنَّ جهود الإمام علي عليه السلام لم تصل إلى نتيجة لدفع الفتنة، وفُرِضَت عليه حرب الجمل، وقعت هذه الحرب في أطراف البصرة، بعد انتصار الإمام علي عليه السلام على أصحاب الجمل (طلحه الزبير وعائشة) ذهب إلى الكوفة، واتخذ من هذه المدينة مركزًا لخلافته"[٢].

---

(١) تاريخ إيران، ص ١١١.

(٢) تعليمات اجتماعي، بنجم دبستان، ناشر شركت جاب ونشر كتابهايى درسى ايران، ١٣٨٨، ص٨٨-١٣٣.

قرآن وتعليمات ديني دين وزندكى، سال سوم متوسطه، ناشر شركت جاب ونشر كتابهايى درسى ايران، جاب ششم، ١٣٨٩، ص ٧٩-٨٧.

تحليل النص:

لا بدَّ من التفصيل في أسباب خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة، نهدف من ذلك إجلاء الحقيقة للأحداث.

ذهب الناس مذاهب شتى في خروج عائشة وطلحة والزبير على علي ﷺ جميعًا، وجنح الخيال ببعض الباحثين إلى القول بأن عائشة كانت ولا تزال واجدةً على موقف عليٍّ منها في حادثة الإفك[١]. فكرهت إمارته، وأرادت أن تفسد عليه أمره، وهذا القول أبعد ما يكون عن الحق والحقيقة، فعائشة أتقَى وأبرّ من أن يكون هذا خُلُقها، وسوف نرى فيما دار بينها وبين علي بعد معركة الجمل أنها لم تكن تفكِّر في شيء من هذا مطلقًا.

كما ذهب البعض إلى أن طلحة والزبير خرجَا علي علي؛ لأنه رفض أن يوليهما على بعض الولايات[٢]. وادعى البعض أنهما بايعَا مكرهيْن، وكلا الزعمين غير مُسَلَّم به؛ أما أولهما: فإن طلحة والزبير قد رفضَا الخلافة ذاتها، فكيف يغضبان من أجل الولاية؟ كما أنهما لم يتولَّيَا شيئًا من الأعمال في عهود أبي بكر وعمر وعثمان، وذلك حرصًا من الخلفاء على بقاء كبار الصحابة إلى جوارهم في المدينة للتشاور معهم في أمور الأمة، والاستفادة بآرائهم وحكمتهم، فطلحة والزبير أكبر من أن يَغْضبا على فوات ولاية. وأما ثانيهما: فقد سبق أن عرفنا أن طلحة والزبير كانا مع الصحابة الذين ألَحُّوا على علي في قبول البيعة، وأنهما بايعاه طائعين، ثم لماذا يُكْرِهُما الخليفة على بيعته، وقد تخلف عنها غيرهما من كبار الصحابة ولم يكرههم على ذلك،

---

(١) انظر: طه حسين، الفتنة الكبرى، ج٢، ص٢٠-٢٥.

(٢) المصدر السابق نفسه.

مثل سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، وحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وأبي سعيد الخدري، ومحمد بن مسلمة، والنعمان بن بشير ونفر وغيرهم؟[(١)].

فلماذا يلجأ الخليفة إلى إكراه طلحة والزبير، وليس غيرهما بأقل منهما شأنًا وتأثيرًا، أغلب الظن أن الروايات التي تبرز أمر إكراههما على البيعة إنَّما ترمي إلى الربط بين الإكراه وبين الخروج إلى البصرة حتى تشكك في نواياهما الحقيقة في الخروج، والتي لم تكن إلا اجتهادًا لأخذ الثأر من قتلة عثمان.

فإذن خروج عائشة وطلحة والزبير لم يكن لسبب من تلك الأسباب، وإنما كان ذلك- في اعتقادي- اجتهادًا منهم للمطالبة بدم عثمان. وقد كلم طلحة والزبير عليًّا في أمر القصاص من قتلة عثمان بعد بيعته مباشرة، وقبل أن يغادرا المدينة، فقال لهما: يا أخوتاه، إنِّي لست أجهل ما تعلمون ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم، ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم وثابت إليهم أعرابكم، وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا، فهل ترون موضعًا لقدرة على شيء مما تريدون؟ قالوا: لا. قل: فلا والله لا أرى إلا رأيًا ترونه إن شاء الله"[(٢)]. ثم وعدهم بعد أن تهدأ الأمور أن ينظر وإياهم في الأمر، فوافقوا على ذلك، ولكنهم حينما تذكروا مع عائشة وبني أمية في مكة مقتلَ عثمان هالَهم الأمر وأحسوا بتقصيرهم عن نصرته، وشعروا بالذنب الذي أوقعتهم فيه دعايات الثوار ووشايتهم على عمال عثمان حتى ظنوا ذلك صحيحًا، لدرجة أنهم كانوا يتعاطفون معهم أحيانًا ويشاركونهم في توجيه النقد للخليفة أحيانًا أخرى، ولكنهم لم يكتشفوا كذب الثوار وتجنيهم على عثمان وعماله إلا بعد فوات الأوان. وقد جاء ذلك صريحًا على لسان عائشة

(١) انظر فيمن تخلف عن بيعة علي من الصحابة: الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٢٨-٤٣٠.
(٢) الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٣٧.

رضي الله عنها؛ حيث قالت قبل معركة الجمل: "كان الناس يتجنون على عثمان ﷺ ويزرون على عماله، ويأتوننا بالمدينة، فيستشيروننا فيما يخبرونا عنهم، ويرون حسنًا من كلامنا في صلاح بَيْنِهم، فننظر في ذلك فنجده برًا تقيًّا وفيًّا، ونجدهم فجرة كذبة يحاولون غير ما يظهرون، فلما قووا على المكاثرة كاثروه، فاقتحموا عليه داره واستحلوا الدم الحرام، والمال الحرام، والبلد الحرام، بلا ترة ولا عذر، ألا إن مما لا ينبغي لكم غيره، أخذ قتلة عثمان ﷺ، وإقامة كتاب الله عزّ وجلّ"[1].

وكانت عائشة كثيرًا ما تردد قولها: "غضبت لكم من سوط عثمان أفلا أغضب له من سيوفكم"، ولهذا فقد دفعهم هذا الشعور بالتقصير والإحساس بالذنب إلى ما أداهم إليه اجتهادهم، وهو النهوض للقصاص من قتلة عثمان ﷺ وهو وإن كان اجتهادًا قد جانبه الصواب، إلا أنَّ ذلك لا يقدح في شخصياتهم؛ فالصحابة ليسوا معصومين من الخطأ، وهم لم يكونوا يتعمدونه أو ينوون به شرًّا.

*** مسير عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة:**

أجمعت عائشة وطلحة والزبير على المسير إلى البصرة، وكان معهم حوالي ألف رجل، جهَّزهم يعلى بن أمية وعبد الله بن عامر، ثم لحق بهم حوالي ثلاثة آلاف[2]، وكلما اقتربوا من البصرة ازدادت أعدادهم نظرًا لوجود عائشة معهم، حتى بلغ عددهم نحوًا من ثلاثين ألفًا. فلما علم والي البصرة عثمان بن حنيف بوصولهم، أرسل عمران بن حصين وأبا الأسود الدؤلي، وقال لهما: "انطلقا إلى هذه المرأة فاعلما علمها وعلم من معها".

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٦٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٠٨.

فخرجا فانتهيا إليها وإلى الناس وهم بالحفير، فاستأذنا لها، فسلَّما وقالا: إن أميرنا بعثنا إليك نسألك عن مسيرتك، فهل أنت مخبرتنا؟ فقالت: والله ما مثلي يسير بالأمر المكتوم، ولا يغطي لبنيه الخبر؛ إنَّ الغوغاء من أهل الأمصار ونزاع القبائل، غزو حرم رسول الله ﷺ وأحدثوا فيه الأحداث، وآووا فيه المحدثين، واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله، مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عذر... فخرجت في المسلمين أُعْلِمهم ما أتى هؤلاء القوم[١]. ثم خرجا من عندها، فأتيا طلحة والزبير، وسألاهما عن سبب مسيرهما إلى البصرة، فقالا لهما: "الطلب بدم عثمان"[٢]. رجع عمران وأبو الأسود إلى عثمان بن حنيف فأخبراه الخبر، فقال: "إنا لله وإنا إليه راجعون! دارت رحى الإسلام ورب الكعبة"[٣]. وعزم على منعهم من دخول البصرة. ودارت بينهم معركة عند الزابوقة وكان الذي أشعل المعركة رجال عثمان بن حنيف، وبصفة خاصة حكيم بن جبلة العبدي، أحد زعماء الفتنة، أما عائشة وطلحة والزبير فلم يكونوا راغبين في القتال، بل كانوا يناشدون رجال ابن حنيف الكفَّ عن القتال فيأبون[٤]، ولكن لما عضتهم الحرب وكثرت القتلى تنادوا إلى الصلح: "ثم اصطلحوا وكتبوا بينهم كتابًا، أن يكفوا عن القتال، ولعثمان دار الإمارة والمسجد وبيت المال، وأن ينزل طلحة والزبير حيث شاءا، ولا يعرض بعضهم لبعض حتى يقدم علي"[٥].

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٦٢.
(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص٤٦٢.
(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص٤٦٣.
(٤) المصدر نفسه، ج٤، ص٤٦٦.
(٥) تاريخ خليفة بن خياط، ص١٨٣.

*** مسيرة علي إلى البصرة:**

قرَّر الإمام علي ﷺ تأجيل مسيره إلى الشام، وأن يتوجه إلى البصرة، لمواجهة هذا الموقف الجديد، الذي لم يكن في حسبانه، فسار حتى وصل إلى ذي قار، فوافاه هناك حوالي أثني عشر ألفًا من أنصاره من الكوفة، ومع أن القتال كان قد نشب من جديد بين والي البصرة عثمان بن حنيف وبين طلحة والزبير، وأنهم أخرجوه من دار الإمارة، ونتفوا لحيته وأهانوه وحبسوه، ثم أطلقوا سراحه، بناءً على أمرٍ من عائشة، فوافى عليًّا فأخبره الخبر، رغم هذا كله إلا أن عليًّا- كبرهان على عدم رغبته في القتال- أرسل إليهم رجلًا من خيرة الصحابة وهو القعقاع بن عمرو، ليعرف خبرهم وماذا يريدون، فقال له: "ألق هذين الرجلين... فادعهما إلى الألفة والجماعة وعظّم عليهما الفرقة"[1]، فخرج القعقاع إلى البصرة، وبدأ بعائشة، وقال لها: "أي أمه ما أشخصك وأقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بني، الإصلاح بين الناس، قال: فابعثي إلى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما، فبعثت إليهما فجاءا، فقال لهما: إنني سألت أم المؤمنين ما أقدمها، فقالت: الإصلاح بين الناس، فما تقولان أنتما؟ متابعان أم مخالفان؟ قالا: متابعان، قال: فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح، فوالله لئن عرفناه لنصلحن، ولئن أنكرناه لا نصلح، قالا: قتلة عثمان، فإن هذا إن ترك كان تركًا للقرآن، قال: قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة[2]. وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم، قتلتم ستمائة رجل فغضب لهم ستة آلاف،

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٥٨٧-٥٨٨.

(٢) كان معظم الذين اشتركوا في الفتنة وقتل عثمان، قد قتلوا في المعارك التي دارت في البصرة قبل قدوم علي، ما عدا حرقوص بن زهير السعدي، فقد منعه قومه فلم يستطع أحد الوصول إليه.

واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم، وطلبتم حرقوص بن زهير، فمنعه ستة آلاف، فإن تركتموهم كنتم تاركين لما تقولون، وإن قتلتموهم والذين اعتزلوكم فأديلوا عليكم، فالذي حذرتم وقويتم به هذا الأمر أعظم مما أراكم تكرهون، وإن أنتم منعتم ربيعة ومضر من هذه البلاد اجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرة لهؤلاء، كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير. قالت عائشة: فما تقول أنت؟

قال: أقول: إن هذا الأمر دواؤه التسكين، فإذا أسكن اختلجوا وإن بايعتمونا فعلامة خير، وتباشير رحمة، ودرك بثأر، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه، كانت علامة شر، وذهاب هذا المال، فآثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم، ولا تعرضونا للبلاء، فتعرضوا له فيصرعنا وإياكم... قالوا: قد أصبت وأحسنت، فارجع فإن قدم علي وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر. فرجع إلى علي فأخبره فأعجبه ذلك، وأشرف القوم على الصلح"[(١)].

نستخلص من هذا الحوار حقيقتين، أولاهما: أن عليًّا ﷺ كان على صواب عندما قال لهم من البداية: إنه من الحكمة تأجيل القصاص من القتلة حتى تهدأ الأحوال، فهاهم بعدما قتلوا من قتلوا ازدادت الأمور سوءًا، وتعمقت الأحقاد والثأرات، الحقيقة الثانية أن عائشة ومن معها خرجوا يبغون الإصلاح حسب ما أداهم إليه اجتهادهم وأن طلحة والزبير لم يكن غضبهما لفوات إمارة منعها عنهما الخليفة كما يدَّعي بعض الباحثين[(٢)].

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٨٩.

(٢) طه حسين، الفتنة الكبرى، ج٢، ص٢٠.

وخلاصة القول: إن الجميع كانوا يريدون الإصلاح –كل حسب اجتهاده– ولكن عناصر الشر التي كانت لا تزال على عهدها، أفسدت هذا المسعى الخير الذي قام به القعقاع بن عمرو.

***السبئية يفسدون أمر الصلح ويبدأون المعركة:**

سُرَّ علي غاية السرور بالنتيجة التي توصل إليها القعقاع مع طلحة والزبير وعائشة وسُرَّ بها أهل الصلاح من الفريقين، وباتوا يغمرهم الفرح، ولكن السبئية الذين كانوا في جيش علي ما أن وصلتهم أخبار الصلح المرتقب حتى راحوا يعملون على إفساد الأمر، ومنع وقوع الصلح بين الفريقين.

ونقول للحقيقة إن عليًّا لم يكن له حيلة في وجودهم في جيشه، فلم يكن قادرًا على إبعادهم؛ لأنهم كانوا قوة كبيرة والذي يلومه على وجودهم في جيشه لا يقدِّر الظروف الواقعية حق تقديرها[1]. على أية حال تحرك السبئية ونشط عبد الله بن سبأ بين أتباعه يُحرِّضهم على القتال، وقال الأشتر النخعي: لما علم بأنباء الصلح: "قد عرفنا رأي طلحة والزبير فينا، وأما علي فلم نعرف رأيه إلى اليوم، ورأى الناس فينا واحد، فإن يصطلحوا مع علي فعلى دمائنا، فهلموا بنا نثب على علي فنلحقه بعثمان– فتعود فتنة يرضى منا فيها بالسكون[2]. ولكن هذا الرأي الخطير، الذي أبداه الأشتر لم يعجب ابن السوداء وكأنه لم يقنع بقتل علي وحده، بل يريدها حربًا شاملة تذهب بالمسلمين جميعًا، فرفض فكرة الأشتر وقال له: "بئس الرأي

(١) انظر: الذهبي، دول الإسلام، ج١، ص٢٨.

(٢) الطبري، تاريخ: ج٤، ص٤٩٣. وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٥٩٨–٥٩٩.

رأيت"(١). وبدأ يحض أتباعه على القتال قبل أن يصبح الناس، فكان له ما أراد، فقد داهمت فرقة من جيش علي– دون علمه– جيش طلحة والزبير وعائشة في جنح الظلام، والتحم القتال ولم يستطع أحد إيقافه، وقتل من الفريقين نحو عشرين ألفًا، من بينهم طلحة والزبير، وكثر القتل حول الجمل، ولولا أمر علي بعقره، لكانت العاقبة أفظع مما حدث(٢).

ومن هنا فإن إلقاء تبعة هذه المعركة على هذا الفريق أو ذاك من الصحابة درب من الظن الذي لا ينفك غالبًا من الإثم، ولهذا فنحن مع ابن خلدون حين يقول: "وإذا نظرت بعين الإنصاف عذرت الناس أجمعين... وعلمت أنها كانت فتنة ابتلى الله بها الأمة"(٣).

وإذا كان من واجب المؤرخ أن يبحث عن الأسباب والدوافع في مسار حوادث التاريخ، فإنه لا يفوته أن يُنَبِّه إلى استخلاص العبر منها، ولا شك أن خير الأمة الإسلامية وأمنها كان يكمن في وحدتها واتفاق كلمتها، واعتصامها بحبل الله المتين أمام تلك الفتنة الشعواء.

٢– **الأمويون والمقربون لهم**: يقول النص "كان للامويين سيطرة ونفوذ في عهد الخلفاء الثلاثة الأوائل في المجتمع الإسلامى، من بينهم معاوية بن أبي سفيان الذي عيّنه والي علي الشام ويومًا بعد يوم زاد نفوذه وقدرته في الشام ومصر، وصلت قدرة

---

(١) انظر: الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٩٤.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط، ص١٨٢ وما بعدها، والطبري، تاريخ، ج٤، ص٥٠٦ ومن بعده وابن الأثير.

(٣) المقدمة، ج١، ص٢٢٧.

وثروة معاوية وسائر أفراد عائلته إلى أوجها في عهد خلافة عثمان، في التاريخ معروف أن هذه الجماعة الأشرار وصل ظلمهم إلى فلسطين وقتلوا الكثيرين، لم يكن أحد على استعداد للتخلِّي عن السلطة وحتى تحمل قدرة حكومة الإمام على عليه السلام.هؤلاء بقيادة معاوية بحجة المطالبة بالثأر لمقتل عثمان، وحملوا المجتمع الإسلامى حربًا أخرى هذه الحرب وقعت في منطقة صفين مكانٍ على الحدود بين الشام والعراق، على عتبة انتصار الإمام على، بمؤامرة من عمرو العاص الذي كان من جيش الأمويين، جيش معاوية وضعوا القرآن على الرماح وطالبوا بالحكومة، جهود أصحاب الإمام الصادقة مثل مالك الأشتر لم تصل إلى نتيجة، وبسبب ضيق نظر التحكيم لبعض أفراد جيش الإمام علي حمَّلوه أيضًا هذه الحرب.

بهذا الشكل نجا معاوية من الهزيمة القطعية"[1].

تحليل النص:

لا بدَّ من توضيح أمور حول الأمويين وخاصة في عهد النبيﷺ.

إن معظم الأمويين كانوا قبل فتح مكة بقيادة أبي سفيان بن حرب في الجبهة المعادية للرسول ﷺ بل كانت لهم قيادة قريش وحلفائها في كل المعارك، إلى أن كان فتح مكة فأسلموا جميعًا وحسن إسلامهم. وبعد أن أسلموا وعرفوا حقيقة الإسلام وعظمته أدركوا جسامة الخطأ في تأخُّرهم عن الإسلام، وأنَّ هذا التأخير قد نزل بهم درجة عن السابقين. كتب أبو سفيان لابنه معاوية بعد أن ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام خلفًا لأخيه يزيد. فقال له: "يا بني إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا

(١) تاريخ إيران رشته ادبيات وعلوم إنساني، ص ١١٢.

وتأخرنا، فرفعهم سبقهم وقدمهم عند الله وعند رسوله، وقصر بنا تأخيرنا، فصاروا قادة وسادة، وصرنا أتباعًا، وقد ولوك جسيمًا من أمورهم فلا تخالفهم"[١].

فهذا كلام رجل مدرك لحقيقة موقفه وموقف أسرته، نادم على تأخُّر إسلامه وإسلامهم؛ لأن هذا التأخير قعد بهم عن مركز الصدارة الذي كانوا يحتلونه، فلو أسلموا من البداية لكان لهم التقدم والقيادة، وفي الحقيقة يمكن القول إن أبا سفيان وسائر بني أمية، الذين كانوا يتمتعون بمركز ممتاز في مكة قبل الإسلام، قد تصوَّروا أن الإسلام خطر على مركزهم الاجتماعي والاقتصادي، فقاوموه وصدوا الناس عنه، ولو كانوا يعلمون أن الإسلام ما جاء إلا لينتشلهم من وهدة الشرك والوثنية إلى الوحدانية الحقة، وليفتح أمامهم أبواب المجد الحقيقي لما أبطأوا عنه. فلما تبين لهم ذلك ورأوا أمر الإسلام قد ظهر واتضح وعلموا أنه لو كان مع الله إله آخر لا غنى عنهم شيئًا- كما قال أبو سفيان-، وشرح الله صدورهم للإسلام، أسلموا إسلام الشرفاء، وأقبلوا على الإسلام يضاعفون جهودهم ليكفروا عن تأخيرهم وسابق عداوتهم، ويعوضوا ما فاتهم من الجهاد مع رسول الله ﷺ فألقوا بأنفسهم في معارك الإسلام الكبرى، غير هيَّابين ولا وجلين، واستشهد منهم من استشهد- وهم كثيرون، ولم يتوانَ من تأخر به الأجل عن خدمة الإسلام والإخلاص له.

وقد عرف النبي ﷺ للأمويين قدرهم، فسُرّ بإسلامهم، ورحب بهم وأفسح لهم مكانًا في دولته لتستفيد بجهودهم ومقدرتهم. فقد أعطى رسول ﷺ لأبي سفيان ميزة لم يعطها أحدًا من أهل مكة، حين قال: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن"، وهذا شرف كبير حازه أبو سفيان، يدل على تقدير الرسول للزعماء وأصحاب

(١) البداية والنهاية، ج٨، ص١١٨.

الكلمة في قومهم، واستعمل الرسول ﷺ أبا سفيان على نجران، استجابة لطلبه، كما اتخذ ابنه معاوية كاتبًا له. روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس، أن أبا سفيان طلب من النبي ﷺ أن يُؤمِّره حتى يقاتل الكفار كما كان يقاتل المسلمين، وأن يجعل معاوية كاتبًا بين يديه فاستجاب له النبي ﷺ(١)، وكان أول والٍ على مكة – وهي أشرف بلاد الله- بعد فتحها رجلًا من بني أمية، هو عتاب بن أسيد بن أبي العيص ابن أمية بن عبد شمس.

كما استعمل رسول الله ﷺ عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية على قرى خيبر ووادي القرى وتيماء وتبوك، وقبض رسول الله ﷺ وعمرو عليها(٢). كما استعمل الحكم بن سعيد بن العاص على سوق مكة(٣)، واستعمل خالد بن سعيد بن العاص على صنعاء(٤). واستعمل أبان بن سعيد بن العاص على البحرين، وقبض رسول الله ﷺ وهو عليها(٥).

كما كان أبان وخالد ابنا سعيد بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان إضافة إلى عثمان بن عفان ﷺ من كُتَّاب الرسول ﷺ(٦).

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٦، ص٦٢؛ والبداية والنهاية، ج٨، ص١١٩.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط، ج٩٧.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) أبو الحسن الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص١٥٩-١٦٢.

وخلاصة القول: فقد قبض رسول الله ﷺ ومعظم رجالات بني أمية على مختلف الأعمال، من الولاية والكتابة، وجباية الأموال، ولا نعرف قبيلة من قبائل قريش فيها عُمَّال لرسول الله ﷺ أكثر منهم(١).

واستعمال النبي ﷺ لأكثر رجال بني أمية، أكبر دليل على كفاءتهم وأمانتهم، فلو لم يكن الرسول ﷺ مطمئنًا إلى كفاءتهم وقدرتهم وأمانتهم، لما عهد إليهم، بعمل من الأعمال لأنَّ النبي ﷺ لم يكن يحابي أحدًا- حاشا لله- ولم يكن يستعمل إلا أهل الكفاية والأمانة.

٣- **الخوارج**: يقول النص: "هؤلاء المعروفون أيضًا بالمارقين في خضم معركة صفين أجبروا الإمام على على قبول التحكيم، وعندما وجدوا أن معاوية خدعهم ندموا، ولكن بدلًا من أن يلقوا اللوم على أنفسهم، وبتصرُّف غير منطقى لاموا الإمام، الإمام وبلطف ومن خلال الوعظ سعى إلى هدايتهم ومنع الهيجان، ولكن الخوارج ومن جهلهم وتعصبُّهم أصروا وبالنهاية استعدوا لمواجهة الإمام عسكريًّا، واضطر الإمام إلى مواجهتهم في نهروان، وبنصيحة من الإمام عليه السلام خرج معظمهم من النهر وقتل من بقي منهم أو فرُّوا من المعركة".

لهذا السبب عرفوا بالناكثين (ناقضو العهد).

يضيف النص: "طوال السنوات كان الإمام في نزاع مع المعارضين وأعداء العدالة، البعض رأى مصلحته في الانسحاب والعُزْلة وسكتوا عن الجدال في معركة الحق ضد الباطل، هذه المجموعة المنسحبة عُرِفت في التاريخ بالقاعدين، في الواقع

---

(١) منهاج السنة، ج٣، ص١٧٥.

قويت جبهة طالبى الامتيازات والاستقراطية وجامعى الثروات وضعفت جبهة الحق"[١].

تحليل النص:

مَن هم الخوارج وما هو موقفهم من أمر الخلافة بعيدًا عن كل تجنٍّ:

عرف الخوارج بهذا الاسم بعد التحكيم في معركة صفين، وكانوا قبلها من أشد أنصار علي بن أبي طالب، وحضروا معه موقعة الجمل وصفين، ولكنهم انشقوا عليه بعدها، ورفضوا التحكيم، وحاول علي إقناعهم وردهم إلى الجماعة، ولكنهم تشبثوا بموقفهم، وبالغوا في شقاقهم وتطرَّفوا، حتى عاثوا في الأرض فسادًا، مما جعل عليًّا يقاتلهم ويقضي على معظمهم في معركة النهروان، كما سبقت الإشارة.

وهم لا يرضون عن تسميتهم خوارج؛ لأن هذه التسمية أطلقها عليهم خصومهم لخروجهم على الإمام، وعلى جماعة المسلمين، أما هم فيسمون أنفسهم الشّراة، لأنهم باعوا أنفسهم لله تعالى، على أن لهم الجنة. يشيرون بذلك إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [التوبة:١١١] ويسمون المُحكِّمة، لأنهم قالوا: لا حكم إلا الله.

وكان يطلق عليهم أيضًا الحرورية، نسبة إلى قرية حروراء التي انحازوا إليها بظاهر الكوفة لأول خروجهم على علي، ولما كان سبب خروجهم هو قبول علي التحكيم بينه وبين معاوية، فقد صاغوا لأنفسهم نظرية في الخلافة تقوم على مبدأين

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته ادبيات وعلوم إنساني)، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، جاب يزدهم، ١٣٨٩، ص ١١٢-١١٣.

عامين يجمعان بين فرقهم المتباينة[١].

المبدأ الأول: أن الخلافة ليست وقفًا على قريش كما يذهب أهل السنة[٢]. بل تجوز لكل مسلم يكون أهلًا لها حتى ولو كان عبدًا حبشيًّا، ويجب أن يكون الخليفة باختيار حر من المسلمين، وأنه إذا تم اختياره لا يصح له أن يتنازل عنها، أو يقبل التحكيم[٣]. وفي ضوء هذا المبدأ اعترفوا بخلافة أبي بكر وعمر، أما عثمان فقد اعترفوا بخلافته في شطرها الأول، ثم تبرأوا منه وكفّروه في بقية عهده، وأما علي فقد اعترفوا بخلافته من بدايتها إلى قبوله التحكيم، وبعد قبوله التحكيم لم يعترفوا بخلافته، بل كفّروه[٤]. كذلك لم يعترفوا بخلافة معاوية وسائر بني أمية[٥]، وكفّروهم. كما كفروا عائشة وطلحة والزبير وعمرو بن العاص وأبا موسى الأشعري، وعلى الجملة كفّروا كل من لم ير رأيهم ويذهب مذهبهم من المسلمين واعتبروا دارهم دار كفر، وأباحوا أموالهم ودماءهم، وحتى قتل أطفالهم[٦].

المبدأ الثاني: الذي قامت عليه نظرية الخوارج، هو وجوب الخروج على الإمام الجائر[٧]، وهنا وجه الخطورة في حركتهم كلها، فلو اقتصروا على الخلاف النظري في الرأي، أو الجدال بالحجة والبرهان، لكان الأمر أهون، ولكنهم شهروا السلاح

---

(١) الريس، النظريات السياسية الإسلامية، ص٥٧.

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٦.

(٣) النجار، الدولة الأموية، ص٨٧.

(٤) أبو الحسن الأشعري، مقالات إسلامية، ج١، ص١٥٦، ١٨٩.

(٥) النجار، الدولة الأموية، ص٨٧.

(٦) أبو الحسن الأشعري، مقالات إسلامية، ج١، ص١٥٩، ١٨٩.

(٧) الريس، النظريات السياسية الإسلامية، ص٦٧.

في وجه مخالفيهم، بدءًا من علي بن أبي طالب، وحاولوا فرض آرائهم ومذهبهم بالقوة، وكما تطرفوا إلى أبعد حدٍّ في الرأي والمذهب، فقد تطرفوا في اللجوء إلى القوة والعنف، وكبدوا الأمة وأنفسهم خسائر فادحة، وعكّروا صفو الدولة الأموية، وكانوا من أشد مناوئيها، يقول الدكتور النجار:

"ولم يكن الخوارج إلا فئة من الناس خدعوا بالسراب فرأوا أن الحق في جانبهم وحدهم. وأن الناس جميعًا ليسوا على شيء، ولذا قالوا بكُفْرِ كل من يخالفهم من المسلمين، بل لقد كانوا يرون الكفار المشركين أحسن حالًا من المسلمين المخالفين لمبادئهم"[(١)]. ومما يدل على ذلك قصتهم مع واصل بن عطاء، أحد شيوخ المعتزلة، فقد وقع يومًا في أيديهم هو وبعض أصحابه، فخافوهم على أنفسهم عندما سألوهم من أنتم فقالوا: نحن مشركون مستجيرون[(٢)]. فتركوهم ونجوا بذلك من أذاهم.

ومع خطورة أفكار الخوارج، التي لا زالت تجد لها مكانًا في عقول بعض شباب المسلمين، الذين يُكفِّرون المجتمع المسلم كله لقلة فهمهم لروح الإسلام، إلا أننا لا نستطيع أن نحكم عليهم بالكفر، وأصدق وصف لهم ما قاله لهم عمر بن عبد العزيز: "أردتم الآخرة وأخطأتم طريقها"[(٣)]، فضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

---

(١) الدولة الاموية، ص٨٨.

(٢) المبرد، الكامل، ج٣، ص١٦٤، يحدث هذا مع أحد رؤوس المعتزلة مع أن أفكار ومبادئ المعتزلة أقرب ما تكون إلى فكر الخوارج، انظر: مقالات الإسلاميين، ج١، ص١٨٩.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٢٠١.

وتعود الكتب المدرسية لتفسير موضوع خلافة سيدنا على كرم الله وجهه في موقع آخر من خلال تناول موضوعات مرتبطة بذلك من أبرزها معايير التحكيم.

يقول النص: "لأن الكثيرين من مخالفى الإمام على عليه السلام يشكلون شخصيات بارزة، وكان لهم في الظاهر اعتبار دينى، فإن الإمام عليه السلام كان وبصعوبة يستطيع تعبئة الناس ضد هذه الشخصيات البارزة، الإمام عليه السلام وفي خطبة تاريخية له وبكلام ملمح للناس، وقال بدلًا من أن نحكم على الناس بظاهرهم يجب أن نحكم وفق معايير الحق والباطل، في البداية يجب أن نسعى لمعرفة الحق من الباطل، بعد ذلك نحكم وفق معايير الحق على الأفراد، نعرف أفكارهم وتصرفاتهم".

يضيف النص: "الأيام الأخيرة لخلافة الإمام على عليه السلام: ما حدث في التحكيم وصراع الإمام مع الفتن والخوارج، كان سببًا لزيادة تمرُّد معاوية، بناء على ذلك بعد معركة نهروان قرّر أن يستعد لمواجهة الأمويين مرة أخرى، ولكن في هذه الحالة وقد قتل أفضل أصحاب الإمام مثل محمد بن أبي بكر ومالك الأشتر بمؤامرة من معاوية، لم يكن الناس في الكوفة مستعدين لمرافقته في معركة أخرى، تألم الإمام من فتنة الأعداء وشهادة أصحابه، وضعف من معه، وسعى أيضًا من أجل إصلاح الأوضاع في المجتمع الإسلامى، وفي النهاية في التاسع عشر من رمضان من سنة أربعين هجريًّ– قمريًّا جرح بمسجد الكوفة وبسيف مسموم لابن ملجم من بقايا الخوارج– واستشهد بعد يومين(١).

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري، ص ١١٣.

*** مبايعة الإمام علي (عليه السلام):**

تشير الكتب المدرسية في موقع أخر حول حيثيات مبايعة سيدنا علي كرم الله وجهه.يقول النص: "قلنا إنَّ المسلمين بايعوا سيدنا عليًّا عليه السلام بحماس، يعني عاهدوه أن يطيعوا أوامره، استقرَّ سيدنا علي في مدينة الكوفة في العراق والتي بناها المسلمون، واتخذها مركزًا لخلافته، كان يعيش مثل المحرومين والمظلومين حياة بسيطة، كان يسعى لتحقيق العدالة، ويرفع أيدي الطغاة عن بيت مال المسلمين، لهذا السبب ومع بداية خلافة سيدنا علي ووضوح طريقة حكمه، قام بعض الاستغلاليين بنقض بيعتهم وبدأوا في معارضته ومخالفته إلا أنهم هزموا في النهاية".(١)

تحليل النص:

من الذي بنا الكوفة وفي عهد من كان البناء والتمصير؟

لماذا التعميم "بناها المسلمون". لماذا محاولة تجاهل فضائل عمر الفاروق على الأمة ومحاولة تبخيس دوره في مجريات التاريخ الإسلامي.

ألم يكن بناء الكوفة والبصرة أول إنجاز حضاري للخليفة العادل عمر بن الخطاب ﷺ. لتكون مقرًّا للجيوش الإسلامية التي استطاعت تحطيم جيوش بني ساسان؟

وتسهب الكتب المدرسية في تناول موضوع الحرب مع معاوية:

---

(١) تعليمات اجتماعي، بنجم دبستان، اداره كل جاب وتوزيع كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٨، ص٩٠.

يقول النص: "بعد فترة أصبحت كل الأراضي الإسلامية باستثناء الشام تابعة لسيدنا علي، في ذلك الوقت كان معاوية بن أبي سفيان حاكمًا للشام، سيدنا علي عليه السلام عزل معاوية عن حكم بلاد الشام؛ لأنه كان رجلاً ظالمًا وفاسدًا، ولكن معاوية تحايَل على هذا الأمر وبقي في الشام واستمرَّ في معارضته للإمام علي.

في النهاية قامت حرب بين الإمام علي ومعاوية[١].

وفي اليوم الأخير للحرب وكان الانتصار لجنود الإمام علي مؤكدًا، وقع معاوية في حيرة واستشار مستشاره الماكر عمرو العاص، وطلب منه أن يجد له طريقة في أسرع وقت، اقترح على الجنود أن يحملوا المصاحف على الرماح ويصرخوا إننا جميعًا على نهج هذا الكتاب ولا يجب أن يقاتل بعضنا بعضًا.

عدد من جند الإمام علي عليه السلام قبلوا بهذا الاقتراح وانسحبوا من الحرب، وقد حاول سيدنا علي أن يُنَبِّه الجند إلى مكر وخداع الأعداء، إلا أنه لم يوفَّق "[٢].

ثم يتساءل النص من خلال النشاط الصفي تحت عنوان: البحث والمناقشة في الصف: "برأيك لماذ حمل جند معاوية المصاحف على رءوس الرماح؟"[٣].

تحاول الكتب المدرسية إرفاق الصور، لترسيخ المعلومة في ذهن الطالب الإيراني، وعقله، حيث نرَى صورة مرقد الإمام علي في النجف، تَرِد من خلال تطور

---

(١) تعليمات اجتماعي، بنجم دبستان، اداره كل جاب وتوزيع كتاب هاى درسى إيران، ١٣٨٨، ص٩٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٩١.

(٣) المصدر نفسه، ص٩١.

الأحداث التاريخية خلال خلافة علي بن أبي طالب، لربط صورة المرقد بعقلية الطالب، حيث تحاول ترسيخ القيم المذهبية والتوسعية، بأنَّ النجف والعراق هي جزء من إيران حاضنة الشيعة، وفاتيكانهم. سوف نتحدث عن هذا الموضوع في دراسة مستقلة[١].

تحليل النص:

إذا سلَّمنا بما قاله النص من خداع ومكر. نودُّ مناقشة هذا الأمر من نهاية النص: "عدد من جند الإمام علي عليه السلام قبلوا بهذا الاقتراح وانسحبوا من الحرب، وقد حاول سيدنا علي أن يُنَبِّه الجند إلى مكر وخداع الأعداء، إلا أنه لم يوفَّق".

إذًا السبب في النتيجة هم رجال علي بن أبي طالب ﷺ. أليس كذلك؟

*** سياسة الإمام علي (عليه السلام):**

رأينا أن عليًّا قد مُنِي بإخفاق في سياسته وخلافته، في العراق اختلف مع الخوارج وحاربهم، فشُلَّت قوته حتى صار آخر أيامه يرى بعوث معاوية تأتي إلى عقر داره، ثم يرى مصر تخرج من قبضة يده، يتبعها الحجاز ثم اليمن. وفي كل ذلك إخفاق مروِّع فما سببه؟

يكاد المؤرخون يتفقون على أن السبب هو أنه لم يكن يحسن السياسة. ويأخذون عليه مآخذ، فيرون مثلًا أنه أخطأ بعزله الولاة حين ولي الخلافة، وأخطأ خاصة بعزل معاوية، ويقولون: إنَّ حسن السياسة كان يقتضيه أن يدعه ويدعهم، ثم

---

(١) كتاب تاريخ، سوم راهنمايى تحصيلى، شركت جاب ونشر كتاب هاى درسى إيران، ١٣٨٩، ص٢٢.

يتحيَّن الفرص كما أشار عليه المغيرة بن شعبة وعبد الله بن عبد. ويأخذ عليه بعض المؤرخين أنَّه كان رجل حرب لا يرَى حل الأمور إلا عن طريق الحرب، والسياسي لا يستعمل الحسام إلا بعد أن يفل الرأي وينقطع، ويأخذ عليه بعضهم الآخر أنه كان ضعيفًا مع قومه، يخضع لهم ولا يسود عليهم.

تتَّجه هذه المآخذ الكبيرة نحو الدلالة على أن عليًّا لم يكن رجل دولة يهيمن على الحال.

لننظر إلى هذه المآخذ ولنرَ حقيقتها: ليس إنسان منا يشك في أن عليًّا كان ذكيًّا غاية الذكاء، بصيرًا بالأمور، حصيف الرأي، وكان أبو بكر وعمر وعثمان يعرفون ذلك فاتخذوه مستشارًا لهم، وكيف يكون الحصيف العاقل عثمان، بل من الذين أخذوا عليه بعض مآخذ يدلُّ على صحتها استغفار عثمان منها.

ولئن كان يُخَيَّل أن موقف علي من قتلة عثمان قد لا يتفق كل الاتفاق مع راشديته، فإنَّ مجمل سيرته سيرة الراشدين لا ريب في ذلك، بل نحن نقرأ في سيرته تمسُّكه بالعدل والحق تمسكًا شديدًا. فهو يرَى أنَّ الناس سواسية، وأنه لا اختلاف بينهم، وأن يكون توزيع الغنائم التي تُرَدّ بيت المال بالتساوي بين أفراد الأمة، وقد طبق هذا المبدأ في عصره بالرغم من الصعوبات الكبيرة التي كانت تحفّ به، وكان شديدًا على نفسه وأهله، وينقل الطبري لنا هذه الحادثة التي تدلُّ أكبر دلالة على ما تقول: "دخل يومًا وقد زينت ابنته، فرأى عليها لؤلؤة من بيت المال قد كان عرفها فقال: من أين لها هذه: لله علي أن أقطع يدَهَا" ولم يثنِه عن قطع يدها إلا أنَّ خازن بيت المال أعلمه أنه هو الذي أعطاها إياهَا.

إن عليًّا كان على الاستقامة والعدل والرشد والحق والشورَى، لا ريب في ذلك. وقد يقال: إن كان الأمر كذلك وثبَتَ أنَّ عليًّا راشدي، فمن أين أتى إخفاقه، وهو يحقِّق العدل والحق؟

ليس الأمر أمر حق وعدل، بل اختلاف العصر. اختلف عصر الخلفاء الراشدين، وأتى عصر جديد غير عصرهم، فتناول هذا الاختلاف كل شيء: تغيّر في الجماعات المحيطة بالخليفة، فهم غير أصحاب أبي بكر وعمر، فأولئك الذين تشرَّبوا بروح العدل والاستقامة استبدلوا في عصر علي بجماعات جديدة يغلب فيها عنصر الأعراب والموالِي، وشتان بين الفئتين؛ ثم تغير في مركز الخلافة إذ انتقل من الحجاز إلى العراق، من الحجاز حيث السُّنة النبوية المطهرة إلى العراق حيث تتحكم المصلحة والنزعات الشخصية؛ وتغيّر أيضًا في الأحوال المادية، فعصر الراشدين الأول عصر تقشُّف وزهد؛ أما عصر علي فقد أصبح عصر ثروة عَمَّت الناس، ودخلت في حياتهم، فغيرت طرازها وعدلت فيها، ثم تغيّر في الأفكار والمذاهب، فقد كان الناس أولًا على أفكار واحدة ومذهب واحد؛ ثم ها هم أولاء في عصر عليٍّ ينقسمون شيعًا ومذاهب، ينحاز الواحد منهم إلى فئة أو رأي، والآخر إلى خلافة، لا سيما وابن سبأ قد أدخل فيهم أفكارًا غريبة.

حدث إذن انقلاب في كل شيء في عصر علي: في الجماعات، ومركز الخلافة، والآراء، والمذاهب، والوسائل المادية، فكأنها ثورة جديدة أنشأت عنصرًا جديدًا. وخطأ علي أنه لم يتلون ذلك الجيل، وأنه لم يفهم هذا التطور الحادث، بل كان مشبعًا بجبلته الأولى الراشدية. فالعصر فاتَه، وروح الزمان كانت تسير على غير ما كانت تسير عليه. وكان صعبًا عليه كل الصعوبة تطويع نفسه لهذا الانقلاب الجديد، بل آثَر الإخفاق في كل شيء على الإخفاق في راشديته وعدله. لم يكن رجل ذلك العصر، إنَّما كان معاوية ذلك الرجل، وهكذا أخفق علي من حيث أفلح معاوية.

ولئن كانت السياسة هل المطاوعة لروح العصر ومسراه، فإنَّ عليًّا لم يكن سياسيًّا، وإن كانت السياسة حسن الفهم والدراية والعقل، فعلي كان على درجة عظيمة في ذلك. وعلى المرء أن يختار أحد المذهبين، وينظر إلى عليٍّ بمنظار مذهبه، فيكون عنده إما سياسيًّا أو غير سياسي. والكلمة الفصل: إنه كان يكون من خير رجال السياسة، لو بقِي عصر الخلافة الراشدية كما كان عليه في أيامها الأُوَل. أما والعصر قد تغير فمذهبه في السياسة لم يعد ملائمًا، لذلك عُدَّ غير سياسي.

إذا سلَّمنا عزيزي الطالب أنَّ علي بن أبي طالب عزل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، لظلمه. حسنًا إذا كان الأمر كذلك، وإذا كان ظالمًا. لماذا لم يتخلوا عنه في فترة النزاع مع علي بن أبي طالب. وقد كانت الفرصة مواتية لتحقيق ذلك في ظل الوضع السياسي غير المستقر، خاصة أن معاوية آنذاك كان واليًا وليس خليفة.

لكن الحقيقة التي لا لبس فيها أنَّ معاوية بن أبي سفيان كسب الحرب بإخلاص رجاله وطاعتهم له. وقد تحدَّثنا عن ذلك مفصلاً في أكثر من موضع.

معركة النهروان

يقول النص: "عدد من جند الإمام علي عليه السلام والذين أصرُّوا من البداية على بطلان التحكيم لم يقبلوا بالتحكيم، وثبت للجميع أن التحكيم لم يكن إلا حيلة مسبقة، في نفس الوقت أجبروا على القبول بالصلح والتحكيم، فانفصلوا عن جيش الإمام"[١].

يضيف النص: "هؤلاء وبعد انفصالهم عن جيش الإمام علي قاموا بأعمال مخالفة للإسلام، مثل إذاء المسلمين، وقاموا بالقتل والغارات، هذا الفريق عرف وبسبب خروجهم عن إمرة الإمام وقيامهم عليه بالخوارج، تحرك الإمام علي عليه السلام مع جيشه للوقوف في وجه هؤلاء، ووصل إليهم في مكان يسمى نهروان، وبسبب إلمام الإمام علي، وبعد بنصيحته للخوارج- الذين انفصلوا عن جيشه- مما أدّى إلى انسحابهم، ولكن قام من بقي منهم بمهاجمة جيش الإمام، الأمر الذي أدّى لهزيمتهم، ونتيجة لذلك قتل عدد منهم، والباقي تفرقوا في أماكن بعيدة[٢].

* **الخوارج:**

يقول النص: "بعد أن استطاع عمرو بن العاص أن يخدع أبا موسى ويعيّن معاوية خليفة للمسلمين، فإن مجموعة من جنود سيدنا علي عليه السلام وبدلًا من أن يعترفوا بخطئهم ولم يطيعوا أوامره وعادوه، هذه المجموعة المعروفة بالخوارج لم تقبل أيضًا بخلافة معاوية.

---

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلى، مرحله دوم تعليمات عمومى، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٩، ص٢٠.

(٢) تعليمات اجتماعي، بنجم دبستان، اداره كل جاب وتوزيع كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٨، ص٩٢.

الخوارج كانوا أناسًا بدون رحمة وجهلة، وبعد ذلك بدأوا في تعذيب وقتل المسلمين.

بالنتيجة، اضطر الإمام علي عليه السلام لمحاربة الخوارج، انتصر سيدنا علي عليه السلام في نهاية المعركة".[١]

*** استشهاد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام):**

يقول النص: "بعد هزيمة الخوارج الصعبة في معركة نهروان، أمروا شخصًا منهم اسمه ابن ملجم أن يقتل الإمام علي عليه السلام. وفي وقت السحور في اليوم التاسع عشر من رمضان في السنة الأربعين للهجرة، عندما كان الإمام علي عليه السلام مشغولاً بصلاة الصبح في مسجد الكوفة ضربه بسيف مسموم على رأسه. استشهد سيدنا علي (عليه السلام) بعد يومين أي في الحادي والعشرين من رمضان.

استمرت خلافة سيدنا علي عليه حوالي خمس سنوات، وفترة حكم الإمام علي عليه السلام كانت فترة نضالٍ. لم يكن الإمام في أمان لحظة واحدة من فوضية الأعداء، ولكنه استطاع خلال هذه المدة القصيرة أن يحقق العدالة في المجتمع، وأن يقضي على الظلم.

حضرة علي (عليه السلام) يساعد ويحمى المظلومين والأيتام وكان نموذجًا كاملاً للشجاعة والإيمان، لقد قام بإحياء الدين الإسلامي وإحياء أسلوب الرسول الذي بدأ الناس في نسيانه تدريجيًّا"[٢].

---

(١) تعليمات اجتماعي، المرجع السابق، ص٩١-٩٢.

(٢) تعليمات اجتماعي، بنجم دبستان، اداره كل جاب وتوزيع كتاب هاى درسى إيران، ١٣٨٨، ص٩٢.

يقول النص في موضع آخر: "بعد معركة النهروان قرَّر الإمام علي عليه السلام محاربة معاوية مرة أخرى، وانشغل بتجهيز الجيش للحرب، ولكن في اليوم التاسع عشر من رمضان وعلى يد أحد الخوارج اسمه ابن ملجم مرادي جرح الإمام علي في المسجد، وبعد يومين وفي تاريخ الحادي والعشرين من رمضان استشهد، وبالتالي خسر المجتمع الإسلامي رجلاً لا مثيل له في العلم والتقوى والشجاعة والعدالة، رجل كان في عهد الرسول مساعده، ومن بعده تحمَّل الكثير من الأذى من أجل حفظ وحدة المسلمين"[(١)].

وبعد نهاية النص، تطرح الأسئلة والنشاطات التالية على الطلبة لترسيخ بعض الأفكار:

الأسئلة:

١- ما سبب حرب سيدنا علي مع معاوية؟

٢- من هم الخوارج؟

٣- كتاب نهج البلاغة يحتوي أحاديث أي شخصية قيمة؟

٤- ما التاريخ الذي استشهد فيه سيدنا علي عليه السلام؟

تحليل النص:

لا بدَّ من توضيح بعض ملابسات الحدث.

---

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلى، مرحله دوم تعليمات عمومى، شركت جاب ونشر كتاب هاى درسى إيران، ١٣٨٩، ص٢١.

لماذا جاء الحسين إلى العراق؟

ألم يأتِ بعد رسائل الشيعة في العراق تطالبه بالقدوم. فهم ما إن سمعوا بأنه غادَرَ المدينة إلى مكة حتى طفقوا يرسلون إليه كتبهم، يعلمونه فيها أنهم لم يلتزموا الطاعة للخليفة يزيد، وأنهم بحاجة إليه، فليحضر إليهم ليبايعوه وتكاثرت الكتب حتى "بلغت وقر بعير"[١].

وقد حاول عدد من أصحابه وأقاربه أن ينصحوه بعدم الخروج ومنهم عبد الله ابن عباس، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب[٢]. بل إنَّ أبا سعيد الخدري وعمرة بنت عبد الرحمن المحدثة يُحذّرانه من الخروج على الطاعة لولي الأمر[٣].

ومجمل الأمر في سبب ضرورة الحسين هو دعوة أهل الكوفة ومبايعتهم له، ثم إيمانه هو بحقه وبواجبه. ولما وصل الحسين إلى أطراف العراق، لم يصمد إلى جانبه من شيعة العراق إلا القليل.

ألم يساهم هؤلاء في مقتل الحسين؟!

أليس في إحيائهم عاشوراء اعتراف صريح على ما فعله أجدادهم الشيعة بحق آل البيت وخاصة الحسين ﷺ. أليس اللطم وتعذيب الجسد محاولة منهم للتكفير عما صنعوه في حق آل البيت.

---

(١) انظر تفاصيل مراسلات أهل الكوفة للحسين ﷺ، الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٤٧-٣٨١.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٨٢.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، طبعة المقدسي، ج٢، ص٣٤٢.

تحليل النص:

هالَ الناس استعار الحرب وكثرة القتلى فماذا يمكن أن يحدث لو طالت بها الأيام أكثر من ذلك؟ من هنا جاءت فكرة رفع المصاحف وطلب الاحتكام إلى كتاب الله عزّ وجلّ، إبقاءً على البقية الباقية من المسلمين، ومهما قيل عن هذه الفكرة وصاحبها عمرو بن العاص– حيث صورت على أنها خدعة لإنقاذ جيش معاوية من الهزيمة[(١)]– إلا أنها وبكل المقاييس كانت أفضل من استمرار القتال، وما أظن الرواية التي تذهب إلى أنَّ عليًّا كان كارهًا لها وأنه قال لأصحابه: "وما رفعوها– المصاحف– لكم إلا دهنًا وخديعة ومكيدة"[(٢)]. ما أظنها إلا محاولة للتأكيد على أن الفكرة كانت خدعة وأنه ليخامرني الشك في صحتها لسببين:

الأول: أن راويها هو أبو مخنف– وهو مؤرخ شيعي معروف– فهو محل شك.

الثاني: أن أبا مخنف يذكر الوليد بن عقبة وعبد الله بن سعد بن أبي سرح فيها ويعتبرهما ممن حضر صفين[(٣)].

وهذا غير صحيح؛ فالثابت أن الوليد بن عقبة وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، اعتزلا بعد مقتل عثمان، ولم يحضرا صفين ولا الجمل، فالوليد بن عقبة كما يقول الذهبي: "اعتزل بالجزيرة بعد قتل أخيه عثمان ولم يحارب مع أحد من الفريقين"[(٤)].

---

(١) انظر: المسعودين مروج الذهب، ج٢، ص٤٠٠.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٩.

(٣) المصدر نفسه، ج٥، ص٤٨.

(٤) سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٤١٤.

ويقول عن عبد الله بن سعد: وروى ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب قال: أقام عبد الله بن سعد بعسقلان بعد قتل عثمان وكره أن يكون مع معاوية(١). فذِكْرُ الوليد ابن عقبة وعبد الله بن سعد في من حضر صفين في رواية أبي مخنف يقطع بعدم صحتها، ثم إنه من المستبعد أن يرفض علي التحكيم والصلح ويكره حقن الدماء، وهو الذي أرسل العديد من الوفود إلى معاوية قبل المعركة وأثناءها سعيًا إلى المصالحة. لذلك نرجِّح أن فكرة التحكيم كانت دعوةً صادقةً لحقن الدماء والمصالحة، ولم تكن تلك هي المرة الأولى التي يرفع المسلمون فيها المصاحف لوقف القتال ولم تكن الفكرة اختراعًا من عمرو بن العاص لم يُسْبق إليه؛ فقد أمرت عائشة رضي الله عنها برفع المصاحف يوم الجمل؛ فقد ذكر أبو بكر بن العربي، وابن عساكر - واللفظ له - أنَّ عائشة رضي الله عنها قالت لكعب بن سور: "خلِّ يا كعب بالبعير وتقدَّم بكتاب الله فادعهم إليه"، ودفعت إليه مصحفًا وأقبل القوم وأمامهم السبئية يخافون أن يجري الصلح، فاستقبلهم كعب بالمصحف وعليٌّ من خلفهم يزعهم ويأبون إلا إقدامًا، فلما دعاهم كعب رشقوه رشقًا واحدًا فقتلوه(٢).

فإذا كان السبئية قد استطاعوا قتل كعب بن سور ومنعوا وقف الحرب يوم الجمل فإنَّ سبئية المؤرخين لما فاتَهُم قتل عمرو بن العاص ومن رفعوا المصاحف يوم صفين جاءوا ليقتلوا الفكرة بتصويرها خدعة، وإذا كانت هذه الفكرة كذلك في نظرهم وأن عليًّا كان كارهًا لها، فما زاد الأمر على أنهم صوَّروا عليًّا ﷺ بأنه كان رجلاً توَّاقًا إلى الحرب متعطشًا للدماء، يَسُرُّه أن يرى مصارع المسلمين بعينيه(٣)،

---

(١) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٥.

(٢) العواصم من القواصم، ص١٥٨ وهامش رقم ٣ بالصفحة نفسها.

(٣) قال ابن خياط في تاريخه ص١٩٤ عن قصة رفع المصاحف "فاقتتلوا يوم الأربعاء ويوم الخميس ويوم الجمعة وليلة السبت، ثم رفعت المصاحف ودعوا إلى الصلح" ولم يشر إلى أنها كانت خدعة.

ففكرة التحكيم في الواقع كانت فكرة ممتازة في حد ذاتها ولو أنها حققت هدفها المنشود، لكانت من أجَلِّ الأعمال، ولكنها وإن أدَّت إلى حقن الدماء ومنعت استئصال شأفة كثير من المسلمين إلا أن نتيجتها النهائية جاءت على غير المتوقع.

وأيًّا ما كان الأمر فقد قُبِلَت الفكرة، وأوقفت الحرب، وطُولِب علي ومعاوية أن يعيِّن كل منهما مندوبًا عنه في التحكيم، فعيَّن معاويةُ عمرَو بن العاص، وأمَّا عليٌّ فأراد أن يعيِّن ابن عمه عبد الله بن عباس، أو الأشتر النخعي، ولكن رجاله رفضوا ذلك وقالوا له: "وهل سعّر الأرض غير الأشتر؟"[1]، أي أنه هو الذي سعى في الفتنة من بداية الأمر، واختاروا أبَا موسى الأشعري، وكان اختيارهم له؛ لأنه كان قد حذَّرهم منذ البداية من الفتنة، فهو في نظرهم رجل سلام، وقالوا لعلي: "لا ترضَ إلا به فإنه قد حذَّرنا ما وقعنا فيه"[2]. فوافقهم عليٌّ على ذلك، بل قال لأبي موسى: "احكم ولو على حزِّ عنقي"[3].

*** كتاب التحكيم:**

اتفق الفريقان على التحكيم، وكتبوا كتابًا على أن يحكم الحكمان طبقًا لكتاب الله عزّ وجلّ من فاتحته إلى خاتمته، لا يتجاوزان ذلك ولا يحيدان عنه إلى هوى ولا دِهَان وأخذ عليهما أغلظ العهود والمواثيق فإنْ جاوزا بالحكم كتاب الله من فاتحته إلى خاتمته فلا حكم لهما[4].

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٤، ص٥١.
(٢) الطبري، تاريخ، ج٤، ص٥١.
(٣) سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٣٩٥.
(٤) انظر: نص كتاب التحكيم في تاريخ البعقوبي، ج٢، ص١٨٩-١٩٠، الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٣-٥٤.

ونلاحظ على كتاب التحكيم أنَّه جاء غامضًا مبهمًا، فلم ينصَّ فيه على نوع القضية التي سيحكم فيها الحكمان طبقًا لكتاب الله؛ فالحرب نشبت لأنَّ عليًّا طالب معاوية بالطاعة والبيعة والدخول في الجماعة فرفض فقرَّر حملَه على ذلك بالقوة، ومعاوية اشترط القصاص من قتلة عثمان، أو تسليمهم له أولاً، ثم ينظر في أمر البيعة بعد ذلك، ومن هنا فقد كان المتوقع أن يدور البحث حول هذا الخلاف، وهل من حقِّ معاوية المطالبة بتسليمه قتلة عثمان أولاً، وهل القصاص من القتلة يقدَّم على بيعته لعلي أو العكس؟

وهذا الإبهام الذي جاء في الكتاب جعل الحكمين يتناقشان في الخلافة ذاتها، وفي خَلْع الخليفة الشرعي الذي تمَّت مبايعته بموافقة جمهور الصحابة من المهاجرين والأنصار، ولم يكن تخلُّف معاوية بشخصه عن البيعة هو الذي يشغل عليًّا أو يقدح في بيعته، فقد تخلَّف عنها من هم أفضل من معاوية، سعد بن أبي وقاص وعبد الله ابن عمر، ومحمد بن مسلمة وغيرهم، ولم يقاتِلْهم عليٌّ على ذلك، ولم يكن تخلُّفهم يقدح في بيعته؛ لأنَّ الإجماع ليس ضروريًّا، ويكفي أنه بايعه جمهور كبير من الصحابة فأصبحت بيعته شرعية وطاعته واجبة على كل مسلم.

فقتال علي لمعاوية لم يكن لمجرد تخلُّفه عن البيعة، وإنما لعصيانه أوامره بعزله من ولاية الشام واعتصامه بها، فاعتبره عليٌّ خارجًا عليه وقتاله واجب لردِّه إلى الطاعة، ثم إنَّ معاوية لم يكن ينازع عليًّا في الخلافة، وكان مطلبه محصورًا في قتلة عثمان، فإما أن يقتصَّ منهم علي، أو يسلمهم له، ولو حدث شيء من ذلك لَما بقيت له حجة، لذلك كنا نتوقع أن يدور البحث حول هذه النقطة المحددة. لكن الحكمين- ولعل ذلك اجتهادًا منهما- تركَا هذا الموضوع المحدَّد وراحَا يتباحثان في أمر الخلافة، وكأنه لم يكن هناك خليفة شرعي مُبَايَع من أغلبية الصحابة، وراح كل واحد منهما يقترح من جانبه أسماء يُرشِّحها للخلافة، فعرض عمرو بن العاص اسم ابنه عبد الله

أو معاوية فرفض أبو موسى، ثم عرض أبو موسى اسم عبد الله بن عمر بن الخطاب فرفض عمرو، ولما لم يتفقَا على شيء قرَّرَا عزل علي ومعاوية معًا، وردَّ الأمر إلى الأمة تختار من تشاء للخلافة كما تقول رواية أبي مخنف[1].

* إعلان نتيجة التحكيم:

كُتِب كتاب التحكيم في الثالث عشر من صفر سنة ٣٧هـ وحددت مدة ستة شهور يجتمع بعدها الحكمان لإعلان ما توصلا إليه. وقد اجتمعا في شهر رمضان سنة ٣٧هـ حسب الموعد، بدومة الجندل، ومع كل منهما أربعمائة من أنصار صاحبه، والناس في ترقُّب وقلق؛ لأن الكل يدرك خطورة النتيجة التي ستعلن، وقد ذكرت قبل قليل أن الحكمين تركَا صلب الخلاف، وتباحثَا في أمر الخلافة واتفقَا على خلع علي ومعاوية معًا وقف أبو موسى الأشعري ليعلن النتيجة فقال: "أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة، فلم نرَ أصلح لأمرها ولا ألَمَّ لشعثها من أمر قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه، وهو أن نخلع عليًّا ومعاوية وتستقبل هذه الأمة، هذا الأمر، فيولوا منهم من أحبوا عليهم، وإنِّي قد خلعت عليًّا ومعاوية، فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً، ثم تنحَّى، وأقبل عمرو بن العاص فقام مقامه، فحمد الله وأثنَى عليه وقال: إنَّ هذا قال ما سمعتم، وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأُثبِّت صاحبي معاوية، فإنَّه ولي عثمان بن عفان، والطالب بدمه وأحقّ الناس بمقامه[2].

---

(١) انظر: الطبري، تاريخ، ج٥، ص٧٠-٧١.

(٢) انظر: الطبري، تاريخ، ج٥، ص٧٠-٧١؛ اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١٩٠؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٤٠٩.

هذه رواية أبي مخنف، ويورد المسعودي روايةً أخرى يذكر فيها أنَّ أبا موسى وعمرًا اتفقا على عبد الله بن عمر بن الخطاب، حيث قال أبو موسى: "أيها الناس إننا نظرنا في أمرنا فرأينا أقرب ما يحضرنا من الأمن والصلاح وحقن الدماء وجمع الألفة، خلعنا عليًّا ومعاوية، وقد خلعت عليًّا كما خلعت عمامتي هذه... واستخلفنا رجلًا قد صحب رسول الله ﷺ بنفسه، وصحب أبوه النبي ﷺ فبرز في سابقته، وهو عبد الله بن عمر، وأطراه ورغَّب الناس فيه ثم نزل"[(١)].

كيفما كان الأمر فقد أعلن أبو موسى خلع علي، ووافقه عمرو، ثم أعلن تثبيت معاوية طبقًا لرواية أبي مخنف، وهنا يبرز سؤال هامٌّ وهو: في أي شيء كان تثبيت عمرو لمعاوية؟ إن كان في الخلافة فهذا باطل من وجهين: الأول: أنَّ معاوية لم يكن خليفة حتى يثبت فيها. الثاني: أنَّ عمرًا إن كان يقصد تثبيته في الخلافة فإنه يكون بذلك قد خالف ما اتفق عليه مع أبي موسى، فيكون حكمه باطلاً، لأنَّ كتاب التحكيم يقضي بضرورة اتفاقهما.

فانفراد أحدهما بحكم يعتبر مخالفًا لنص الكتاب، ولذلك يرَى بعض الباحثين أن عمرًا لم يكن يقصد تثبيت معاوية في الخلافة، وإنَّما في إدارة ما تحت يده من البلاد، حتى تتفق الأمة على إمام جديد، يقول الأستاذ محب الدين الخطيب: "فلما وقع التحكيم على إمامة المسلمين، واتفق الحكمان على ترك النظر فيها لكبار الصحابة وأعيانهم، تناول التحكيم شيئًا واحدًا وهو الإمامة، أما التصرُّف العملي في إدارة البلاد التي كانت تحت يد كلٍّ من الرجلين المتحاربين فبقي كما كان، علي

(١) مروج الذهب، ج٢، ص٤٠٩.

متصرِّف في البلاد التي تحت حكمه، ومعاوية متصرف في البلاد التي تحت حكمه، فالتحكيم لم يقع فيه خداع ولا مكر، ولم يتخلَّلْه بلاهة ولا غفلة"[1].

وهذا لعمري هو الصواب الذي تطمئن إليه نفس الباحث؛ لأنَّه يتفق مع أخلاق الصحابة ودينهم، ولا يقدح في واحد منهم وإذا كان أبو موسى وعمرو، قد تركَا أمر قتلة عثمان وهو أساس الخلاف بين علي ومعاوية وتباحثَا في أمر الخلافة، فلعلَّ ذلك كان اجتهادًا منهما، وأنهما رأيَا أنه أفضل طريقة لإصلاح ذات البَيْن، وجمع كلمة الأمة؛ لأننا لا نستطيع أن نتهم أيًّا منهما بالغشِّ والمداهنة في أمور الدين، خصوصًا وأن الروايات التي تذكر أنَّ عمرًا ثبَّت معاوية في الخلافة جاءت عن أبي مخنف وهو مؤرِّخ شيعي، وموقف الشيعة من أبي موسى وعمرو لا يتسم بالإنصاف في شيء.

وتسهب الكتب المدرسية لاستعراض نتيجة التحكيم التي وصفتها بأنَّها كانت من طرفٍ واحدٍ، يقول النص: "في النهاية تقرَّر أن يتمَّ اختيار مندوب عن كل جيش؛ وأن يتباحث المندوبان معًا، ويُصْدِرَا حكمًا، عند ذلك يجب على سيدنا علي ومعاوية أن يقبلَا بالحكم.

اختار معاوية الرجل الفاسد والمخادع عمرو العاص، وفريق من جنود الإمام علي عليه السلام المخدوعين على عكس رأي الإمام علي، اختاروا أبا موسى الأشعري مندوبًا عنهم وكان رجلاً ساذجًا، في هذه المباحثات خدع عمرو العاص أبا موسى الأشعري وقال له: (لنعزل معاوية وكذلك عليًّا عن الخلافة). وافق

---

(١) انظر العواصم من القواصم، هامش ص١٧٥.

أبوموسى وأعلن عزل عليٍّ عن الخلافة، ولكن عمرو العاص أخلف به وعده وأعلن أن معاوية خليفة المسلمين"[(١)].

تحليل النص:

تعليق شخصية كل من أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص ﷺ:

إنَّ القول بأن أبا موسى الأشعري كان في قضية التحكيم ضحية خديعة عمرو بن العاص ينافي الحقائق التاريخية الثابتة عن فضله وفطنته وفقهه ودِينِه، والتي تثبت له بتولِّيه بعض أعمال الحكم والقضاء في الدولة الإسلامية منذ عهد رسول الله ﷺ.

فقد استعمله النبي ﷺ على زبيد وعدن[(٢)]، واستعمله عمر ﷺ على البصرة وبقي واليًا عليها إلى أن قتل عمر[(٣)]، وكذلك استعمله عثمان بن عفان ﷺ على البصرة، ثم على الكوفة، وبقي واليًا عليها إلى أن قتل عثمان[(٤)]، فأقرَّه عليّ ﷺ[(٥)]فهل يتصوَّر أن يثق رسول الله ﷺ ثم حلفاؤه من بعده برجل يمكن أن تجوز عليه مثل الخدعة التي تَرْوِيها قصة التحكيم؟!

هذا وقد شهد الصحابة وكثير من علماء التابعين لأبي موسى ﷺ بالرسوخ في العلم، والكفاءة في الحكم، والفطنة والكياسة في القضاء؛ فهذه شهادة عمر عن

---

(١) تعليمات اجتماعي، بنجم دبستان، اداره كل جاب وتوزيع كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٨، ص٩١.

(٢) خليفة، التاريخ، ص٩٧.

(٣) خليفة، التاريخ، ص١٥٤.

(٤) خليفة، التاريخ، ص١٧٨.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص٤٤٢.

أنس قال: "بعثنِي الأشعري إلى عمر، فقال لي: كيف تركت الأشعري؟ قلت: تركتُه يعلّم الناس القرآن، فقال: أما إنه كيِّسٌ ولا تسمعها إياه"[(١)].

وقد ثبت عن أبي موسى أيضًا أنه كان ممّن حفظ القرآن كله على عهد رسول الله ﷺ وكان من المشهورين بتعليمه الناس، فإذا علم أنَّ مدار حياة الناس في ذلك العهد- في سلمهم وحربهم- كان على فقه القرآن والسنة، وعلمت مكانة أبي موسى من ذلك حتى خصَّه عمر بن الخطاب بكتابه المشهور في القضاء وسياسة الحكم[(٢)] فكيف يمكن تصوُّر غفلته إلى هذا الحدّ! فلا يفقه حقيقة النزاع الذي كلّف بالحكم فيه، ويصدر فيه قرارًا لا محل له، وهو قرار عزل الخليفة الشرعي بدون مبرّر يسوغ هذا الفعل، وقرار عزل معاوية المزعوم، ثم يقع منه ومن عمرو بن العاص ما نسب إليهما من السبّ والشتم، وهو أمر يتعارض مع ما عُرِف وتواتَرَ عن الصحابة رضوان الله عليهم من حسن الخلق وأدب الحديث.

وإذا كان علم أبي موسى الأشعري ﷺ وخبرته في القضاء يحولان بينه وبين أن يخطئ الحكم في القضية التي أوكل إليه النظر في أمرها، فإنَّ ذلك أيضًا هو شأن عمرو بن العاص الذي يعتبر من أذكياء العرب وحكمائهم، وقد أمره رسول الله ﷺ أن يقضي بين خصمين في حضرته، وبشَّره حين سأله: يا رسول الله! أقضِي وأنت حاضر؟ بأنَّ له إن أصاب أجرين وإن أخطأ أجر واحد حين قال له: "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر"[(٣)].

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٤، ص١٠٨.

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٩، ص٥١٠.

(٣) أخرجه البخاري في "جامعة الصحيح". حديث رقم ٧٣٥٢.

وقبول تلك الرواية يعنِي الحكم على عمرو بن العاص ﷺ بأنه كان في أداء مهمته رجلًا تُسَيِّره الأهواء، فتطغى لا على فطنته وخبرته فحسب، بل على ورعه وتقواه أيضًا. على أنه ﷺ كان من أجلاء الصحابة وأفاضلهم، ومناقبه وفضائله كثيرة فقد أخرج الإمام أحمد من حديث طلحة بن عبيد الله ﷺ مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ: "عمرو بن العاص من صالحي قريش"(١)، وروى كذلك بسنده إلى عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص(٢)، وفي حديث عبد الله بن حَنْطب ﷺ عن النبي ﷺ قال: "نِعْم أهل البيت عبد الله وأبو عبد الله وأمّ عبد الله"(٣).

وقال قبيصة بن جابر: "قد صحبت عمرو بن العاص، فما رأيت رجلًا أبين- أو أنصع- رأيًا، ولا أكرم جليسًا منه، ولا أشبه سريرةً بعلانية منه"(٤).

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في فتاواه أن أحدًا من السلف لم يتهم عمرو بن العاص ومعاوية رضي الله عنهما بنفاق أو خداع، فيقول: "فعمرو بن العاص وأمثاله ممن قدم مهاجرًا إلى النبي ﷺ بعد الحديبية هاجروا إليه من بلادهم طوعًا لا كرهًا، والمهاجرون لم يكن فيهم منافق، وإنّما كان النفاق في بعض أهل المدينة، إذ لما دخل في الإسلام أشرافهم وجمهورهم احتاج الباقون أن يظهروا الإسلام نفاقًا لعزّ الإسلام وظهوره في قومهم، وأما أهل مكة كان أشرافهم وجمهورهم كفارًا، فلم

---

(١) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة، حديث رقم ١٣٨٢.

(٢) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة، حديث رقم ١٧٤١٣.

(٣) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة، حديث رقم١٣٨١.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١، ص٥٧.

يكن يظهر الإيمان إلا من هو مؤمن ظاهرًا وباطنًا، فإنه كان من يظهر الإسلام يؤذَى ويُهْجَر، وإنما المنافق يظهر الإسلام لمصلحة دنياه، ولو كان عمرو بن العاص ومعاوية وأمثالهما مِمَّن يتخوَّف منهما لم يولّوا على المسلمين، فعمرو بن العاص أمَّره النبي ﷺ في غزوة ذات السلاسل، واستعمل أبا سفيان بن حرب ﷺ على نجران، وقد اتفق المسلمون على أن إسلام معاوية خير من إسلام أبيه، فكيف يكون هؤلاء منافقين والنبي ﷺ يأْتَمِنهم على أحوال المسلمين في العلم والعمل"[١].

أمَّا ما قيل من أنَّ عليًّا كان يلعن في قنوته معاوية وأصحابه، وأنَّ معاوية إذا قنت لعن عليًّا وابن عباس والحسن والحسين، فهو غير صحيح؛ لأنَّ الصحابة رضوان الله عليهم كانوا أكثر حرصًا من غيرهم على التقيّد بأوامر الشارع الذي نهى عن سِبَاب المسلم ولعنه.

لقد روي عن رسول الله ﷺ قوله: "من لعن مؤمنًا فهو كقتله"[٢]، وقوله ﷺ: "لا يكون اللّعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة"[٣]، وقوله ﷺ: "ليس المؤمن بطعّان ولا بلعان"[٤].

ورُوِيَ أنَّ عليًّا ﷺ لما بلغه أنَّ اثنين من أصحابه يظهران شتم معاوية ولعن أهل الشام أرسل إليهما أن كفَّا عما يبلغني عنكما، فأتيَا فقالا: يا أمير المؤمنين! ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: بلى وربِّ الكعبة المسدّنة، قالا: فلِمَ تمنعنا من شتمهم

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٣٥، ص٦٥-٦٦.
(٢) أخرجه البخاري في "الجامع الصحيح"، رقم ٦٠٤٧.
(٣) أخرجه مسلم في "الجامع الصحيح"، رقم ٦٧٧٥.
(٤) أخرجه أحمد في "المسند"، رقم ٣٨٣٩.

ولعنهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعَّانين، ولكن قولوا: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، وأبعدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوِي عن الغَيّ من لجج به"[١].

وبهذا يتبيَّن من خلال الأمور التي عرضت سابقًا كذب الرواية الشائعة بين الناس عن التحكيم بأي معيار من معايير النقد الموضوعي للنصوص التاريخية.

*** حقيقة قرار الحكمين:**

على أنه مما يؤكِّد عدم صحة الرواية المذكورة عن التحكيم أنَّ العلماء انتقدوها ورووا خلافها في كتبهم؛ فقد أخرج الدارقطني عن حضين بن المنذر أنه جاء فضرب فسطاطه قريبًا من فسطاط معاوية، فبلغ نبأه معاوية، فأرسل إليه، فقال: "إنه بلغني عن هذا- عمرو بن العاص- الذي بلغني عنه فأتيته فقلت: أخبرني عن الأمر الذي ولِّيت أنت وأبو موسى كيف صنعتما فيه؟ قال: قد قال الناس في ذلك ما قالوا، والله ما كان الأمر على ما قالوا، ولكن قلت لأبي موسى: ما ترى في هذا الأمر؟ قال: أرى أنه في النفر الذين توفِّي رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنهم، قلت: فأين تجعلنِي أنا ومعاوية؟ فقال: إن يستعن بكما ففيكما معونة، وإن يستغن عنكما فطالَمَا استغنى أمر الله عنكما"[٢].

وليس من شك في أنَّ أمر الخلاف الذي رأى الحكمان ردَّه إلى الأمة أو إلى أهل الشورى ليس إلا أمر الخلاف بين علي ومعاوية حول قتلة عثمان، وهو ما أطبقت

---

(١) أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٦٥.

(٢) ذكر هذه الرواية القاضي ابن العربي في "العواصم"، ص١٧٨.

على ذكره المصادر الإسلامية. أما الخلاف حول الخلافة فلم يكن قد نشأ عندئذٍ، ولم يكن معاوية مدّعيًا للخلافة ولا منكرًا حقَّ عليّ فيها كما تقرَّر سابقًا، وإنما كان ممتنعًا عن بيعته وعن تنفيذ أوامره في الشام حيث كان متغلبًا عليها بحكم الواقع لا بحكم القانون، مستفيدًا من طاعة الناس له بعد أن بَقِيَ واليًا فيها زهاء عشرين سنة.

وقد سبق العلماء المختصُّون بتصحيح الروايات التاريخية إلى نقد الرواية الشائعة عن التحكيم وعلى رأسهم القاضي أبو بكر بن العربي الذي قال عنها: "وقد تحكم الناس في التحكيم فقالوا فيه ما لا يرضاه الله، وإذا لحظتموه بعين المروءة- دون الديانة- رأيتم أنها سخافة حمل على سطرها في الكتب في الأكثر عدم الدّين، وفي الأقل جهل متين... وكان أبو موسى رجلًا تقيًّا فقيهًا عالمًا حسبما بيناه في كتاب "سراج المريدين"، أرسله النبي ﷺ إلى اليمن مع معاذ وقدّمه عمر وأثنى عليه بالفهم، وزعمت الطائفة التاريخية الركيكة أنه كان أبله، ضعيف الرأي، مخدوعًا في القول، وأنَّ ابن العاص كان ذا دهاء وأرب حتى ضربت الأمثال بدهائه تأكيدًا لما أرادت من الفساد، اتبع في ذلك بعض الجهال بعضًا وصنفوا فيه حكايات... وهذا كله كذب صراح ما جرى منه حرف قط، وإنما هو شيء أخبر عنه المبتدعة، ووضعته التاريخية للملوك، فتوارثه أهل المجانة والجهارة بمعاصي الله والبدع..."(١).

وقال ابن دحية الكلبي في كتابه "أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين": قال أبو بكر محمد بن الطيب الأشعري-الباقلاني- في "مناقب الأئمة": فما اتفق الحكمان قط على خلعه- علي بن أبي طالب-... وعلى أنهما لو اتفقَا على خلعه لم ينخلع حتى يكون الكتاب والسنة المجتمع عليهما يُوجِبان خلعه أو أحد منهما على ما

---

(١) العواصم من القواسم، ص١٧٢-١٧٧.

شرطًا في الموافقة بينهما أو إلى أن يبيّنا ما يوجب خلعه من الكتاب والسنة، ونصّ كتاب عليّ عليه السلام اشترط على الحكمين أن يحكما بما في كتاب الله عزّ وجلّ من فاتحته إلى خاتمته لا يجاوزان ذلك ولا يحيدان عنه، ولا يميلان إلى هوى ولا ادهان، وأخذ عليهما أغلظ العهود والمواثيق، وإن هما جاوزًا بالحكم كتاب الله فلا حكم لهما... والكتاب والسنة يثبتان إمامته، ويعظمانه ويثنيان عليه، ويشهدان بصدقه وعدالته، وإمامته وسابقته في الدين، وعظيم عنائه في جهاد المشركين، وقرابته من سيد المرسلين، وما خصَّ به من القدم في العلم والمعرفة بالحكم، ووفور الحلم، وأنه حقيق بالإمامة، وأهل لحمل أعباء الخلافة...[(١)].

ومن الملاحظ أنَّ التحكيم كان سببًا مباشرًا في الخلاف بين عليٍّ ﷺ والخوارج، وقد انتهى أمرهم إلى أن قاتلهم فهزمهم في موقعة النهروان هزيمة نكراء، فبيَّتوا أن يقتلوه، فما أمكنهم إلا أن اغتالوه، فاستشهد ﷺ في صلاة الفجر من يوم الجمعة لسبع بقين من شهر رمضان، حين طعنه- أشقى سبيل للعودة إلى الطريق القويم الذي أراد الحكمان أن يضعَا الأمة عليه، ويحلا الخلاف بين أصحاب رسول الله ﷺ وأنصارهم من خلاله. الآخِرين- عبد الرحمن بن ملجم الخارجي[(٢)]، وكلف الخوارج من يقتل معاوية وعمرو بن العاص فأخطأهما[(٣)]، وبدأت الفتن تجتاح الأمة الإسلامية، وبدأ ظهور الفرق ذات الآراء السياسية والعقائدية.

---

(١) ابن دحية الكلبي، أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين، لوحة ٢١.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج٥، ص١٤٣-١٤٥.

(٣) تاريخ الرسل، ج٥، ص١٤٩.

معركة الجمل

يقول النص: "عندما وافق الإمام عليٌّ عليه السلام على تولِّي الخلافة وأنه يسعى إلى العدالة أدرك بعض الأفراد مثل طلحة والزبير أنهم لن يستطيعوا أن يحققوا مطالبهم، ومنها أن يحكموا المدن المهمة، وبحجة زيارة بيت الله الحرام خرجوا من المدينة وتوجَّهوا إلى مكة، وقد اصطحبوا معهم إلى مكة عائشة زوجة الرسول".

يضيف النص: "لم يمضِ وقت طويل حتى خرجت عائشة وطلحة والزبير وأنصارهم من مكة إلى البصرة، وهناك بدأوا بالاستعداد لمحاربة الإمام علي عليه السلام، الإمام لم يكن أمامه إلا أن يتَّجه وجيشه من المدينة إلى البصرة.

عندما وصل الإمام علي عليه السلام إلى العراق أرسل أناسًا إلى عائشة وطلحة والزبير ودعاهم إلى الصلح، ولكنهم لم يقبلوا دعوته وفي النهاية وقعت الحرب وبعد معركةٍ شديدةٍ انتصر فيها جند الإمام علي، في هذه الحرب كانت عائشة تركب على الجمل ولذلك سُمِّيت به؛ معركة الجمل.

بعد معركة الجمل لم يعد الإمام علي عليه السلام إلى المدينة وأعلن مدينة الكوفة في العراق مركزًا لخلافته، مدينة الكوفة موقعها مناسب؛ نظرًا لقربها من إيران والشام والحجاز، وكما سنرى أن الإمام علي كان يريد أن يكون قريبًا من الشام[1].

---

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلى، مرحله دوم تعليمات عمومى، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٩، ص١٩.

تحليل النص:

إليكم تفاصيل ما جرى في الجمل. ويظهر من تفاصيل الروايات حرص كلٍّ من طرفي الخلاف على الصلح وحقن الدماء، وأن هناك فئة من الطرفين كانت لا ترغب في الصلح، وكانت السبب فيما جرى من اقتتال.

أرسل علي بن أبي طالب القعقاع بن عمرو، وقال له: الق هذين الرجلين بابن الحنظلية- وكان القعقاع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم- فادعهما إلى الألفة والجماعة، وعظِّم عليهما الفرقة. وقال له: كيف أنت صانع فيما جاءك منهما مما ليس عندك فيه وصاة مني؟ فقال: نلقاهم بالذي أمرت به، فإذا جاء منهما أمر ليس عندنا منك فيه رأي اجتهدنا الرأي، وكلمناهم على قدر ما نسمع ونرى أنه ينبغي. قال: أنت لها. فخرج القعقاع حتى قدم البصرة فبدأ بعائشة رضي الله عنها فسلم عليها وقال: أي أمه ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بني إصلاح بين الناس. قال: فابعثي إلى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما، فبعثت إليهما فجاءا، فقال: إني سألت أم المؤمنين ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد، فقالت: إصلاح بين الناس فما تقولان أنتما أمتابعان أم مخالفان؟ قالا: متابعان. قال: فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح، فو الله لئن عرفنا لنصلحن، ولئن أنكرناه لا نصلح. قالا: قتلة عثمان ﷺ فإن هذا إن ترك كان تركًا للقرآن، وإن عمل به كان إحياء للقرآن. فقال: قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم قتلتم ستمائة إلا رجلاً فغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم وطلبتم ذلك الذي أفلت يعني حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف وهم على رجل، فإن تركتموه كنتم تاركين لما تقولون وإن قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فأديلوا عليكم فالذي حذرتم وقربتم به هذا الأمر أعظم مما أراكم

تكرهون وأنتم أحميتم مضر وربيعة من هذه البلاد فاجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرة لهؤلاء، كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير. فقالت أم المؤمنين: فتقول أنت ماذا؟ قال: أقول هذا الأمر دواؤه التسكين وإذا سكن اختلجوا، فإن أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة ودرك بثأر هذا الرجل وعافية، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه كانت علامة شر وذهاب هذا الثأر، وبعثه الله في هذه الأمة هزاهزها فآثروا العافية ترزقوها وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم تكونون، ولا تعرضونا للبلاء ولا تعرضوا له فيصرعنا. وإياكم وايم الله إني لأقول هذا وأدعوكم إليه وإني لخائف ألا يتم حتى يأخذ الله عز وجل حاجته من هذه الأمة التي قل متاعها، ونزل بها ما نزلن فإن هذا الأمر الذي حدث أمر ليس يقدر وليس كالأمور ولا كقتل الرجل ولا النفر الرجل ولا القبيلة الرجل. فقالوا: نعم إذا قد أحسنت وأصبت المقالة، فارجع فإن قدم علي وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر فرجع إلى عليٍّ فأخبره فأعجبه ذلك وأشرف القوم على الصلح.

ويستدل من هذا القول على أن عليًّا كان يرغب في تتبع قتلة عثمان، إلا أنه ما كان يريد أن يثير أصحابًا لهم، فيوقع المسلمين بين كتلتين متقاتلتين.

جاءت وفود أهل البصرة إلى أهل الكوفة ورجع القعقاع من عند أم المؤمنين وطلحة والزبير بمثل رأيهم جمع عليٌّ الناس ثم قام على الغرائر فحمد الله عز وجل وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ وذكر الجاهلية وشقاءها والإسلام والسعادة وإنعام الله على الأمة بالجماعة بالخليفة بعد سول الله ﷺ ثم الذي يليه، ثم حدث هذا الحدث الذي جرَّه على هذه الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا حسدوا من أفائها الله عليه على الفضيلة وأرادوا رد الأشياء على أدبارها والله بالغ أمره ومصيب ما أراد، ألا

وإني راحل غدًا فارتحلوا ألا ولا يرتحلن غدًا أحد أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس وليغن السفهاء عني أنفسهم.

فاجتمع نفر منهم علباء بن الهيثم وعدي بن حاتم وسالم بن ثعلبة العبسي وشريح بن أوفى بن ضبيعة والأشتر في عدة ممن سار إلى عثمان ورضي بسير من سار وجاء معهم المصريون؛ ابن السوداء وخالد بن ملحم وتشاوروا فقالوا: ما الرأي؟ وهذا والله علي وهو أبصر الناس بكتاب الله وأقرب ممن يطلب قتلة عثمان وأقربهم إلى العمل بذلك وهو يقول ما يقول ولم ينفر إليه إلا هم والقليل من غيرهم فكيف به إذا شام القوم وشاموه وإذا رأوا قِلّتنا في كثرتهم أنتم والله ترادون وما أنتم بأنجى من شيء، فقال الأشتر: أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما، وأما علي فلم نعرف أمره حتى كان اليوم، ورأي الناس فينا والله واحد، وإن يصطلحوا وعلي فعلى دمائنا فهلموا فلنتواثب على علي فنلحقه بعثمان فتعود فتنة يرضى منا فيها بالسكون"[(١)].

فلما نزل الناس واطمأنوا خرج علي وخرج طلحة والزبير فتوافقوا وتكلموا فيما اختلفوا فيه، فلم يجدوا أمرًا هو أمثل من الصلح ووضع الحرب حين رأوا الأمر قد أخذ في الانقشاع، فافترقوا عن موقفهم على ذلك، ورجع علي إلى عسكره وطلحة والزبير إلى عسكرهما.

ويوضح الطبري دور أولئك النفر المستفيدين من الخصام والاقتتال، فيقول[(٢)]:"وكتب إلى السري عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة، قالا: وبعث علي من العشي عبد الله بن عباس إلى طلحة والزبير وبعثا هما من العشي محمد بن

(١) انظر:الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٩١-٤٩٩.

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص٥٠٦-٥٠٧.

طلحة إلى علي وأن يكلم كل واحد منهما أصحابه، فقالوا: نعم. فلما أمسوا وذلك في جمادى الآخرة أرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما، وأرسل علي إلى رؤساء أصحابه ما خلا أولئك الذين حضوا عثمان فباتوا على الصلح، وباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية من الذي أشرفوا عليه والنزوع عما اشتهى الذين اشتهوا، وركبوا ما ركبونا وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة باتوها قط، قد أشرفوا على الهلكة وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها حتى اجتمعوا على إنشاب الحرب في السر، واستسروا بذلك خشية أن يفطن بما حاولوا من الشر، فغدوا مع الغلس وما يشعر بهم جيرانهم انسلوا إلى ذلك الأمر انسلالاً وعليهم ظلمة، فخرج مضريهم إلى مضريهم وربعيهم إلى ربعيهم ويمانيهم إلى يمانيهم فوضعوا فيهم السلاح، فثار أهل البصرة وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين بهتوهم.

وخرج الزبير وطلحة في وجوه الناس من مضر فبعثا إلى الميمنة وهم ربيعة يعبئها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وإلى الميسرة عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وثبتا في القلب فقال: ما هذا؟ قالوا: طرقنا أهل الكوفة ليلاً، فقالا: قد علمنا أن عليًّا غير منتهٍ حتى يسفك الدماء ويستحل الحرمة، وأنه لن يطاوعنا، ثم رجعا بأهل البصرة وقصف أهل البصرة أولئك حتى ردُّوهم إلى عسكرهم، فسمع علي وأهل الكوفة الصوت وقد وضعوا رجلاً قريبًا من علي ليخبره بما يريدون، فلما قال: ما هذا؟ قال: ذاك الرجل: ما فاجأنا إلا وقوم منهم بيتونا فرددناهم من حيث جاؤوا فوجدنا القوم على رجل فركبونا وثار الناس. وقال علي لصاحب ميمنته: ائت الميمنة، وقال لصاحب ميسرته: ائت الميسرة، ولقد علمت أن طلحة والزبير غير منتهيين حتى يسفكا الدماء ويستحلا الحرمة وأنهما لن يطاوعانا. والسبئية لا تفتر إنشابًا ونادى علي في الناس: أيها الناس كفوا فلا شيء فكان من رأيهم جميعًا في تلك

الفتنة ألا يقتتلوا حتى يبدأوا يطلبون بذلك الحجة ويستحقون على الآخرين ولا يقتلوا مدبرًا ولا يجهزوا على جريح ولا يتبعوا فكان مما اجتمع عليه الفريقان ونادوا فيما بينهما.

ولما تأزم الأمر لم يكن أمام العقلاء إلا الاستعانة بأم المسلمين عائشة رضي الله عنها، لإصلاح الوضع، وحفظ دماء المسلمين. يقول الطبري(١): "وأقبل كعب بن سور حتى أتى عائشة رضي الله عنها، فقال: أدركي فقد أبى القوم إلا القتال، لعل الله يصلح بك، فركبت وألبسوا هودجها الأدراع ثم بعثوا جملها- وكان جملها يدعى عسكرًا- حملها عليه يعلى بن أمية اشتراه بمائتي دينار، فلما برزت من البيوت وكانت بحيث تسمع الغوغاء وقفت فلم تلبث أن سمعت غوغاء شديدة، فقالت: ما هذا؟ قالوا: ضجة العسكر. قالت: بخير أو بشر؟. قالوا: بشر. قالت: فأي الفريقين كانت منهم هذه الضجة فهم المهزومون".

وهذا يدل على أن علي بن أبي طالب وعائشة رضي الله عنهما كانا بعيدين عن الفتنة كل البعد، وأنهما اجتمعا على التوافق وعدم الحرب، إلا بعد نفاد كل الحجج.

لن نفصل الحديث عن تفاصيل ما جرى في موقعة الجمل، فمن أراد المزيد يمكن الرجوع إلى المصادر الأصلية الموثوقة.

ومما ما يؤكد أن الأمر لم يكن عداءً بين عائشة وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما ما جرى من حوار بينهما بعد انتهاء المعركة. فبعد أن جهز علي أم المؤمنين بكل شيء ينبغي لها من مركب أو زاد أو متاع، وأخرج معها كل من نجَا ممن خرج معها

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٤، ص٥٠٧.

إلا من أحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات. وقال: تجهز يا محمد. فبلغها، فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه جاءها حتى وقف لها وحضر الناس، فخرجت على الناس وودعوها وودعتهم، وقالت: يا بني تعتب بعضنا على بعض استبطاء واستزادة فلا يعتدن أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القدم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه عندي على معتبتي من الأخيار. وقال علي: يا أيها الناس صدقت والله وبرت، ما كان بيني وبينها إلا ذلك وإنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة[١] ".

معركة صفين

يقول النص: "أصبحت حكومة الشام في عهد خلافة عثمان تحت يدَ معاوية، وكان يحكم وكأنه ملك ولهذا عزله عن الحكم ولكنَّه لم يُطِع أمر الإمام علي عليه السلام. بعد ذلك وبمنحه بعض الأموال العامة للمسلمين أصبحوا من أنصاره، وكذلك قام بخداع أهالِي الشام وحرَّضهم على الانتقام لدم عثمان من الإمام علي عليه السلام، الإمام طلب مرارًا من معارضيه أن يقدِّموا قاتل أو قتلة عثمان لمجازاتهم، ولكنهم لم يكونوا يقدموا غير الاتهامات الواهية.

يضيف النص: "كان هدف معاوية الأساسي أن يحكم كل المسلمين، وحتى يصل إلى هدفه، وبما أنَّه كان مخادعًا كان يعطي وعودًا لأي شخص ومن ضمنهم عمرو بن العاص حاكم مصر السابق، وعَدَه إذا وصلت له الخلافة سيعيده حاكمًا على مصر. صمَّم معاوية أن يهاجم الكوفة، فاستعدَّ الإمام علي أيضًا بجيشه

(١) الطبري، تاريخ، ج٤، ص٥٤٤.

لمواجهته، التقى الجيشان في مكان يسمى صفين، الإمام علي من أجل أن يهدي الضالين وإتمام الحجة على معاوية، لم يأمر جنوده بالهجوم حتى لا تُراق الدماء، أرسل رسلاً لنصيحة جند الشام، بعد فترةٍ أعلن معاوية أن الحرب هي الطريقة الوحيدة، وبالتالي قامت حرب طاحنة، استمرّت عدة أيام، حيث قتل الكثير منهم فيها، انتصر في المعركة جند الإمام علي بقيادة مالك الأشتر الذي استطاع أن يهزم جيش معاوية.

يضيف النص: "بمؤامرة من عمرو بن العاص، وضع جند معاوية القرآن على الرِّماح وطلبوا التحكيم إلى القرآن، ولكن الإمام علي عليه السلام وقائده مالك أصرُّوا على استمرار المعركة، ولم تنجح فتنة معاوية، في النهاية تَمّ اختيار عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري للتحكيم، خُدِع أبو موسى وحُكِم لصالح معاوية"[(١)].

تحليل النص:

أشار النص إلى أنَّ إسلام معاوية كان يوم الفتح. نقول رغم أن بعض المصادر أشارت إلى إسلامه يوم الفتح، إلا أنَّ الذهبي أشار إلى أنه أسلم قبل الفتح. ومردُّ ذلك الاختلاف حول تاريخ إسلام معاوية بن أبي سفيان ﷺ يعود إلى كون معاوية كان يخفِي إسلامه وهو ما جزَم به الذهبي: "أسلم قبل أبيه في عمرة القضاء[(٢)]، وبقِيَ يخاف الخروج إلى النبي من أبيه.. وأظهر إسلامه عام الفتح"[(٣)].

---

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلى، مرحله دوم تعليمات عمومى، ص١٩-٢٠.

(٢) أي سنة ٧هـ. النووي، شرح صحيح مسلم، ج٨، ص٢٣١.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، (عهد معاوية) ص٣٠٨، الغيث، مرويات خلافة معاوية، ص٢٢.

وجاء في النص أيضًا: "بعد ذلك وبمنح بعض المسلمين من الأموال العامة للمسلمين أصبحوا من أنصاره، وكذلك قام بخداع أهالِي الشام وحرَّضهم على الانتقام لدم عثمان من الإمام علي عليه السلام".

لا بدَّ لقارئ التاريخ والباحث فيه أن يسبر أغوار الأحداث قبل أن يصدر الأحكام الجاهزة مسبقًا. ففي هذا الكلام إساءة عامة للمسلمين، الذين باعوا دينَهم بدنياهم كما يزعم الكاتب.

ولكن نودُّ أن نؤكِّد على حقيقة مهمة حول طبيعة الرجال الذين كانوا حول معاوية من أهل الشام، لقد كان إلى جانب معاوية رجال لا يسألونه ما فعل وما يفعل، فمعظم العرب الذين كانوا في بلاد الشام متحضِّرون بعض التحضُّر، ألفوا الحكم وطرائق الروم فيه، ثم عاشرهم معاوية عشرين عامًا، فعرفهم وعرفوه، واستولَى على قلوبهم بذكائه وحكمته، فأطاعوه طاعة عمياء فكان بإمكانه أن يعتمد عليهم كل الاعتماد[1].

وتنتقل الكتب المدرسية لشرح جزء من خطبة الإمام بأهالي الكوفة:

يقول النص: "أنا تورَّطت مع أناس لأني أقرأ لهم ولا يجيبون، اللعنة عليكم، ماذا تنتظرون لنصرة دين الله؟ ألا تُصدِّقون أنه سوف يجمعكم؟ ألا يوجد عندكم غيرة لتحريكم؟ وقفت بينكم صرخت أطلب المساعدة، أطلب مرافقتي، ولكنكم لم تسمعوا كلامي، ولكنكم لم تتبعوا أوامري، استحلفكم بالله، اتركوا البيوت، وانخفضوا تحت رايات الحرب، وصل لي خبر أن جيش معاوية وصل إلى مدينة

---

(١) للمزيد من التحليل حول ذلك، انظر: العش، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهَّدت لها، ص١١٧-١١٩.

الأنبار، ودخل أحد جنوده إلى بيت امرأة مسلمة وامرأة غير مسلمة، وأخذوا أساورهن وعقودهن، ولكنهن لم يستطيعن أن يمنعوهم، لو مات رجل مسلم عند سماعه هذه القصة من الحزن والجزع، فلا يُلام".

يضيف النص: "مع وجود كل الصراعات والشغب، ولكن هذه الحكومة القصيرة المدة ولكنها مليئة بالإنجازات، الإمام وفي مجالات مختلفة يستحقُّ البحث والدراسة: زهد وبساطة الإمام، كان الإمام يمنع أيَّ نوع من الاستغلال من قبل الأفراد- حتى أفراد عائلته- من الأموال والممتلكات العامة، الاهتمام بالطبقات المحرومة، واهتم بتوصيل أبسط إمكانيات الحياة، إزالة كل أنواع التمييز الاجتماعى والاقتصادي والسعى لتطوير العدالة والأمن لجميع المسلمين عامة سواء السابقين في الإسلام أو الجدد، وحتَّى غير المسلمين، (أهل الذمه تحملوا وصبروا صبرًا يُثِير الإعجاب في مواجهة المعارضة، طبعًا إلى الحدّ الذي لا يؤثِّر سلبًا على المجتمع، لدرجة مداراة الشخص الذي حاول قتله، هذه من الآثار الفريدة لحكومة الإمام علي عليه السلام.

علماء التاريخ الإسلامي قسَّموا حياة الإمام علي إلى ثلاث دورات:

١- ثلاثة وعشرون عامًا من الجهاد في عصر الرسول ﷺ.

٢- خمسة وعشرين عامًا من الصمت للحفاظ على وحدة المسلمين في عهد الخلفاء الثلاثة الأوائل.

٣- خمس أعوام من النضال من أجل العدالة خلال فترة خلافته[1].

---

(١) تاريخ إيران وجهان ١، ص ١١٣-١١٤.

تحليل النص:

ماذا يمكن للقارئ العادي وليس الحصيف أن يفهم من خطبة على بن أبي طالب؟

ألا يفهم أنه يُؤنِّبهم على تخاذلهم (شيعته): "أنا تورّطت مع أناس لأني أقرأ لهم ولا يجببون، اللعنة عليكم، ماذا تنتظرون لنصرة دين الله؟ ألا تصدِّقون أنه سوف يجمعكم؟ ألا يوجد عندكم غيرة لتحريكم؟ وقفت بينكم صرخت اطلب المساعدة، اطلب مرافقتى، ولكنكم لم تسمعوا كلامى، ولكنكم لم تتبعوا أوامري، استحلفكم بالله، اتركوا البيوت، وانخفضوا تحت رايات الحرب".

إذا كان شيعته الذين يدعون نصرته يذمُّهم وهو بين ظهرانيهم بأنهم تخلوا عنه، ثم فيما بعد تخلوا عن ولده الحسين. اذا كان الشيعة كما وصفهم على بن أبي طالب ﷺ، فلماذا يلومون غيرهم.

فماذا تتوقع منهم الآن. أكلُّ ما يفعلونه محاولة للتكفير عما فعلوه بآل البيت؟

*** تفسير موقعة صفين وما حدث بعدها:**

إنَّ ما تقدم من حوادث عن موقعة صفين وما قبلها وعن التحكيم يحتاج إلى تفسير. وعلى المؤرِّخ أن يحاول تعليل الأحداث وتفهُّم حقيقتها: كيف حدث أن عاد علي من موقعة صفين وقد أضاع الشيء الكثير؟ وكيف عاد معاوية، وهو كاسب بعد أن كان خاسرًا؟ كل ذلك يفتقر إلى التفسير والتعليل.

إن ما يقوِّي الحاكم وقضيته أن يكون إلى جانبه رجال مطيعون له مخلصون فاهمون عاقلون، فيجب أن نعلِّل ما حدث برجال علي ووضعهم، ورجال معاوية ووضعهم.

إنَّ الذي أوقع عليًّا في الخسارة يوم موقعة صفين إنما هم أصحابه بالضبط، فممن كانوا يتألفون؟ كان جيشه مؤلَّفًا من فريقين: فريق أهل الحجاز الذين سار بهم إلى العراق وعددهم غير قليل، وفريق العراق وهم الذين كانوا في الحجاز يهجمون على عثمان، يضمُّ إليهم من كان في العراق فالتفَّ حول علي.

لننظر في أهل العراق، من هم؟ إنَّهم يتألفون من فئتين؛ فئة شبه متحضرة قد مارست بعض أحوال الحكم، وفئة لا تعرف منها شيئًا، أما الأولى فهم أهل الحيرة ومن كان في العراق قبل البعثة مِمَّن كان تحت حكم المناذرة. وهؤلاء كانوا مطيعين إجمالًا لأمرائهم، وكان النظام السائد بينهم هو النظام الكسروي. وكانوا يخضعون لمملكة الحيرة. نعم إنَّ مملكة الحيرة لم تكن كممالك الروم والفرس، فهي عربية، لكنها كانت تفهم حكم الأكاسرة والروم.

هؤلاء القبائل حريُّون بأن يسيروا مع علي كما كانوا يسيرون مع المبادرة طاعة وقبولاً، وهم حريُّون بأن ينظروا نظرة فيها الإجلال للحاكم والخضوع بين يديه. وكانوا حريِّين إذن بأن تتكوَّن منهم شيعة علي، شيعة مطيعة كانت تقول له: نحن أولياء من والَيْتَ وأعداء من عاديت، وتحقق قولها. وسنرى أن هؤلاء غالوا كل المغالاة بعد ذلك في التشيع لعلي، وكان باستطاعة علي لو كان كل جيشه منهم أن يدفع معاوية ويغلبه.

على أنَّ هناك فئة ثانية وهي فئة الأعراب، هؤلاء أتوا مع الفتوح إلى العراق، واستقروا في الكوفة والبصرة، وهم قبائل مختلطة من مضرية وربيعية ويمنية، عاشوا في الجاهلية عيشة البادية والخِصَام والنزاع والغزو، ثم جاء الإسلام ودخلوا فيه، وكانوا على اتجاهين، منهم من تمسَّك بالإسلام تمسكًا تلازمه الشدة والتعصب.

وآخرون لم يؤمنوا بالإسلام كما يتطلب الإسلام منهم. لم يكن الأعراب يستطيعون أن يقبلوا الحكم عليهم حكمًا مدنيًا، وما كانوا يعرفون الحرب المنتظمة التي تجمع فيها الأعداد الغفيرة، بل كانت حروبهم تُبْنَى على الغارة الخاطفة، يعتمدون المفاجأة في حروبهم، يترأسهم رؤساء عصابات لا قادة جيوش، المنطق عندهم ضعيف جدًّا، والعاطفة شديدة جدًّا. لا يفهمون من الأمور إلا ظواهرها، يتعشقون الرأي حينًا ثم ينبذونه حينًا آخر، تعبَّد قسم منهم عبادة شديدة، وتركوا الدنيا كل الترك، لكن عقلهم لم يكن ناضجًا مختمرًا. واستباح قسم آخر منهم المحرمات كل الاستباحة.

لنرَ الآن الدور الذي لعبوه: رأينا أول الأمر أنَّهم قتلوا عثمان لاعتقاد المتعبدين منهم أنه أخطأ، ولاعتقاد البعض الآخر أن لهم حقوقًا في بيت المال يجب الحصول عليها، واضطر علي إلى أن يقبل بالبيعة، وأن يَدْخُلوا في أصحابه، فرأى من المتعبِّدين منهم تعبدًا وخشوعًا وتقى في العبادة لم يرَ مثله. وهو يقدِّر هذا كل التقدير. ولعل من الأسباب التي منعته من أن يعاقب قتلة عثمان أن بينهم هؤلاء المتعبدين. فقد رجا من الله أن يتوب عليهم. ولما رفعت المصاحف على رءوس الرماح كان أمام علي أن لا يقبل بالتحكيم. لكن هؤلاء الأعراب ومنهم القرّاء المتعبدون لم يستطيعوا إلا الخشوع للقرآن والقبول به. واستعمل علي المنطق معهم، فلم يُجْدِهم ذلك، ولم يقبل عقلهم الحكمة التي كان يقدمها لهم علي. واضطروه إلى قبول التحكيم. ثم إنَّ عقلهم القاصر جعلهم يفرضون على علي أبا موسى الأشعري لتقاه وعلمه وقضائه؛ ولقد سبق أن بيَّنا أن القضية ليست قضية قضاء بل توكيل. ثم عادوا من صفين مع علي بانقلاب غريب يحدث بينهم، فإذا هم يصرخون لا حكم إلا لله. ويَنْقُضون التحكيم الذي رفعوا إليه صاحبهم، فماذا حصل؟

لنتخيل هؤلاء المتعبدين وهم يسمعون ما يقال لهم من حجج، إذ يقال: إنَّ التحكيم خدعة من معاوية؛ لأن حق علي بالخلافة قائم لا يدخل إليه الشك أبدًا، ولا يمكن أن يُعْرَض على التحكيم. فالحكم يكون في أشياء ليست مقررة؛ أما خلافة علي فقد أقرتها الأمة، إلا بعض أفراد يجب أن يسيروا مع الأمة، فكيف يحكم المحكِّمون بهذا؟ يجب أن يطاع علي، وأن يدخل معاوية وأتباعه في حكمه، وإلا كانوا خارجين على الخلافة.

تأمل هؤلاء الأعراب في هذا الكلام، فدخل في نفوسهم وتمسكوا به، ولعلَّ للسبئية هنا يدًا في ذلك، إذ رأت أن الأمر سيؤول إلى الوئام بين المقاتلين، فلا بدَّ من إثارتهم. وهم يستثارون بهذه الحجج.

وأجمل هؤلاء الأعراب فكرتهم الجديدة بقولهم: "لا حكم إلا لله" يريدون بذلك أن الله أعطى حكمه في إمامة علي على المسلمين، وليس بعد ذلك حكم آخر. فيجب أن يلغى التحكيم وأخذوا يخطئون من قال به، ويخطئون أنفسهم وعليًّا وأصحابه، وأقبل علي إليهم ليرجعهم عن غيِّهم. ويروي لنا الطبري خبر ذلك ونحن نورد منه الفقرة المهمة:

"قال علي: فما أخرجكم علينا؟ قالوا: حكومتكم يوم صفين. قال: أنشدكم بالله أتعلمون أنهم (أي أصحاب معاوية) حيث رفعوا المصاحف فقلتم: تجيبهم إلى كتاب الله، قلت لكم إني أعلم بالقوم منكم: إنهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن. إنِّي صحبتهم وعرفتهم أطفالًا ورجالاً، فكانوا شرَّ أطفال وشرَّ رجال. أمضوا على حقكم وصدقكم، فإنما رفع القوم هذه المصاحف خديعة ودهاء ومكيدة، فرددتم عليّ رأيي وقلتم: لا بل نقبل، فقلت لكم: اذكروا قولي لكم ومعصيتكم إياي فلما أبيتم إلا الكتاب، اشترطت على الحكمين أن يُحْيِيَا ما أَحْيَا القرآن، وأن يميتا ما أماته،

فإنْ حكمَا بحكم القرآن، فليس لنا أن نخالف حكمًا يحكم بها في القرآن، وإن أبيَا فنحن من حكمهما براء، قالوا: فخبِّرْنا: أتراه عدلًا تحكيم الرجال في الدماء؟ فقال: إننا لسنا حكمنا الرجال، إنما حكمنا القرآن. وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتيْن لا ينطبق إنما يتكلم به الرجال".

وأقرَّ الخوارج أمام علي بأنهم خالفوه في شأن رفع المصاحف وقالوا له: صدقت، قد كنا كما ذكرت، وفعلنا ما وصفت، ولكن ذلك كان منا كفرًا فقد تُبْنَا إلى الله عزّ وجلّ، فتُبْ كما تبنا نبايعك وإلا فنحن مخالفون.

على أنَّ قسمًا منهم قنعوا بما قاله علي، ورجعوا عن فتنتهم، وعادوا إلى جيشه، أما القسم الأكبر فقد تنحَّوا جانبًا عنه، وهم ينتظرون ألا يرسل رسله إلى دومة الجندل (مكان ملتقى الحكمين). لكن عليًّا أرسل رسله إلى دومة الجندل.

وهنا ثار الخوارج وعيَّنوا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي؛ وخرجوا إلى حروراء. وعدوا غيرهم كفارًا، وطلبوا منهم أن يتوبوا ويعودوا إلى الإسلام. ومن عثروا عليه، ولم يَتُب، قتلوه وسلبوه كما يُقْتَل الكفار. فلم يجد عليٌّ بدًّا من مقاتلتهم وردِّهم عما هم عليه. فسار إليهم، وطلب منهم أن يعودوا عن غيِّهم؛ فتراجع قسم منهم وانضموا إليه. وبقي آخرون فحاربهم وقتلهم عن بكرة أبيهم إلا ثمانية؛ تلك موقعة سميت باسم موقعة حروراء.

ويجب أن نؤرِّخ هذه المعركة قبل صدور قرار التحكيم. ولو أنَّ نص أبي مخنف يدلُّ على أنها حدثت بعده، ذلك أنها لو حدثت بعد قرار التحكيم ورفض علي له، لاختلف الأمر ولم يَعُد من موجب للتشاحن على التحكيم. وهنالك سبب آخر، وهو أنَّ تبين من شهدوا الموقعة، وهم ممن خرجوا على علي بعد التحكيم مباشرة،

وقد قال لعلي: يجب أن ترضى به؛ فلما لم يرضَ خرج عليه. ولا يعقل أن يكون خرج عليه للتحكيم وحارب إلى جانبه في موقعة بعد التحكيم.

صدرت الحكومة إذن في أن يكون الأمر شورى بين المسلمين، ينتخبون خليفتهم؛ فلم يرضَ علي ولا أصحابه بذلك. وكان عليه في هذه الحالة أن يعود إلى القتال مع معاوية لإنهاء الأمر؛ فما دام يرَى أن الحكمين لم يصلا إلى نتيجة موافقة للقرآن والسنة، فالعودة إلى القتال هي الأصل؛ على أنه ما كان باستطاعته أن يعود إليه. ذلك أنَّ أصحابه بعد أن حاربوا الخوارج في حروراء ضعفوا بعض الضعف. ولا بدَّ، والحالة هذه، من لَمِّ شعثهم؛ فرجع إلى الكوفة لينظِّم أمره ثانية.

ذلك هو الدور الذي لعبه الأعراب، وهو يفسِّر لنا ضعف علي وخذلانه.

بعد أن ذكرنا وضع أصحاب علي، فما وضع أصحاب معاوية؟ لقد كان إلى جانب معاوية رجال لا يسألونه ما فعل وما يفعل. فمعظم العرب الذين كانوا في بلاد الشام متحضرون بعض التحضر، ألفوا الحكم وطرائق الروم فيه، ثم عاشرهم معاوية عشرين عامًا، فعرفهم وعرفوه، واستولى على أفئدتهم بذكائه ولباقته وحكمته، فأطاعوه طاعة عمياء؛ فكان بإمكانه إذن أن يعتمد عليهم كل الاعتماد، وألا يخشى منهم شيئًا.

بهؤلاء الأصحاب وبذكائه وحنكته ودرايته استطاع أن يكسب المعركة بعد التحكيم؛ فقد ترك عليٌّ له المجال ليكسبها بتؤدةٍ، إذ انسحب علي إلى الكوفة وأخذ يهيئ نفسه للحرب، فكان أمام معاوية أن يستعمل سياسته في كسب مناطق ضده كمصر والحجاز واليمن. ومعاوية يُتْقِن انتهاز الفرص، وإلى جانبه عمرو بن العاص الداهية. واتَّجه نظره إلى مصر أولًا؛ إذ إنَّ مواردها في المال والرجال كبيرة جدًّا،

ومصر إنْ بَقِيت مع عليٍّ كانت في ظهر معاوية تضايقه وتزعجه، وكان علي قد أرسل حين تولى الخلافة وقبل كل شيء محمد بن أبي حذيفة إلى مصر واليًا. ولكن محمدًا هذا قُتل، فأعقبه علي برجل من أشد أصحابه وأكفئهم، وهو قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، وسار هذا إلى مصر، فوجد الحالة مضطربة فيها، فقد كانت هنالك طائفة عثمانية، تقول بما يقول به كل من ثار لمقتل عثمان، فكان من حسن دهائه أن جعل تلك الطائفة تسكن وتهدأ، ولم يستعمل الشدة معها. ولما تمكن معاوية من النظر في أمر مصر بعد التحكيم، وقد أخلَى له علي الفرصة، أراد أن يقرب قيسًا إليه فمَنَّاه بالوعود، لكن قيسًا لم يقبل، فعمد معاوية إلى إثارة العثمانيين في مصر عليه، فلم يستطع أن يوقع قيسًا في الفخِّ ويزيله عن منصبه من مصر ليحل محله إلا بأن يقول في أصحابه: إنَّ قيسًا من رجالنا وهو منا قلبًا وقالبًا، ولكنه يتظاهر بأنه مع علي. ولا بدَّ من أن لعلي عيونًا في جيش معاوية، ومعاوية يعرف ذلك، بل هو يتكلم أمامهم خاصة ليبلغوا ما سمعوه إلى صاحبهم.

فلما بلغ عليًّا هذا الكلام، أرسل يطلب إلى قيس أن يحارب العثمانية، فلم ير ذلك من المصلحة، وامتنع وأعلم عليًّا أنه إذا كان لا يثق به، فليُعْفِه من منصبه. فخلعه علي من ولاية مصر، وأرسل إليها محمد بن أبي بكر، وكان هذا ما يبتغيه معاوية؛ إذ إنَّ محمدًا ذهب إلى مصر لمحاربة العثمانية مما مكَّن عمرو بن العاص أن يتفق مع العثمانية فيصبح محمد بين نارين: جيش معاوية وجيش العثمانية. فتشتت أمره، وكتب إلى علي يستنجده. وما كان بإمكان علي أن ينجده بجيش، فأرسل إليه مالكًا الأشتر، وهو رجل قويٌّ يخشى بأسه، لكن معاوية أرسل من سمّه في الطريق على ما قيل، فلم يصل إلى مصر. وانتهت الحادثة بأن وقع محمد في قبضة جيش عمرو وقتل.

وهكذا استولَى معاوية على مصر، وشجعه هذا، فأرسل البعوث أيضًا إلى الحجاز واليمن، فاستولَى عليها بعد مدة. ويقال: إنَّه أجرى صلحًا مع علي بعد التحكيم، فهَيَّأ جيشه خلال مدة الصلح، وصار يطلق البعوث إلى عليٍّ في العراق لتحويل أصحابه عنه. ثم إنَّه في عام ٤٠هـ أعلن خلافته في إيلياء (القدس) وأصبح أميرًا للمؤمنين بعد أن كان يطلق عليه لفظ الأمير.

وهنا كان لا بدَّ لعلي من الحرب، فجهَّز جيشًا طليعة له بقيادة ابنه الحسن، وأرسله لحرب معاوية على أن يلحق به بعد ذلك في جيش آخر.

لكن حدث آنئذ أن عبد الرحمن بن ملجم الخارجي اغتاله، وهو في المسجد بحسامٍ مسمومٍ وبضربة غادرة.

وبالرغم من أن عليًّا كان يعرف مصيره المحتم، فقد طلب إلى أولاده بألا يُمثِّلوا بالقاتل، وأن يحاكموه بشرع الإسلام، فهو يتمسك بتفاصيل الشرع حتى في ساعة موته ﷺ.

وسأله أصحابه: هل يبايعون الحسن ابنه؟ فقال لهم: لا آمركم ولا أنهاكم، وترك الأمر شورى بينهم.

خلافة الامام الحسن

تتناول الكتب المدرسية هذا الموضوع تحت عنوان خلافة الإمام حسن مجتبى عليه السلام يقول النص: "بعد استشهاد الإمام على عليه السلام بايَع الناس في بعض المناطق مثل الكوفة، واليمن، وفارس، والبصرة الإمامَ حسن عليه السلام، ولكن هناك بعض الأسباب أجبرته على الانسحاب من الخلافة، ومن بينها:

١- سعى ومحاولة معاوية للسيطرة على الأراضى الرئيسية الإسلامية بعد شهادة الإمام على عليه الإسلام وصلت إلى ذروتها، معاوية مثل السابق له طريقتان للوصول إلى أهدافه:

أ- إعداد جيش من عِدَّة آلاف جندي للحرب.

ب- تشديد الحرب النفسية ضد الإمام حسن عليه السلام عن طريق إرسال الجواسيس، وإرسال المرتزقة لإثارة الفتنة ونشر الشائعات والتفرقة في الأراضى الإسلامية وخاصة في العراق مركز خلافة الإمام حسن عليه السلام[1].

وتضيف الكتب المدرسية في موضع آخر، حيث تقول: "قام الإمام حسن عليه السلام ولمواجهته تمرَّد معاوية بتنظيم فيالق عسكرية، لكنه مثل أبيه كان يفتقد جيشًا بيد واحدة، له دوافع ومطيع، إلا بعض الأفراد يُعَدّون على أصابع اليد، كانوا مستعدين ليرافقوا الإمام والتضحية حتى بأرواحهم، وأما البقية فلم يكونوا أكثر

(١) تاريخ إيران وجهان ١، ص ١١٤.

من عنصر ضعف وإحباط وبكل سهولة ومبلغ بسيط كان يدفعه لهم جواسيس معاوية كان يلتحقون بجيش معاوية، ويتركون جيش الإمام عليه السلام. ضعف وخساسة الكوفيين مقابل وسوسة جواسيس معاوية وخداع أصحاب معاوية سبب فشل الإمام على عليه السلام في معركة صفين، وأيضًا وضعوا جيش الإمام حسن عليه السلام في حرب الأسباط على حافة الهزيمة، وهكذا سبَّبت دسائس وشائعات الأعداء في وضع الناس بالكوفة بحالة مهزوزة وارتباك وجعلت الناس جماعات جماعات يفرُّون أو يلتحقون بجيش معاوية. حتى إنَّ بعضهم داهَمَ خيمةَ الإمام ونهبوها، ووصل الأمر بهم أنهم سحبوا السجادة من تحت الإمام وهذا ما آلَمَه كثيرًا.

في مثل هذه الظروف قرَّر الإمام قراره النهائي وهو مواصلة الحرب حتى النهاية مع العدد المحدود الذي بقى معه، وقال: إذا كنتم أهل قتال فقاتلوا لحدّ التضحية بأرواحكم، أما إذا كنتم تريدون الحياة، وتفضِّلون الحياة على الموت في سبيل الله، فتصالحوا مع معاوية، وقد اختاروا الطريق الثانية والإمام، ومن أجل منع وقوع الهزيمة النهائية، وكان يستطيع أن يضع حياة وأموال أهل العراق جميعًا في مواجهة ستين ألفًا من جيش معاوية ويعرضهم إلى الخطر، ولكنه ترك الخلافة بشروط معاوية، أهم التزامات معاوية في معاهدة الصلح مع الإمام الحسن عليه السلام عبارة عن:

١ – أن يحكم حسب كتاب الله والسنة النبوية.

٢ – أن يمتنع عن لعنة الإمام علي وأن يكفَّ عن إيذاء شيعته.

٣– أن لا يعين خليفة له.

الإمام حسن عليه السلام بعد الصلح مع معاوية عاد إلى المدينة برفقة عائلته، معاوية أخلف بكل التزاماته، وأكبر خطأ ارتكبه الناس في العرق أنهم تركوا الإمام علي عليه السلام والإمام حسن عليه السلام وحدهما، وتحمَّلوا أكبر خسارة ومعاناة طوال حكم معاوية، وباقي الخلفاء الأمويين.[١]

وفي موقع أخر تتناول الكتب المدرسية موضوع خلافة الامام الحسن.يقول النص: "بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام، بايع أتباعه ابنه الكبير، الإمام حسن عليه السلام، علم معاوية بهذا الأمر، وتحرك مع عدد من جنوده باتجاه العراق، استعدَّ الإمام حسن عليه السلام أيضًا إلى الحرب، ولكن العدد الأكبر من جنوده كانوا من المنافقين من ضعفاء الإيمان، معاوية أوجد الخلافات بين أفراد جند الإمام الحسن وأبعد البعض منهم عنه وذلك إما عن طريق وعدهم بالمال أو المناصب، ولخوفه من الحرب أرسل رسالةً إلى الإمام وطلب فيها منه الصلح.

الإمام الحسن عليه السلام وافق على الصلح وبشروطٍ لمصلحة المسلمين؛ أولًا أن لا يستفيد من بيت مال المسلمين بشكل شخصي، والثانِي أن لا يختار خليفةً له، والثالث أن تكون أموال وأرواح المسلمين في أمان، طبعًا بعد الصلح لم ينفَّذ أي من شروط معاهدة الصلح"[٢].

تحليل النص:

إليكم حقيقة تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الخلافة.

---

(١) المصدر نفسه، ص ١١٤-١١٥.

(٢) تعليمات اجتماعي، بنجم دبستان، اداره كل جاب وتوزيع كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٨، ص٩٤.

وقعت من الجمل إلى صفين إلى قتال الخوارج في النهروان، أحداث زادت الحسن زهدًا في القتال، كما أنَّه رأى الأحداث غلبت والده ﷺ وهو من هو شجاعةً وفضلاً، ورأى رجحان كفة معاوية، ورأى خذلان أهل العراق لأبيه، وضيقه بهم، واقتنع أنَّ هؤلاء الناس لا يمكن الاعتماد عليهم، كل ذلك جعل الحسن يؤمن بعدم جدوَى حرب معاوية، وأن صلاح حال الأمة وجمع كلمتها وتوحيد صفوفها ليس في مزيدٍ من القتال وسفك الدماء، وإنَّما في المصالحة والألفة، فمال إلى ذلك، وكان هذا عين الصواب والحكمة والواقعية.

وقد أظهر الحسن حنكةً دلَّت على سعة أفقه وبصيرته، عندما لم يشأ أن يواجه أهل العراق من البداية بميله إلى مصالحة معاوية وتسليمه الأمر؛ لأنه يعرف خفتهم وتهوُّرهم، فأراد أن يقيم من مسلكهم الدليل على صدق نظرته فيهم، وعلى سلامة ما اتَّجه إليه، فوافقهم على المسير لحرب معاوية، وعَبَّأ جيشه، وبعث قيس بن سعد في مقدمته على رأس اثني عشر ألفًا، وسار هو خلفه، فلما وصلت تلك الأخبار إلى معاوية، تحرك هو أيضًا بجيشه ونزل مسكن، وبينما الحسن في المدائن، إذ نادَى منادٍ من أهل العراق: إنَّ قيسًا قد قُتِل فسَرَت الفوضى في الجيش، وعادت إلى أهل العراق طبيعتهم في عدم الثبات، فاعتدوا على سرادق الحسن ونهبوا متاعه حتى إنَّهم نازعوه بساطًا كان تحته، وطعنوه وجرحوه، وهنا حدثت حادثة لها دلالة كبيرة فقد كان والي المدائن من قبل علي، سعد بن مسعود الثقفي، فأتاه ابن أخيه المختار بن أبي عبيد بن مسعود، وكان شابًّا، فقال له: "هل لك في الغنى والشرف؟ قال: وما ذاك؟ قال: توثق الحسن، وتستأمن به إلى معاوية، فقال له عمُّه: عليك لعنة الله، أثب علي ابن بنت رسول الله ﷺ فأوثقه بئس الرجل أنت"(١).

---

(١) انظر: الطبري، تاريخ، ج٥، ص١٥٩– هذا هو المختار ابن أبي عبيد الذي سيخرج فيما بعد مدعيًا =

فلما رأى الحسن صنيع أصحابه أيقن أنه لا فائدة منهم، ولا نصرَ يُرْجَى على أيديهم، وهذه كانت قناعته من البداية، فراسل معاوية في طلب الصلح، فسُرَّ معاوية بذلك وأرسل له عبد الله بن عامر، وعبد الرحمن بن سمرة، فقدمَا على الحسن بالمدائن، فأعطاه ما أراد، وصالحَه على أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف درهم(١). في أشياء اشترطها، ثم قال الحسن في أهل العراق: "يا أهل العراق إنه سخى بنفسي عنكم ثلاث؛ قتلكم أبي، وطعنكم إياي وانتهابكم متاعِي"(٢). ويروِي الطبري رواية أخرَى، وهي أنَّ معاوية من فرط سروره بميل الحسن إلى الصلح، أرسل له صحيفة بيضاء، عليها خاتمه في أسفلها، ليكتب فيها ما شاء من الشروط(٣).

لقد كان ما صنعه الحسن هو الصواب والسداد، وغير هذا لم يكن يعني إلا مزيدًا من إراقة دماء المسلمين، ولكنه ﷺ، مع انعقاد بيعته وأهليته للخلافة، فقد آثر سلامة المسلمين وقد جاء فعله مصداقًا لقول جدِّه عليه الصلاة والسلام فيه، وهو على المنبر ينظر إليه: "ابني هذا سَيِّد ولعلَّ الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من

أنه من شيعة آل البيت وسيطلب بدم الحسين، ولم يكن ذلك منه إلا نفاقًا وستارًا يخفى خلفه مطامعه في السلطان.

(١) قد يظن بعض من لا يعرفون حقائق الأمور أن الحسن أخذ هذه الأموال لنفسه وهذا فهم خاطئ فإنه أخذها ليفرقها بين جنوده. وكانوا أكثر من أربعين ألفاً ثم ليواسي بها أسر من قتلوا مع أبيه في الجمل وصفين. وكان عددهم كبيراً.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٥، ص١٥٩.

(٣) المصدر نفسه، ج٥، ص١٦٢.

المسلمين"[١]. وهذا الحديث- عند العلماء من دلائل النبوة، فقد صدَّق الحسن نبوءة جده عليه الصلاة والسلام وحقَّقها.

وهذا يبين أنَّ الإصلاح بين الطائفتين كان عملًا محمودًا يحبُّه الله ورسوله، وأن ما فعله الحسن من ذلك من أعظم فضائله، ومناقبه، التي أثنى بها عليه النبي ﷺ ولو كان القتال واجبًا أو مستحبًّا، لم يثنِ النبيُّ ﷺ بترك واجب أو مستحبٍّ"[٢]. وبهذا العمل الشجاع أنهى الحسن ﷺ فترةً مؤملةً وحزينةً من تاريخ المسلمين، وأعاد للأمة وحدتها وسكينتها، فجزاه الله أحسن الجزاء، ولقد كان مستريح الضمير مطمئن القلب قرير العين بما فعل، ولم يعبأ بسَفَه العراقيين وانتقاداتهم، حينما وصفوه بأوصاف هو منها بريء، حيث قالوا له: "يا مسوِّد وجوه المؤمنين"[٣]. "ويا مذلّ العرب"[٤]. فلم يزد على أن قال لهم: كرهت أن أقتلكم على الملك.

لماذا تنازل الامام الحسن عن الخلافة؟

إنَّ نظرة الحسن غير نظرة علي رضي الله عنهما؛ إذ كان أصغر منه في السنِّ وألزم لحوادث العصر. وكان ينظر إليها بمنظار رجال ذلك الجيل. وهكذا وجد أنَّه لا قِبَل له بتولِّي الخلافة، ذلك أنَّ شروط العصر كانت لا تلائم نفسه، ورأى أنه ينبغي له ألا

---

(١) رواه البخاري، ج٤، ص٢١٦ عن الحسن البصري، الذي سمعه من أبي بكرة وأبو بكرة سمعه من النبي ﷺ وانظر: ابن العربي، العواصم من القواصم، ص٢٠٠.

(٢) ابن تيمية، منهاج السنة، ج٢، ص٢٤٢.

(٣) أبو بكر العربي، العواصم من القواصم، ص١٩٧.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٥، ص١٦٥.

يَثِقَ بأصحابه؛ وقد عرفهم وعرف ما قاساه والده علي منهم ويبدو لي أنَّه كان في نفس الحسن كثير من الأسى على عثمان، ومن الغيظ على قتلته أو مُسَبِّبي قتله. وكان قد حاربهم يوم الدار وعرفهم على حقيقتهم، وطبيعي أنه لم يكن يحبُّ صحبتهم. وهكذا آثر أن يترك الخلافة لغيره على أن يبتلَى بهم، وهو يكرههم.

وأقدّر أنه وجد أنَّ معاوية خير لهذا العصر منه، ومعه من الأصحاب من يثق بهم ويستطيع أن يشق بهم طريقه، فكان في نفس الحسن أن يسلم الأمر لمعاوية، ولم يكن في ذهنه أن يقاتل. ويظهر لنا عدم ميله إلى ذلك منذ يوم بيعته، وهذا ابن شهاب الزهري يقول: "بايع أهل العراق الحسن بن علي بالخلافة، فطَفِق يشترط عليهم الحسن: إنكم سامعون مطيعون تُسالِمون من سالمت وتحاربون من حاربت".

وفي نص آخر: "إنَّ أول من بايعه قيس بن سعد قال له: ابسط يدك أبايعك على كتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيِّه وقتال المحلّين، فقال له الحسن: على كتاب الله وسنة نبيِّه، فإنَّ ذلك يأتِي من وراء كل شرط فبايعه".

ويبدو من هذين النصين بوضوح أنَّ الحسن كان يبغي الصلح. ويعنِي ذلك أن يصبح معاوية هو الخليفة.

وقد سارت الأمور بهذا الاتجاه، وكان مع الحسن جيش مكوَّن من أربعين ألفًا مُصمِّمين على القتال، متشددين فيه أكثر من ذي قبل، برئاسة قيس بن سعد وابن عباس.

ويدَّعي بعض المؤرخين بأنه أُلْقِي على الحسن مِعْوَل، وهو في خيمته، فدفعه ذلك إلى كره القتال، والصلح مع معاوية. أما الحقيقة فإنَّ هذا المعول الذي ألقي في ظروف مجهولة حدث بعد أن شرع في مفاوضة معاوية، وإلا فما معنَى إلقاء المعول

من قبل جيشه تعبيرًا عن سخطهم عليه مع أنه سائر إلى حرب عدوِّهم؟ إنَّ الحسن أراد أن يوقف القتال، وأرسل إلى معاوية، وكان قد اتَّجه إلى العراق، يطلب إليه إيقاف القتال، كما أن معاوية كان في نفسه الأمر ذاته، فتم الاتفاق بين الطرفين، وسمي العام عام الجماعة.

ويتهم الحسن بأنه أراد الصلح على شرطين، هما إبقاء مال بيت المال معه، وألا يسبَّ أبوه وهو حاضر. والشرط الأول وهو استبقاء خمسة ملايين درهم من بيت المال معه يشين من إنصافه وعدله على ما يظهر، لكنَّا إذا نظرنا إلى الأمر بمنظار روح ذلك العصر، فإنا نرى أن الحسن كان يرأس أسرة كبيرة، ولهذه الأسرة حقوقها من بيت المال، ووالده علي بن أبي طالب لم يوزع مال بيت المال في عائلته كما وزَّعه عمر بن الخطاب فيهم، بل سَوَّاهم بالناس الآخرين، وكان في حالة حرب، فكان يوفِّر ما في بيت المال للحرب، فكان من حق هذه الأسرة أن تأخذ ما كان من حقها وأجّل دفعه لها لظروف خاصة. وليس المال الذي استبقاه الحسن لنفسه فحسب، بل له ولأهل بيته ولأصحابه. ونحن نعرف بأنَّ عدد أصحابه كان كبيرًا، وأن عودتهم من الحرب وإقامتهم في بيوتهم يكلّف الكثير من المال، أفليس حريًّا بالحسن أن يستبقِي هذا المبلغ الذي هو مِن حقّ أولئك المحاربين فيُوزّعه بينهم. مهما يكن من أمر فإنَّ الحسن بن علي كان في الإسلام ركنًا للتفاهم والجماعة، وقد فهم تطوُّر العصر فسار معه، فجمع المسلمين على خليفة بعد أن كانوا مختلفين متقاتلين، وبذلك أحسن كل الحسن.

وتَمَّ تناول خلافة الإمام الحسن ﷺ في موقع آخر في الكتب المدرسية:

حيث يقول النص: "الإمام الحسن عليه السلام ثانِي أئمة الشيعة، والذي تولَّى

الخلافة بعد الإمام علي عليه السلام، كان مثالًا للتقوى والجهاد في سبيل الله، عرف عنه أنه من أكثر أفراد عائلة الرسول صلي الله عليه وسلم شبهًا به، الإمام حسن عليه السلام كان قليل نظرائه في الشجاعة والتسامح، مثل رسول الله. بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام بايع الناس الحسن بن علي عليه السلام.

يضيف النص: "الإمام حسن عليه السلام في أول أيام خلافته بعث برسالةٍ إلى معاوية وطلب منه عدم التمرُّد، ولكن معاوية أعدَّ جيشًا استعدادًا للحرب. بعد أن علم الإمام حسن عليه السلام بأمر هذا الجيش، جمع الناس في المسجد وطلب منهم الاستعداد للمعركة، ولكن لم يقبل بذلك إلا عدد قليل منهم واستعدوا للحرب، ومع ذلك أرسل الإمام عليه السلام جيشًا بقيادة عبيد الله بن عباس لمواجهة معاوية"[١].

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلي، مرحله دوم تعليمات عمومي، ص٢٢.

صلح الإمام الحسن مع معاوية

يقول النص: "استطاع معاوية بعدما وعد عبيد الله بن عباس بمنحه المال الكثير وعدد من أصحاب الإمام حسن عليه السلام، أن يكسبهم إلى صفِّه، حتى إنَّ بعضهم وعده بقتل الإمام حسن، وكذلك أعلن معاوية في كل مكان أنه يريد الصلح، بالمقابل كذلك قبل الإمام حسن عليه السلام الصلح، هذا الأمر أوجد الخلافات بين جند الإمام حسن عليه السلام، بعضهم الذي كان يريد الراحة انطلت عليهم حيلة معاوية، وأصرُّوا عليه أن يتصالح مع معاوية".

يضيف النص: "نتيجة لهذه الظروف لم يبقَ مع الإمام الحسن من أهل الكوفة إلا مجموعة قليلة من أصحابه الأوفياء، نتيجة لذلك أُجْبِر أن يوافق على اقتراح الصلح مع معاوية، لم يكن لجند الإمام عليه الإسلام الصمود أمام جند معاوية الذين يُشكِّلون عشرين ضعفًا، ففي حال قامت الحرب مع معاوية فإنَّ البقية القليلة التي بقيت من المسلمين الحقيقيين سوف يُقْضَى عليهم، وهذا الأمر كان لصالح معاوية، وبالنهاية كان الإمام الحسن عليه السلام مستعدًّا للصلح وبشروط، من أجل مصلحة الإسلام والكشف عن وجه معاوية الحقيقي، ومن هذه الشروط أنَّ معاوية ليس له الحق بتعيين خليفة له، وأن لا يسمي نفسه باسم أمير المؤمنين"(١).

وبعد نهاية النص، تطرح الأسئلة التالية على الطلبة لترسيخ بعض الأفكار:

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٢-٢٣.

الأسئلة والمناقشة:

١- لماذا اتخذ الإمام علي عليه السلام الكوفة مركزًا للحكم بعد واقعة الجمل؟

٢- لماذا لم يعطِ الإمام علي عليه السلام في معركتي صفين ونهروان الأمر بابتداء الهجوم؟

٣- اكتب بحثًا من صفحة واحدة عن حياة عمرو بن العاص.

٤- بالاستفادة مما قرأته في هذا الدرس وكتاب..............، عدِّد عشرة صفات من صفات الإمام علي؟

٥- لماذا أجبر الإمام الحسن عليه السلام على قبول الصلح مع معاوية؟ وبأيِّ شروط صالحَه؟

٦- املأ الفراغات التالية بالكلمات المناسبة:

أ- قائد جند الإمام علي عليه السلام الذي استطاع أن يضع جيش معاوية على عتبة الهزيمة يسمى...........

ب- جرح الإمام علي على يد أحد من الخوارج يسمَّى.......... وبعد يومين استشهد.

ت- هزم جيش الإمام علي عليه السلام في معركة..............

٧- أوجد العلاقة بين الخيارات التالية وصِل بينها بخطٍّ:

معركة الجمل	الخوارج
معركة صفين	عائشة وطلحة والزبير
معركة نهروان	معاوية
	عبد الله بن عباس[1]

تحليل النص:

جاءت طبيعة الأسئلة التي وضعها كاتب النص لترسيخ المفاهيم والقيم التي وردت في النص.

- فماذا يقصد السؤال الثالث: أن يكتب الطالب صفحة عن حياة عمرو بن العاص؟ وماذا يراد أن يرسخ في ذهن الطالب من وراء ذلك.

من هو عمرو بن العاص ﷺ: إنَّه الصحابي الجليل عمرو بن العاص بن وائل السهمي ﷺ أحد فرسان قريش وأبطالها، أذكى رجال العرب، وأشدهم دهاءً وحيلة، أسلم قبل فتح مكة، وكان سبب إسلامه أنَّه كان كثير التردُّد على الحبشة، وكان صديقًا لملكها النجاشي، فقال له النجاشي ذات مرة: يا عمرو، كيف يعزب عنك أمر ابن عمِّك؟ فوالله إنَّه لرسول الله حقًّا. قال عمرو: أنت تقول ذلك؟ قال: أي والله، فأطعنِي. فخرج عمرو من الحبشة قاصدًا المدينة، وكان ذلك في شهر صفر سنة ثمانٍ من الهجرة، فقابله في الطريق خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة، وكانَا في

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلي، ص٢٣.

طريقهما إلى النبيِّ، فساروا جميعًا إلى المدينة، وأسلموا بين يدي رسول الله وبايعوه وفي عهد الفاروق عمر ﷺ تولّى عمرو بن العاص إمارة فلسطين. وكان عمرو يتمنَّى أن يفتح الله على يديه مصر، فظلَّ يحدث عمر بن الخطاب عنها، حتى أقنعه، فأمَّره الفاروق قائدًا على جيش المسلمين لفتح مصر وتحريرها من أيدي الروم، فسار عمرو بالجيش واستطاع بعد كفاح طويل أن يفتحها، ويحرر أهلها من ظلم الرومان وطغيانهم، ويدعوهم إلى دين الله عزَّ وجل، فيدخل المصريون في دين الله أفواجًا. وأصبح عمرو بن العاص واليًا على مصر بعد فتحها، فأنشأ مدينة الفسطاط، وبنَى المسجد الجامع الذي يُعْرَف حتى الآن باسم جامع عمرو، وكان شعب مصر يحبُّه حبًّا شديدًا، وينعم في ظله بالعدل والحرية ورغد العيش، وكان عمرو يحب المصريين ويعرف لهم قدرهم، وظلَّ عمرو بن العاص واليًا على مصر حتى عزله عنها عثمان بن عفان ﷺ. وجاءت الفتنة الكبرى بين علي ومعاوية- رضي الله عنهما- فوقف عمرو بن العاص بجانب معاوية، حتى صارت الخلافة إليه. فعادَ عمرو إلى مصر مرة ثانية، وظلَّ أميرًا عليها حتى الوفاة[1].

لقد كالَ الشيعة الكثير من التُّهَم في حق عمرو بن العاص، ومن ذلك:

زعمهم أنَّ عليًّا بارز عمرو بن العاص في صفين، فاتقاه عمرو بعورته. قال نصر بن مزاحم الكوفي (شيعي): "وحمل أهل العراق وتلقَّاهم أهل الشام واجتلدوا وحمل عمرو بن العاص.... فاعترضه علي وهو يقول:

قـد علمـت ذاتُ القـرون الميـل … والخـصـر والأنـامـل الطفـول

(١) للمزيد انظر: الذهبي، سير أعلام النبلا، ج٥، ص٥٥-٥٩.

إلى أن يقول: ثم طعنه فصرعه واتَّقاه عمرو برجله، فبدت عورته، فصرف عليٌّ وجهَه عنه وارتُثَّ. فقال القوم: أفلتَ الرجل يا أمير المؤمنين. قال: وهل تدرون من هو؟ قالوا: لا. قال: فإنه عمرو بن العاص تلقانِي بعورته فصَرَفْت وجهي[1].

لكن بعد مراجعة مصادرنا الموثوقة لم نجد لهذه الرواية أصلاً.

كما زعموا أنَّ سيدنا عمرو بن العاص ﷺ كان يهجو الرسول ﷺ والرسول ويلعنه. ونسأل نريد نص الحديث الذي لعن به سيدنا محمد ﷺ مع السند وفي أي كتاب من كتب الأحاديث الستة.

❋ لماذا يناصب الشيعة عمرو بن العاص العداء؟

إنَّ عداء الشيعة لعمرو بن العاص ينبع من موقفه من الخلاف الذي وقع بين الصحابيين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، فقد وقف عمرو بن العاص ﷺ إلى جانب معاوية في موقعة صفين، وهو الذي أشار على معاوية برفع المصاحف.كما أنه لعب دورًا مهمًّا في مجريات التحكيم التي انتهت نتائجه لصالح معاوية. وبالتالي فإنَّ الشيعة يعتبرون عمرو بن العاص السبب الرئيس في ترجيح كفة معاوية وحسم أمر الخلافة لصالحه. وينسون أنَّهم هم الذين أجبروا علي بن أبي طالب على قبول التحكيم، وأجبروه بأن يكون مُمَثِّله في التحكيم أبو موسى الأشعري، ثم رفضوا قرار التحكيم. وتخلوا عن علي بن أبي طالب.

---

(١) نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ١٣٨٢هـ، جا، ص٤٠٨.

*** ألم يمدحه النبي ﷺ. وقد ورد مثل ذلك في كتب الصحاح[(١)]:**

"حدثنا عبد الله بن يزيد قال: حدثنا موسى بن علي قال: سمعت أبى يقول: سمعت عمرو بن العاص قال: بعث إليَّ النبي صلى الله عليه وسلم فأمرنى أن آخذ عليَّ ثيابي وسلاحي ثم آتيه ففعلت، فأتيته وهو يتوضأ، فصعد إلى البصر ثم طأطأ، ثم قال: يا عمرو إني أريد أن أبعثك على جيش فيغنمك الله وأزعب لك زعبة من المال صالحة. قلت: إني لم أسلم رغبة في المال إنَّما أسلمت رغبة في الإسلام فأكون مع رسول الله ﷺ. فقال: "يا عمرو، نِعْمَ المال الصالح للمرء الصالح".

قال الشيخ الألباني: صحيح.

- أما السؤال الخامس فهو يحاول أن يؤكِّد زعم الشيعة بأنَّ الإمام الحسن لم يتنازل عن الخلافة. وإنما أُجْبِر على ذلك، وبالتالي فيغرس العداء في ذهن الطالب لبني أمية منذ البداية.

- أما السؤال الأخير فهو يريد أن يربط في ذهن الطالب بين عائشة أم المؤمنين وطلحة والزبير رضي الله عنهم وبين ما وقع في موقعة الجمل. وبالتالي يحمِّلهم مسؤولية ما حدث.

---

(١) انظر: مسند الإمام أحمد، حديث رقم١٧٧٦٣، صحيح ابن حبان، حديث رقم: ٣٢١٠.

خلافة بني أمية

الأمويين في عصر الجاهلية وفي العهد الإسلامي

يقول النص: "بُعِث رسول الإسلام لإتمام مكارم الأخلاق وتنشئة أناس طاهرين من ناحية الفكر والعمل، ولهذا السبب ومنذ بداية رسالته وحتى وفاته اهتَمَّ بشكل جادٍّ لإحداث تغيير في التفكير والتصرفات في المجتمع في العصر الجاهلى، هذا التغيير الذي وقف ضده وقاومه أعداء الرسول ﷺ وعلى رأسهم بنى أمية الذين وقفوا في وجهه حتى آخر الأيام قبل فتح مكة، في نهاية المطاف انتهت هذه المقاومة، واضطر أبو سفيان وأولاده وكافة قادة الشرك أن يُسْلِموا في الظاهر، ولكن التاريخ أثبت أن إسلام هؤلاء المتأخِّر لم يكن ذا أساس، وعندما سنحت الفرصة لهم بدأوا في التأثير على المجتمع مرة أخرى، وعاد الفكر والخصائص الجاهلية بلباس جديد وفرض على الناس، في الواقع الخلافة الأموية كانت استمرارًا للتفكير الجاهلي في مجتمع إسلامي"[(١)].

وتصف الكتب المدرسية حكومة بنِي أمية بالظالِمَة وأنه كان هناك ثورة إسلامية.

يقول النص: "كان حكَّام بنِي أمية ظالمين، كانوا يحكمون الأراضي الإسلامية ومن ضمنها إيران، كانوا يأخذون ضرائب كبيرة من الناس، وكانوا يقمعون أي مخالفة لهم بشِدَّة، في عهد الأمويين تحمل المسلمون وبخاصة الشيعة الكثير من التعذيب والاضطهاد، كما استشهد الإمام محمد باقر عليه السلام، على إثر الثورات

(١) تاريخ إيران وجهان، ص ١١٦.

التي قامت ضد بني أمية، وضعت هذه الثورات حكومة بني أمية على حافة السقوط.

عداء بني أمية الحقيقي كان لعائلة الرسول ﷺ ومُحبّيهم، ومع هذا فقد كان عدد الشيعة يزداد يومًا بعد يوم وخاصة في إيران، وبالنهاية وبسبب ظلم بنِي أمية وفسادهم قام المسلمون لمواجهتهم، أحد قادة هذه المواجهة أبو مسلم الخراساني، وقد ادَّعى أنه من أنصار عائلة الرسول ﷺ، ولهذا اجتمع حوله عدد كبير، ثم بدأ يحارب بني أميه، وهزم مروان وكان آخر الخلفاء الأمويين، وأثناء هروب مروان قُتِل وانقرضت حكومة بني أمية[1].

---

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ی راهنمایی تحصیلی، مرحله دوم تعلیمات عمومی، ص٢٧.

معاوية مؤسِّس الخلافة الأموية

تقول أيضًا الكتب المدرسية: "أسلم معاوية بن أبي سفيان خلال فتح مكة، في عهد الخليفة الأول توجَّه مع الجيش لفتح الشام، وفي عهد الخليفة الثانِي أصبح أميرًا عليها وبقى في هذا المنصب حتى عهد خلافة الإمام على عليه السلام، بالطبع فإن بُعْد الشام عن مركز ظهور الإسلام جعل المسلمين الجدد في الشام لا يعرفون المحتوى الفعلى وخلفية تقدُّم الإسلام، جعلهم ينظرون إلى أبي سفيان وأولاده إنهم مسلمين حقيقيين، ومعاوية الذي كان يقدِّم نفسه على أنه من أصحاب الرسول ﷺ جعل للأمويين قاعدة قوية نسبيًّا في الشام، واستفاد من حماية ومساعدة الناس له في هذه الأراضي للوصول إلى أهدافه الدنيوية.

يضيف النص: "عندما تولَّى الإمام على عليه السلام الخلافة، قام بعزل معاوية عن إمارة الشام، وقد قدَّم الإمام وأصحابه إلى أهالي الشام بأنَّهم قتلة الخليفة وبحجة طلب الثأر لدم عثمان، وجرّ أهالي الشام إلى الحرب مع الإمام على عليه السلام، وبالنهاية بعد شهادة الإمام على عليه السلام، وفرض على الإمام حسن عليه السلام معاهدة سلام، أصبحت الخلافة رسميًّا بيد معاوية، لم يكن لمعاوية هدف سواء عندما كان واليًا للشام أو خليفة المسلمين غير استمرار قوة وسلطة الأمويين بأي طريقة ممكنة[1]".

وقد ازداد ظلم معاوية للناس يومًا بعد يوم، كان يوزِّع الأموال العامة للمسلمين بين أنصاره وأقربائه، وكان يحكم مثل الملوك، وقد خالف الحسين بن علي

---

(١) تاريخ إيران (رشته ادبيات وعلوم إنساني)، ، ص ١١٦.

ثالث أئمة الشيعة السياسات التي تبناها معاوية"[1].

يضيف النص: "بعد مدة وبتحريضٍ من معاوية تسمَّم الإمام الحسن واستشهد، منتهكا لشروط معاهدة الصلح معه، وقد انشغل معاوية ببناء ديوان رائع له؛ وعيَّن ابنه يزيد خليفةً له، وبهذا أسَّس سلالة بني أمية[2].

وفي نص أخر تقول الكتب المدرسية في هذا المجال: "بعد معاوية تولّى الحكم ابنه يزيد، يزيد كان رجلاً فاسدًا، يشرب الخمر ومخالفًا للإسلام، خالف الإمام الحسين عليه السلام يزيد منذ البداية، لهذا كتب يزيد رسالة إلى حاكم المدينة وأمره أن يأخذ البيعة من الإمام الحسين عليه السلام إلى يزيد، وأن يقتله إذا لم يقبل بالبيعة، كان حاكم المدينة على وشك أن ينفِّذ الأمر، ترك الإمام الحسين المدينة في النهاية، واتَّجه إلى المدينة، من ناحية أخرى كتب أهل الإمام الحسين عليه السلام رسائل كثيرة إليه وطلبوا منه أن يذهب إلى العراق، ترك الإمام الحسين عليه السلام ومعه عائلته وأصحابه واتجهوا إلى العراق، وبالقرب من الكوفة علم الحسين أن أهالي هذه المدينة ينقضون العهد، ولكن عبيد الله بن زياد أمر شخصًا يدعي الحرّ بمراقبة الإمام حسين ومرافقيه. بعد فترة قليلة أرسل جيشًا من ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة عمر بن سعد إلى صحراء كربلاء، ووعد عمر بن سعد إذا استشهد الإمام الحسين عليه السلام فسوف يعطيه حكمَ رِيّ (في ذلك الوقت كانت مدينة رِيّ من أكبر وأهم المدن الإيرانية)، لهذا قام بمحاصرة الإمام وأصحابه ومنع عنهم الماء، طوال الوقت كان الإمام عليه السلام يتحدث إلى جند عمر بن سعد وكان أكثرهم من

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلى، مرحله دوم تعليمات عمومى، ص٢٤.

(٢) تعليمات اجتماعي، بنجم دبستان، إداره كل جاب وتوزيع كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٨، ص٩٤.

أهل الكوفة، ولكن هؤلاء كانوا يحبون الدنيا، والخطيئة تبدو على وجوههم. لم يقبلوا كلام الإمام عليه السلام[(١)].

وتضيف الكتب المدرسية، أنه ولوصول معاوية إلى أهدافه استخدم عدة طرق من بينها:

قال الرسول ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق».

١- تغيير وتبديل الحكومة الدينية إلى سلطة دينوية: يقول النص: "البذخ والترف الذي كان يعيش فيه معاوية وهذا غير متوافِّق مع التعاليم الإسلامية، ولا مع سُنّة الرسول ﷺ، [(٢)] ولا حتى طريقة الخليفة الأول والثانِي. العلامة الأكثر وضوحًا في هذا التغيير، بالإضافة إلى أنَّ معاوية جعل الخلافة وراثية وإعلان ابنه الآثم الفاسق (يزيد)، الخطوة الأساسية في عملية تغيير وتحويل شكل ومحتوى الحكومة الدينية[(٣)].

٢- التفسير الجبري لواقعية الدين وخداع الأفكار العامة: حسب هذا التفسير، فإنَّ التغييرات السياسية والاجتماعية هى مُقَدَّرة وحسب مشيئة الله، أما المعارضة ومخالفة الحكومات الفاسدة تُحْسَب مخالفةً لمشيئة الله وتقدير الله[(٤)].

---

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلى، ، ص٢٤-٢٥.

(٢) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته ادبيات وعلوم إنساني)، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسى إيران، جاب يزدهم، ١٣٨٩، ص ١١٦.

(٣) المصدر نفسه، ص١١٧.

(٤) المصدر نفسه، ص١١٧-١١٨.

٣- الإساءة للإمام على عليه السلام في القول، ومضايقة وإيذاء شيعته: من سياسات معاوية البَشِعة واستُمِرَّ عليها من بعده، وهى الإساءة بالقول إلى الإمام على عليه السلام وذلك بواسطة المبشّرين المرتزقة، الهدف من هذا العمل القضاء على النموذج المثالي للحكومة الإسلامية، وتغير هذه الصورة إلى شكل آخر لدين محرَّف ومشوَّه، وكان الشيعة غير مستعدين للتعاون مع معاوية في هذا الصدد، لهذا تعرَّضوا إلى الأذى والمضايقة والتعذيب، حتى إن بعضهم استشهد في وضع مُفْجِع مثل الحجر بن عدي، حتى إن معاوية قدَّم وعودًا خادعة لزوجة الإمام حسن حتى تَدُسَّ له السم، واستشهد[1].

٤- جَذْبُ وتوظيف الأشخاص الماكرين وطالبى الجاه.. معاوية لا يستطيع وحده إقناع وإرضاء الرأي العام، ومنع الناس من المعارضة الواسعة النطاق، لهذا وبكلِّ وسيلة ممكنة سواء من سوء استخدام بيت مال المسلمين، تسليم الحكومة وحتى التهديد، لهذا وظَّف العديد من الأشخاص الماكرين وطالبى الجاه، بعض هؤلاء الأشخاص كانوا إما عن طريق الخداع والحِيَل والتزوير، أو عن طريق وضع الأساليب لفرض الهيمنة والسلطة على الناس، البعض الآخر أيضًا عن طريق التنكُّر بملابس العلماء ورجال الدين وقاموا بتحريف الأحاديث والتاريخ وهذه الطرق من الجهود المبذولة للتغلب على الأفكار العامة للجمهور، وفريق آخر بالبراعة والقوة العسكرية كان يساعد في قمع المعارضين من بينهم عمرو عاص، المغيرة بن شعبة، وزياد ابن أبيه.

---

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته ادبيات وعلوم إنساني)، ص١١٧.

في عهد خلافة معاوية استمرَّت الفتوحات الإسلامية، فتح المسلمون قبرص ووصلوا إلى حدود قسطنطينية وإلى شرق نيازستان، بلوشتان الآن، وجزء من أراضي السند، هذه الثروات الناتجة عن هذه الفتوحات فتحت المجال لمعاوية للقيام بأعماله المذكورة"(١).

وتستعرض الكتب المدرسية أسباب سقوط بني أمية، وتُلِّخصها في الأربعة محاور التالية:

١- فضح وجه بني أمية وأنهم كانوا ضد الإسلام، وبالنهاية استشهاد الإمام حسين عليه السلام.

٢- ظلم وعدم عدالة بني أمية.

٣- عنصرية بني أمية واحتقارهم للمسلمين غير العرب.

٤- عدم القدرة على إدارة الأراضي الواسعة(٢).

تحليل النص:

يحاول النص تشويهَ صورة الخلافة الأموية ويصفها بالدولة الظالمة، ولم يراعِ الإنجازات التي تمَّت في عهد بني أميه من فتوحات وتأسيس دولة مترامية الأطراف، واختزَل تاريخ الدولة الإسلامية خلال الفترة من ٤٠-١٣٢هـ فقط بما جرَى بين بني أمية وآل البيت، كما يحاول النص والأسئلة التي أُتْبعت به تأكيدَ ظلم

---

(١) المصدر نفسه، ص١١٧-١١٨.

(٢) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلي، مرحله دوم تعليمات عمومى، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٩، ص٢٧-٢٨.

بني أمية لآل البيت. وإذا سلَّمنا بما جاء في النص، فأين فترة خلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله من العدل والمعاملة الطيبة لآل البيت.

ووصف بني أمية بأنَّهم أعداء لآل البيت، هو ظلم واضح، فالتعميم هو آفة البحث العلمي- مع إيماننا بأن العلاقة بين الطرفين كان يشوبُهَا التوتر وعدم الثقة، فمقتل الحسين عليه السلام يمثِّل ضربةً موجعةً لجميع المسلمين؛ فهو سبط النبي ﷺ.

ثم يحاول النص تزييف الحقائق بأنَّ الذي تصدَّى لظلم بني أمية، وساهم في القضاء عليها رجال إيراني: "وبالنهاية وبسبب ظلم بني أمية وفسادهم قام المسلمون لمواجهتهم، أحد قادة هذه المواجهة أبو مسلم الخراساني، وتناسى الجهود التي بذلها بنو العباس على مدار ٣٠ سنة من ١٠٠-١٢٥هـ. ومرحلة الدعوة العباسية السرية التي أشرف عليها العرب وشاركوا بها في الكوفة وخراسان، فسبعة من نقباء الدعوة العباسية الاثنى عشر كانوا من العرب. ولم يظهر أبو مسلم إلا بعد ١٢٥هـ عندما نضجت الثورة، فأرسله إمام الدعوة لقيادة جيوش الثورة في خراسان[1].

وبعد نهاية النصّ، تطرح الأسئلة التالية على الطلبة لترسيخ بعض الأفكار:

(١) للمزيد من التفاصيل حول الثورة العباسية ومراحلها ودور العرب فيها، انظر: فاروق عمر، الثورة العباسية، ص٢٩ وما بعدها. فقد استوعبت جميع المصادر المتخصصة في الفترة.

الأسئلة والمناقشة:

١- املأ الفراغات الآتية بالكلمات المناسبة:

أ- إحدى جرائم معاوية أنه سمم...........

ب- أحد قادة مواجهة بني أمية................ والذي هزم معاوية

٢- في أعقاب تسلسل الحوادث ما الحادثة التي كشفت شخصية معاوية الحقيقية؟

٣- اكتب سببين من أسباب سقوط بني أمية.

٤- ابحث في مصير الأشخاص الذين كانوا سببًا لاستشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، واعرض النتيجة في الصف.

٥- ما الدرس الذي نأخذه من نهضة عاشوراء؟[1]

تحليل النص:

الملاحظ على جميع الأسئلة تهدف إلى تذكير الطالب بظلم بني أمية لآل البيت، ثم تحاول الأسئلة أن تُبيِّن مصير من يعتدي على آل البيت، من خلال السؤال: ابحث في مصير الأشخاص الذين كانوا سببًا لاستشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، واعرض النتيجة في الصف.

تسهب الكتب المدرسية في الطعن في بنى أمية، حيث تقول: "عرفنا التغييرات التي حدثت في المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول ﷺ وعهد خلافة الخلفاء

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلى، مرحله دوم تعليمات عمومى، ص٢٨.

الراشدين، والتغييرات في عصر خلافة الأمويين، السيرة الذاتية لخلفاء هذه السلالة ومسيرة التغيير لتصبح الحكومة دنيوية بدلًا من الحكومة الدينية، الملحمة الحسينية المجيدة، والفتوحات الإسلامية هذه من النقاط التى سوف نتحدث عنها في هذا الدرس"[١].

تحليل النص:

ألا يكفي معاوية أنه أول من أنشأ الأسطول الإسلامي؟

فمعاوية بن أبي سفيان ﷺ كان والِي الشام، وهي بلاد متاخمة لدولة الروم ذات التجربة الواسعة في المعارك البحرية. لذا فقد جاءت حملة الروم البحرية على الإسكندر سنة ٢٥هـ لتؤكِّد وجهة نظر معاوية بن أبي سفيان- والِي الشام آنذاك- في ضرورة أن يكون للمسلمين قوة بحرية تُدافِع عن شواطئهم في الشام ومصر ضد هجمات الأسطول البيزنطي. وقد آمَن معاوية بهذه الفكرة منذ اشتراكه في فتوحات الشام، وبصفةٍ خاصةٍ المدن الساحلية، مثل صور وعكا وقيسارية التي كان الأسطول البيزنطي يمدُّها من البحر بالمؤن والعتاد والرجال، ويجعلها تصمد في مقاومة المسلمين، ولكن على رغم كل هذه الصعوبات فقد أَتَمَّ فتحها، غير أنَّ ما عاناه في ذلك عمَّق لديه الإحساس بأهمية القوة البحرية للمسلمين، فعرَض الأمر على الخليفة عمر بن الخطاب إلا أنَّ عمر رفض أن يأذَن له في إنشاء أسطول ومنعه من الغزو في البحر[٢]؛ لأنَّ سياسة عمر في تلك المرحلة كانت تتَّسِم بالحذر والخوف على المسلمين من المغامرات التي تحفها المخاطر.

---

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته أدبيات وعلوم إنساني)، ص ١١٦.

(٢) انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص١٨١.

وربما كان عمر مدفوعًا في سياسته تلك بتجارب غير ناجحة في مجال الغزو البحري، كادت أن تسبِّب للمسلمين بعض الكوارث، من ذلك محاولة العلاء بن الحضرمي غزو فارس من البحرين، حيث أخذ الفُرْس الطريق عليه، وأحاطوا به، وكاد يهلك هو وجيشه، لولا أن تدارك عمر الموقف وكتب إلى عتبة بن غزوان بالبصرة بإنقاذه(١)، ومن تلك التجارب التي خوَّفت عمر من ركوب المسلمين البحر أنه كان قد بعث حملة بحرية تأديبية إلى الحبشة بقيادة علقمة بن مجزِّز المدلجي؛ لأن الحبشة كانت قد اعتدت على أطراف المسلمين كما يقول الطبري: "ولكن المسلمين أُصِيبوا فجعل عمر على نفسه ألا يحمل في البحر أحدًا أبدًا"(٢). ومما زاد عمر اقتناعًا بوجهة نظره في الاحتياط من ركوب البحر، رأي عمرو بن العاص عندما استشاره فيما يعرضه معاوية من بناء أسطول بحري، فقد جاء رأي عمرو مُعزِّزًا لوجهة نظر الخليفة(٣)، لكلِّ ذلك لم تنجح مساعي معاوية لدى عمر، حتى بعد أن جسم له خطر الأسطول البيزنطي على شواطئ المسلمين حين قال له: يا أمير المؤمنين، "إن قرية من قرى حمص ليسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم"(٤)، ومع تأثُّر عمر بكلام معاوية هذا، إلا أنه كتب إليه بعد أن جاءه ردّ عمرو بن العاص قائلاً: "لا والذي بعث محمدًا بالحق لا أحمل فيه مسلمًا أبدًا"(٥).

---

(١) انظر: الطبري، تاريخ، ج٤، ص٧٩-٨٣.

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص١١٢.

(٣) انظر كتاب عمر إلى عمرو بن العاص برأيه في البحر ورد عمرو عليه في الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٥٨.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٥٨.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٩٥.

وإزاء هذا الإصرار من الخليفة على الرفض، لم يكن لمعاوية بدٌّ من أن يؤجل مشروعه إلى أن تحين له الفرصة المناسبة، واكتفَى في هذه المرحلة بتأمين سلامة شواطئ الشام وتعزيزها بالمقاتلين[١]. لتكون قادرة على صدِّ هجمات الأسطول البيزنطي.

فلما توفِّي عمر ﷺ في آخر عام (٣٢هـ) وتولى الخلافة عثمان بن عفان (٢٤-٣٥هـ) أحْيَا معاوية مشروعه وعزَّز موقفَه هجومُ الروم على الإسكندرية، فطلب من عثمان أن يأذن له بالغزو في البحر، وفي غزو جزيرة قبرس بالذات، لقربها من شواطئ المسلمين، وتهديدها الدائم لها، وهي القرية التي كان أشار إليها وقصدها في حديثه إلى عمر. ولكن عثمان لم يكن أقلَّ حرصًا من عمر على سلامة المسلمين فلم يأذن لمعاوية في ركوب البحر من أول الأمر، وإنَّمَا ردَّ عليه قائلاً: "قد شهدت ما ردَّ عليك عمر رحمه الله حين استأمرته في غزو البحر"[٢]، ومعنَى ذلك أن عثمان أراد أن يخبر معاوية أنَّ رأيه في ذلك مثل رأي عمر، ولكن معاوية لم ييأس وواصل إلحاحه عليه، وتحت هذا الإلحاح المستمر كتب إليه عثمان: "فإن ركبت البحر ومعك امرأتك فاركبه مأذونًا لك وإلا فلا"[٣].

ففرح بإذن عثمان له وبدأ في إنشاء الأسطول، فلمَّا قوي بدأ في غزو جزر الروم فركب البحر كما يقول البلاذري: "من عكا ومعه مراكب كثيرة وحمل امرأته فاختة بنت قرظة، وحمل عبادة بن الصامت امرأته أمَّ حرام بنت ملحان الأنصارية"[٤]،

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٩٥.

(٢) المصدر نفسه، ص١٨١.

(٣) المصدر نفسه، ص١٨١.

(٤) المصدر نفسه، ص١٨١.

وكانت أول جزيرة يغزوها معاوية من جزر البحر المتوسط في حملته هذه هي جزيرة قبرس، فنزلها سنة (٢٨هـ) أو (٢٩) كما يقول البلاذري: فبعث إليهم أركونها يطلب الصلح، وقد أذعن أهلها فصالحهم على سبعة آلاف ومائتي دينار يؤدُّونها كل عام، واشترط عليهم شروطًا أخرى منها: أن يُؤْذِنُوا المسلمين بمسير عدوِّهم من الروم، وأن يكونوا على الحياد فلا يقاتلون المسلمين ولا يقاتلون معهم(١)، ولا يعينون الروم عليهم.

حقَّق معاوية هدفه الذي سعى إليه طويلاً، وجاءت تجربته الأولى ناجِحَةً ومشجعة؛ فها هو ذا الأسطول الإسلامي أصبح حقيقةً واقعةً، وقوة استطاعت أن تفرض شروطها على واحدة من أهم قواعد الأسطول البيزنطي في البحر المتوسط وهي جزيرة قبرص.

---

(١) المصدر نفسه، ص١٨١.

نهضة الإمام الحسين عليه السلام

يقول النص: "بعد استشهاد الإمام الحسن (عليه السلام) وصلت إمامة الشيعة إلى أخيه الإمام الحسين، استمرَّت إمامة الإمام الحسين مدة عشر سنوات، خلال هذه المدَّة كان يحكم معاوية ومن بعده ابنه يزيد.كان معاوية ظالمًا ومحتالاً، وكان يظهر نفسه على أنه متدين ومتعاطف، ويزيد أيضًا كان رجلًا فاسدًا وظالمًا، ولكنَّه كان يقترف الذنوب بشكل علنيٍّ وكان يضع الأوامر الدينية تحت قدميه، في بداية حكمة حاول أن يأخذ البيعة من الإمام الحسين عليه السلام بالإجبار، ولكن الإمام لم يقبل، في ذلك الوقت دعا أهالي الكوفة الإمام حسين عليه السلام إلى مدينتهم، الإمام وبرفقة عائلته ومجموعةٍ من أتباعه ذهبوا من السعودية إلى العراق، وهناك قاموا بثورةٍ ضد يزيد. قال حضرته عن سبب هجرته:

(أنا ثُرْتُ من أجل المحافظة على بقاء الإسلام حيًّا والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[١].

*** أهداف ثورة الإمام الحسين عليه السلام:**

يقول النص: "الإمام قبل حركته كتب في وصيته إلى أخيه محمد بن حنيفة شرح له أهداف ثورته على يزيد، اعتبر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لتحقيق أهداف ثورته الواردة أدناه:

---

(١) تعليمات اجتماعي، بنجم دبستان، اداره كل جاب وتوزيع كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٨، ص٩٥.

١- إصلاح وإعادة هيكلة المجتمع الإسلامى على أساس نموذج حكومة الرسول ﷺ والإمام علي عليه السلام.

٢- منع وقوع الفساد والتسيُّب في المجتمع الإسلامي.

سلوك جند يزيد مع جثث الشهداء والناجين منهم: جنود معاوية داسوا على أجساد الشهداء المطهرة بالخيول وحملوا رءوسهم على الرماح، وأسروا النساء والأطفال، وبعد ذلك أخذوهم إلى الشام، مع كل هذه المصائب فإنَّ السيدة زينب قادت القافلة والإمام السَّجَّاد الذي كان مريضًا جدًّا خلال المسيرة الطويلة ألقى خطابات في الكوفة والشام وأنَّه حمل رسالة ثورة الحسين للقضاء على الظلم، ووضح واجب كافة المسلمين الشرفاء مع الكرامة والاعتزاز، يمنع نسيان حقيقة ملحمة كربلاء الدينية والتاريخية"[١].

تفسير:

يقول النص: "عندما وصل رأس الإمام حسين عليه السلام والأسرى عند يزيد، قال أمام الحضور قراء شعر هذا مضمونه (ليت آباءنا الذين قتلوا في معركة بدر كانوا حاضرين وشاهدوا أننا وانتقامنا لهم قتلنا اليوم البطل الشجاع (الإمام حسين)، ويزيد وباستمراره في إنكار النبوة قال: لعب بنو هاشم بالحكومة ولم يبعث رسول ولا نزل وحي"[٢].

---

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته ادبيات وعلوم إنساني)، ص١١٩.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٩.

تحليل النص:

لم يثبت عن يزيد مثل هذا الكلام. إليكم ما روته المصادر التاريخية حول خبر مقتل الحسين ﷺ، وموقف يزيد بن معاوية من ذلك.

كتب عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية يُخبِره بما حدث ويستشيره في شأن أبناء الحسين ونسائه، فلما بلغ الخبر يزيد بن معاوية بكى وقال: كنت أرضى من طاعتكم- أي أهل العراق- بدون قتل الحسين، كذلك عاقبة البغي والعقوق. لعن الله ابن مرجانة لقد وجده بعيد الرحم منه، أما والله لو أنِّي صاحبه لعفوت عنه فرحم الله الحسين، وفي رواية أنَّه قال: أما والله لو كنت صاحبه، ثم لم أقْدِر على دفع القتل عنه إلا ببعض عمري لأحببت أن أدفعه عنه، فجاء ردّ يزيد على ابن زياد يأمره بإرسال الأسارى إليه، وبادر ذكوان أبو خالد فأعطاهم عشرة آلاف درهم فتجهزوا بها، ومن هنا يعلم أن ابن زياد لم يحمل آل الحسين بشكل مُؤلِم أو أنَّه حملهم مغللين، كما ورد في بعض الروايات.

وأشار الطبري إلى ندم يزيد على قتل الحسين فكان[١]: "يقول وما كان علي لو احتملت الأذى وأنزلته معي في داري وحكَّمته فيما يريد وإن كان عليّ في ذلك وكفّ ووهن في سلطاني حفظًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورعايةً لحقّه وقرابته. لعن الله ابن مرجانة فإنه أخرجه واضطره، وقد كان سأله أن يخْلِي سبيله ويرجع فلم يفعل أو يضع يده في يدي أو يلحق بثغر من ثغور المسلمين حتى يتوفَّاه الله عزَّ وجلَّ فلم يفعل، فأبَى ذلك وردَّه عليه وقتله فبغَّضني بقتله إلى المسلمين

(١) تاريخ، ج٥، ص٥٠٦-٥٠٧.

وزرع لي قلوبهم العداوة فبغضني البر والفاجر بما استعظم الناس من قتلي حسينًا ما لي ولابن مرجانة لعنه الله وغضب عليه".

وقد حرص يزيد على إكرام آل الحسين، فلما دخل أبناء الحسين على يزيد قالت فاطمة بنت الحسين: يا يزيد، أبنات رسول الله ﷺ سبايَا قال: بل حرائر كرام، ادخلي على بنات عمِّك تجديهن قد فعلن ما فعلت. قالت فاطمة: فدخلت إليهن فما وجدت فيهن سفيانية إلا ملتزمة تبكِي. وعندما دخل علي بن الحسين قال يزيد: إنَّ أباك قطع رحمي وظلمني فصنع الله به ما رأيت- وكان علي بن الحسين في معركة كربلاء لم يشترك بسبب المرض الذي كان ملازمه، وكان أثناء احتدام المعركة طريح الفراش فحمل إلى ابن زياد مع بقية الصبيان والنساء، فردّ علي بن الحسين على يزيد: ﴿ **مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾ [الحديد: ٢٢]. ثم طلب يزيد من ابنه خالد أن يجيبه، فلم يدرِ خالد ما يقول فقال يزيد: قل له: ﴿ **وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ** ﴾ [الشورى:٣٠].

ملحمة عاشوراء

وفي هذا المجال تركز الكتب المدرسية على عاشوراء بشكل كبير، حيث تقول نصوص الكتب المدرسية: "في اليوم العاشر من محرم (عاشوراء) سنة واحد وستين للهجرة، لم يبقَ من أصحاب الإمام إلا اثنان وسبعون من أصحابه. بدأت المعركة، الحرُّ سمع كلام الإمام الحسين فانضمَّ إلى صفوف جيش الحسين واستشهد، استمرّت الحرب يوم عاشوراء منذ الصباح حتى بعد الظهر، في النهاية قاتل الإمام الحسين وجميع أصحابه في هذه الحرب ببسالةٍ من أجل بقاء الدين الإسلامي، في واقعة كربلاء استشهد حضرة العباس أخ الإمام الحسين وعلي الأكبر ابن الإمام.

يضيف النص: "إنَّ جيش يزيد لم يرحم أيضًا أحدًا لا الرضيع ولا علي الصغير، في هذا الوقت الذي قُتِل فيه جميع أصحاب الإمام الحسين لم يبقَ غير الإمام وحيدًا يقاتل جند الأعداء، وقد خاف جنود يزيد من بسالته وشجاعته ففرُّوا، وقد استطاع أن يقتل منهم عددًا كبيرًا. وفي النهاية استشهد الإمام الحسين عليه السلام. كان الإمام الحسين عليه السلام مثلًا للشجاعة والإيثار، وكان من أسعد شهداء الإسلام، فقد أعطى حضرته الكثيرين بتحمُّله المصائب الكبيرة وإيثاره في تقديم نفسه، درسًا في الحرية والشجاعة وأحيى الإسلام. قام جند معاوية بعد استشهاد الإمام لحسين عليه السلام بالهجوم على عائلته، وأخذوا النساء والأطفال أسرَى؛ حتى الإمام علي بن الحسين الإمام الرابع للشيعة الذي كان مريضًا طريح الفراش أخذوه أيضًا إلى يزيد في الشام.

يضيف النص: "لقد فرح يزيد بشهادة الإمام الحسين عليه السلام مع أصحابه وبانتصار بني أمية، وهم يعرفون أنهم من عائلة الرسول، ولكن سعادتهم كانت ظاهرية، أما حضرة زينب والإمام السَّجَّاد فقد خطبوا بالناس في دمشق، وكشفوا

حقيقة واقعة كربلاء، ووضحوا طبيعة حكومة يزيد، وتنوير الناس بما لَحِق بعائلة علي عليه السلام من ظلم وطغيان بني أمية، فثار الناس عليهم في العراق وإيران ومكة والمدينة. بعد مدة استشهد الإمام السجَّاد عليه السلام على يد الأمويين"[(١)].

البحث والمناقشة في الصف:

يتساءل النص: "ماذا كان يقصد الإمام الحسين عليه السلام من جملة (أنا ثُرْتُ من أجل المحافظة على بقاء الإسلام حيًّا والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[(٢)].

بالنهاية وفي اليوم الحادي عشر من محرم (عاشوراء) في السنة الحادية والستون هجريًّا قمريًّا، وقف الإمام مع عدد قليل من أصحابه ولكنهم مؤمنين في صحراء كربلاء في مواجهة جيش الأعداء بدأت الحرب منذ الصباح واستمرَّت حتى بعد الظهر، حارب الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه النبلاء في ذلك اليوم وبكلِّ شجاعةٍ حتى الرمق الأخير، واستشهدوا حتى آخر شخص، شجاعة الإمام وأصحابه في ذلك اليوم لا مثيل لها في تاريخ العالم.

حادثة كربلاء لم تجلب العار فقط إلى سلالة بنِي أمية وفضحت ظلمهم وفسادهم ولكنها قدوة ونموذج جيد للثورة ضد بني أمية وكل الظالمين على طول التاريخ[(٣)].

---

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ی راهنمایی تحصیلی، مرحله دوم تعلیمات عمومی، شرکت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٩، ص٢٥-٢٦.

(٢) تعليمات اجتماعي، بنجم دبستان، اداره كل جاب وتوزيع كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٨، ص٩٥.

(٣) المصدر نفسه، ص٩٥-٩٦.

تحليل النص:

التحليل الأول:

لو سلمنا مع ما تطرحه الكتب المدرسية بما ورد من كلام في حق بني أمية، فما دور الذين استدعوه من المدينة إلى الكوفة- الشيعة- الذين تخلَّوا عنه كما تخلَّوا من قبل عن أبيه وأخيه. لذا لا بدَّ من استعراض موجز لأسباب قدوم الحسين ﷺ إلى الكوفة.

لم يقم الشيعة بأية ثورة مسلحة ضد معاوية بن أبي سفيان طوال خلافته (٤١-٦٠هـ). وكل ما كان يحدث في هذه الفترة انتقاد من بعض الشيعة لمعاوية أو لبعض ولاته، كما حدث من حجر بن عدي، حين اشتَدَّ وعنف في نقده لزياد بن أبي سفيان في الكوفة، وكان من أمره ما ذكرناه في ترجمة معاوية، أمَّا الحسين بن علي- الذي يعتبره الشيعة إمامهم وزعيمهم- فلم يتحرك ضد معاوية ولم يخرج عليه، ولم يستجب لنداءات أهل العراق حين دعوه للخروج عليه[1]. بل وفَّى له ببيعته التي كان أعطاه إياهَا مع أخيه الحسن، وكان معاوية محسنًا للحسين ولآل البيت جميعًا، وقد وسعهم بكرمه وإحسانه فلمَّا توفِّي معاوية سنة ٦٠هـ تغيَّر الموقف، ومن ثَمَّ تفجرت ثورة الحسين على يزيد بن معاوية.

كان الحسين عند وفاة معاوية بالمدينة المنورة، فأرسَل يزيد إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان- وإلى المدينة- يُعْلِمه بموت معاوية ويأمر بأخذ البيعة له من الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير، فاستدعاهما الوليد، وأخبرهما بموت معاوية، وطلب منهما

(١) ثابت الراوي، العراق في العصر الأموي، ص١٩٣.

البيعة ليزيد، فاستمهلاه ولم يبايعَا[١]، "وخرجَا من ليلتهما إلى مكة، فلقيهما ابن عباس وابن عمر- قادمين- من مكة، فسألاهما ما وراءكما؟ قال: موت معاوية والبيعة ليزيد، فقال لهما ابن عمر: اتَّقِيَا الله ولا تفرِّقَا جماعة المسلمين"[٢]. ولكن ما أن وصل الحسين إلى مكة حتى توالت عليه رسل ورسائل أهل الكوفة، تفيض حماسةً وعاطفةً، وقالوا له: "إنا قد حبسنا أنفسنا عليك، ولسنا نحضر الجمعة مع الوالي فأقدم علينا"[٣]، وتحت إلحاحهم قرر الحسين إرسال ابن عمِّه مسلم بن عقيل إلى الكوفة ليستطلع الموقف، وقال له: "سر إلى أهل الكوفة فإن كانَ حقًّا ما كتبوا به عرَّفتني حتى ألحق بك"، فخرج مسلم من مكة في النصف من شهر رمضان حتى قدم الكوفة لخمسٍ خلون من شوال[٤] سنة (٦٠هـ). علم أهل الكوفة بوصول مسلم بن عقيل فتقاطروا عليه، وبايَعه منهم اثنا عشر ألفًا، وقيل ثمانية عشر ألفًا[٥]، انخدع مسلم بحماس أهل الكوفة، وشجَّعه تغافل النعمان بن بشير الأنصاري- والي الكوفة من قبل يزيد- عنه وعدم تعرُّضه له[٦]، فأرسل إلى الحسين ببيعة أهل الكوفة، وأن الأمر على ما يرام، وطلب منه القدوم، لكن الأقدار كانت تُخَبِّئ شيئًا آخر، فإنَّ أحد أنصار يزيد في الكوفة لَّما رأى تقاعس النعمان عن التصدِّي لمسلم ومنعه من أخذ البيعة للحسين من أهل الكوفة، كتب بذلك إلى يزيد، فعزل النعمان من ولاية الكوفة وأسندها إلى عبيد الله بن زياد والي البصرة، وأمره بقتل مسلم بن

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط، ص٢٣٣، الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٤٣.
(٢) الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٤٣.
(٣) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٤٧.
(٤) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٤٧.
(٥) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٤٨.
(٦) المصدر نفسه ج٥، ص٣٤٨.

عقيل[١]. فجاء عبيد الله إلى الكوفة على عجلٍ، وبحث عن مسلم، فأخبره عيونه بأنه يَخْتَبِئ في بيت أحد زعماء الكوفة وهو هانئ بن عروة المرادي، فقبض عبيد الله بن زياد على هانئ ومسلم[٢]. وهنا ظهر غدر أهل الكوفة وتخاذلهم، فقد قُتِل هانئ ومسلم أمام أعينهم ولم يحرِّكوا ساكنًا، وتنكروا لوعودهم للحسين، واشترى ابن زياد ذممهم بالأموال. وراح مسلم ضحيةَ تسرُّعه، وعدم تثبُّته من ولاء أهل الكوفة وصدق عزائمهم. كما أن النعمان بن بشير يتحمَّل نصيبه فيما حدث، فلو أنَّه أظهر الحزم ومنع مسلمًا من الاتصال بأهل الكوفة كما يحتم عليه واجبه كوالٍ مسئول عن الأمن في الكوفة لربَّما تغيَّر الموقف كله، ولكان مسلم قد فكر في الأمر ولم يبادر بطلب قدوم الحسين، وربما لم تكن مأساة كربلاء قد حدثت أصلاً. فلا شكَّ أن النعمان- ربما بحسن نية- كان سببًا من أسباب المأساة كلها.

التحليل الثاني:

خروج الحسين إلى الكوفة ونصيحة ابن عباس له بعدم الخروج.

عندما وصلت الحسين رسائل مسلم بن عقيل ببيعة أهل الكوفة وطاعتهم الكاذبة، وأزمع الرحيل إليها، جاءه عبد الله بن عباس، وقال له: "يا ابن عم، إنك قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق، فبيِّن لي ما أنت صانع؟ قال: إني قد أجمعت المسير في أحد يومي هذين إن شاء الله تعالى، فقال له ابن عباس: فإنِّي أعيذك بالله من ذلك، أَخْبِرْنِي رحمك الله! أتسير إلى قوم قد قتلوا أميرهم، وضبطوا بلادهم، ونفَوا عدوَّهم؟ فإن كانوا قد فعلوا ذلك فسِرْ إليهم، وإن كانوا إنما دعوك إليهم، وأميرهم

(١) الطبري، المصدر نفسع ج٥، ص٣٤٨.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٦٧-٦٩.

عليهم قاهر لهم، وعُمَّاله تجبي بلادهم، فإنَّهم إنما دعوك إلى الحرب والقتال، ولا آمن عليك أن يغروك ويكذبوك، ويخالفوك ويخذلوك، وأن يستنفروا إليك فيكونوا أشد الناس عليك، فقال له الحسين: وإنِّي أستخير الله وأنظر ما يكون"(١).

كان كلام ابن عباس هو عين الحكمة والصواب، وهو لم يقل ذلك من فراغ، ولكن من واقع خبرته بأهل الكوفة وتقلُّباتهم وعدم صدقهم، فقد رأى بنفسه- كما رأى الحسين أيضًا- مواقفهم وصنيعهم مع علي والحسن رضي الله عنهما، ومن واقع حرصه على مصلحة الحسين وسلامته، والحقيقة أنَّه لم يكن ابن عباس وحده هو الذي نصح الحسين تلك النصيحة الصادقة، ولكن كان هناك كثيرون، حتى من غير الهاشميين، حريصين على سلامة الحسين، ويتوجَّسون الشر من خروجه، ومنهم عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، الذي رجا الحسين رجاء حارًّا ألاّ يخرج وألاّ يعرِّض نفسه وأهله للهلاك(٢). ولكن للأسف لم يُصْغِ الحسين رحمه الله لهذه النصائح الصادقة، فخرج في أهله وقلةٍ من أصحابه عددهم حوالي سبعين رجلاً، فلما وصل إلى القادسية لقيه الحرُّ بن يزيد التميمي، فقال له: "أين تريد يا ابن رسول الله؟ قال: أريد هذا المصر، فعرَّفه بقتل مسلم وما كان من خبره، ثم قال له: ارجع فإنِّي لم أَدَعْ خلفي خيرًا أرجوه لك، فهَمَّ بالرجوع، فقال له إخوة مسلم: والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نقتل كلُّنا، فقال الحسين: لا خير في الحياة بعدكم"(٣).

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٨٣.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٨٢، وكذلك كتب عبد الله بن جعفر بن أبي طالب إلى الحسين يحذره من الخروج إلى الكوفة، الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٨٧.

(٣) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٨٩.

والحقيقة إنَّ الإنسان لتأخذه الدهشة من موقف إخوة مسلم بن عقيل، ومنطقهم في الثأر لأخيهم، فهم يعلمون أن الذي قتل أخاهم الدولة، فهل كان في مقدورهم وهم في قِلَّتهم هذه أن يتصدوا للدولة ليثأروا منها، الحق أنه منطق عجيب!! فقد عرَّضوا أنفسهم وابن عمهم للهلاك- رحمهم الله جميعًا.

سار الحسين حتى وصل إلى كربلاء، وكان عبيد الله بن زياد لَمَّا علم بمسيره- قد انتدب لقتاله واحدًا من أبناء الصحابة، وهو عمر بن سعد بن أبي وقاص[1]، في ثلاثة آلاف، وعسكر عمر بن سعد بالقرب من عسكر الحسين، وكان الناس يختلطون من الفريقين، بل كانوا إذا حانت الصلاة يأتِي بعض جنود عمر ليصلوا خلف الحسين، وهنا بدرت بادرة طيبة من الحسين ﷺ لو قُدِّر لها أن تمضي إلى غايتها لكان فيها حقن الدماء، ودم الحسين بصفة خاصة، فقد عرض على عمر بن سعد عرضًا فيه السلامة، وقال له: "إما أن تدعونِي فأنصرف من حيث جئت. وأما أن تدعوني فأذهب إلى يزيد، وإما أن تدعوني فألحق بالثغور"[2]. كانت هذه فرصة ذهبية لمنع الكارثة، والحق أنَّ عمر بن سعد فرح بهذا العرض من الحسين؛ لأنه كان قد خرج إليه على مضض[3]، فكتب بالاقتراح إلى عبيد الله بن زياد، ولكنه رفض وقال: "لا ولا كرامة حتى يضع يده في يدي"[4] يا الله!! أي شيطان هذا الذي سوَّل لابن زياد أن يسلِّم الحسين له نفسه أسيرًا، فالموت عند الحسين أهون من ذلك،

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٨٩.

(٢) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٨٩.

(٣) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٨٩.

(٤) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٨٩.

فحسبه أنه عرض عليهم ذلك، وكان يجب أن يقبل ابن زياد منه، فلو أنَّ الذي عرض ذلك من أعداء الإسلام لَمَا وسعه إلا قبوله، فكيف بابن بنت رسول الله! رفض الحسين رفضًا باتًّا أن يضع يده في يد ابن زياد وقال: "لا والله لا يكون ذلك أبدًا"(١).

والحقيقة إنَّ عاقلًا لا يستطيع أن يلوم الحسين على هذا الموقف، بل اللوم كل اللوم على ابن زياد، الذي تحجَّر قلبه، وبرهن على قصر نظر وسوء تقدير وفساد سياسة، وتسبب في حدوث أبشع كارثة شهدها العهد الأموي كله. ولا أدري كيف غفل ابن زياد عن أن قتل الحسين سوف يزعزع كيان الدولة كلها، وسوف يدمي قلوب المسلمين جميعًا ويشحنها بالبغض والكراهية ليزيد وللدولة الأموية كلها. وإذا كان الحسين قد أخطأ في الخروج من الأساس، فإنه هنا في هذا الموقف قد أبْرَأَ ذمَّته تمامًا، حيث أراد الرجوع إلى الصواب ولذلك فإننا نرى أن مسؤولية دمه تقع على عاتق ابن زياد بالدرجة الأولى، كما تقع - بنفس المقدار - على أهل الكوفة الذين كتبوا إليه وبايعوه ووعوده بنصرتهم له، ثم تخلوا عنه في أحرج اللحظات. كما أنَّ عمر بن سعد لا يسلم من المسؤولية، وكذلك شمر بن ذي الجوشن، ذلك الشيطان، الذي قيل إنَّه هو الذي أغرى ابن زياد بقتل الحسين.

رفض الحسين أن يسلِّم نفسه لابن زياد، فدارَت الحرب غير متكافئة، فقُتِل الحسين رحمه الله، وقتل سائر أصحابه، ومنهم سبعة عشر شابًّا من أهل بيته، وكان آخر كلامه قبل أن يسلم الروح: "اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا

---

(١) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٨٩.

فقتلونا"[١]، وكان استشهاده في العاشر من المحرم سنة (٦٢هـ). وبعد قتله حزُّوا رأسه، وأرسلوها إلى يزيد مع نسائه وأخواته، ولم يكن قد بقي من أبنائه الذكور سوى علي زين العابدين، فلما وصلوا إلى دمشق أدخلهن يزيد إلى بيوته، وأكرمهم وعطف على علي بن الحسين، ثم جهزهم وأعادهم إلى المدينة مكرمين[٢].

التحليل الثالث:

مسؤولية يزيد في مقتل الحسين.

قد يتساءل الناس ما هو نصيب يزيد بن معاوية من المسؤولية فيما حدث للحسين؟ الحق أن يزيد لم يأمر بقتل الحسين ولم يسعد به، بل بكى عليه، وساءه مقتله[٣].

ولقد كان يزيد حريصًا على عدم خروج الحسين أصلًا تحسبًا من سوء نتائجه؛ فقد روى ابن عساكر أن يزيد لما علم بخروج الحسين من المدينة إلى مكة وامتناعه عن بيعته، قدَّر عواقب ذلك، وكتب إلى عبد الله بن عباس يعلمه بخروج الحسين إلى مكة، وقال له: أحسب أن رجالًا من أهل هذا المشرق- يقصد أهل العراق- قد جاءوه فمنَّوه الخلافة، وعندك منهم خبرة وتجربة، فإنْ كان فعل فقد قطع وأشجَّ القرابة، وأنت كبير أهل بيتك والمنظور إليه، فاكْفُفْه عن السعي في الفرقة، فكتب إليه ابن عباس: إنِّي لأرجو أن لا يكون خروج الحسين لأمر تكرهه، ولست أدع

---

(١) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٨٩.

(٢) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٩٠، وانظر: ابن تيمية، منهاج السنة، ج٢، ص٢٤٩.

(٣) المصدران السابقان على الترتيب ج٥، ص٥٠٦، ج٢، ص٢٤٩.

النصيحة له في كل ما يجمع الله به الألفة وتطفأ به الثائرة[١]. هذا هو موقف يزيد حتى قبل أن يعلم بعزم الحسين على الخروج إلى الكوفة- وقد مر بنا أنَّ ابن عباس حاول منع الحسين من الخروج ونصحه بذلك ولكنَّه لم يستجب، فلما حدث ما حدث وقُتِل الحسين، ندم يزيد على ذلك ليقينه بأثره عليه وعلى دولته، يقول الطبري[٢]: "ثُمَّ لم يلبث- يزيد- إلا قليلًا حتى ندم على قتل الحسين، فكان يقول: وما كان عليَّ لو احتملت الأذى، وأنزلته معي في داري، وحكمته فيما يريد، وإن كان عليَّ في ذلك وكف ووهن في سلطاني، حفظًا لرسول الله ﷺ ورعايةً لحقِّه وقرابته! لعن الله ابن مرجانة، فإنه أحرجه واضطره، وقد كان سأله أن يخلِّي سبيله ويرجع فلم يفعل أو يضع يده في يدي، أو يلحق بثغرٍ من ثغور المسلمين حتى يتوفَّاه الله عزّ وجلّ، فلم يفعل، فأبَى ذلك وردَّه عليه وقتله، فبغَّضني بقتله إلى المسلمين، وزرَع لي في قلوبهم العداوة، فبغضني البر والفاجر، بما استعظم الناس من قتلي حسينًا، مالِي ولابن مرجانة، لعنه الله وغضب عليه!" هذا هو موقف يزيد من قتل الحسين وردّ فعله عنده.

ولكن الإنصاف للحقيقة يقتضينا أن نقول: إنَّه مع ميلنا إلى تصديق أن يزيد لم يأمر بقتل الحسين ولم يسعد به، إلا أنَّ ذلك لم يكن كافيًا- من وجهة نظرنا- بل كان يجب عليه أن تكون أوامره صريحةً لابن زياد بعدم قتل الحسين، والتصرُّف معه بكل حكمة وتعقُّل، حفظًا لرحمه وقرابته من رسول الله ﷺ ومكانته في قلوب المسلمين.

---

(١) انظر بدران، تهذيب تاريخ ابن عساكر ج٤، ص٣٣٠-٣٣١.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٠٦.

خصوصًا وأنَّ أباه معاوية كان قد وصَّاه بالعفو عنه إذا أخرجه أهل العراق عليه وظفر به[١]. ولكنها إرادة الله وقضاؤه الذي لا رادَّ له.

وبعد نهاية النص، تطرح الأسئلة والنشاطات التالية على الطلبة لترسيخ بعض الأفكار:

الأسئلة:

١- ما هي شروط الإمام الحسن عليه السلام للصلح مع معاوية؟

٢- لماذا أجبر الإمام الحسن عليه السلام على أن يقبل الصلح مع معاوية؟

٣- ما تأثير ونتائج حادثة كربلاء؟[٢]

تحليل النص:

يهدف النص- كالعادة- إلى التأكيد على مظلومية آل البيت من قبل بني أمية، ويحاول من خلال السؤال الثانِي التأكيد على أنَّ الحسن ﷺ تنازل مكرهًا. دون أن يوضِّح أن أهل العراق من شيعة والده غدروا به، وتخلوا عنه، فقد أدرك ﷺ أن عليه واجب جمع المسلمين بعد فرقتهم. فتَنازُلُه عن أمر الخلافة كان عام الجماعة التي انثمل عُرَاها منذ زمن. ولعلَّ في موقف الحسن وتنازله ضربٌ لنظرية الحق والوصاية.

---

(١) انظر: ابن الطقطقا، الفخري، ص١١٢.

(٢) تعليمات اجتماعي، بنجم دبستان، اداره كل جاب وتوزيع كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٨، ص٩٦.

النشاط في الصف:

١- في أي دولة الآن يقع مكان استشهاد الإمام الحسين عليه السلام؟

٢- يذهب الناس في إيران إلى سوريا لزيارة الضريح المقدَّس لمن؟

٣-اسأل الكبار والشباب والأطفال عن جند وحياة الإمام حسين عليه السلام، اكتب ما سمعته واقرأه في الصف[١].

تحليل النص:

عام الجماعة وقيام الدولة الأموية:

مرَّت الأمة الإسلامية- كما رأينا- منذ أواخر خلافة عثمان بن عفان ﷺ بمحنةٍ قاسيةٍ، واجتاحتها عواصف هوج، ولولا صلابتها ومتانة البنيان الذي أقام عليه الرسول ﷺ الدين والأمة والدولة، لذهبت ريحها ولكنها بفضل الله صمدت للأحداث، وخرجت منها- رغم فداحة الخسائر- لهداية البشرية. كما هدى الله هذه الأمة بخاتم النبيين ﷺ فقد حقن دماءها بسِبْطه الحسن، كما جاء في خطبته بعد بيعته لمعاوية[٢]. فقد ارتفع فوق كل الآلام والجراح، وقدَّر مصلحةَ الأمة فأحسن التقدير. بعد أن تمَّت مفاوضات الصلح واتفق على الشروط. جاء معاوية إلى الكوفة، واستقبله الحسن والحسين رضي الله عنهما وبايعاه وبايعه الناس، وكان ذلك في الخامس والعشرين من ربيع الأول سنة ٤١هـ[٣]. واستبشر المسلمون خيرًا بهذا

(١) تعليمات اجتماعي، بنجم دبستان، المصدر نفسه، ص٩٦.

(٢) المصدر نفسه، ج٥، ص١٦٣.

(٣) المصدر نفسه، ص١٦٣، وتاريخ خليفة بن خياط، ص٢٠٣.

الحدث الكبير، وتنفَّسوا الصعداء وحمدوا الله على انتهاء عهد الفتن والحروب وسموا عامه عام الجماعة.

وبهذا قامت الدولة الأموية رسميًّا، وأصبح معاوية ﷺ خليفة للأمة كلها، ولقب بأمير المؤمنين، وكان قبل ذلك يلقب بالأمير فقط[1].

حكمت الدولة الأموية إحدَى وتسعين سنة هجرية، من سنة ٤١ حتى سنة ١٢٣هـ وتولَّى الخلافة خلال هذه المدة أربعة عشر خليفة. أولهم معاوية بن أبي سفيان وآخرهم مروان بن محمد بن محمد بن مروان بن الحكم، وفي الفصل التالِي نعرِّف بهؤلاء الخلفاء وأهم أعمالهم وأحداث عهودهم، وبالله التوفيق.

وبعد نهاية النص، تطرح الأسئلة التالية على الطلبة لترسيخ بعض الأفكار:

أسئلة نموذجية:

١- ما هى الأسباب التى أدَّت إلى عدم العمل بوصية الرسول ﷺ بخصوص خلافة الإمام علي عليه السلام بعد وفاته؟

٢- حلِّل التغييرات المهمة في المجتمع الإسلامي في عهد الخليفة الثانِي

٣- ما هي الأمور الهامة في عهد الخليفة الثالث؟

٤- ما هي المشاكل التي واجهت الإمام علي عليه السلام طوال خلافته؟

٥- اذكر بنود معاهدة الصلح بين الإمام حسن عليه السلام مع معاوية؟ وما هو واقع المجتمع في ذلك الوقت؟[2]

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٥، ص١٦١.

(٢) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته ادبيات وعلوم إنساني)، ص ١١٥.

البحث والأفكار:

وبعد نهاية النص، يُطْلَب من الطلبة نشاط لترسيخ بعض الأفكار:

١ – اكتب تقريرًا حول أحداث أحد فتوحات الإسلام في إيران.

٢ – هل شاهدت فيلمًا حول التاريخ الإسلامى في عصر الخلفاء الأوائل، برأيك أي جزء من هذا الفيلم الأهم؟ ولماذا؟

٣ – قارن بين طريقة اختيار الخلفاء الأربعة الأوائل؟ ما هى النتيجة التى يمكن أن نتوصل لها من خلال هذه المقارنة؟

٤ – أعدَّ بحثًا حول معاملة الإمام على عليه السلام مع الموالين وغير المسلمين الذين كانوا يعيشون في المجتمع الإسلامي.

٥ – من خلال دراسة نماذج تاريخية اكتب بحثًا حول معنى البيعة، والوظائف السياسية والاجتماعية في المجتمع الإسلامي خلال القرون الأولى[١].

تحليل النص:

جميع الأسئلة هدفها واحد: أنَّه بسبب مخالفة المسلمين لأمر الرسول ﷺ في تعيين على بن أبي طالب خليفةً من بعده- كما يزعم الشيعة- كانت المشاكل والانقسامات في المجتمع.

كما يحاول تقسيم المجتمع إلى قسمين؛ موالين لعلى ومعارضين له. وبالتالي التأكيد على فكرة الانقسام بين الصحابة إلى ظالم ومظلوم.

---

(١) المصدر نفسه، ص ١١٥-١١٦.

خلافة يزيد سجل الشؤم

يقول النص: "قبل وفاة معاوية في السنة الستين هجريًّا قمريًّا، مهَّد الطريق لخلافة يزيد، بعد وفاة معاوية طلب يزيد من والِيه على المدينة أن يأخذ له البيعة من الإمام الحسين عليه السلام، البيعة تعنِي الطاعة والتأييد، الإمام كان يعرف أنَّ حكومة يزيد مخالفة للإسلام ومعاهدة الصلح مع الإمام حسن عليه السلام، ورفض أن يبايعه وأطلق عليه نائب الفسق والفجور، قصد الإمام حسين عليه السلام مكه ليبقى في أمان من مؤامرات سماسرة يزيد، الإمام عليه السلام أراد أن يستفيد من فرصة الحج، وأراد أن يشرح للحجاج الأوضاع السلبية في المجتمع والحكومة الإسلامية، بعد فترة وصلت رسائل من أهالي الكوفة إلى الإمام، دعا الكوفيون في هذه الرسائل الإمام إلى الكوفة، وأكّدوا تأييدهم التام للإمام، أرسل الإمام حسين عليه السلام مسلم بن عقيل لبحث الوضع في الكوفة. مسلم بن عقيل بعد إقامته في الكوفة لمدة ٣٥ يومًا أخذ البيعة نيابةً عن الإمام حسين عليه السلام من ثمانية عشر ألف شخص، مسلم أرسل رسالةً إلى الإمام حسين عليه السلام أبلغه فيها أن أهالي الكوفة مستعدّين لحماية، الإمام عليه السلام وبعد تسلُّمة الرسالة ترك مكة قاصدًا العراق. من ناحية أخرى فإنَّ يزيد بدء بالعمل سريعًا وعزل والي الكوفة الذي لم يكن يرغب في سفك الدماء، وأرسل عبيد الله بن زياد، رجلاً له قلب الحجر ورغبة في سفك الدماء، عندما وصل عبيد الله أثار الرعب والوحشية في هذه المدينة لم يرَ الكوفيين مثلها خلال عهدهم بمسلم، وجمع حوله أنصار بني أمية، مسلم المظلوم بقِي وحيدًا واستشهد".

يضيف النص: "أيها الناس انظروا إلى هذا السلطان الجبَّار الذي يحرِّم ما أحله الله، ويخلف وعده، ويعمل ضد طريق رسول الله، ويؤمر بين عبيد الله بالظلم والذنوب، إذا لم يصلح الأمور بالقول أو الفعل، فإنَّ قدرة الله سوف تتغلب عليه[١].

فكِّر وأجب:

يقول النص: "من خلال دراسة الأحداث في عهد إمامة الإمام على عليه السلام والإمام حسن عليه السلام والإمام حسين عليه السلام، اذكُر التغييرات السريعة في قرارات الناس؟

يضيف النص: الإمام خلال سَيْره إلى الكوفة وصل له خبر نَقْض أهالي الكوفة للعهد واستشهاد مسلم بن عقيل، ابن زياد ومأموريه بقيادة الحرّ بن يزيد الرياحى سدُّوا الطريق على الإمام وأصحابه الأوفياء في صحراء كربلاء ووضعه على طريقين إما البيعة والطاعة مع الذلّ والإهانة، أو أن يستقبل الموت المشرف واستشهاده في سبيل الله، وقد اختار الطريق الثانِي وتفضَّل في خطبته: (أنا أرى سعادتي في الموت في سبيل العقيدة والإيمان، ولا أرى في الحياة في ظلّ حكومة الجبارين غير العار). في النهاية بعد عدة أيام التقى الجيشان في العاشر من محرم في نصف يوم دموي، استشهد الإمام ومعه اثنان وسبعون من أصحابه الأوفياء المؤمنين به، الحرُّ بن يزيد وعدد آخر من الجنود بعد عدة أيام من بداية المعركة التحقوا بجيش الإمام وكانوا من جملة شهداء كربلاء"[٢].

---

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته ادبيات وعلوم إنساني)، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، جاب يزدهم، ١٣٨٩، ص١١٨.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٨-١١٩.

تحليل النص:

رغم كل ما قيل في يزيد بن معاوية من قدحٍ وذمٍّ حتى في مصادر أهل السنة، لكن لا بدَّ من توضيح بعض الحقائق التي من خلالها يُفْهم عصر يزيد، وأحداث عصره.

توفِّي معاوية ﷺ في منتصف شهر رجب سنة ٦٠هـ فآلت الخلافة إلى يزيد، في اليوم الذي مات فيه أبوه، وكان آنذاك غائبًا عن دمشق فأخذ له البيعة الضحَّاك بن قيس، فلما حضر، وأقبلت وفود البلدان وأمراء الأجناد، وأشراف العرب لتعزيته في أبيه، وتهنئته بالخلافة، صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنَّ معاوية كان حبلًا من حبال الله، مدَّه الله ما شاء أن يمدَّه، ثم قطعه حين شاء أن يقطعه، وكان دون من كان قبله، وخيرًا ممن بعده، إن يغفر الله له فهو أهله، وإن يعذبه فبذنبه، وقد وُلِّيت الأمر بعده، ولست أعتذر من جهل، ولا أشتغل بطلب علم، فعلى رسلكم فإنَّ الله لو أراد شيئًا كان، اذكروا الله واستغفروه، "ثم نزل ودخل منزله، ثم أذن للناس"[١].

وقد أجمعت الأمة على بيعة يزيد، أو بمعنًى آخر جدَّدت له البيعة بعد وفاة أبيه، ولم يشذَّ على ذلك إلا الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير ﷺ[٢] وسيكون لكلٍّ منهما مع يزيد شأن، أمَّا بقية الصحابة فقد بايعوا يزيد جمعًا للكلمة وحفظًا لوحدة الأمة

---

(١) المسعودي مروج الذهب، ج٣، ص٧٥، وقول يزيد عن أبيه وكان دون من كان قبله فيه إشارة إلى اعترافه بأن عليًّا كان أفضل من أبيه ولعل هذا يرد على من يزعم أن الأمويين كانوا يعلنون عليًّا على المنابر.

(٢) انظر: ابن خلدون، المقدمة، ج١، ص٢٣٠.

وخوف الفتنة، مثل عبد الله بن عمر، بل إنَّ عبد الله بن عمر لم يكتفِ ببيعة يزيد، وإنما كان يحذر الناس من الخروج عليه؛ فقد روى البخاري أنه عندما خلع أهل المدينة طاعة يزيد، جمع ابن عمر حشمه وولده، وقال لهم: "إنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: يُنْصَب لكل غادر لواء يوم القيامة، وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بَيْع الله ورسوله، وإنِّي لا أعلم غدرًا أعظم من أن يبايع رجل على بيع الله ورسوله، ثم ينصب له القتال، وإنِّي لا أعلم أحدًا منكم خلعه ولا بايع في هذا الأمر إلا كانت الفيصل بيني وبينه"[١].

ولم يكتفِ ابن عمر بمنع ولده وحشمه من الاشتراك في الخروج على يزيد وخلع طاعته، بل سعَى في إخماد الثورة ومنع أهل المدينة من خلع طاعة يزيد؛ فقد روى مسلم في صحيحه قال: "جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرَّة ما كان، زمن يزيد بن معاوية، فقال: أطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادةً، فقال: إنِّي لم أتيك لأجلس؛ أتيتك لأحدثك حديثًا سمعت رسول الله ﷺ يقوله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية"[٢].

كما كان لمحمد بن علي بن أبي طالب- ابن الحنفية- موقف مماثل لموقف عبد الله ابن عمر، فقد أثنى على يزيد وشهد له بالعدالة والاستقامة وحسن السيرة[٣]،

---

(١) تصحيح موسوعة الحديث، حديث رقم ٦٦٠٧.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٢، ص٢٤٠.

(٣) انظر عن شهادة ابن الحنفية ليزيد وثنائه عليه: العواصم من القواصم لابن العربي، هامش ص٢٢٧؛ والبداية والنهاية لابن كثير، ج٨، ص٢٣٣.

وسنعود لذكر ثورة المدينة تفصيلًا- إن شاء الله- ولو قُدِّر لوجهة نظر عبد الله بن عمر ومحمد بن الحنفية، وعبد الله بن عباس، وغيرهم من عقلاء الأمة، أن تسود في أوساط المسلمين، لتفادت الأمة وقوعَ تلك الفتنة الجديدة التي أدَّت إلى هذه الحوادث الدامية، مثل مقتل الحسين وموقعة الحرَّة وحصار الكعبة، تلك الحوادث التي ألقت بظلالها على عهد يزيد، فأنست الناس ما فيه من حسنات وإيجابيات، حتى إنهم لم يذكروا من هذا العهد إلا أنه في أول سنة من خلافة يزيد قتل الحسين، وفي الثانية غُزِيت المدينة وفي الثالثة حُوصِرت الكعبة، وسوف نرَى مدى مسؤولية يزيد عن هذه الحوادث.

ومع أننا لا نقلِّل من أهمية هذه الأحداث وآثارها، إلا أننا نستطيع أن نقول إنّ يزيد حافظ على هيبة الدولة، وسهر على حراستها، بل إنَّ حملات الفتح لم تتوقف في عهده، ففي نفس السنة التي حدثت فيها ثورة المدينة وموقعة الحرة سنة (٦٣هـ)، كانت حملة عقبة بن نافع في شمال إفريقيا، والتي وصل فيها إلى شاطئ المحيط الأطلسي، ثم واصل غزو بلاد ما وراء النهر، فعبرت جيوشه تحت قيادة سلم بن زياد نهر جيحون فصالحَه أهل خوارزم وسمرقند وخجنده[١]، كما ظلت حدود الدولة مع البيزنطيين محروسة ومهابة، وفي الداخل لم يعكّر صفو الدولة الإسلامية في عهد يزيد سوى إحداث الحجاز وما عدا ذلك فإننا نجد الأمن والاستقرار سائدًا في جميع الأقطار.

ويرجع الفضل في ذلك إلى تلك السياسة الرشيدة التي خطَّها معاوية لابنه في كيفية حكم الدولة وإدارتها ومعاملة الناس؛ حيث قال له قبيل وفاته: "يا يزيد اتقِّ

(١) انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص٥١٠.

الله، فقد وطَّأْتُ لك هذا الأمر، ووليت من ذلك ما وليت، فإن يكن خيرًا فأنا أسعد به، وإن كان غير ذلك شقيت به، فارفق بالناس وأغمض عمَّا بلغك من قول تؤذي به وتنتقص به، وطأ عليه يهنك عيشك، وتصلح لك رعيتك، وإياك والمناقشة وحمل الغضب، فإنك تهلك نفسك ورعيتك، وإياك وخيرة أهل الشرف واستهانتهم والتكبر عليهم، ولِنْ لهم بحيث لا يروا منك ضعفًا ولا خورًا، وأوطئهم فراشك وقرِّبهم إليك وأدنهم منك، ولا تهنهم ولا تستخفَّ بحقهم، فيهينوك ويستخفوا بحقِّك ويقعوا فيك، فإذا أردت أمرًا فادعُ أهل السِّن والتجربة من أهل الخير من المشايخ وأهل التقوى، فشاورهم ولا تخالفهم وإياك والاستبداد برأيك فإنَّ الرأي ليس في صدر واحد وصدّق مَن أشار عليك إذا حملك على ما تعرف، واخزن ذلك عن نسائك وخدمك، وشَمِّر إزارك، وتعاهد جندك، وأصلح نفسك تصلح لك الناس، ولا تدع لهم فيك مقالاً، فإنَّ الناس سراع إلى الشر، وأحضر الصلاة، فإنَّك إذا فعلت ما أوصيتُك به عرف الناس لك حقك، وعظمت في أعين الناس، واعرف شرف أهل المدينة ومكة فإنهم أصلك وعشيرتك، واحفظ لأهل الشام شرفهم فإنَّهم أهل طاعتك، واكتب إلى أهل الأمصار بكتاب تعهدهم فيه منك بالمعروف، فإنَّ ذلك يبسط آمالهم، وإن وفد عليك وافد من الكور كلها فأحسن إليهم وأكرمهم، فإنَّهم لمن ورائهم، ولا تسمعن قول قاذِف ولا ماحِل، فإنِّي رأيتهم وزراء سواء"[(١)].

وقد حاول يزيد ترسُّم هذه السياسة التي تضمنتها هذه الوصية التي تُعْتَبَر من أهم الوثائق في فن الحُكْم والسياسة والإدارة والتعامل مع الناس، فقد دأب على

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص٢٢٩-٢٢٠.

إكرام أشراف الحجاز، وبصفةٍ خاصةٍ بنو هاشم، مثل عبد الله بن جعفر وعبد الله بن عباس، ومحمد بن علي بن أبي طالب، وعلي بن الحسين وغيرهم، فلما وفد عليه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب[١]. وكانت جائزته على عهد معاوية ستمائه ألف "فأعطاه يزيد ألف ألف، فقال له، بأبي أنت وأمِّي، فأعطاه ألف ألف أخرى، فقال له ابن جعفر: والله لا أجمع أبوي لأحد بعدك، ولما خرج ابن جعفر من عنده رأى على باب يزيد بخاتي مبركات، قد قدِم عليها هدية من خراسان، قد قدم عليها هدية من خراسان، فرجع عبد الله بن جعفر إلى يزيد فسأله منها ثلاث بخاتي ليركب إلى الحج والعمرة: وإذا وفد إلى الشام على يزيد، فقال يزيد للحاجب ما هذه البخاتي التي على الباب؟- ولم يكن يشعر بها- فقال يا أمير المؤمنين: هذه أربعمائة بختية جاءتنا من خراسان، تحمل أنواع الألطاف، وكان عليها أنواع من الأموال كلها، فقال: "اصرفها إلى أبي جعفر بما عليها، فكانَ عبد الله بن جعفر يقول: أتلومونني على حسن الرأي في هذا؟ يعني يزيد"[٢].

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الإنسان إحسان

ولم تكن سماحة يزيد قاصرة على بني هاشم، بل كانت تعمُّ أهل الحجاز جميعًا حتى إنها شملت أولئك الذين ثاروا عليه وخلعوا طاعته من أهل المدينة، فقد جاءه

---

(١) كان معاوية قد وصى يزيد بعبد الله بن جعفر وصية خاصة، حيث قال له: "إن لي خليلاً من أهل المدينة فأكرمه، قال: ومن هو؟ قال: عبد الله بن جعفر "انظر البداية والنهاية، ج٨، ص٢٣٠، وكان معاوية ويزيد من بعده يغدقان علي ابن جعفر لأنه كان جواداً وكان يفيض مما يعطيانه على أهل المدينة جميعاً.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص٢٣٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٣٩.

وفد من شيوخ المدينة، وفيهم عبد الله بن حنظله ومعه ثمانية بنين له فأعطاه مائة ألف، وأعطى بَنِيه كل رجل منهم عشرة آلاف درهم، سوى كسوتهم وحملانهم، فلما قدم عبد الله بن حنظله المدينة آتاه الناس، فقالوا ما وراءك؟ قال: أتيتكم من عند رجل والله لو لم أجد إلا بني هؤلاء لجاهدته بهم، قالوا: فإنه بلغنا أنه أجازك وأكرمك وأعطاك، قال: قد فعل، وما قَبِلتُ ذلك منه إلا لأتقوى به عليه[(١)]، ثم قاد الثورة ضد يزيد وخلع طاعته.

وللعلماء في يزيد رأي حسن- رغم مآخذهم عليه- فابن كثير يُلقِّبه بأمير المؤمنين- وقال عنه: "وقد كان يزيد فيه خصال محمودة من الكرام والحلم والفصاحة والشعر والشجاعة وحسن الرأي في الملك، وكان ذا جمال، حسن المعاشرة"[(٢)]. ويقول خليفة بن خياط: "قُرِأ على ابن بكير وأنا أسمع عن الليث- ابن سعد- قال: توفِّي أمير المؤمنين يزيد في سنة أربع وستين ليلة البدر في شهر ربيع الأول"[(٣)].

واعتبر أبو بكر بن العربي هذه شهادةَ ثقةٍ من الليث بن سعد ليزيد فقال: "فسماه الليث أمير المؤمنين، بعد ذهاب ملكهم وانقراض دولتهم، ولولا كونه عنده كذلك ما قال: إلا توفِّي يزيد"[(٤)].

---

(١) تاريخ ابن خياط، ص٢٣٧.

(٢) البداية والنهاية، ج٨، ص٢٣٠.

(٣) تاريخ، خليفة، ص٢٥٣.

(٤) العواصم من القواصم، ص٢٢٨.

ولو دُرِس تاريخ يزيد دراسةً رائدها البحث عن الحقيقة مجرَّدة عن الهوى والميول والعواطف، لتغيَّرت نظرة كثير من الناس إليه، ولأخذ مكانه الصحيح بين الخلفاء في التاريخ الإسلامي، فليس هناك إنسان معصوم من الخطأ، ولا يُعْقَل أن يحكم يزيد دولة مترامية الأطراف ولها وفيها الكثير من المشاكل ولا يكون له أخطاء وسيئات، فهو كما يقول ابن تيمية: "كأمثال له من خلفاء بني أمية وبني العباس، وهؤلاء الخلفاء لم يكن فيهم من هو كافر، بل كلهم كانوا مسلمين، ولكن لهم حسنات وسيئات كأكثر المسلمين، وفيهم من هو خير وأحسن سيرةً من غيره"(١).

ولعل من أحكم ما قيل في شأن يزيد وخلافته لتسكين الفتنة وعدم تفريق الكلمة، ونصيحة الأمة بالتآخِي، ما ثبت عن حميد بن عبد الرحمن أنه قال: دخلنا على رجل من أصحاب رسول الله ﷺ حين استُخْلِف يزيد بن معاوية فقال: تقولون إنَّ يزيد بن معاوية ليس بخير أمة محمد، لا أفقهها فقهًا، ولا أعظمها فيها شرفًا، وأنا أقول ذلك، ولكن والله لأن تجتمع أمة محمد أحبُّ إليَّ من أن تفترق، أرأيتم بابًا دخل فيه أمة محمد ووسعهم، أكان يعجز عن رجل واحد لو كان دخل فيه؟ قلنا: لا. قال: أرأيتم لو أنَّ أمة محمد قال كلُّ رجل منهم: لا أريق دم أخي ولا آخذ ماله، أكان يسعهم؟ قلنا: من، قال: فذلك ما أقول لكم، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يأتيك من الحياء إلا خير»"(٢).

هذا قول ومنطق الصحابة، الحريصين على وحدة الأمة وسلامتها، ولو قُدِّر لهذا المنطق أن يسود لتغير وجه التاريخ الإسلامي؛ لأنه ما من شكٍّ في أن أحداث عهد

---

(١) انظر: سؤال في يزيد بن معاوية، ص١٣.

(٢) العواصم من القواصم، ص٢٢٦.

يزيد- والتي كان موقفه فيها رد فعل- كان لها نتائج خطيرة، أثّرت ولا زالت تؤثِّر في مجريات هذا التاريخ.

واقعة الحرة

يقول النص: "جرائم عُمَّال يزيد من القتل العام وأسر عائلة الرسول والمتدين، أثار ثوار المدينة بشكل كبير وأقلقهم، بعد أن عاد نواب الناس من المدينة أبلغوا الناس بتصرفات وأخلاق يزيد البشعة والسيئة، في النهاية قام الناس بالمدينة بإخراج والي يزيد من المدينة وعيّنوا بدلًا منه عبد الله بن حنظله، أرسل يزيد جيشًا إلى المدينة لقمع الثوار، غزَا الجيش مدينة الرسول ﷺ بوحشيةٍ وأخمدوا حركة الثوار، في هذا الهجوم قتل أكثر من سبعمائة من حفظة القرآن وثمانين شحصًا من صحابة الرسول ﷺ، وتوجه مجموعة من الجيش من أجل القضاء على عبد الله بن الزبير أحد معارضى يزيد إلى مكة وإجباره على الاستسلام، وقد ضربوا المسجد الحرام بالمنجنيق ودمروا الكعبة، في هذا الوقت وصل خبر موت يزيد إلى الجيش وبذلك أغلق سجل خلافته المشؤم"[(١)].

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته ادبيات وعلوم إنساني)، ، ص١٢٠.

خلفاء يزيد

يقول النص: "بعد يزيد وصلت الخلافة إلى ابنه معاوية الثاني، بعد حوالي أربعين يومًا من جلوسه على كرسى الخلافة كان حاضرًا في المسجد وانتقد أمام عامة الناس تصرفات بنى أمية، وطغيان جده معاوية على خليفة الحق الإمام على، وسلوك والده السيئ بقتل أهل بيت الرسول ﷺ والاعتداء على حرمة مكة، أعلن نفوره وتخليه عن الخلافة، بعد فترة قصيرة وحسب إحدى الروايات مات مسمومًا"[1].

*** الكوفة بعد عاشوراء:**

يقول النص: "الفترة ما بين موت يزيد حتى خلافة عبد الملك بن مروان عرفت بالخلافة الأموية، الأمويون خلال هذه الفترة بالإضافة إلى الشَّغَب مع ابن الزبير واجَهُوا أيضًا حركتين سياسيتين وعسكريتين في العراق، تمرُّد التوابين وتمرُّد المختار"[2].

*** تمرد التوابين:**

يقول النص: "أول تمرُّد قام للأخذ بثأر الإمام حسين عليه السلام، مجموعة من أهالي الكوفة معروفين باسم التوابين، ثورة التوابين قبل أن تكون حركةً واعيةً ولها هدف ومخطط، فقط كان لها ردود فعل عاطفية سريعة، لهذا السبب وبعد مواجهة سريعة مع جيش الأمويين هزم وقتل الكثير منهم[3].

---

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته ادبيات وعلوم إنساني)، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، جاب يزدهم، ١٣٨٩، ص١٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ص١٢٠.

(٣) المصدر نفسه، ص١٢١-١٢٢.

تحليل النص:

السؤال: لماذ قامت حركة التوابين؟

أليست هذه الحركة تعبِّر عن الشعور بالذنب الذي اقترفه أجداد الشيعة بآل البيت وخاصة في الحسين ﷺ. فقد عضّهم الندم بعد استشهاده، فلم يجدوا طريقة يكفِّرون بها عن ذنبهم إلا بالثأر للحسين ﷺ.

إذًا لا يتحمل هؤلاء (اللاطِمون في عاشوراء) جزءًا من المسؤولية عن مقتل الحسين، ومن قبله والده علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

لا بدَّ من الإضافة حول هذه الحركة، وربطها بالتشيُّع، وكيف أثَّرت به.

*** تمرُّد المختار:**

يقول النص: "المختار هو من إحدى العائلات من أشراف الكوفة، بحجة الانتقام لدم الإمام الحسين وبالاستفادة من الإحساس المجروح لأهالي الكوفة والموالين نظَّم جيشًا لمواجهة الأمويين من جهة ومن جهة أخرى لمواجهة عبد الله بن الزبير، وقد حقَّق نجاحًا كبيرًا وهزم جيش الشام وعاقب الكثيرين من مرتكبي فاجعة كربلاء، مثل عبيد الله بن زياد، وشمر، ونظرًا لاعتماده على الموالين مما سبَّب استياء رؤساء وأشراف الكوفة واتَّحدوا مع جيش عبد الله بن الزبير وهزموا المختار، ثورة المختار أول موقع يشهد حضورًا واسعًا للإيرانيين في حركة ضد الأمويين"[1].

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته ادبيات وعلوم إنساني)، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، جاب يزدهم، ١٣٨٩، ص١٢٠.

تحليل النص:

"ثورة المختار أول موقع يشهد حضورًا واسعًا للإيرانيين في حركة ضد الأمويين". هكذا قال الكاتب، فقد حاول كعادته أن يربط الفُرْس بنصرة المظلوم.كما أنَّ الكاتب يحاول تزييف الحقائق، حين يجعل الثورة من صنع الفرس. ألم يشارك فيها الكثير من قبائل العرب، فقد اعتقد- كما يقول الطبري- بأنَّ الأشراف وشيوخ القبائل العربية في الكوفة هم القوة الفعَّالة، والمعول عليها إذَا قُدِّر لحركته أن تنجح[(١)].

انتقال الخلافة من الفرع السفياني إلى الفرع المرواني

يقول النص: "بعد موت معاوية الثاني بسبب النزاعات القومية والخلافات القبيلة بين بني أمية والشعب بين مدَّعى الخلافة وأنصار بنى أمية، فإنَّ هذا يعنى زعزعة مقدرة بنى أمية على استمرارهم بالخلافة، في النهاية وبعد سنوات من الانتظار وصلت الخلافة إلى مروان وكان صغيرًا في السنّ، ولكنه توفِّي بعد ذلك بوقت قصير، ولكن الخلافة بقيت حتى سقوط الأمويين بيد أبناء وأحفاد مروان وقد عرفوا بالمروانيين أو بني مروان".

يضيف النص: "عبد الملك ابن وخليفة مروان وبمساعدة الحجاج بن يوسف الثقفى وكان معروفًا عنه القسوة وقلب من حجر قضى على كل مُدَّعى الخلافة، وأعاد مرة أخرى للأمويين قدرتهم وسلطتهم على الأراضي الإسلامية"[(٢)].

---

(١) تاريخ، ج٦، ص٣٩.

(٢) تاريخ إيران وجهان ١، مرجع سابق، ص١٢٠-١٢١.

توضيح:

الإمام السَّجَّاد عليه السلام مزيج من عظمة الجهاد وجلال العبادة.

يقول النص: "الإمام السجاد عليه السلام ابن الإمام حسين عليه السلام ورابع أئمة الشيعة، مرضه الشديد مع وجوده في كربلاء كان السبب في عدم مشاركته في المعركة، حضرته ومن نجى معه وبعد ثورة كربلاء حملوا على عاتقهم مهمة انتقال هذه الرسالة الإلهية، شهد الإمام السجَّاد عليه السلام أيامًا مضطربة وخانقة بعد الإمام الحسين عليه السلام، ضعف البنية الفكرية وضعف الإيمان والاعتقادات الروحانية من أهم مشاكل المجتمع الإسلامى، بناءً على ذلك فإن تعليم وتدريب الطلبة يشكِّل النواة الأولى لعلماء الشيعة، صلاة الإمام السجاد هى طريق غير مباشرة لتعليم عموم الناس، إحدى طرق الإمام الأخرى كانت في شراء العبيد وبعد أن يُعلِّمهم أصول الدين كان يطلق سراحهم، وهكذا ومن خلال عملية تدريجية طويلة المدة، وبهذا هيَّأ الأرضية المناسبة في مجالات التغيير الجوهري في التفكير الإسلامى، من أثار هذه التعاليم المباشرة وغير المباشرة الاهتمام والإقبال الواضح للأئمة من بعده في تعليم وتدريس الطلبة".

خلافة عمر بن عبد العزيز

يقول النص: "على الرغم من أنَّ الخلفاء الأمويين كانوا يخدعون الناس ويدَّعُون بالظاهر أنهم أهل دين؛ وذلك لتبرير أفعالهم، ولكن أعمالهم وأدائهم حطَّ من مستوى قبول الناس لهم ومشروعية خلافتهم وحكومتهم الأشبه بالدُّمَى، هذا الأمر وضع الحكومة الأموية في وضع خطير، لهذا فإنَّ عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي الثامن تصرَّف بطريقةٍ مختلفةٍ عن الخلفاء السابقين، في عهد خلافته قامَ

بإجراء بعض التغييرات الإصلاحية ليقلِّل من غضب عامة الناس من الأمويين ومن أهم الإصلاحات التي قام بها هذا الخليفة:

١- إيقاف حركة الفتوحات الإسلامية، والاهتمام باحتياجات الجند الذين كانوا يتعرضون للقمع والاستغلال من قِبَل القادة.

٢- الاهتمام بأوضاع الناس في الولايات والمناطق المختلفة ومراقبة الولاة والمحافظين الأمويين في المناطق المختلفة، ومن بينها منع أخذ الجزية من المسلمين الجدد.

٣- منع لعن الإمام على عليه السلام، والتى كانت منتشرة وسائدة بشكل كبير في أنحاء الأراضى الإسلامية بالإجبار، وأيضًا التغيير والإصلاح الاقتصادي والاجتماعى لم يغيِّر من مكانة الأمويين من وجهة نظر عامة الشعب، لهذا كانت فترة حكمه قصيرة، والخلفاء الذين جاءوا من بعد عمر تركوا سياسية عمر بن عبد العزيز، وفي النتيجة ازداد الغضب وعدم الرِّضا العام عن الحكومة الأموية(١).

---

(١) تاريخ إيران وجهان، ص١٢١-١٢٢.

سقوط حكومة بني أمية

يقول النص: "بما أنَّ الحكومة الأموية قمعت وبعنفٍ كلَّ الحركات التى قامت ضدَّها في المناطق العربية وكانت كلها تحت سيطرتها، والحكومة المستبدة مثل حكومة الحجاج بن يوسف والي عبد الملك العنيف في العراق سلبت أي فرصةٍ للاعتراض، فإنَّ المعارضين ومن أجل الحفاظ على حياتهم واستمرار المعارضة بالتدريج استقرار في أراضى تكون الظروف ملائمة فيها أكثر. مثل بين هذه الأراضى خراسان، التى كانت وللأسباب التالية الذِّكْر أكبر مركز للثورة ضد الأمويين:

١- بما أنَّ أراضى الأقاليم الإسلامية كان لها حدود مع أراض غير إسلامية، وتواجد عدد كبير من المقاتلين المسلمين في هذه المناطق.

٢- بسبب الأمن في هذه المنطقة، فقد استقرَّ فيها المعارضون والقوات المعارضة وخاصة العلويون وبنو هاشم، وأنصارهم.

٣- المهاجرون العرب في هذه المنطقة وبسبب الخلافات القبيلة والقومية، التى كانت تفتقر إلى الوحدة الوطنية، لم تكن تشكِّل عقبة في مقابل المعارضة.

٤- معاملة المسلمين الإيرانيين بصفتهم موالين وظلمهم وإذلالهم عنصريًّا من قبل الحكام الأمويين المتعصبين، أظهروا معارضة فعَّالة ضد الأمويين.

في هذه الظروف فقد تَمَرّكز الدعاة العباسيين في منطقة خراسان ومارست فعاليتها بمنظمات تبليغية منظمة مع مراعاة السرية اللازمة، مع الاهتمام بلفت نظر الناس إلى مزايَا الإسلام، والى انحراف بني أمية عن تعاليم الإسلام وظلمهم إلى

أهل بيت الرسول ﷺ. ولكن يوجد شيئان مؤثران قبل كل شيء ساهمَا في تطوُّر العباسيين.

١- تأكيد العباسيين على قرابتهم بعائلة الرسول ﷺ.

٢- اختيار الشعار العام والمبهم (الرضا من آل محمد) هذا الشعار له اتجاه واسع بالإضافة إلى العلويين والإيرانيين، ويشير إلى التشيع ومحبة أهل البيت مما شجَّعهم على مساندتهم، في الدرس القادم سنَقرأ كيف أنَّ شعار العباسيين هذا كان السبب الوحيد في خداع تفكير الناس.

على أيِّ حالٍ فإنَّ حركة الخراسانيين بواسطة أبي مسلم نظَّمت الحركات ولعبت دورًا أساسيًّا في التغييرات التاريخية في ذلك الوقت، هؤلاء بملابسهم السوداء وشعارهم عرفوا لابسى الأسود، في النهاية وبسقوط دمشق وقتل مروان الحمار آخر الخلفاء الأمويين انقرضت حكومة بني أمية في السنة ١٣٢هجريًّا قمريًّا".[(١)]

يتحدَّث النص حول أسباب أزمة وانهيار الخلافة الأموية، ويركِّز على:

- الصرامة وظلم آل البيت (عليهم السلام) وأصحابهم.

- الاعتماد الكامل على العرب وتجاهل حقوق المسلمين غير العرب.

- التحريف والتغيير بالدِّين والتفسير حسب الآراء.

- المنازعات القبلية الشديدة وانعدام التوازن الهيكلي.

- التميز وعدم العدالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

---

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته ادبيات وعلوم إنساني)، ص١٢٢.

- تفضيل المنافع والمصالح الفردية والقومية على مصالح الأمة الإسلامية.

- الرفاهية المفرطة وعدم الاهتمام بالقيم الدينية.

- توسُّع الأقاليم وعدم القدرة على الإشراف عليها بشكل صحيح.[(١)]

بعد نهاية النص، تطرح الأسئلة التالية على الطلبة لترسيخ بعض الأفكار:

أسئلة نموذجية:

- ما هي الأساليب التي سلكها معاوية للوصول إلى أهدافه؟

- وضِّح أسباب سقوط ثورة المختار.

- ما هي العوامل التي كانت مؤثِّرة في تقدم العباسيين؟

- ما هي أهم أسباب انهيار الخلافة الأموية؟[(٢)]

الأفكار والمناقشة:

- اكتب تقريرًا عن إجراءات الحجاج بن يوسف.

- أعِدَّ بحثًا عن الفتوحات الإسلامية في إسبانيا وشبه القارة الهندية.

- قارن بين أداء الإمام الحسين عليه السلام في عهد معاوية وعهد يزيد، واذكر سبب الاختلاف في أداء الإمام[(٣)].

---

(١) المصدر نفسه، ص١٢٢-١٢٣.

(٢) تاريخ إيران وجهان ١، ص١٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ص١٢٤-١٢٣.

تحليل النص:

لا ينفك الكاتب من الطعن بالعرب عامة وحكَّامهم (الأمويين) خاصة، فالشيعة- كما هو واضح من النص- قد زُرع في عقلهم الباطن أنَّ العرب بزعامة الأمويين تآمروا على آل البيت، فسلبوهم حقَّهم بالحكم.

خلافة بني العباس

*** أبو مسلم الخراساني:**

يقول النص: "كما قرأنا سابقًا، فإنَّ حكام بني أمية استفادوا من بيت المال من أجل حياة اللهو والمرح ولأعمالهم الشخصية، لم يحافظوا على القوانين والعدالة الإسلامية، وكانوا يعتبرون السلالة العربية فوق السلالات الأخرى، وضاعف من غضب المسلمين استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وظلم بني أمية لعائلته، بالنتيجة قامت ثورات عديدة ضد بني أمية"(١).

تحليل النص:

ما أسوأ الظلم والكيد وطمس الحقائق.

كل ذلك لأجل تشويه صورة بني أمية، أليس هذا ما تريد أيها الكاتب أن تُرسِّخه في ذهن فتية لا يعلمون من هذه التُّرَّهات شيئًا.

وإذا كان بنو أمية كما وصفهم النص أسأل الكاتب عن الإنجازات التي تَمّت في عهدهم على جميع الصعد؛ السياسية والحضارية.

لن أفصل كثيرًا في ذلك، فإنها حقائق واضحة المعالم لدى القاصي والداني.

- من الذي فتح بلاد المغرب والأندلس. أليس هم الأمويون؟
- من الذين فتح بلاد السند والهند وغزا حدود الصين وأقسم على الله أن يطأ

(١) تعليمات اجتماعي، بنجم دبستان، اداره كل جاب وتوزيع كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٨، ص٩٧.

أرضهم. أليس محمد بن القاسم الثقفي. في عهد بني أمية؟

- أليس الذي أنشأ الأسطول الإسلامي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عه.
- أليس هم الأمويون الذين مصَّروا البلدان؛ القيروان على سبيل المثال.
- أمَّا على الصعيد الحضاري؛ من الذي وسَّع المسجد الحرام والمسجد النبوي أليس الوليد بن عبد الملك؟
- أليس هو أيضًا من وسَّع ورمَّم المسجد الأقصى وقبة الصخرة؟
- أليس عبد الملك بن مروان أول من عرَّب العملة وحقَّق بذلك مفهوم الدولة الإسلامية المستقلة سياسيًّا.

*** هناك الكثير والكثير من الإنجازات التي تُثْبِت مدى جدية غالبية خلفاء بني أمية في العمل لأجل خدمة الإسلام والمسلمين.**

يضيف النص: "الخلفاء العباسيون، أحد الفرق التي لم تكن راضية، هؤلاء كانوا يعرفون أنفسهم أنهم من سلالة أبناء عم الرسول، ولهذا السبب كانوا يتصوَّرون أنَّ الحكومة من حقّهم. بنو العباس ومع الدعاية الكثيرة استطاعوا أن يجدوا مؤيدين لهم من بين الإيرانيين، واختاروا شخصًا باسم أبي مسلم الخراساني ليقود القوات الموالية لهم، استطاع أبو مسلم أن يهزم جنود بني أمية في عدة حروب، وبهذا وصل الحكم إلى بني العباس"[1].

---

(١) تعليمات اجتماعي، بنجم دبستان، اداره كل جاب وتوزيع كتاب هاى درسى إيران، ١٣٨٨، ص٩٨.

البحث والمناقشة في الصف:

يتساءل النص: برأيك لماذا ساعد الإيرانيون بني العباس للوصول إلى الحكم؟[١]

يضيف النص: " يعتبر أبو العباس السفاح أول خليفة عباسي جلس على كرسي الخلافة رسميًّا، حيث توج في مسجد الكوفة، وفي أول خطبة له أشار إلى انحراف الأمويين عن تعاليم الإسلام وذكر بقرابة العباسيين للرسول ﷺ. وحاول إضفاء الشرعية على الدولة الجديدة، طلب السفاح من الناس أن يشكروا الله على استقرار الدولة العباسية في الأراضي الإسلامية، قضى فترة حكمه التي استمرَّت أربع سنوات، حيث سعَى لتثبيت الحكومة العباسية، والقضاء على بقايا الأمويين وأتباعهم، أما أخوه المنصور الخليفة العباسي الثاني والذي حكم عشرين عامًا هزم خصومه ومعارضيه، وبناء أساس قاعدة قوية للدولة العباسية، وخلفه خمسة وثلاثون خليفة جميعهم من نسله[٢] .

من أهم التهديدات التي واجهت الحكومة العباسية خلال فترة حكمه، والتي قُمِعَت بأكثر الأساليب قمعية، كانت عبارة عن:

١- ادِّعاء الخلافة من قبل عدد من العائلة العباسية، إلا أن كل هؤلاء المدعين انسحبوا إما عن طريق التهديد، أو الإغراءات، أو الحرب.

---

(١) المصدر نفسه، ص٩٨-٩٩.

(٢) تاريخ إيران وجهان ١، نظري، ص١٢٤.

العباس

عبد الله

علي

محمد

إبراهيم الإمام السفاح (١) المنصور(٢)

مهدي (٢)

هادي (٤) هارون الرشيد (٥)

الأمين(٦) المأمون (٧) المعتصم (٨)

٢٨ خليفة آخر

المستعصم (٣٧)

آخر الخلفاء العباسيين[(١)]

زيادة قوة ونفوذ أبو مسلم الخراساني.. من المؤكد أنه كان له دور كبير في انتصار العباسيين. فطلبه للسلطة، ونتيجة لزيادة محبة الناس له وشعبيته بين الإيرانيين، فقد أثار مخاوف ورعب أول خلفتين عباسيين وخاصة المنصور، في بداية خلافته سعى وبالخداع إلى فصل القائد الخراساني عن أنصاره وقُتِل بطريقة جبانة، قتلُ أبي مسلم كان سببًا لقيام ثورات بحجة طلب الثأر له، أكثر هذه الحركات ظهرت في شرق

(١) المصدر نفسه، ص١٢٤.

إيران، كانت الحكومة العباسية لمدة مشغولة بنفسها"[١].

تحليل النص:

جاء في النص حول مقتل أبي مسلم الخرساني، الذي يحاول النص تمجيده: "محبة الناس له وشعبيته بين الإيرانيين أثار مخاوف ورعب أول خلفتين عباسيين وخاصة المنصور، في بداية خلافته سعى وبالخداع إلى فصل القائد الخراساني عن أنصاره، وقُتل بطريقة جبانة"[٢].

لا يُنكر أحد دور أبي مسلم في الثورة العباسية ونجاحها، فهذا الرجل رفع أول راية للعباسيين، وحارب الأمويين بكل شجاعة وحماس لا مثيل له[٣]. ازدادت قوة أبي مسلم لدرجة أنه صار يتصرَّف بعد نجاح الثورة على أنه هو السيد والقائد والزعيم، مما أثار شكوك العباسيين فيه، فكان مثل ذلك الموقف سببَ بَوَاره؛ لأن طبيعة رجل مثل الخليفة المنصور لا تقبل أن يكون غيره قويًّا ينافسه السلطة في دولته. خاصة بعد السياسة المعلنة التي اتَّبعها أبو مسلم في التخلُّص من كل المنافسين له على السلطة، وخاصة قادة الدعوة في بلاد خراسان والكوفة، فقد قتل سليمانَ بن كثير الخزاعي أوَّل النقباء الاثنى عشر دون أن يستشير أحدًا، وتكفل أيضًا بقتل أبي سلمة الخلال (فارسي). بل أشار أبو سلم بقتل رءوس كثيرة من

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٢٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢٥.

(٣) للمزيد حول جهود أبي مسلم في نجاح الثورة العباسية، انظر: ماجد، العصر العباسى الأول، ص٣٣-٤٤؛ شعبان، الثورة العباسية، ص٢٤٤ وما بعدها.

العرب مثل ابن هبيرة[١]. فصارت له الكلمة العليا في الخلافة، حتى إنَّه سك في خراسان عملةً تحمل اسمه، مع أنَّ العملة تكون عادة من شعارات الخلافة والخليفة.

ولعلَّ استفحال سلطة الخراساني نبَّهت أبا العباس من قبل إلى ضرورة التخلص منه. وعلى الرغم من محاولة بعض المؤرخين إرجاع سبب تخلُّص المنصور من الخراساني لأسباب شخصية[٢]، إلا أنَّ السبب الحقيقي يعود إلى أنَّ المنصور قرَّر التخلُّص منه للإبقاء على سلطة الدولة، وخوفًا من غَدرة منه قد يقوم بها نتيجةً لنفوذه الكبير، ولعلَّ المنصور كان أكثر إدراكًا من أخيه السفاح؛ فهو كان قد حرَّضه على قتله من قبل بقوله: "أخاف والله إن لم تتغده اليوم أن يتعشاك غدًا"[٣].

لقد اعتبر رجال الحكم الذين تَخلَّصوا بقتله من وطأة شخصية قويَّة حتى إنَّ أبا جعفر كان يرَى أن لا ملك أو سلطان أو أمر أو نَهْي مع أبي مسلم، لذا اعتبر بعض المؤرِّخين خلافة أبي جعفر المنصور من يوم مقتل أبي مسلم[٤].

فمجريات الأحداث تدلُّ على أنَّ أبا مسلم كان رجلاً عسكريًّا، لكنه رجل تَعُوزه الخبرة السياسية، فغلبت عليه الصفة العسكرية، رافقها شدة متناهية في معاملة الآخرين: "قليل الرحمة، قاسي القلب، سوطه سيفه، قتل من الأصناف

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤٩١.

(٢) ابن الطقطقى، الفخري، ص١٦٨-١٦٩.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤٦٩.

(٤) ابن الطقطقى، الفخري، ص١٧٠.

كلها"[١]. فبدأ الغرور يأخذ طريقه إلى نفس أبي مسلم، ومن هنا بدأت المشاكل تظهر إلى الوجود بينه وبين السلطة المركزية التي كانت تفرض أوامرها على جميع ولاتها، وكان هو يرفض أن يكون أحد وصيًّا عليه[٢].

حركة العلويين

يقول النص: "لأنه بعد سقوط الدولة الأموية وبدل أن يجلس على الحكم أحد أفراد عائلة الرسول ﷺ تولَّى الخلافة العائلة العباسية، ندم العلويون على نتيجة تعاونهم مع العباسيين، وقد أظهر العلويون معارضتهم ومخالفتهم للخلافة الجديدة باشكال مختلفة، على الرغم من أن العباسيين كانوا يدركون أنَّهم مديونين للشيعة بانتصارهم، ولكن المنصور من خوفه من أن يفقد مقامه هو وعائلته قام بقمع هذه الحركة بدموية ووضعها على جدول أعماله، الصرامة الشديده بالنسبة إلى الأئمة، والقيادات البارزة من عائلة الإمام على عليه السلام وسائر الشيعة والتى استمرَّت خلال فترة الحكومة العباسية"[٣].

اعرف المزيد:

يقول النص: "العباسيون ومن أجل تأكيد شرعيتهم استطاعوا أن يقنعوا الناس بالانضمام إليهم، أولاً وقبل كل شيء قاموا بحماية الشخصيات الهامة بالنسبة للعلوين وخاصة الإمام جعفر الصادق الذي كان إمام الشيعة في ذلك الوقت،

(١) المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص٩٣.

(٢) العاني، سياسة المنصور الداخلية (رسالة دكتوراه) ص١٦٢-١٦٣.

(٣) تاريخ إيران وجهان ١، مرجع سابق، ص١٢٥.

ولهذا بادر العباسيون بمراسلته ومراسلة الشخصيات ذات السمعة الحسنة، الإمام الصادق عليه السلام وبفطنته كان يعرف أنَّ كل اقتراحات مرافقة العباسيين ما هو إلا خدعة للاستفادة من مكانة العلويين الاجتماعية، ولهذا لم يكن الإمام عليه السلام وحده على استعداد للتعاون معهم بل سائر السادات تعاملوا مع الأمر بحذر شديد"(١).

تحليل النص:

ألا يسيئ النص لآل البيت، أليس العباسيون من آل البيت، أليس جدهم العباس؟ أليس العباس بن عبد المطلب ﷺ مسلمًا؟

لماذا الإصرار على أنَّ ما حدث من شورى بين الصحابة لاختيار أول خليفة، كان مؤامرةً على آل البيت؟

المشكلة أنَّ غلاة الشيعة (أرباب العمائم) وما يستفيدونه من إثارة الأحقاد هم الذين يُغَذُّون هذا الشعور، حتى تبقى مصالحهم المالية (الخُمس) تنهال على حساباتهم في البنوك.

تفسير:

يقول النص: "بغداد قرية من قرى تيسفون (المدائن) المنصور استفاد من خارطة بغداد من وجهة نظر خالد بن برمك، وطلب منه الاستفادة منها تدمير قوس كسرى، ولكن خالدًا لم يرَ مصلحة في ذلك.

---

(١) المصدر نفسه، ص١٢٥.

يضيف النص: "في سنة ١٤٥ هجريًّا قمريًّا نقل الخليفة العباسى المنصور مركز الخلافة من الهاشمية التى كانت قريبة من الكوفة مركز محبى التشيع إلى بغداد، وقد استفاد من خبرة عائلة البرامكة الإيرانية الأصل بإنشاء إدارت قوية، والتى كانت تقليدًا لإدارات الدولة الساسانية، في فترة خلافة المنصور فُتِحت دومانى وطبرستان"[1].

(١) المصدر نفسه، ص١٢٥.

نمط حكم بني العباس

يقول النص: "بعد مدَّة بدء بنِي العباس بالظلم أيضًا، لم يراعوا أو يهتموا بأوامر الإسلام، وقاموا بالقتل الجماعي وسجن الناس، وهذا كان سبب عدم رضى الناس في تلك الفترة، في هذه الفترة أيضًا تعرَّض أئمة الشيعة للأذى والاضطهاد"[١].

تحليل النص:

الكل ظالم، كل من خالف نظرية الشيعة الإمامية خارج عن الدين، حتى العباسيون الذين هم جزء من آل البيت النبوي ظلمة، لا لشيء إلا لأنهم تولوا الخلافة (وغصبوا علويين حقهم) كما يدَّعي هؤلاء.

وبعد نهاية النص، تطرح الأسئلة والنشاطات التالية على الطلبة لترسيخ بعض الأفكار:

الأسئلة:

١- لماذا قامت ثورات كبيرة ضد بني أمية؟

٢- من هو أبو مسلم وماذا فعل؟

٣- ما دور الإيرانيين في حكومة بني العباس؟

٤-هل تغيَّر وضع المسلمين في ظل حكم بني العباس؟ لماذا؟ [٢]

---

(١) تعليمات اجتماعي، بنجم دبستان، اداره كل جاب وتوزيع كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٨، ص٩٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٩٩-١٠٠.

تحليل النص:

أبو مسلم، لا ينفك الكاتب وغيره من أقرانه من تمجيد أبي مسلم الخراساني، وأنَّه هو السبب في نجاح الثورة العباسية، ولولاه لفشلت الثورة؛ فالنص وما تبعه من أسئلة يريد أن يرسِّخ في وجدان الطالب وعقله أثر الفرس في قيام الدولة العباسية، ودورهم في إدارتها من خلال أسرة البرامكة. لذا فقد أباح الفرس لأنفسهم الطعن في النسب النبوي الشريف باتهام العباسة أخت الرشيد بعلاقةٍ غير شرعية مع الأعجمي جعفر البرمكي، فكان السبب في نكبتهم. لقد أحلُّوا لهم الطعن في نسب آل البيت (وهم الشيع محبي آل البيت). أهذا هو الحب لآل البيت؟؟؟.

فترة ازدهار الخلافة العباسية من هارون إلى المعتصم

يقول النص: "يذكر المؤرخون أنَّ فترة ازدهار الخلافة العباسية كانت في فترة خلافة هارون الرشيد على الرغم من أنه لم يساهِم كثيرًا في هذا الازدهار.

من العوامل المؤثِّرة في تقدُّم وازدهار الاقتصادي والثقافي في هذه الفترة نبحثها في العوامل التالية:

١- الاستقرار السياسى والأمن الاجتماعى: الترتيبات التحضيرية لهذا الأمر تَمّت في فترة الخلفاء السابقين، والانتقال المستمر للثروة إلى مركز الخلافة العباسى زادَ في تقوية هذا الأمر.

٢- الاستفادة من فكر وثقافة وحضارة الشعوب والمِلَل الأخرى: ظهر هذا في مجالاتٍ كثيرةٍ في المجتمع العام وكان سببًا في نمو الحضارة الإسلامية ومستوى الثقافة العامة في المجتمع.

٣- الخبرة والمعرفة للوزراء الإيرانيين وخاصة البرامكة، عائلة البرامكة ومنذ بداية تأسيس الخلافة العباسية كان لهم نشاط واسع في الفعاليات السياسية والإدارية، واستفادوا من خبرتهم من تجاربهم الثقافية الإيرانية، وكان لهم دور مهم في تطوير الأوضاع، هؤلاء في النهاية واجهوا مصيرًا مشابهًا لمصير أبي مسلم الخراساني وبأمرٍ من هارون الرشيد قُتِل بعضهم وسجن بعضهم الآخر.

في عهد خلافة هارون الرشيد تطوَّرت العلاقات الخارجية وقامت هيئات من الصين وأوروبا بالقدوم إلى بغداد، في هذا الوقت تأسَّست بالتدريج أولى الحكومات في شمال إفريقيا وانفصلت أراضٍ عن تكوين الخلافة الإسلامية[1].

(١) تاريخ إيران وجهان، ص١٢٦.

تحليل النص:

يقول الكاتب: "عائلة البرامكة ومنذ بداية تأسيس الخلافة العباسية كان لهم نشاط واسع في الفعاليات السياسية والإدارية، واستفادوا من خبرتهم من تجاربهم الثقافية الإيرانية، وكان لهم دور مهمّ في تطوير الأوضاع، هؤلاء في النهاية واجهوا مصيرًا مشابهًا لمصير أبي مسلم الخراسانِي وبأمر من هارون الرشيد قتل بعضهم وسجن بعضهم الآخر"(١).

الباحث المنصف يرَى مِمَّا سلَف النَّفَس الإيراني الفارسي واضحًا في تصوير البرامكة بأنهم كانوا مصدر عزّ وقوة الدولة العباسية في أيامهم، وبنهايتهم ضَعُفَت الدولة وانفصمت عراها.

وإذا أردنا تبيان حقيقة ذلك لا بدَّ من الإشارة إلى بداية العلاقة بين هارون الرشيد وأسرة البرامكة، هذه البدايات هي التي ساهَمَت بشكلٍ واضحٍ في ازدياد نفوذهم وسيطرتهم على مقدَّرات الخلافة العباسية.

كان خالد بن برمك أوَّلَ مَن عُرِف من هذه الأسرة في الإسلام؛ فقد ارتبط بالدعوة العباسية منذ بداياتها، فانضمَّ إلى أبِي مسلم وحارَب معه الأمويين إلى أن تَمَّ الأمر للعباسيين، وبعد نجاح الحركة العباسية استعمله أبو العباس في الدواوين. إضافةً إلى ذلك كانت هناك صلات عائلية، لدرجة أن يتولَّى يحيى بن خالد وزوجته تربية الرشيد، بل إنَّ الرشيد كان يخاطبه "يا أبت"(٢). فلما تولّى الرشيد الخلافة سنة

---

(١) تاريخ إيران وجهان، نظري (رشته ادبيات وعلوم إنساني)، ص١٢٦.

(٢) الجهشياري، الوزراء، ص١٧٧.

(١٧٠هـ/ ٧٨٦م) أسند منصب الوزارة ليحيَى، فصدر له التقليد. جاء فيه: "قد قلدتك أمرَ الرعية، وأخرجته من عنقي إليك، فاحكم في ذلك بما ترَى من الصواب، واستعمل من رأيتَ، واعزل من رأيت"(١).

لكن البرامكة لم يلتزموا حدًّا يقفوا عنده في تعاملهم مع الخليفة الشابّ، بل كانوا يزدادون قوةً على حساب الخليفة ومؤسسة الخلافة. فرغم قِلَّة عددهم، إلا أنَّهم سخَّروا بهباتهم وأموالهم الكثير من رجال الحكم لخدمة مصالحهم ومشروعهم في السيطرة على مقدَّرات الدولة.

بعد أن نضج الخليفة الشاب (هارون الرشيد) وجد نفسه خليفة بالاسم، والأمر كلُّه بيد بنِي برمك، وبعد سبع عشرة سنة من حكمه أي في سنة (١٨٧هـ) أصدر الخليفة قراره باستئصال سلطانهم، لكن القرار لم يكن متسرعًا، بل صدر عن الخليفة الرشيد بعد دراسة متأنّية؛ فقد تمادَى البرامكة على سلطات الخليفة وصلاحياته، ولم يراعوا طبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

كان وراء نكبة البرامكة جملة أسباب أسهمت في مجملها في إقدام الخليفة هارون الرشيد على هذا القرار، ولعل من أهم تلك الأسباب ما نُسِب إلى البرامكة من زندقة، فالبرامكة ممن أسلموا بعد الفتح، لكنهم كما يبدو من سيرتهم أخذوا الإسلام مأخذًا هَيِّنًا، ودليل ذلك أنهم جعلوا من بيوتهم ملجأً لشرب الخمر والمجون، وكانت لهم مجالس شرب ولهو علنية وغير محتشمة. فلم يعجب هذا الأمر الخليفة هارون الرشيد حتى إنَّ يحيى بأمرٍ من الرشيد كتب إلى ابنه الفضل الذي

---

(١) الجهشياري، الوزراء، ص١٧٧.

تشاغَل بالصيد وإدمان الملذَّات عن النظر في أمور الرعية[١].

أمَّا البغدادي، فإنَّه ينسب صراحةً إلى البرامكة العودة إلى ديانتهم، حينما زيَّنوا للرشيد أن يضع مجمرةً في جوف الكعبة، فعلم الرشيد أنَّهم أرادوا أن يحولوا الكعبة إلى بيت نار[٢].

ومن الأسباب وراء نكبة البرامكة أيضًا: احتجازهم الأموال مع كثرة المصادر المالية للدولة العباسية[٣]، حتى بلغت في عهدهم ما يقرب من اثنين وسبعين مليون دينار في السنة، ورغم ذلك، فإنَّ الخليفة يطلب اليسير فلا يحصل عليه[٤]. كما تصرَّفوا في أموال الدولة التي كانت تحت أيديهم كما يشاءون من غير حساب. وفي سبيل إظهار الكرم والسخاء بقصد استمالة رجال الدولة بالمال[٥].

ثم يذكر المؤرخون سببًا آخر من أسباب تغيُّر هارون الرشيد على البرامكة هو ميلهم للعلويين شأن كل الفرس، بسبب زواج الحسين من ابنة يزوجرد آخر ملوك ساسان، وأن سلالة العلويين ارتبطت بالنسب للفرس، بحيث أصبح التشيُّع للعلويين مذهبًا قوميًّا عند الفرس، ولا يزال إلى وقتنا الحالي. ويؤيد هذا الميل للعلويين أنَّ جعفرًا كان يمنح من يتصلون به من العلويين مناشير الأمان، ويسمح لهم في حضرته بمناقشة مسائل أحقيتهم في الخلافة، وهل تكون بالنص أو

---

(١) المسعودي، مروج، ج٣، ص٤٥١.

(٢) الفرق بين الفرق، ص٢٧٠.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٢٧٠.

(٤) الجهشياري، الوزراء، ص٢٥٠.

(٥) ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٠٠-٢٠١.

بالاختيار. فكان ذلك على خلاف سياسة العباسيين في التضييق على بني عمومتهم حتى يمتنعوا عن المطالبة بأحقيتهم بالخلافة.

ومع ذلك، فلا يجب أن نعتبر نكبة الرشيد للبرامكة مذبحةً على حسب ما أوردته بعض المصادر، بحيث نقول إنَّ الرشيد قتل من البرامكة عددًا كبيرًا، فهو لم يقتل منهم غير جعفر(١)، وأن نكبتهم كانت في سلطانهم وأموالهم(٢).

ولقد أثارت نكبة البرامكة شجون القومية الفارسية وأعادت ذكرَى ما فعله المنصور من قبل بأبي مسلم، فعمدت إلى إفساد صورة الرشيد، فوصفوه بأبشع الصور(٣).

ولعل ما أذاعوه ونشروه بمساعدة أعوانهم مما عُرِف بقصة الزواج الغريب والعجيب للعباسة من جعفر البرمكي، لدليل قوي على أنَّ هؤلاء لا يرعون في العباسيين- وهم فرع من آل البيت- إلًّا ولا ذمة. أليس الطعن بشرف العباسة طعنًا غير مباشر بالنسب والشرف الهاشمي عامة.

تصدَّى ابن خلدون(٤) للردِّ على هذه التهمة؛ فقال: "ومن الحكايات المدخولة

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٩٧.

(٢) فقد وجد لجعفر بركة في داره فيها أربعة آلاف دينار وزن كل دينار مائة دينار ودينار. الجهشياري، الوزراء، ص٣٤١. قبض على سائر أموالهم، فكانت ٣٠ مليون دينار بخلاف ضياعهم وغلالهم وقصورهم. الريس، الخراج والنظم المالية، ص٤٦١.

(٣) من ذلك أنه كان يقبل على الغلمان، وأنه كان يحب النساء، وأنه كان يعاقر الخمر، كما اختلقوا له قصة العباسة للنيل من الشرف العباسي. للمزيد من التفصيل حول ذلك، ومدى الافتراء، وخاصة في قصة العباسة، انظر: ابن خلدون، المقدمة، ج١، ص١٧-١٨.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص١٨.

للمؤرخين ما ينقلونه كافة في سبب نكبة الرشيد للبرامكة من قصة العبَّاسة أخته مع جعفر بن يحيى بن خالد مولاه، وأنه لكلفه بمكانهما من معاقرته إيَّاهما الخمر أذن لهما في عقد النكاح دون الخلوة، حرصًا على اجتماعهما في مجلسه. وأنَّ العباسة تَحيلت عليه في التماس الخلوة به لما شغفها من حبه حتى واقعها- زعموا في حالة السكر – فحمَلَت، ووُشِي بذلك للرشيد، فاستغضب، وهيهات ذلك من منصب العباسة فِي دينها وأبويها وجلالها، وأنَّها بنت عبد الله بن عباس، وليس بينها وبينه إلا أربعة رجال هم أشراف الدين وعظماء الملة من بعده. والعباسة بنت محمد المهدي بن عبدالله أبي جعفر المنصور بن محمد السجَّاد ابن علي أبي الخلفاء ابن عبد الله ترجمان القرآن ابن العباس عم النبي ﷺ، ابنة خليفة أخت خليفة، محفوفة بالملك العزيز، والخلافة النبوية وصحبة الرسول وعمومته وإقامة الملة، ونور الوحي ومهبط الملائكة من سائر جهاتها، قريبة عهد ببداوة العروبية وسذاجة الدين البعيدة عن عوائد الترف ومراتع الفواحش. فأين يُطْلَب الصون والعفاف إذا ذهب عنها؟ أو أين توجد الطهارة والذكاء إذا فقدَا من بيتها؟ أو كيف تلحم نسبها بجعفر بن يحيى، وتدنس شرفها العربي بمولى من موالي العجم بملكة جده من الفرس أو بولاء جدها من عمومة الرسول وأشراف قريش؟ وغايته أن جذبت دولتهم بضبعه وضبع أبيه واستخلصتهم ورَقَّتْهم إلى منازل الأشراف؟ وكيف يسوغ من الرشيد أن يصهر إلى موالي الأعاجم على بُعْد هِمَّته وعظم آبائه؟ ولو نظر المتأمل في ذلك نظر المنصف، وقاس العباسة بابنة ملكٍ من عظماء ملوك زمانه لاستنكف لها عن مثله مع مولَى من موالِي دولتها، وفي سلطان قومها، واستنكره ولج في تكذيبه، وأين قدر العباسة والرشيد من الناس".

المنصور أعطى القوة لحكومة العباسيين

يقول النص: "بعد السفاح وصل الحكم إلى أخوة المنصور، ونتيجة لظلم وطغيان العباسيين أعلن الناس وبسرعةٍ عدم رضاهم عن العباسيين، في البداية كان المنصور يخاف من قدرة أبوي مسلم وقد قتَله بالحيلة والجبن، بعد قتل أبي مسلم، ثار الإيرانيون ليثأروا لدم أبي مسلم ولكنهم انهزموا، كانت تقوم أكثر هذه الثورات في خراسان، ولكن قادتهم كانوا يدعون أنهم معارضين للإسلام، حيث تفرَّقوا من حولهم، واستطاع جنود العباسيين قمع كل هذه الثورات، وعلى الرغم من علم العباسيين بأنَّ الأئمة يستحقون حكم المسلمين بدءًا بقتلهم وإذائهم. إنَّ الإمام جعفر الذي كان يعيش في أوائل الحكم العباسي استطاع أن يستمر على طريق جدِّه، واستطاع أن يربِّي جيلاً من الطلاب لنشر الإسلام، العباسيون كانوا يدركون أنَّ وجودهم كان يشكِّل عقبة في طريق حكومتهم، وهذا الأمر أسهم في نيل حضرة الإمام جعفر إلى الشهادة. أمَّا أهم أعمال المنصور فبناء مدينة بغداد وجعلها مركزًا لخلافة العباسيين[1].

---

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلى، مرحله دوم تعليمات عمومى، ص٢٩-٣٠.

هارون الرشيد أحد أشهر الخلفاء العباسيين

يقول النص: "الخليفة الخامس للعباسيين هو هارون الرشيد، وهو من أشهر الخلفاء العباسيين في عهد هارون الرشيد زادت قوة الدولة العباسية، والسبب الرئيسي لقوة العباسيين في ذلك الوقت، أنه كان يدير أمور الحكومة العباسية عائلة إيرانية تُدْعَى البرامكة وهي من العائلات الإيرانية العريقة وكانت وزارة هارون الرشيد بأيدهم، وكانوا مشهورين بالقدرة حتى أصبح مقام الخليفة العباسي في الواقع مقامًا تشريفيًّا، هذا الموضوع أقلق هارون الرشيد، وقام مرَّة واحدة بالقتل العام أو سجنهم، وقد وضع القتل العام هذا الحكومة العباسية في مشاكل عديدة، وكذلك العباسيون ليس لديهم القدرة على إدارة شؤون البلاد".

يضيف النص: "وبالتدريج خرجت إفريقيا من حكم العباسيين وكذلك عمَّت الفوضى في إيران، والشيعة أيضًا لم يكونوا راضين عن حكم العباسيين، وخلال ذلك خاف هارون الرشيد من توسُّع هذه الخلافات، فقام بسجن الإمام موسى الكاظم عليه السلام وبالتالي استشهاده "(١).

تحليل النص:

جاء في النص: "والسبب الرئيسي لقوة العباسيين في ذلك الوقت أنه كان يدبِّر أمور الحكومة العباسية عائلة إيرانية تدعى البرامكة وهي من العائلات الإيرانية العريقة". هذا الأمر أقلق هارون الرشيد، وقام مرة واحدة بالقتل العام، وقد وضع

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٠-٣١.

القتل العام هذا الحكومة العباسية في مشاكل عديدة، وكذلك العباسيون ليس لديهم القدرة على إدارة شؤون البلاد...".

الباحث المنصف يرَى مما سلف النفس الإيراني الفارسي واضحًا في تصوير البرامكة بأنَّهم كانوا مصدر عز وقوة الدولة العباسية في أيامهم، وبنهايتهم ضعفت الدولة وانفصمت عرى الدولة.

وإذا أردنا تبيان حقيقة ذلك لا بدَّ من الإشارة إلى بداية العلاقة بين هارون الرشيد وأسرة البرامكة، هذه البدايات هي التي ساهمت بشكلٍ واضحٍ في ازدياد نفوذهم وسيطرتهم على مقدرات الخلافة العباسية.

كان خالد بن برمك أول من عرف من هذه الأسرة في الإسلام، فقد ارتبط بالدعوة العباسية منذ بداياتها، فانضمَّ إلى أبي مسلم وحارب معه الأمويين إلى أن تَمَّ الأمر للعباسيين، وبعد نجاح الحركة العباسية، استعمله أبو العباس في الدواوين. إضافةً إلى ذلك كانت هناك صلات عائلية، لدرجة أن يتولّى يحيى بن خالد وزوجته تربية الرشيد، بل إنَّ الرشيد كان يخاطبه "يا أبت"[(١)]. فلما تولَّى الرشيد الخلافة سنة (١٧٠هـ/ ٧٨٦م) أسند منصب الوزارة ليحيى، فصدر له التقليد. جاء فيه: "قد قلدتك أمر الرعية، وأخرجته من عنقي إليك، فاحكم في ذلك بما ترَى من الصواب، واستعمل من رأيت، واعزل من رأيت"[(٢)].

(١) الجهشياري، الوزراء، ص١٧٧.

(٢) الجهشياري، الوزراء، ص١٧٧.

لكن البرامكة لم يلتزموا حدًّا يقفوا عنده في تعاملهم مع الخليفة الشاب، بل كانوا يزدادون قوة على حساب الخليفة ومؤسسة الخلافة. فرغم قِلّة عددهم، إلا أنَّهم سخروا بهباتهم وأموالهم الكثير من رجال الحكم لخدمة مصالحهم ومشروعهم في السيطرة على مقدرات الدولة.

بعد أن نضج الخليفة الشاب (هارون الرشيد) وجد نفسه خليفة بالاسم، والأمر كله بيد بني برمك. وبعد سبع عشرة سنة من حكمه أي في سنة (١٨٧هـ) أصدر الخليفة قراره باستئصال سلطانهم. لكن القرار لم يكن متسرعًا، بل صدر عن الخليفة الرشيد بعد دراسة متأنية؛ فقد تمادَى البرامكة على سلطات الخليفة وصلاحياته، ولم يراعوا طبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

لقد كان وراء نكبة البرامكة جملة أسباب، أسهمت في مجملها في إقدام الخليفة هارون الرشيد على هذا القرار، ولعل من أهم تلك الأسباب ما نُسِب إلى البرامكة من زندقة؛ فالبرامكة ممن أسلموا بعد الفتح، لكنهم كما يبدو من سيرتهم أخذوا الإسلام مأخذًا هَيِّنًا، ودليل على ذلك أنَّهم جعلوا من بيوتهم ملجأً لشرب الخمر والمجون، وكانت لهم مجالس شرب ولهو علنية وغير محتشمة. فلم يعجب هذا الأمر الخليفة هارون الرشيد حتى إنَّ يحيَى بأمرٍ من الرشيد كتب إلى ابنه الفضل الذي تشاغل بالصيد وإدمان الملذات عن النظر في أمور الرعية[١].

أما البغدادي، فإنَّه ينسب صراحة إلى البرامكة العودة إلى ديانتهم، حينما زيَّنوا للرشيد أن يضع مجمرة في جوف الكعبة، فعلم الرشيد أنَّهم أرادوا أن يحولوا الكعبة إلى بيت نار[٢].

---

(١) المسعودي، مروج، ج٣، ص٤٥١.

(٢) الفرق بين الفرق، ص٢٧٠.

ومن الأسباب وراء نكبة البرامكة أيضًا: احتجازهم الأموال مع كثرة المصادر المالية للدولة العباسية[١]، حتى بلغت في عهدهم ما يقرب من اثنين وسبعين مليون دينار في السنة، ورغم ذلك، فإنَّ الخليفة يطلب اليسير فلا يحصل عليه[٢]. كما تصرفوا في أموال الدولة التي كانت تحت أيديهم كما يشاءون من غير حساب. وفي سبيل إظهار الكرم والسخاء بقصد استمالة رجال الدولة بالمال[٣].

ثم يذكر المؤرخون سببًا آخر من أسباب تغير هارون الرشيد على البرامكة هو ميلهم للعلويين شأن كل الفرس. بسبب زواج الحسين من ابنة يزدجر آخر ملوك ساسان، وأن سلالة العلويين ارتبطت بالنسب للفرس، بحيث أصبح التشيع للعلويين مذهبًا قوميًّا عند الفرس، ولا يزال إلى وقتنا الحالي. ويؤيد هذا الميل للعلويين أنَّ جعفرًا كان يمنح من يتصلون به من العلويين مناشير الأمان، ويسمح لهم في حضرته بمناقشة مسائل أحقيتهم في الخلافة، وهل تكون بالنص أو بالاختيار. فكان ذلك على خلاف سياسة العباسيين في التضييق على بني عمومتهم حتى يمتنعوا عن المطالبة بأحقيتهم بالخلافة. ومع ذلك، فلا يجب أن نعتبر نكبة الرشيد للبرامكة مذبحة على حسب ما أوردته بعض المصادر، بحيث نقول إن الرشيد قتل من البرامكة عددًا كبيرًا، فهو لم يقتل منهم غير جعفر[٤]، وأن نكبتهم كانت في سلطانهم وأموالهم[٥].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٢٧٠.

(٢) الجهشياري، الوزراء، ص٢٥٠.

(٣) ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٠٠-٢٠١.

(٤)الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٩٧.

(٥) فقد وجد لجعفر بركة في داره فيها أربعة آلاف دينار وزن كل دينار مائة دينار ودينار. الجهشياري، =

ولقد أثارت نكبة البرامكة شجون القومية الفارسية وأعادت ذكرى ما فعله المنصور من قبل بأبِي مسلم، فعمدت إلى إفساد صورة الرشيد، فوصفوه بأبشع الصور[1].

ولعل ما أذاعوه ونشروه بمساعدة أعوانهم مما عرف بقصة الزواج الغريب والعجيب للعباسة من جعفر البرمكي، لدليل قوي على أن هؤلاء لا يرعون في العباسيين- وهم فرع من آل البيت- إلًّا ولا ذمة. أليس الطعن بشرف العباسة طعن غير مباشر بالنسب والشرف الهاشمي عامة.

وقد تصدَّى ابن خلدون[2] للرد على هذه التهمة، فقال: "ومن الحكايات المدخولة للمؤرخين ما ينقلونه كافة في سبب نكبة الرشيد للبرامكة من قصة العباسة أخته مع جعفر بن يحيى بن خالد مولاه، وأنه لكلفه بمكانهما من معاقرته إياهما الخمر أذن لهما في عقد النكاح دون الخلوة، حرصًا على اجتماعهما في مجلسه. وأن العباسة تَحَيَّلت عليه في التماس الخلوة به لما شغفها من حبه حتى واقعها- زعموا في حالة السكر- فحملت، ووشي بذلك للرشيد، فاستغضب، وهيهات ذلك من منصب العباسة في دينها وأبويها وجلالها، وأنها بنت عبد الله بن عباس، وليس بينها وبينه إلا أربعة رجال هم أشراف الدين وعظماء الملة من بعده. والعباسة بنت محمد

الوزراء، ص٣٤١. قبض على سائر أموالهم، فكانت ٣٠ مليون دينار بخلاف ضياعهم وغلالهم وقصورهم. الريس، الخراج والنظم المالية، ص٤٦١.

(١) من ذلك أنه كان يقبل على الغلمان، وأنه كان يحب النساء، وأنه كان يعاقر الخمر، كما اختلقوا له قصة العباسة للنيل من الشرف العباسي. للمزيد من التفصيل حول ذلك، ومدى الافتراء، وخاصة في قصة العباسة، انظر: ابن خلدون، المقدمة، ج١، ص١٧-١٨.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص١٨.

المهدي ابن عبد الله أبي جعفر المنصور بن محمد السجاد ابن علي أبي الخلفاء ابن عبد الله ترجمان القرآن ابن العباس عم النبي ﷺ، ابنة خليفة أخت خليفة، محفوفة بالملك العزيز، والخلافة النبوية وصحبة الرسول وعمومته وإقامة الملة، ونور الوحي ومهبط الملائكة من سائر جهاتها، قريبة عهد ببداوة العروبية وسذاجة الدين البعيدة عن عوائد الترف ومراتع الفواحش. فأين يطلب الصون والعفاف إذا ذهب عنها؟ أو أين توجد الطهارة والذكاء إذا فقدا من بيتها؟ أو كيف تلحم نسبها بجعفر بن يحيى، وتدنس شرفها العربي بمولًى من موالي العجم بملكة جده من الفرس أو بولاء جدها من عمومة الرسول وأشراف قريش؟ وغايته أن جذبت دولتهم بضبعه وضبع أبيه واستخلصتهم ورقتهم إلى منازل الأشراف؟ وكيف يسوغ من الرشيد أن يصهر إلى موالِي الأعاجم على بعد هِمّته وعظم آبائه؟ ولو نظر المتأمل في ذلك نظر المنصف، وقاس العباسة بابنة ملك من عظماء ملوك زمانه لاستنكف لها عن مثله مع مولى من موالي دولتها، وفي سلطان قومها، واستنكره ولج في تكذيبه، وأين قدر العباسة والرشيد من الناس".

خلافة المأمون

يقول النص: "برزت فترة جديدة من النفوذ والدور الإيراني بعد موت هارون الرشيد، حيث أدت الأحداث إلى ظهور الخلافات بين ولدَيْه؛ الأمين من أم عربية، والمأمون من أم إيرانية، تشكلت ظروف سياسية واجتماعية جديدة، فالأمين استقرّ في بغداد واعتمد على القوة السياسية والعسكرية على العرب من ناحيةٍ ومن ناحية أخرى أكثر أعضاء العائلة العباسية يؤيدونه، والمأمون والذي جعل مَرْو(١) مركزًا لحكومته، ومن حماية الإيرانيين الحاسمة له، المنافسة بين الأخوين، وبمعنى آخر المنافسة بين العرب والإيرانيين، لم تُحْسَم إلا بالحرب وإراقة الدماء، القوات المُحِبّة للمأمون بأمر من قائد خراسان باسم طاهرين حسين سيطروا على بغداد وقتلوا الأمين"[(١)].

*** الخلافات الداخلية بين العباسيين ووصول المأمون إلى الخلافة:**

وحول نفس الموضوع تشير الكتب المدرسية إلى خلافة المأمون من زاوية أخرى، حيث يقول النص: "عيَّن هارون الرشيد ابنه الأمين خليفةً له وابنه الآخر المأمون خليفة للأمين وحاكم على خراسان، بعد وفاة هارون الرشيد تولّى الخلافة في بغداد الأمين وكذلك كان المأمون خليفةً له وحاكم خراسان، بعد مدة نشأ خلاف بينهما، قرَّر المأمون ولمواجهة الأمين كسب حماية الإيرانيين في المقابل كانت العائلة العباسية تحمي الأمين، في النهاية قامت الحرب بين الأخوة، استطاع طاهر (إيرانِي) قائد جند المأمون أن يهزم جنود الأمين، وبعد فتح بغداد قتله، وبالتالِي وصلت الخلافة إلى

---

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته ادبيات وعلوم إنساني)، ص١٢٦-١٢٧.

المأمون، وبما أن المأمون يدرك علاقة الإيرانيين بالأئمة الشيعة وحتى يكسب ودَّهم أجبر الإمام الرضا عليه السلام أن يأتِي إلى بغداد وعيَّنه خليفة له، وأهداف المأمون الآخر من ذلك أن يكون الإمام الرضا عليه السلام تحت نظره وأن يمنع الشيعة من الثورة، ولكنه لم يصل إلى أي هدفٍ من أهدافه، ولهذا السبب استشهد الإمام الرضا، أمَّا الأئمة الثلاث من بعد الإمام الرضا، يعني الإمام جواد عليه السلام، الإمام هادي عليه السلام والإمام الحسن العسكري، أيضًا استمرَّت مخالفتهم لسياسة العباسيين الخاطئة قام الخلفاء العباسيون بسجنهم وفي النهاية قتلهم (استشهدوا)، وبهذه الشروط كانت الإرادة الإلهية بأن يغيب الإمام المهدي عليه السلام عن الأنظار"[(١)].

تحليل النص:

وجاء كذلك: "وبما أن المأمون يدرك علاقة الإيرانيين بالأئمة الشيعة، وحتى يكسب ودهم أجبر الإمام الرضا عليه السلام بأن يأتي إلى بغداد، وعيَّنه خليفة له[(٢)].

إنَّ ما ورد في هذه الفقرة افتراء واضح على الحقائق التاريخية المسلَّم بها في جميع المصادر؛ فالمأمون عندما أسند منصب ولاية العهد لعلي الرضا[(٣)] كان وقت وجوده

---

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلى، مرحله دوم تعليمات عمومي، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسى إيران، ١٣٨٩، ص٣١-٣٢.

كتاب هديه هاي آسمان، تعليم وتربيت إسلامي، جهارم دبستان، جاب هفتم، ، ١٣٨٩، ص ٤٦.

(٢) للمزيد حول إجراءات البيعة لعلي الرضا بولاية العهد والحوارات التي دارت بين المأمور وعلي الرضا، انظر: الأصبهاني مقاتل الطالبين، ص٤٣٣-٤٣٧.

(٣) انظر نص عهد البيعة: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٩، ص٣٦٢.

في بلاد فارس، أي قبل وصوله إلى بغداد[١]، وكان ذلك يوم الثلاثاء الثاني من رمضان سنة (٢٠١هـ/ ٨١٧م). ولعل المأمون كان يقصد من هذه الخطوة إعادة بناء عناصر الثقة بين أطراف آل البيت: العلويين والعباسيين، ولتأكيد قصده زوَّجه المأمون ابنته أم حبيب[٢].

يقول النص: إن المأمون ولّى طاهرًا خراسان، وبمجرد أن سنحت له الفرصة، أعلن أنه لن يطيع المأمون.

تقول: إن طاعة ولي الأمر الذي هو الحاكم الشرعي للدولة واجبة كما أوضحت ذلك كتب السياسة الشرعية المعتبرة[٣]. لذا فإن مثل هذا التصرف الذي يشرعنه النص مخالف للقواعد الشرعية.

ومن جهة أخرى، فإنَّ آل طاهر، حملتهم ظروف الحكم إلى التعاون مع السلطة العباسية، وتخلوا عن مبادئ الفرس القائمة على الدعم والولاء لآل البيت، لذا نجدهم في سنة (٢١٩هـ/ ٨٣٤م)، يطاردون محمد بن القاسم العلوي الذي ادَّعى الإمامة في خراسان، فطارده عبد الله بن طاهر، وأسره، وأرسله إلى المعتصم[٤].

يختم النص بالقول: "وبهذه الشروط كانت الإرادة الإلهية بأن يغيب الإمام المهدي عليه السلام عن الأنظار". في هذه الفقرة يريد الكاتب التأكيد على قيمة أساسية بل جزء من عقيدة الشيعة إلا وهي غيبة الإمام المهدي المنتظر.

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٣٣.

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص٣٣.

(٣) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٣٢.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٩، ص٧-٨؛ الدوري، دراسات في العصور العباسية، ص١١١.

وإليكم ما ترويه كتب الشيعة من قصة الإمام المهدي المنتظر:

المهدي عند الشيعة هو محمد بن الحسن العسكري، وُلِد في منتصف القرن الثالث تقريبًا ودخل سردابًا في سامرا وهو صغير في زعمهم ولا يزالون في انتظار خروجه من سردابه، وهو الإمام الثانِي عشر من أئمتهم الاثنى عشر الذين يعتقدون فيهم أنهم معصومون ويصفونهم بصفات تجاوزوا فيها الحدود.

لما توفِّي إمامهم الحسن العسكري لم يُرَ له خلفٌ، ولم يُعرف له ولدٌ ظاهر، وقد تَمَّ استبراء زوجاته وإمائه للتأكد من ذلك، حتى تبين لهم بطلان الحَبَل، فقُسِّمَ ميراثه بين أمه وأخيه جعفر، وأودعت أمه وصيته، وثبت ذلك عند القاضي والسلطان.

فكانت هذه الواقعة قاصمة الظهر للتشيع، فمنهم من قال: انقطعت الإمامة.

ومنهم من قال: إنَّ الحسن بن علي توفِّي ولا عقب له، والإمام بعده جعفر بن علي أخوه.

وفي خِضَمِّ هذه الحيرة والاضطراب الذي يعيشه علماء الشيعة، قام رجلٌ يُدعى (عثمان بن سعيد العمري) وادَّعى أن للحسن العسكري ولدًا في الخامسة من عمره، مختفيًا عن الناس لا يظهر لأحد غيره، وهو الإمام بعد أبيه الحسن، وأنَّ هذا الطفل الإمام قد اتخذه وكيلًا عنه في قبض الأموال، ونائبًا يجيب عنه في المسائل الدينية.

ولما مات عثمان بن سعيد (سنة ٢٨٠) ادَّعى ابنه محمد بن عثمان نفس دعوى أبيه. ولما توفي محمد (سنة ٣٠٥) خلفه الحسين بن روح النوبختي في نفس الدعوى، ولما توفي (سنة ٣٢٦) خلفه أبو الحسن علي بن محمد السمري (سنة ٣٢٩) وهو آخر المدَّعين للنيابة عند علماء الشيعة الإمامية، ولما كثر المدَّعون للبابية من أجل الأرصدة

الباهرة من الأموال، قال علماء الشيعة بانقطاع البابية ووقوع الغيبة الكبرى بوفاة السمري.

وكان هؤلاء النواب عن الإمام يَتلَّقون أسئلة السفهاء، كما يتلقفون أموالهم!! ويأتون بأجوبتها وإيصالها من الإمام المنتظر ويسمونها (توقيعات) وهي خطوط إمامهم المنتظر بزعمهم.

وأهل العلم والمؤرخون يقولون: إنَّ الحسن العسكري لم يخلِّف وإنه مات وليس له ولد، لكن هؤلاء لما كانت العقيدة راسخة عندهم وأن نسله لا ينقطع جاءهم الشيطان وقال: إن له ولداً، ولكنه دخل هذا السرداب، ثم لابد أن يخرج فانتظروه، فصاروا ينتظرونه.

والآن له نحو ألف ومائتي سنة، وهم لا يزالون ينتظرونه! وكانوا في تلك المدة يُجلسون واحدًا ينتظره، ويصيح: اخرج يا مولانا! اخرج يا مولانا! وليس عنده أحد، وقد جعلوا عند طرف السرداب فرساً، وجعلوا عليها سرجاً، وجعلوا مع الحراس الذين يحرسونها سيوفًا حتى يحمونه إذا خرج! ويدعون أنه سوف يخرج ويركب الفرس، ويذهب إلى مكانهم، ويقتل أعداءهم كما يزعمون، وينتصر لهم ممن خالفهم، ولا يزالون منذ ألف ومائة وخمسين سنة وهم على هذه الطريقة إلى اليوم! قبل خمسة أشهر أو نحوها جاءنا بعض الإخوان ومعه أوراق أخذها من الشيعة الذين أسروا في حرب الخليج، وأودعوا في السجون، فوجدوا معهم أوراقًا كلها غلو ومبالغة في التشيع، وإذا بواحدة من الأوراق فيها ذكر الأئمة الاثني عشر: الإمام علي، والإمام الحسن، والإمام الحسين، إلى أن قال: والإمام محمد بن الحسن العسكري عجل الله بخروجه، فلا يزالون يُؤمِّلون أنه سوف يخرج، ولا يزالون

ينتظرونه! وفي وقت الشارح -في القرن الثامن- يذكر أنهم يجعلون عند السرداب فرساً، والآن لا أدري هل استبدلوا بالفرس سيارة أو لا يزالون ينتظرونه كما كانوا! الله أعلم.

وعلاوة على ذلك، فإن لأهل البيت موقفًا صريحًا حاسمًا في هذا الأمر. وهو من البراهين الواضحة على بطلان هذه الدعوى، حيث جاء في صلة تاريخ الطبري في حوادث سنة ٣٠٢هأن رجلًا ادعى – في زمن الخليفة المقتدر – أنه محمد بن الحسن بن علي بن موسى بن جعفر، فأمر الخليفة بإحضار مشايخ آل أبي طالب وعلى رأسهم نقيب الطالبيين أحمد بن عبد الصمد المعروف بان طومار. فقال له ابن طومار: لم يعقب الحسن. وقد ضج بنو هاشم من دعوى هذا المدعي وقالوا: يجب أن يشهر هذا بين الناس، ويعاقب أشد عقوبة. فحمل على جمل وشهر يوم التروية ويوم عرفة، ثم حبس في حبس المصريين بالجانب[(١)].

وعلاوة على شهادة نقيب الطالبيين وبني هاشم، فإن أقرب الناس إلى الحسن العسكري وهو أخوه جعفر يؤكد أن أخاه مات ولا نسل له ولا عقب كيف يكذب جعفر وهو أخو الحسن العسكري ومن سلالة أهل البيت، وعميد الأسرة بعد وفاة الحسن، ويصدق رجل أجنبي عن أهل البيت، وهو متهم في دعواه، لأنه يجر المصلحة لنفسه من المال والجاه باسم البابية، ومن هذا شأنه ألا يشك في قوله وترد شهادته؟![(٢)].

---

(١) عريب، صلة تاريخ الطبري، ج١١، ص٥١.

(٢) الصواعق المحرق، ص١٦٨.

ولموقف جعفر المتميز ضد محاولات الرموز الشيعية اختراع ولد لأخيه، ضاق الشيعة ذرعًا بأمره، حتى لقبوه "بجعفر الكذاب"[(١)].

وإليكم ما كتبه إحسان إلهي ظهير في كتابه: الشيعة والتشيع فرق وتاريخ عن الطبعة التي أصدرتها دار ترجمان السنة، ط١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

مات الحسن العسكري بدون خلف ولا عقب كما نص على ذلك النوبختي:" توفي ولم يُر له أثر، ولم يُعرف له ولد ظاهر، فاقتسم ميراثه أخوه جعفر وأمه "[(٢)].

فأوجد موته خلافًا شديدًا في شيعته، لأن التشيّع بعد تطوره يوجب على مدعي الإمامة أن يكون بعده عقب، وكذلك أن يكون عليه نص من الذي قبله، وهو الذي يقوم بتجهيزه وتكفينه، فكيف وهنا لا يُرى له أثر، فالتجؤوا لتأويل ذلك إلى سخافات عديدة. كل قوم حسب أهوائهم ومزاعمهم يهوون.

فقال النوبختي: " فافترق أصحابه بعده أربع عشرة فرقة.

ففرقة قالت: أن الحسن بن علي حي لم يمت، وإنما هو غائب وهو القائم، ولا يجوز أن يموت ولا ولد له ظاهر، لأن الأرض لا تخلو من إمام..

وقالت الفرقة الثانية: أن الحسن بن علي مات وعاش بعد موته، وهو القائم المهدي، لأننا روينا أن معنى القائم، هو أن يقوم بعد الموت، ويقوم ولا ولد له، لأن الإمامة كانت تثبت لولده، ولا أوصى إلى أحد، فلا شك أنه القائم..

---

(١) ابن بابويه، إكمال الدين: ص٣١٢، سفينة البحار: ١/ ١٦٢، أصول الكافي: ١/ ٥٠٤ (هامش٢)، مقتبس الأثر: ١٤/ ٣١٤.

(٢) الشيعة للنوبختي ص ١١٨، ١١٩.

وقالت الفرقة الثالثة: أن الحسن بن علي توفي، والإمام بعده أخوه جعفر وإليه أوصى الحسن.. فلما قيل له أن الحسن وجعفر ما زالا متهاجرين متصارمين متعادين طول زمانهما، وقد وقفتم على صنائع جعفر وسوء معاشرته له في حياته، ولهم من بعد وفاته في اقتسام مواريثه. قالوا: إنما ذلك بينهما في الظاهر، وأما في الباطن فكانا متراضيين متصافيين لا خلاف بينهما...

وممن قوى إمامة جعفر وأمال الناس إليه، علي بن الطاهر الخراز، وكان متكلمًا محجاجاً، وأعانته على ذلك أخت الفارس بن حاتم بن ماهويه القزويني.

وقالت الفرقة الرابعة: أن الإمام بعد الحسن جعفر، وأن الإمامة صارت إليه من قبل أبيه، لا من قبل الحسن، وأن الحسن كان مدعيًا باطلاً، لأن الإمام لا يموت حتى يوصي ويكون له خلف. والحسن قد توفي ولا وصية له ولا ولد، والإمام لا يكون من لا خلف له ظاهر معروف مشار إليه، كما لا يجوز أن تكون الأمامة في الأخوين بعد الحسن والحسين كما نص عليه جعفر.

وأما الفرقة الخامسة: فإنها رجعت إلى القول بإمامة محمد بن علي أخي الحسن المتوفى في حياة أبيه، وأما الحسن وجعفر فإنهما ادعيا ما لم يكن لهما، لأن جعفر فيه خصال مذمومة وهو بها مشهور. ظاهر الفسق وغير صائن نفسه، معلن بالمعاصي. ومثل هذا لا يصلح للشهادة على درهم، فكيف يصلح لمقام النبي صلى الله عليه وآله؟

وأما الحسن فلقد توفى ولا عقب له.

وقالت الفرقة السادسة: أن للحسن بن علي إبنًا سماه محمداً، وولد قبل وفاته بسنين، وزعموا أنه مستور، لا يُرى خائف من جعفر.

وقالت الفرقة السابعة: بل ولد بعد وفاته بثمانية أشهر، وأن الذين ادعوا له ولدًا في حياته كاذبون مبطلون في دعواهم، لأن ذلك لو كان لم يخف غيره، ولكنه مضى ولم يُعرف له ولد. ولا يجوز أن يخفي ذلك وقد كان الحبل فيما مضى قائمًا ظاهرًا ثابتًا عند السلطان وعند سائر الناس، وامتنع من قسمة ميراثه من أجل ذلك حتى بطل ذلك عند السلطان وخفى أمره، فقد ولد له إبن بعد وفاة أبيه بثمانية أشهر، وقد كان أمر أن يُسمى محمداً، وأوصى بذلك، وهو مستور لا يُرى.

وقالت الفرقة الثامنة: أنه لا ولد لحسن أصلاً، لانا قد أمتحنا ذلك وطلبناه بكل وجه، فلم نجده، ولو جاز لنا أن نقول في مثل الحسن وقد توفي ولا ولد له أن له ولد، لجاز مثل هذه الدعوى في كل ميت من غير خلف، ولجاز مثل ذلك في النبي صلى الله عليه وآله أن يُقال خلف إبنًا نبيًا رسولا. وكذلك في عبدالله بن جعفر بن محمد أنه خلف إبنا، وأن أبا الحسن الرضا عليه السلام خلف ثلاثة بنين غير أبي جعفر أحدهم الإمام، لأن مجيئ الخبر بوفاة الحسن بلا عقب كمجيئ الخبر بأن النبي صلى الله عليه وآله لم يخلف ذكرًا من صلبه، ولا خلف عبدالله بن جعفر إبناً، ولا كان للرضا أربعة بنين. فالولد قد بطل لا محالة، ولكن هناك حبل قائم قد صح في سرية له وستلد ذكرًا إمامًا متى ما ولدت، فإنه لا يجوز أن يمضي الإمام ولا خلف له، فتبطل الإمامة وتخلو الأرض من الحجة.

واحتج أصحاب الولد على هؤلاء فقالوا: أنكرتم علينا أمرًا قلتم بمثله، ثم لم تقنعوا بذلك حتى أضفتم إليه ما تنكره العقول، قلتم أن هناك حبلًا قائماً، فإن كنتم اجتهدتم في طلب الولد فلم تجدوه فأنكرتموه لذلك، فقد طلبنا معرفة الحبل وتصحيحه أشد من طلبكم، واجتهدنا فيه أشد من اجتهادكم، فاستقصينا في ذلك غاية الإستقصاء فلم نجده، فنحن في الولد أصدق منكم. لأنه قد يجوز في العقل

والعادة والتعارف، أن يكون للرجل ولد مستور لا يعرف في الظاهر ويظهر بعد ذلك ويصح نسبه، والأمر الذي ادعيتموه منكر وشنيع، ينكره عقل كل عاقل، ويدفعه التعارف والعادة، مع مافيه من كثرة الروايات الصحيحة عن الأئمة الصادقين أن الحبل لا يكون أكثر من تسعة أشهر، وقد مضى للحبل الذي ادعيتموه سنون، وإنكم على قولكم بلا صحة ولا بيّنة.

وقالت الفرقة التاسعة: أن حسن بن علي قد صحت وفاة أبيه وجده وسائر آبائه عليه السلام. فكما صحت وفاتهم بالخبر الذي لا يكذب مثله، كذلك صح أنه لا إمام بعد الحسن....والأرض اليوم بلا حجة إلا أن يشاء الله، فيبعث القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله، فيحيي الأرض بعد موتها، كما بعث محمد صلى الله عليه وآله حين فترة من الرسل.

وقالت الفرقة العاشرة: أن أبا جعفر محمد بن علي كان الميت في حياة أبيه، وهو الذي كان الإمام بوصية من أبيه، ثم أوصى هو إلى غلام له صغير كان في خدمته يُقال له نفيس، ثم بعد موته نقل هذا الغلام الوصية إلى جعفر.

وقالت الفرقة الحادية عشرة: قد اشتبه علينا الأمر، ولا ندري من هو الإمام، وأن الأرض لا تخلو من حجة فنتوقف ولا نقدم على شيئ حتى يصح لنا الأمر ويتبين.

وقالت الفرقة الثانية عشرة: ليس القول كما قال هؤلاء، بل لا يجوز أن تخلو الأرض من حجة، ولو خلت لساخت الأرض ومن عليها.، وأما هو خائف مستور بستر الله لا يجوز ذكر اسمه ولا السؤال عن مكانه، وليس علينا البحث عن أمره، بل البحث عن ذلك وطلبه حرام.

وقالت الفرقة الثالثة عشرة: أن الحسن بن علي توفى، وأنه كان الإمام بعد أبيه، وأن جعفر بن علي الإمام بعده، كما كان موسى بن جعفر إمامًا بعد عبدالله بن جعفر، للخبر الذي روى أن الإمامة في الأكبر من ولد الإمام إذا مضى. وأن الخبر الذي روى عن الصادق عليه السلام، أن الإمامة لا تكون في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام صحيح لا يجوز غيره، وإنما ذلك إذا كان للماضي خلف من صلبه، فإنه لا تخرج منه إلى أخيه، بل تثبت في خلفه. وإذا توفى ولا خلف له، رجعت إلى أخيه ضرورة، لأن هذا معنى الحديث عندهم. وكذلك قالوا في الحديث الذي روى أن الإمام لا يغسله إلا إمام، وأن هذا عندهم صحيح لا يجوز غيره. وأقروا أن جعفر بن محمد عليهما السلام غسله موسى، وادعوا أن عبدالله أمره بذلك، لأنه كان الإمام بعده، وإن جاز أن لا يُغسله لأنه إمام صامت في حضرة عبدالله.

فهؤلاء الفطحية الخلص الذين يجيزون الإمامة في أخوين، إذا لم يكن الأكبر منهما خلف ولدا. والإمام عندهم جعفر بن علي، على هذا التأويل ضرورة.

وأما الفرقة الرابعة عشرة فقالت: إن الإمام بعده إبنه محمد، وهو المنتظر، غير أنه مات، وسيجئ ويقوم بالسيف، وسيملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورا[(١)].

فهذه هي الفرق المشهورة للشيعة، ذكرناها من كتب القوم أنفسهم، مع سرد الروايات والعبارات من كتب السنة أيضًا تأييدًا وتوثيقاً، لا أصلًا واستدلالًا.

---

(١) ملخصاً فرق الشيعة للنوبختي ص ١١٩ وما بعد.

غير أن هنالك فرقًا شيعية أخرى، ذكرها أصحاب الفرق من السنة من البيانية والجناحية والرزامية والمقنعية والحلمانية والخلاجية والأزافرة وغيرهم، لم نذكرها لانقراضها، ولعدم ورود ذكرها في كتب الشيعة، وكي لا يقول قائل: يعلم الله أن هذه الأسماء كلها لم نسمع بها ولم نرها في كتب الشيعة، وما هي إلا مختلقة لا يُقصد من ذكرها غير التشنيع والتهجين. وهي أسماء بلا مسميات، ولم يذكرها أحد من المؤرخين، ولا نقلها من كتب في الملل والشيعة كالشيخ أبي محمد الحسن بن موسى النوبختي من أهل القرن الرابع في كتاب الفرق والمقالات المتكفل بذكر فرق الشيعة وغيره[1].

وبقيت هناك فرق أخرى، ألا وهي: الأثنا عشر أو الجعفرية الإمامة، فإنها ذكرت ضمن الأربع عشرة فرقة التي افترقت بعد موت الحسن العسكري، ولكن لما لها من أهمية، وإن هذا السرد الطويل لم يكن إلا لأجلها، لأنه عند إطلاق لفظ الشيعة لا يتبادر إلى الذهن الآن إلا هذه الفرقة. فنخصص لها بابًا مستقلًا في تاريخها وعقائدها وعلاقتها بالسبئية، وتوارثها جميع الأفكار الموجودة في الفرق البائدة من الغلاة والمتطرفين. كما سنذكر الفرق التي تفرقت منها، وهي موجودة حتى الآن.

ونلفت ههنا أنظار القراء والباحثين إلى أمر هام يجب الإنتباه إليه، وهو ان كل فرقة من فرق الشيعة التي ذكرناها في هذا الباب سيجد القارئ من مطالعة موجز المعتقدات والعقائد التي حملها أؤلئك، أن كل واحدة منها أخذ حظًا وافرًا من السبئية أبناء اليهود، واغترفت غرفًا كثيرة من الأديان الباطلة الأخرى من النصرانية والمجوسية والأفكار المدسوسة من الهندوس والبابليين والعاشوريين والكلدانيين

---

(١) أعيان الشيعة للسيد محسن أمين القسم الأول الجزء الأول ص٢٤.

وغيرهم، كما أن الشيعة بعد تطور التشيّع الأول في جميع أدوارهم وعصورهم، التزموا بقول الرجعة والغيبة والولاية والبراءة والوصاية والتوارث، كما أرسخها مؤسس القوم عبدالله بن سبأ وشلته الماكرة.

وذكرت كتب الشيعة بعض الأسباب التي حتمت غيابة الإمام المهدي (المنتظر):

أولًا: الخوف عليه من العباسيين: لقد أمعن العباسيون منذ حكمهم، وتولّيهم لزمام السلطة في ظلم العلويين وإرهاقهم، فصبوا عليهم وابلًا من العذاب الأليم، وقتلوهم تحت كلّ حجر ومدر ولم يرعوا أية حرمة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) في عترته وبنيه، ففرض الإقامة الجبرية على الإمامين الزكيين الإمام علي الهادي ونجله الإمام الحسن العسكري (عليهما السلام) في (سامراء) وأحاطتهما بقوى مكثفة من الأمن رجالًا ونساءً هي التعرّف على ولادة الإمام المنتظر لإلقاء القبض عليه، وتصفيته جسدياً، فقد أرعبتهم وملأت قلوبهم فزعًا ما تواترت به الأخبار عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) وعن أوصيائه الأئمة الطاهرين أنّ الإمام المنتظر هو آخر خلفاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم)، وأنه هو الذي يقيم العدل، وينشر الحق، ويشيع الأمن والرخاء بين الناس، وهو الذي يقضي على جميع أنواع الظلم، ويزيل حكم الظالمين، فلذا فرضوا الرقابة على أبيه وجدّه، وبعد وفاة أبيه الحسن العسكري أحاطوا بدار الإمام (عليه السلام)، وألقوا القبض على بعض نساء الإمام الذين يظن أو يشتبه في حملهن. فهذا هو السبب الرئيسي في اختفاء الإمام (عليه السلام) وعدم ظهوره للناس. وقد علل بذلك في حديث زرارة، فقد روى أن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إنّ للقائم غيبة قبل ظهوره)، فبادر زرارة قائلًا: لَمَ؟ فقال (عليه السلام): يخاف القتل.

ثانيًا: الامتحان والاختبار: وثمة سبب آخر علّل به غيبة الإمام (عليه السلام)، وهو امتحان العباد واختبارهم، وتمحيصهم. فقد أثر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) أنّه قـال: " أمّا والله ليغيبن إمامك شيئًا من دهركم، ولتمحصن، حتى يقال: مات أو هلك بأيّ واد سلك، ولتدمعن عليه عيون المؤمنين ولتكفأن كما تكفأ السنن في أمواج البحر، فلا ينجو إلاّ من أخذ الله ميثاقه، وكتب في قلبه الإيمان، وأيّده بروح منه.

لقد جرت سنة الله في عباده امتحانهم، وابتلاؤهم ليجزيهم بأحسن ما كانوا يعملون، قال تعالى: ﴿ **ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ** ﴾ [الملك:٢] وقال تعالى: ﴿ **أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ** ﴾ [العنكبوت:٢]. وغيبة الإمام (عليه السلام) من موارد الامتحان فلا يؤمن بها إلاّ من خلص إيمانه وصفت نفسه، وصدق بما جاء عن رسول الله ﷺ والأئمة الهداة المهديين من حجبه عن الناس، وغيبته مدة غير محددة، أو أن ظهوره بيد الله تعالى، وليس لأحد من الخلق رأي في ذلك، وإن مثله كمثل الساعة فإنها آتية لا ريب فيها.

ثالثًا: الغيبة من أسرار الله: وعُللت غيبة الإمام المنتظر بأنّها من أسرار الله تعالى التي لم يطلع عليها أحد من الخلق. فقد أثر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم)، أنه قال: " إنما مثل قائمنا أهل البيت كمثل الساعة لا يجليها لوقتها إلا هو: ثقلت في السماوات، لا يأتيكم إلاّ بغتة."

رابعًا: عدم بيعته لظالم: ومن الأسباب التي ذكرت لاختفاء الإمام (عليه السلام) أن لا تكون في عنقه بيعة لظالم. وأعلن الإمام المنتظر (عليه السلام) ذلك

بقوله: إنه لم يكن لأحد من آبائي (عليهم السلام) إلاّ وأوقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، واني أخرج حين أخرج، ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي[1].

هذه بعض الأسباب التي عللت بها الشيعة غيبة الإمام المنتظر.

*** المأمون والحركات الشيعية:**

يقول النص: "الخلفاء العباسيون قبل المأمون كانت تلجأ للأساليب العسكرية لكَبْح جماح الحركات الشيعية، وخاصَّة الثورات التى كانت بقيادة السادة من آل البيت، أما المأمون فقد استفادَ من طرقٍ أخرى؛ فقد تولَّى أئمةَ الشيعة بالرعاية، وخدع الإمام الرضا ودعاه من المدينة، وعرض عليه ولاية العهد من بعده، بل فرضها عليه، الخليفة وبهذه الأعمال أراد أن يصل إلى الأهداف التالية:

١- الحصول على أمن أكثر للخلافة العباسية عن طريق تحديد ارتباط الإمام الرضا عليه السلام مع الناس وخصوصًا الشيعة.

٢- الحصول على قبول الخلافة العباسية وخاصة بين العلويين والسادة وذلك عن طريق مشاركة الإمام في الأمور الحكومية ومنه تشكيل وتنظيم حركات.

٣- الحصول على دعم أكثر من الإيرانيين، الإيرانيون يُكِنُّون معزةً واحترامًا خاصًّا لأهل بيت الرسول ﷺ[2].

يضيف النص: "الإمام الرضا بالضغطِ والتهديدِ كان مضطرًّا لقبول ولاية عهد الخليفة العباسي، ولكن لقبوله بذلك اشترط أن لا يتدخَّل في القرارات السياسية

(١) منتخب الأثر: ٢٦٧.

(٢) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته ادبيات وعلوم إنساني)، ص١٢٧.

وفي عزل وتعيين الولاة، من ناحية أخرى فإنَّ الإمام وبذكائه منع المأمون من الوصول لأهدافه، وكذلك وجود الإمام الرِّضا في إيران كان سببًا لمعرفة الإيرانيين بآل بيت الرسول ﷺ، بالإضافة إلى تقرُّب المأمون إلى الإيرانيين وتعيين الإمام الرضا وليًّا للعهد سبب الاعتراض والغضب الشديد من الأسرة العباسية، ولكى يخرج المأمون من هذا المأزق قامَ بالإجراءات التالية:

- نقل مقر الخلافة مرة أخرى من مرو إلى بغداد.
- سافر سرًّا إلى بغداد وأصدر أمرًا بقتل وزيره الإيراني فضل بن سهل.
- بعد قتل سهل في سناباد توس (التى عُرفت فيها بعد بمشهد الرضا) سمّ الإمام الرضا واستشهد (٢٠٣هجريًّ- قمريًّا) (١).

تحليل النص:

يقول الكاتب: "وجود الإمام الرضا في إيران كان سببًا لمعرفة الإيرانيين بآل بيت الرسول ﷺ، بالإضافة إلى تقرُّب المأمون إلى الإيرانيين وتعيين الإمام الرضا وليًّا للعهد"(٢).

ماذا يمكن للقارئ أن يفهم من ذلك، هل كان الإيرانيون يعلمون بآل البيت من قبل أم لا؟

وإذا كانوا لا يعلمون فما هذه السرعة في ربط آل البيت بالفُرْس.

---

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته ادبيات وعلوم إنساني)، ص١٢٧.

(٢) المصدر نفسه، ص١٢٧.

فكِّر وأجب:

يقول النص: "بنظرك لماذا وافق الإمام الرضا على ولاية العهد بالشروط المذكورة فوق؟

خلافة المعتصم

بدأت خلافة المعتصم في الوقت الذي سَيْطَر فيه الأتراك على إدارات الخلافة العباسية، والدة المعتصم كانت تركيةَ الأصل وقد فضل الاعتماد على قوة ثالثةٍ بدل العرب والإيرانيين[١].

فكِّر وأجب:

يقول النص: "لماذا لم يرَ المعتصم مصلحته في الاعتماد على العرب والإيرانيين؟[٢]

آخر أيام الخلافة العباسية

يقول النص: "بعد المعتصم خلفه ثمانية وعشرون خليفة من سلالة بنى العباس وكان معظمهم ضعفاء الشخصيات، وتركة اللعبة السياسية في أيدي الغلمان الأتراك، سلطة الغلمان الأتراك جزَّأت وفكّكت القدرة السياسية والدينية، بالإضافة إلى ظهور حكومات منافسة مثل خوارزم شاهيان والإسماعيليين في إيران، ووقوع الحروب الصليبية كانت آخر المشاكل والصعوبات التي أدَّت إلى انهيار

(١) المصدر نفسه، ص١٢٧.

(٢) المصدر نفسه، ص١٢٧.

الخلافة العباسية. في النهاية قام المغول بإرسال هولاكو لفتح الحصون الإسماعيلية في المغرب وفتح بغداد، وبسقوط بغداد وقتل آخر الخلفاء العباسيين انتهت خمسائة سنة من خلافة العباسيين سنة ٦٥٦ هـ. ق"[١].

وبعد نهاية النص، تطرح الأسئلة والنشاطات التالية على الطلبة لترسيخ بعض الأفكار:

أسئلة نموذجية:

١- مِن ناحية مَن كانت التهديدات التي واجهت العباسيين في عهد خلافة المنصور؟

٢- وضِّح دور الإيرانيين في التغييرات التاريخية في عهد هارون الرشيد والمأمون العباسيَيْن.

٣- ما هدف المأمون من التقرب إلى الإمام الرضا (ع)؟

٤- ما الإجراءات التي قام بها أئمة الشيعة لمواجهة التهديدات التي تُوَاجِه المجتمع الإسلامي بعد حادثة كربلاء؟

٥- ما سبب الحساسية الخاصة من الخلفاء العباسيين اتجاه الإمام العسكري عليه السلام؟[٢]

---

(١) المصدر نفسه، ص١٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ص١٣٠.

البحث والمناقشة:

١ - أعِدَّ بحثًا عن أثر الحكومة الساسانية على الحكومة العباسية.

٢- اكتب تقريرًا عن طلاب الإمام جعفر الصادق عليه السلام ومنزلته العلمية.

٣- اكتب بحثًا عن آثار وجود الإمام الرضا عليه السلام في إيران وعلاقته الوثيقة مع الناس في إيران[(١)].

تحليل النص:

يهدف الكاتب من الأسئلة إلى التأكيد على دور الفرس في قيام الدولة الإسلامية، وأثرهم في تشييد بنية الحضارة الإسلامية وخاصة في عهد الدولة العباسية، بالمقابل لا يريد أن يفصل بين الفرس والشيعة منذ كربلاء.

السؤال المطروح، كيف يمكن لعاقل أن يحقِّق نظرية مثل هذه، الفرس يريدون النفوذ والجاه والسلطة، لذلك تعاونوا مع العباسيين، في الوقت نفسه هم يؤمنون بحق آل البيت بالخلافة.

أين الصواب؟

في البحث عن علاقة التشيع بالتصوف، ينبغِي أن نضع في الحسبان أنَّ التصوف بحسب ما يفيدنا التاريخ لا يختص بمذهب دون غيره، فالشيعة منهم متصوفة ومنهم غير متصوفة، والمتصوفة فيهم الشيعة وفيهم غير الشيعة. وإذا كان المتصوفة

---

(١) المصدر نفسه، ص١٣٠.

من الشيعة هم قلة نسبة إلى المتصوفة السنة بحسب نقل المستشرق نيكلسون [١]، فذلك يرجع إلى اعتبارات تاريخية خاصة تحكّمت بذاكرة التاريخ، واستحوذت على دلالات المصطلح المتعاقبة لمفهومي التشيع [٢] والتصوف سلبًا وإيجابًا. ومهما يكن، ليس التصوف مذهبًا من مذاهب السنة، كما ليس هو فرقة مستقلة عن سائر الفرق الإسلامية. تتجذر مفاهيم علم العرفان عند الشيعة بأنَّه من القواعد الأصولية لمعرفة المخلوق بالخالق، وهي معرفة تنحو منحى تكامليًّا في تربية الإنسان وتقوية مناهجه العقلية والنفسية لتتوحد في طاعة الله، طاعة هي نتاج تفاعل عقلي ونفسي يتشكل في الإدراك العملي للإنسان.

*** أسباب ضعف العباسيين:**

يقول النص في موقع أخر حول نفس الموضوع السابق: "بعد المأمون وعلى الرغم من أنَّ العباسيين حكموا أكثر من أربعمائة سنة، وتولَّى الخلافة منهم العشرات إلا أنَّهم لم يستطيعوا أن يكونوا بنفس قُوَّتهم الأولى، في النهاية أصبحت العراق تحت تصرُّف المغول وانقرض الحكم العباسي"(١).

يضيف النص:

١- "الظلم والطغيان والابتعاد عن الإسلام، العباسيون وصلوا إلى الحكم بالخدع والمكر واستمروا بقَمْع وظلم الناس.

٢- الثورات المتعددة: منذ بداية تشكيل الحكومة العباسية قامت فرق مختلفة وفي

---

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلي، مرحله دوم تعليمات عمومى، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٩، ص٣٢.

الأماكن القريبة والبعيدة بمخالفتهم، حتى إنَّ العديد منهم وبأمل الوصول إلى الخلافة قاموا أيضًا بالشغب.

٣- عدم كفاءة الخلفاء: الكثير من الخلفاء العباسيين كانوا عاجزين، ولم يكونوا يعرفون أسلوب الحكم وكانوا يقضون وقتهم في الأكل والمتعة.

٤- تجزئة الأراضي العباسية، واستقلال بعض الدول التابعة لهذه الحكومة: مع بداية الخلافات الداخلية بين العباسيين، ظهرت العديد من الحكومات في العالم الإسلامي هذه الحكومات كانت في البداية تابعةً إلى الخليفة العباسي ولكنها استقلت وقويت شوكتها بالتدرج، والتالِي فقد ضعفت قوة العباسيين إلى[1] حد كبير".

وبعد نهاية النص، تطرح الأسئلة التالية على الطلبة لترسيخ بعض الأفكار:

الأسئلة والمناقشة:

١- ماذا كان شعار العباسيين حتى يحصلوا على السلطة؟

٢- في أي عهد من الخلفاء بُنِيت مدينة بغداد؟

٣- لماذا سبب القتل العام للبرامكة مشاكل كثيرة للدولة العباسية؟

٤- برأيكم لماذا كان العباسيون يعادون الأئمة الشيعة؟

٥- املأ الفراغات التالية بالكلمات المناسبة:

أ- سجن الإمام موسى كاظم واستشهد بعد ذلك بأمر من...............

(١) المصدر نفسه، ص٣٢-٣٣.

ب- في عهد هارون الرشيد وجدت عائلة إيرانية باسم.................. وكانوا يديرون أمور الحكم

٦ - ما هدف المأمون من اختيار الإمام رضا عليه السلام خليفة له؟

٧- ابحث في موضوع الخلافات بين المأمون والأمين واكتب النتيجة في صفحة أو صفحتين.

٨- ما دور الإيرانيين في التغييرات التي حدثت في الدولة العباسية.

أوجد العلاقة بين العمودين وصل بينهما بخط.

الخليفة المقتول	الأمين
قاتل أبو مسلم	مأمون
الذي اختار الإمام الرضا عليه السلام خليفة له	هارون الرشيد
	المنصور[١]

وتورد الكتب المدرسية قصصًا للطلاب حول ظلم العباسيين، وإرفاق الصور التي تستهزئ بهم، وتحط من شأنهم[٢].

القيم التي يراد غرسها:

١- غرس كره الطلاب للعراق بأنَّها كانت أرض ظَلَمَة، لا يتبعون الحق، من خلال مؤامرتهم على الحسين بن علي.

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٣.

(٢) عربى ١، سال اول دبيرستان، جاب يازدهم، ١٣٨٩، ص ٩١-٩٣.

٢- أن البيعة هي للحسين ومن خالفها خالف الحق.

٣- طريقة هداية الحر الرياحي تُوحِي أنه دخل فيدين جديد، وليس حلفًا أو بيعة لأحد.

٤- هذا النص الثانِي في كتب اللغة العربية لتشويه صورة أهل السنة، وهو الكتاب الذي يتم الرجوع في قصته إلى مرجع عربي، وهو كتاب: الحسين ثائرًا وشهيدًا، للشرقاوي، ويعرف كتاب اللغة صورة أهل السنة، أن مؤلف الكتاب هو مصري، من إخواننا أهل السنة.

وهذا له مغزاه ودلالاته؛ فلماذا يتم الاعتماد في كتب تدريس اللغة العربية لتشويه صورة أهل السنة، وهنا يتم الاعتماد على مراجع عربية، ثم عند رجوعنا إلى القصة في الكتاب الذي تَمّ الاعتماد عليه، وجدنا أنه تَمّ تحريف القصة والتصرف بمضمونها بما يتفق مع رؤية السياسة التعليمية الإيرانية، حيث تم التعريف بكاتب القصة -على الشرقاوي -بأنَّه مصري، وكاتب سني، لترسيخ وغرس موافقة أهل السنة لما يقوله الشيعة، وفي هذا تحريف صريح لما ورد في الكتاب أصلاً.

تحليل النص:

تهدف الأسئلة التي وضعها الكاتب على النص ترسيخ بعض القيم في ضمير التلميذ، منها:

١- إنَّ العباسيين لولا رفعهم شعار الدعوة للرضا من آل البيت، لم تنجح ثورتهم.

٢- إنَّ الفرس كانوا عاملاً هامًا ورئيسًا في قيام الدولة الإسلامية.

٣- أنَّ الدولة العباسية انْحَلَّت عراها وضعفت قواها وفسدت الإدارة بها بعد (نكبة البرامكة الفرس).

٤- كما يحاول التأكيد على أن العباسيين قد ظلموا أبناء عمومتهم العلويين.

طريقة الأئمة في مقاومة القوى الحاكمة

بعد فاجعة كربلاء، قام القادة العلويين بمواجهة القوى الحاكمة (الأمويين والعباسيين) بطرقٍ مختلفة:

الطريقة الأولى: قامت مجموعة بمكافحة العنف السياسي والحركات المسلحة، ثورة زيد من أبناء الإمام السجاد عليه السلام في فترة الخلافة الأموية وقمعت بطريقة مُهَيِّجة للقلوب كانت هذه إحدى الجهود. اتحاد الأشراف مع العباسيين في نضالهم ضد الخلافة الأموية أقيم لهذا الهدف، استمرار كفاح العلويين المسلح في العصر العباسي ولكنه لم يصل إلى النتيجة المطلوبة[1].

الطريقة الثانية: مجموعة أخرى من العلويين بقيادة الأئمة الشيعة قامت بالمكافحة الفكرية والثقافية أسبابهم في ذلك عبارة عن:

١- عدم توصُّل الحركات السياسية والعسكرية لنتائج في هذه الفترة، هذه الحركات قمعت بطريقة وحشية بسبب السلطات الحاكمة في المجتمع، على أمل الحصول على حمايةٍ مؤثرةٍ من الناس، لم يحصلوا على نتيجة من هذه الثورات.

٢- ضرورة وحاجة المجتمع إلى فعاليات علمية وثقافية، توضيح هذة الحاجة

---

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته ادبيات وعلوم إنساني)، ص١٢٨.

والاحتياجات الأساسية ناشئ من مشكلتين:

أ- توسع الفتوحات الإسلامية كانت السبب بالزيادة السريعة في أعداد المسلمين ولا يعرفون الكثير عن المحتوى الواقعى للإسلام، من ناحية أخرى قدّمت جمع للعقائد الإسلامية مع سائر الأفكار والثقافات من بينها الأفكار الصوفية والفكر الفلسفي اليوناني القديم.

ب- عدم الكفاءة الحكومية بتنظيم الأوضاع الفكرية والثقافية في المجتمع، بل كان لها دور فعَّال في ويلات تلفيق الأحاديث، وزيادة الخرافات، وظهور التفاسير الخاطئة في المواضيع الدينية وسبَّبت في تشويه الصورة الأصيلة للدين وارتباك وتشويش أذهان المسلمين[(١)].

يضيف النص: "في هذه الظروف سعَى الأئمة إلى توسيع ونشر الثقافة الإسلامية النقية، وفضَّلوها على الكفاح المسلح، هذه الحركة بدأت في العصر الأموي وفترة الإمام السجاد بلطفٍ وبشكل غير مباشر وبدأت بشكل دعوة. واستمرَّت بعد ذلك بشكل علميٍّ في عهد الإمام باقر عليه السلام، ووصلت إلى ذُرْوتها في العصر العباسى وفي عهد الإمام الصادق عليه السلام، تعليم آلاف الأشخاص من العلماء المشتاقين للتعاليم الإسلامية العالية عن طريق الأئمة كان له أثر عظيم في الفكر في المجتمع والتغيير الأساسى في التاريخ الإسلامى، على إثر الجهود العلمية للإمام الصادق عليه السلام، فقد أوصلت ليس فقط الفقه الشيعى إلى التلاحم والانسجام في المجتمع وعُرِف بالفقه الجعفري، بل وصل أثر الحركة

---

(١) المصدر نفسه، ص١٢٨.

العلمية لأئمة الشيعة إلى كافة المذاهب الفقهية الأخرى في العالم الإسلامى، فقد تأثّر وعرف مؤسسو هذه المذاهب بواسطة أو من دون وساطة طلاب الإمام الصادق عليه السلام[١].

إنشاء الإمام الصادق عليه السلام مدارس فقهية، وفي عهد الأئمة من بعده نَمَت واستقرت هذه المدارس، بعد الإمام الصادق تولَّى قيادة وهداية الشيعة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، الإمام وبسبب زُهْده الكبير عُرِف (بالعبد الصالح) عن طريق حلمه وصبره وكَظْم غيظه عرف بالكاظِم، وقد علم الثقافة والعلوم الدينية وتنشئة الشيعة، وكان مثالًا ونموذجًا للتدين والعلم والأخلاق الإنسانية العالية، ومن وجهة نظر الكثير من الناس كان له منزلة دينية وإنسانية رفيعة تُؤهِّله لقيادة وخلافة المسلمين، وهذا الأمر كان السبب في ارتباك وقلق إدارة الخلافة العباسية لحدّ أن الخلفاء في عصره الهادي وهارون قاموا بسجن الإمام عِدَّة سنوات، في النهاية استُشْهِد في زنزانته في بغداد[٢].

من الأمور القاسية التى حدثت في عهد الإمام الثامن الإمام الرِّضا عليه السلام تعينيه وليًّا لعهد المأمون في الخلافة، وهذا قرأنا عنه سابقًا.

بعد استشهاد الإمام الرضا عليه السلام وصلت الإمامة إلى الإمام جواد عليه السلام وأجبر المأمون الإمام على الإقامة في بغداد وفُرِضت رقابة شديدة عليه وعلى نشاطه، ومنع الإمام من الاتصال بالناس، لكنَّه على الرغم من تحديد تحركاته إلا أنَّه كان يشارك في بعض الأحيان في بعض المجالس والمناظرات وقدم لعلماء عصره

(١) المصدر نفسه، ص١٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ص١٢٨.

الكثير من علمه الواسع[1].

خلال سنوات إمامة الإمام الهادي عليه السلام الذي عاصَر استيلاء الأتراك على الخلافة في زمن المتوكِّل والتى كانت من أصعب الأيام على الشيعة، بأمرِ من المتوكل تَمَّ تدمير ضريح الإمام حسين عليه السلام وباقى شهداء كربلاء وحُرِم الشيعة من زيارة مرقد الإمام لفترة. وكذلك أجبر الإمام الهادي عليه السلام على الإقامة الجبرية في سامراء، في النهاية وبأمرٍ من الخليفة التالِي المعتز استشهد.

الإمام الحسن العسكري كان أيضًا تحت المراقبة الخاصة بجوٍّ خانق في مدينة سامراء".[2]

(١) المصدر نفسه، ص١٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ص١٢٩.

فترة إمامة الحسن العسكري كانت من ٢٥٤ إلى ٢٦٠ هجريًّا قمريًّا

سلالة أئمة الشيعة وفروعها

الإمام علي بن أبي طالب (ع) استشهد ٤٠ هـ - ق

الإمام حسن (ع) ٥٠ هـ. ق الإمام حسين (ع) ٦١ هـ. ق

حسن الثاني الإمام علي بن الحسين (ع) ٩٢ هـ. ق محمد بن حنيفة ٨١ هـ. ق أبو هاشم

عبد الله الإمام محمد الباقر(ع) ١١٣ هـ. ق زيد بن علي ١٢٥ هـ. ق

الإمام جعفر الصادق (ع) ١٤٨ هـ. ق

إبراهيم محمد نفس زكية ١٤٥ هـ. ق يحيى عيسى

إسماعيل ١٤٥ هـ. ق الإمام موسى الكاظم (ع) ١٨٣ هـ. ق

محمد بن اسماعيل الإمام علي بن موسى الرضا (ع)٢٠٢ هـ. ق

عبد الله الإمام محمد الجواد (ع) ٢٢٠ هـ. ق

أحمد الإمام علي الهادي (ع) ٢٥٢ هـ. ق

حسين الإمام الحسن العسكري (ع) ٢٦٠ هـ. ق

محمد القائم ٣٢٢ هـ. ق الإمام محمد المهدي (عج) الإمام الغائب

الخلفاء الفاطمين ولد ٢٥٦ هـ. ق[1]

(١) المصدر نفسه، ص١٢٩.

فكِّر وأجب:

يقول النص: "لماذا سعَى الخلفاءُ الشيعةَ وخاصة المتوكّل إلى التخفيف من حدة اهتمام الناس بضريح الإمام الحسين عليه السلام ومنع زيارته؟[١]

قلق الخلافة في ذلك الزمان بسببين:

١- الفعاليات العلمية والتعليم الديني للإمام وارتباطه بالناس.

٢- ولادت حضرة المهدي (ع) المنجى الموعود الذي بشَّر بظهوره من قبل الرسول ﷺ والأئمة.

سوف نقوم بعمل دراسة مفصلة حول هذا الموضوع.

قسَّم مؤرخو الشيعة تاريخ حياة حضرة المهدي (ع) إلى فترتيْن:

١- فترة الغيبة الصغرى والتى كانت منذ بداية إمامته في السنة ٢٦٠ هـ. ق واستمرَّت حتى ٣٢٩ هـ. ق خلال هذه الفترة كان ارتباط الإمام المهدي (ع) بشيعة عن طريق أربع نواب خاصين به.

٢- فترة الغيبة الكبرى والتي بدأت سنة ٣٢٩ وما زالت مستمرة حتى الآن.[٢]

تحليل النص:

المهدي عند الشيعة هو محمد بن الحسن العسكري، وُلِد في منتصف القرن الثالث تقريبًا ودخل سردابًا في سامرا وهو صغير في زعمهم ولا يزالون في انتظار

(١) المصدر نفسه، ص١٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ص١٣٠.

خروجه من سِرْدابه، وهو الإمام الثاني عشر من أئمتهم الاثنى عشر الذين يعتقدون فيهم أنَّهم معصومون ويصفونهم بصفات تجاوزوا فيها الحدود.

لما توفِّي إمامهم الحسن العسكري لم يُرَ له خلفٌ، ولم يُعرف له ولدٌ ظاهر، وقد تَمَّ استبراء زوجاته وإمائه للتأكُّد من ذلك، حتى تبيَّن لهم بطلان الحَبَل، فقُسِّمَ ميراثه بين أمه وأخيه جعفر، وأودعت أمه وصيته، وثبت ذلك عند القاضي والسلطان.

فكانت هذه الواقعة قاصمةَ الظهرِ للتشيع، فمنهم من قال: انقطعت الإمامة.

ومنهم من قال: إنَّ الحسن بن علي (ع) توفي ولا عقب له، والإمام بعده جعفر بن علي أخوه.

وفي خِضَمِّ هذه الحيرة والاضطراب الذي يعيشه علماء الشيعة، قام رجلٌ يُدعى (عثمان بن سعيد العمري) وادَّعى أن للحسن العسكري ولدًا في الخامسة من عمره، مختفيًا عن الناس لا يظهر لأحد غيره، وهو الإمام بعد أبيه الحسن، وأنَّ هذا الطفل الإمام قد اتَّخذه وكيلًا عنه في قبض الأموال، ونائبًا يجيب عنه في المسائل الدينية.

ولما مات عثمان بن سعيد (سنة ٢٨٠) ادَّعى ابنه محمد بن عثمان نفس دعوى أبيه. ولما توفِّي محمد (سنة ٣٠٥) خلفه الحسين بن روح النوبختِي في نفس الدعوى، ولما توفي (سنة ٣٢٦) خلفه أبو الحسن علي بن محمد السمري (سنة ٣٢٩) وهو آخر المدَّعين للنيابة عند علماء الشيعة الإمامية، ولما كثر المدَّعون للبابية من أجل الأرصدة الباهرة من الأموال، قال علماء الشيعة بانقطاع البابية ووقوع الغيبة الكبرى بوفاة السمري.

وكان هؤلاء النواب عن الإمام يَتلقَّون أسئلة السفهاء، كما يتلقفون أموالهم!! ويأتون بأجوبتها وإيصالها من الإمام المنتظر ويسمونها (توقيعات) وهي خطوط إمامهم المنتظر بزعمهم.

وأهل العلم والمؤرخون يقولون: إنَّ الحسن العسكري لم يخلِّف وإنَّه مات وليس له ولد، لكن هؤلاء لما كانت العقيدة راسخة عندهم وأنَّ نسله لا ينقطع جاءهم الشيطان وقال: إنَّ له ولدًا، ولكنه دخل هذا السرداب، ثم لابدَّ أن يخرج فانتظروه، فصاروا ينتظرونه.

والآن له نحو ألف ومائتي سنة، وهم لا يزالون ينتظرونه! وكانوا في تلك المدة يُجلِسُون واحدًا ينتظره، ويصيح: اخرج يا مولانا! اخرج يا مولانا! وليس عنده أحد، وقد جعلوا عند طرف السرداب فرسًا، وجعلوا عليها سرجًا، وجعلوا مع الحراس الذين يحرسونها سيوفًا حتى يحمونه إذا خرج! ويَدَّعون أنه سوف يخرج ويركب الفرس، ويذهب إلى مكانهم، ويقتل أعداءهم كما يزعمون، وينتصر لهم ممن خالفهم، ولا يزالون منذ ألف ومائة وخمسين سنة وهم على هذه الطريقة إلى اليوم! قبل خمسة أشهر أو نحوها جاءنا بعض الإخوان ومعه أوراق أخذها من الشيعة الذين أُسِروا في حرب الخليج، وأودعوا في السجون، فوجدوا معهم أوراقًا كلها غلو ومبالغة في التشيُّع، وإذا بواحدة من الأوراق فيها ذكر الأئمة الاثني عشر؛ الإمام علي، والإمام الحسن، والإمام الحسين، إلى أن قال: والإمام محمد بن الحسن العسكري عجَّل الله بخروجه، فلا يزالون يُؤمِّلون أنه سوف يخرج، ولا يزالون ينتظرونه! وفي وقت الشارح- في القرن الثامن- يذكر أنَّهم يجعلون عند السرداب فرسًا، والآن لا أدري هل استبدلوا بالفرس سيارة أو لا يزالون ينتظرونه كما كانوا! الله أعلم.

وعلاوةً على ذلك، فإنَّ لأهل البيت موقفًا صريحًا حاسمًا في هذا الأمر، وهو من البراهين الواضحة على بطلان هذه الدعوى؛ حيث جاء في صلة تاريخ الطبري في حوادث سنة ٣٠٢هأنَّ رجلًا ادَّعى- في زمن الخليفة المقتدر- أنه محمد بن الحسن ابن علي بن موسى بن جعفر، فأمر الخليفة بإحضار مشايخ آل أبي طالب وعلى رأسهم نقيب الطالبيين أحمد بن عبد الصمد المعروف بابن طومار. فقال له ابن طومار: لم يعقب الحسن. وقد ضجَّ بنو هاشم من دعوى هذا المدعي وقالوا: يجب أن يشهر هذا بين الناس، ويعاقب أشدَّ عقوبة. فحمل على جملٍ وشهر يوم التروية ويوم عرفة، ثم حبس في حبس المصريين بالجانب[١].

وعلاوة على شهادة نقيب الطالبيين وبني هاشم، فإن أقرب الناس إلى الحسن العسكري وهو أخوه جعفر يؤكِّد أن أخاه مات ولا نسل له ولا عقب، كيف يكذب جعفر وهو أخو الحسن العسكري ومن سلالة أهل البيت، وعميد الأسرة بعد وفاة الحسن، ويُصَدَّق رجل أجنبي عن أهل البيت، وهو متهم في دعواه؛ لأنه يجرّ المصلحة لنفسه من المال والجاه باسم البابية، ومَن هذا شأنه ألا يُشَكّ في قوله وتردّ شهادته؟!.

ولموقف جعفر المتميز ضد محاولات الرموز الشيعية اختراع ولد لأخيه، ضاق الشيعة ذرعًا بأمره، حتى لقبوه "بجعفر الكذاب[٢]

---

(١) عريب، صلة تاريخ الطبري، ج١١، ص٥١.

(٢) ابن بابوي، إكمال الدين: ص٣١٢، سفينة البحار: ١/ ١٦٢، أصول الكافي: ١/ ٥٠٤، مقتبس الأثر: ١٤/ ٣١٤.

وإليكم ما كتبه إحسان إلهى ظهير في كتابه: "الشيعة والتشيع فرق وتاريخ" عن الطبعة التي أصدرتها دار ترجمان السنة، ط١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م:

مات الحسن العسكري بدون خلفٍ ولا عقبٍ كما نصَّ على ذلك النوبختي: "توفِّي ولم يُرَ له أثر، ولم يُعرف له ولد ظاهر، فاقتسم ميراثه أخوه جعفر وأمُّه "[1].

فأوجد موته خلافًا شديدًا في شيعته؛ لأن التشيّع بعد تطورُّه يوجب على مدعي الإمامة أن يكون بعده عقب، وكذلك أن يكون عليه نص من الذي قبله، وهو الذي يقوم بتجهيزه وتكفينه، فكيف وهنا لا يُرى له أثر، فالتجئوا لتأويل ذلك إلى سخافات عديدة. كل قوم حسب أهوائهم ومزاعمهم يهوون؛ فقال النوبختي: "فافترق أصحابه بعده أربع عشرة فرقة؛ ففرقة قالت: إن الحسن بن علي حي لم يَمُت، وإنما هو غائب وهو القائم، ولا يجوز أن يموت ولا ولد له ظاهر؛ لأن الأرض لا تخلو من إمام.. وقالت الفرقة الثانية: إنَّ الحسن بن علي مات وعاش بعد موته، وهو القائم المهدي؛ لأننا رُوِّينا أن معنى القائم، هو أن يقوم بعد الموت، ويقوم ولا ولد له؛ لأن الإمامة كانت تثبت لولده، ولا أوصى إلى أحد، فلا شكَّ أنه القائم..

وقالت الفرقة الثالثة: إن الحسن بن علي توفي، والإمام بعده أخوه جعفر وإليه أوصى الحسن.. فلما قيل له إنَّ الحسن وجعفر ما زالا متهاجرين متصارمين متعادين طول زمانهما، وقد وقفتم على صنائع جعفر وسوء معاشرته له في حياته، ولهم من بعد وفاته في اقتسام مواريثه. قالوا: إنما ذلك بينهما في الظاهر، وأما في الباطن فكانا متراضيين متصافيين لا خلاف بينهما.

---

(١) الشيعة للنوبختي ص ١١٨، ١١٩.

وممن قوى إمامة جعفر وأمال الناس إليه، علي بن الطاهر الخراز، وكان متكلمًا محجاجًا، وأعانته على ذلك أخت الفارس بن حاتم بن ماهويه القزويني.

وقالت الفرقة الرابعة: إنَّ الإمام بعد الحسن جعفر، وإن الإمامة صارت إليه من قبل أبيه، لا من قبل الحسن، وأن الحسن كان مدعيًا باطلاً؛ لأن الإمام لا يموت حتى يوصي ويكون له خلف. والحسن قد توفي ولا وصية له ولا ولد، والإمام لا يكون من لا خلف له ظاهر معروف مشار إليه، كما لا يجوز أن تكون الإمامة في الأخوين بعد الحسن والحسين كما نص عليه جعفر.

وأما الفرقة الخامسة: فإنَّها رجعت إلى القول بإمامة محمد بن علي أخي الحسن المتوفّى في حياة أبيه، وأما الحسن وجعفر فإنهما ادَّعيا ما لم يكن لهما؛ لأنَّ جعفر فيه خصال مذمومة وهو بها مشهور. ظاهر الفسق وغير صائن نفسه، معلن بالمعاصي. ومثل هذا لا يصلح للشهادة على درهم، فكيف يصلح لمقام النبي صلى الله عليه وآله؟ وأما الحسن فلقد توفِّي ولا عقب له.

وقالت الفرقة السادسة: إنَّ للحسن بن علي ابنًا سماه محمدًا، وولد قبل وفاته بسنين، وزعموا أنه مستور، لا يُرى خائف من جعفر.

وقالت الفرقة السابعة: بل ولد بعد وفاته بثمانية أشهر، وأنَّ الذين ادعوا له ولدًا في حياته كاذبون مبطلون في دعواهم؛ لأن ذلك لو كان لم يخف غيره، ولكنه مضَى ولم يُعرف له ولد. ولا يجوز أن يخفي ذلك وقد كان الحبل فيما مضى قائمًا ظاهرًا ثابتًا عند السلطان وعند سائر الناس، وامتنع من قسمة ميراثه من أجل ذلك حتى بطل ذلك عند السلطان وخفِي أمره، فقد ولد له ابن بعد وفاة أبيه بثمانية أشهر، وقد كان أُمِر أن يُسمَّى محمدًا، وأوصى بذلك، وهو مستور لا يُرَى.

وقالت الفرقة الثامنة: إنه لا ولد لحسن أصلا لأنا قد امتحنا ذلك وطلبناه بكل وجه فلم نجده، ولو جاز لنا أن نقول في مثل الحسن وقد توفي ولا ولد له أن له ولد، لجاز مثل هذه الدعوى في كل ميت من غير خلف، ولجاز مثل ذلك في النبي صلى الله عليه وآله أن يُقال خلف ابنًا نبيًّا رسولاً. وكذلك في عبد الله بن جعفر بن محمد أنه خلف ابنًا، وأنَّ أبا الحسن الرضا عليه السلام خلَّف ثلاثة بنين غير أبي جعفر أحدهم الإمام؛ لأنَّ مجيء الخبر بوفاة الحسن بلا عقب كمجيء الخبر بأنَّ النبي صلى الله عليه وآله لم يخلف ذكرًا من صلبه، ولا خلف عبد الله بن جعفر ابنًا، ولا كان للرضا أربعة بنين. فالولد قد بطل لا محالة، ولكن هناك حَبَل قائم قد صحَّ في سرية له وستلد ذكرًا إمامًا متى ما ولدت، فإنه لا يجوز أن يمضي الإمام ولا خلف له، فتبطل الإمامة وتخلو الأرض من الحجة.

واحتجَّ أصحاب الولد على هؤلاء فقالوا: أنكرتم علينا أمرًا قلتم بمثله، ثم لم تقنعوا بذلك حتى أضفتم إليه ما تنكره العقول، قلتم إن هناك حَبَلًا قائمًا، فإن كنتم اجتهدتم في طلب الولد فلم تجدوه فأنكرتموه لذلك، فقد طلبنا معرفة الحبل وتصحيحه أشد من طلبكم، واجتهدنا فيه أشد من اجتهادكم، فاستقصينا في ذلك غاية الاستقصاء فلم نجده، فنحن في الولد أصدق منكم؛ لأنه قد يجوز في العقل والعادة والتعارف، أن يكون للرجل ولدٌ مستورٌ لا يعرف في الظاهر ويظهر بعد ذلك ويصح نسبه، والأمر الذي ادعيتموه منكر وشنيع، ينكره عقل كل عاقل، ويدفعه التعارف والعادة، مع ما فيه من كثرة الروايات الصحيحة عن الأئمة الصادقين أنَّ الحبل لا يكون أكثر من تسعة أشهر، وقد مضى للحبل الذي ادعيتموه سنون، وإنكم على قولكم بلا صحة ولا بيّنة.

وقالت الفرقة التاسعة: إنَّ حسن بن علي قد صحَّت وفاة أبيه وجده وسائر آبائه عليه السلام. فكما صحت وفاتهم بالخبر الذي لا يكذب مثله، كذلك صح أنه لا إمام بعد الحسن....والأرض اليوم بلا حجة إلا أن يشاء الله، فيبعث القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله، فيحيي الأرض بعد موتها، كما بعث محمد صلى الله عليه وآله حين فترة من الرسل.

وقالت الفرقة العاشرة: إنَّ أبا جعفر محمد بن علي كان الميت في حياة أبيه، وهو الذي كان الإمام بوصية من أبيه، ثم أوصى هو إلى غلام له صغير كان في خدمته يُقال له نفيس، ثم بعد موته نقل هذا الغلام الوصية إلى جعفر.

وقالت الفرقة الحادية عشرة: قد اشتبه علينا الأمر، ولا ندري من هو الإمام، وأن الأرض لا تخلو من حجة فنتوقف ولا نقدم على شيء حتى يصح لنا الأمر ويتبين.

وقالت الفرقة الثانية عشرة: ليس القول كما قال هؤلاء، بل لا يجوز أن تخلو الأرض من حجة، ولو خلت لساخت الأرض ومن عليها، وأما هو خائف مستور بستر الله لا يجوز ذكر اسمه ولا السؤال عن مكانه، وليس علينا البحث عن أمره، بل البحث عن ذلك وطلبه حرام.

وقالت الفرقة الثالثة عشرة: إنَّ الحسن بن علي توفِّي، وأنه كان الإمام بعد أبيه، وأن جعفر بن علي الإمام بعده، كما كان موسى بن جعفر إمامًا بعد عبد الله بن جعفر، للخبر الذي روى أنَّ الإمامة في الأكبر من ولد الإمام إذا مضى. وأنَّ الخبر الذي روى عن الصادق عليه السلام، أنَّ الإمامة لا تكون في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام صحيح لا يجوز غيره، وإنَّما ذلك إذا كان للماضي خلف من

صلبه، فإنَّه لا تخرج منه إلى أخيه، بل تثبت في خلفه. وإذا توفِّي ولا خلف له، رجعت إلى أخيه ضرورة، لأنَّ هذا معنى الحديث عندهم. وكذلك قالوا في الحديث الذي روى أنَّ الإمام لا يغسِّله إلا إمام، وأن هذا عندهم صحيح لا يجوز غيره. وأقروا أنَّ جعفر بن محمد عليهما السلام غسَّله موسى، وادَّعوا أن عبد الله أمره بذلك؛ لأنه كان الإمام بعده، وإن جاز أن لا يُغسِّله لأنه إمام صامت في حضرة عبد الله.

فهؤلاء الفطحية الخلص الذين يجيزون الإمامة في أخوين، إذا لم يكن الأكبر منهما خلف ولدًا. والإمام عندهم جعفر بن علي، على هذا التأويل ضرورة.

وأما الفرقة الرابعة عشرة فقالت: إنَّ الإمام بعده ابنه محمد، وهو المنتظر، غير أنه مات، وسيجيء ويقوم بالسيف، وسيملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما مُلِئت ظلمًا وجورًا[(١)].

فهذه هي الفرق المشهورة للشيعة، ذكرناها من كتب القوم أنفسهم، مع سَرْد الروايات والعبارات من كتب السنة أيضًا تأييدًا وتوثيقًا، لا أصلًا واستدلالاً.

غير أنَّ هنالك فرقًا شيعية أخرى، ذكرها أصحاب الفرق من السنة من البيانية والجناحية والرزامية والمقنعية والحلمانية والخلاجية والأزافرة وغيرهم، لم نذكرها لانقراضها، ولعدم ورود ذكرها في كتب الشيعة، وكي لا يقول قائل: يعلم الله أن هذه الأسماء كلها لم نسمع بها ولم نرها في كتب الشيعة، وما هي إلا مختلقة لا يُقصد من ذكرها غير التشنيع والتهجين. وهي أسماء بلا مسميات، ولم يذكرها أحد من

---

(١) ملخصًا، فرق الشيعة للنوبختي ص ١١٩ وما بعد.

المؤرخين، ولا نقلها من كتب في الملل والشيعة كالشيخ أبي محمد الحسن بن موسى النوبختي من أهل القرن الرابع في كتاب الفرق والمقالات المتكفل بذكر فرق الشيعة وغيره[١].

وبقيت هناك فرق أخرى، ألا وهي: الاثنا عشر أو الجعفرية الإمامة، فإنها ذكرت ضمن الأربع عشرة فرقة التي افترقت بعد موت الحسن العسكري، ولكن لما لها من أهمية، وإن هذا السرد الطويل لم يكن إلا لأجلها؛ لأنه عند إطلاق لفظ الشيعة لا يتبادر إلى الذهن الآن إلا هذه الفرقة. فنخصِّص لها بابًا مستقلًّا في تاريخها وعقائدها وعلاقتها بالسبئية، وتوارثها جميع الأفكار الموجودة في الفرق البائدة من الغلاة والمتطرفين. كما سنذكر الفرق التي تفرَّقت منها، وهي موجودة حتى الآن.

ونلفت ههنا أنظار القُرَّاء والباحثين إلى أمر هامٍّ يجب الانتباه إليه، وهو أنَّ كل فرقة من فرق الشيعة التي ذكرناها في هذا الباب سيجد القارئ من مطالعة موجز المعتقدات والعقائد التي حملها أؤلئك، أنَّ كلَّ واحدة منها أخذ حظًّا وافرًا من السبئية أبناء اليهود، واغترفت غرفًا كثيرة من الأديان الباطلة الأخرى من النصرانية والمجوسية والأفكار المدسوسة من الهندوس والبابليين والعاشوريين والكلدانيين وغيرهم، كما أنَّ الشيعة بعد تطور التشيّع الأول في جميع أدوارهم وعصورهم، التزموا بقول الرجعة والغيبة والولاية والبراءة والوصاية والتوارث، كما أرسخها مؤسِّس القوم عبد الله بن سبأ وشلته الماكرة.

---

(١) محسن أمين، أعيان الشيعة، القسم الأول، ج١، ص٢٤.

وذكرت كتب الشيعة بعض الأسباب التي حتَّمت غيابة المهدي (المنتظر):

أولاً: الخوف عليه من العباسيين: لقد أمعن العباسيون منذ حكمهم، وتولّيهم لزمام السلطة في ظلم العلويين وإرهاقهم، فصبوا عليهم وابلًا من العذاب الأليم، وقتلوهم تحت كلّ حجر ومدر ولم يرعوا أية حرمة لرسول الله ﷺ في عترته وبَنِيه، ففرض الإقامة الجبرية على علي الهادي ونجله الحسن العسكري في (سامراء) وأحاطتهما بقوى مُكَثّفة من الأمن رجالًا ونساءً هي التعرّف على ولادة الإمام المنتظر لإلقاء القبض عليه، وتصفيته جسديًا، فقد أرعبتهم وملأت قلوبهم فزعًا ما تواترت به الأخبار عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) وعن أوصيائه الأئمة الطاهرين أنّ الإمام المنتظر هو آخر خلفاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم)، وأنه هو الذي يقيم العدل، وينشر الحق، ويشيع الأمن والرخاء بين الناس، وهو الذي يقضي على جميع أنواع الظلم، ويزيل حكم الظالمين، فلذا فرضوا الرقابة على أبيه وجدّه، وبعد وفاة أبيه الحسن العسكري أحاطوا بداره، وألقوا القبض على بعض نسائه الذين يظن أو يشتبه في حملهن. فهذا هو السبب الرئيسي في اختفائه وعدم ظهوره للناس. وقد علَّل بذلك في حديث زرارة، فقد روي أنَّ جعفر الصادق قال: (إنّ للقائم غيبة قبل ظهوره)، فبادر زرارة قائلًا: لَمَ؟ فقال: (يخاف القتل).

ثانيًا: الامتحان والاختبار: وثَمَّة سبب آخر علّل به غيبته، وهو امتحان العباد واختبارهم، وتمحيصهم. فقد أثر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) أنّه قال: "أمّا والله ليغيبن إمامك شيئًا من دهركم، ولتمحصن، حتى يقال: مات أو هلك بأيّ واد سلك، ولتدمعن عليه عيون المؤمنين ولتكفأن كما تكفأ السنن في أمواج

البحر، فلا ينجو إلا من أخذ الله ميثاقه، وكتب في قلبه الإيمان، وأيّده بروح منه"[(١)].

لقد جرت سنة الله في عباده امتحانهم، وابتلاءهم ليجزيهم بأحسن ما كانوا يعملون، قال تعالى: ﴿ **ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ﴾ [الملك:٢]، وقال تعالى: ﴿ **أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ** ﴾ [العنكبوت:٢]. وغيب المهدي من موارد الامتحان فلا يؤمن بها إلا من خلص إيمانه وصفت نفسه، وصدق بما جاء عن رسول الله ﷺ والأئمة الهداة المهديِّين من حجبه عن الناس، وغيبته مدة غير محددة، أو أنَّ ظهوره بيد الله تعالَى، وليس لأحد من الخلق رأي في ذلك، وإن مثله كمثل الساعة فإنَّها آتية لا ريب فيها.

ثالثًا: الغيبة من أسرار الله: وعُلِّلت المنتظر بأنّها من أسرار الله تعالى التي لم يطلع عليها أحد من الخلق. فقد أثر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم)، أنه قال: "إنَّما مثل قائمنا أهل البيت كمثل الساعة لا يُجلِّيها لوقتها إلا هو: ثقلت في السماوات، لا يأتيكم إلاّ بغتة".

رابعًا: عدم بيعته لظالم: ومن الأسباب التي ذكرت لاختفائه أن لا تكون في عنقه بيعة لظالم. وأعلن المهدي ذلك بقوله: إنه لم يكن لأحدٍ من آبائي إلَّا وأوقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإني أخرج حين أخرج، ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي[(٢)]هذه بعض الأسباب التي علّلت بها الشيعة غيبة المهدي المنتظر.

---

(١) البحار، ٥٣ / ٧ و٢٨١.

(٢) منتخب الأثر، ٢٦٧.

سلوك الأئمة مقابل الخلفاء الظالمين

يقول النص: "تعرفون أن الرسول كان عنده مسئوليتان مهمتان:

١- تلقِّي أوامر وتعاليم الدين من الله وإبلاغها للناس، بعبارة أخرى كان المرجع العلمي والديني للناس، ويرجع إليه الناس لفهم الأحكام والتعاليم الدينية.

٢- تنظيم المجتمع ضمن نطاق هذه المبادئ والعلوم، وعلى هذا الأساس فإنَّ رسول الإسلام كان ينفِّذ القوانين الإلهية وبرامج الدين، وأسس الحكومة الإسلامية وتولّى إدارتها وقيادتها طوال حياته.

من تولَّى بعد وفاة الرسول إدارة وقيادة وحفظ نظام المجتمع الإسلامي؟ ومَن تولّى تبيين تعاليم ومبادئ الدين؟ من هو المرجع الديني لتبيين وتعليم المبادئ والاحكام الدينية؟

بعد وفاة الرسول، فإن هاتين المسئوليتين كانتا في عُهْدة الإمام حسب إرادة الله وحسب ما قدَّمه الرسول، مع هذا الفرق أنَّ الأحكام والمبادئ والقوانين الشريعة لا توحى إليه، ولكن الإمام مرتبط بالله تعالَى ارتباطًا قريبًا وهو وارث علم النبوة والمحافظ على هذا العلم وينفِّذه، الرسول وبأمرٍ من الله وضع الأحكام والمبادئ الدينية تحت تصرُّف الأئمة حتى لا يبقى الدين بدون حراسة ولا يبقى الناس من دون مرجع دينيٍّ وملجأ.

الإمام المعصوم ومن عمق البصيرة ومعرفته بالمبادئ الإسلامية ومع الإمدادات الغيبية ساعد في المحافظة على الدين. وهو إمام المسئولية عليه السعي لإجراء برامج الدين في المجتمع، وأن يأخذ زمام الحكم من الحكومة الظالِمَة وأن يتولَّى بنفسه أن يسود النظام المجتمع الإسلامي؛ بناءً على فإنَّ الحكم وقيادة المجتمع الإسلامي

كانت إحدى مهمات الأئمة المعصومين، ومن واجب المسلمين أن يعرفوا إمامهم وقائدهم الإلهي وأن يُأيّدوا ويثبتوا ولايته وأن يجاهدوا في سبيل تثبيت وتوسيع الحكومة الإلهية"[1].

ويضيف النص: "أئمتنا الأعزاء ومن أجل القيام بمسئوليتهم قضوا أعمارهم في السعي والنضال، وعند انقضاء أعمارهم الشريفة فإنّهم يسلمون هذه المهمة للإمام الذي بعده، لتتم متابعة النضال، وذلك مع المساعدين المتقين والمؤمنين، وذلك لزعزعة قاعدة حكومة المتغطرسين أعداء الناس لقبول الولاية الإلهية والإطاحة بحكومة الظلم والجور، ومع هذا، وبسبب الأوضاع في المجتمع وتعتيم قلوب وأفكار الناس، فإنَّ الإمام سيدنا علي بن أبي طالب من بين جميع الأئمة الذي وصل إلى الحكم وحكم لمدة أربعة سنوات وتسعة أشهر، وكذلك الإمام الحسن حكم أيضًا فترة قصيرة جدًّا، جميع الأئمة ناضلوا من أجل تأسيس حكومة إسلامية، ومنتهى آمال كل واحد منهم كانت إسقاط حكومة الظلم وتأسيس حكومة اسلامية، لتنفيذ الأحكام النورانية الإسلامية وأن يمسكوا قيادة وزمام الحكم وإقامة العدالة.

الإمام حسين عليه السلام ومن أجل انهاء حكومة بنى أمية، رأى أن من مصلحة الإسلام والمسلمين أن يقوم بثورة حتى يفهم العالم أن أبناء الرسول مخالفين لحكومة يزيد المعارضة للإسلام وأنه جاهد ضده، حتى لو استشهد هو وأولاده وحتى طفله الرضيع في هذا الجهاد المقدس.

---

(١) فرهنك إسلامي وتعليمات اجتماعي، سال سوم، شركت جاب كتاب هاى درسى إيران، ١٣٨٩، ص ٩٣.

الأئمة الآخرون استمروا وتابعوا نهج وهدف الإمام حسين وتعامل كل واحد منهم بالشكل الذي يتناسب مع الأوضاع والظروف التي كانت تواجهه.

الإمام السجاد عليه السلام- كان يعيش في ظروف وأوضاع خانقة، لدرجة أنه لم يكن يستطيع أن يتحدث مع الناس بطريقة مباشرة، لهذا فإنَّ الأدعية والمناجاة التي كان يقرأها كانت توقظ قلوب الناس وتعلمهم علوم الدين، كانوا يعيشون حياتهم بذكر الله ويعلمهم القيم الإسلامية، وكان يبدي كراهيته للظلم والقسوة، وكان يفضح الظلمة.

الإمام محمد الباقر والإمام جعفر الصادق كانت فرصتهم ضئيلة ولكنهم استغلوها بسرعة وبقدرة لتعليم علوم الدين إلى أتباعهم المقرَّبين للإطاحة بحكومة الظلم، الخلفاء الظالمون منعوا الناس من التردُّد على بيوت الأئمة، والمسلمون المرتبطون بالأئمة لجأوا إلى التَّقِيَّة وإلى وسائل تغطية مختلفة لمقابلة أئمتهم. إلا أنهم في بعض الأحيان كان يتم إلقاء القبض على بعضهم وسجنهم والبعض الآخر استشهدوا.

ويضيف النص: "هشام بن عبد الملك كان أحد الخلفاء الأمويين الظلمة، أحضر الإمام الباقر عليه السلام إلى دمشق وسجن فترة بتهمة علاقته وإرشاده للناس.

أمر المنصور دوانيقي (دوانيقي- البخيل) بمهاجمة بيت الإمام الصادق عليه السلام وأن يقبضوا عليه وأن يحضروه إلى العراق لقتله هناك، ولكنه ولعدة اعتبارات صرف النظر عن قتله واضطر لإطلاق سراحه[1] ".

---

(١) المصدر نفسه، ص ٩٣-٩٥.

تحليل النص:

أراد الكاتب من وصف المنصور بأبِي الدوانيق احتقارًا له وذمّه، لكن من يدرس تاريخ الدولة العباسية يجد أن المنصور هو المؤسِّس الحقيقي للدولة العباسية، فقد قعّد أسس الدولة، وقضى على جميع المنافسين والأقوياء أصحاب الطموح أمثال أبي مسلم الخراساني (الفارسي)، وهو الذي بنَى العاصمة الخالدة بغداد وانفرد بالحكم وأسَّس خلافة قوية مرهوبة الجانب، أما سبب التسمية فليس لبخله بقدر ما هو بسبب تشدُّده في محاسبة العمال والصناع على الحبة والدانِق، وهو مقدار لا يزيد على سدس درهم[١].

كان حضرة الإمام موسى الكاظم، الإمام السابع، كان لفترة في سجون الخلفاء العباسيين مثل المهدي، والهادي، وهارون الرشيد، وبالنهاية سمم واستشهد في سجن هارون.

الإمام الثامن حضرة الرضا عاصر الخليفة شديد المكر المأمون، أحضر الإمام إلى خراسان بطريقة محترمة، حتى يراقب تحركاته عن قرب ويكون تحت عينه، وهو في الحقيقة كان يريد أن يبعده عن أتباعه في المدينة، وبالنهاية استشهد بالسمِّ[٢].

تحليل النص:

حاول النص تصوير العلاقة بين العلويين والخلفاء العباسيين على أنها علاقة

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٠٣؛ تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٦٤، الإربلي، خلاصة الذهب المسبوك ص ٥٩.

(٢) فرهنك إسلامي وتعليمات اجتماعي، ، ص ٩٦-٩٧.

كراهية وظلم من قبل الخلفاء، ولكن سنورد مثلاً واحدًا من طبيعة العلاقة بين الطرفين، ونقصد الخليفة المنصور وجعفر الصادق.

تذكر الروايات التاريخية أنَّ المنصور كان يجلّ الصادق ويستشيره ويأمر وُلاته على المدينة باستشارته في الأمور. وأكثر من ذلك شجّع المنصور الصادق وأتباعه على التعمُّق في العلوم الشرعية والفقهية ليصرفهم عن السياسة. كما أن المنصور هو الذي أطلق لقب (الصادق)[١] على الإمام جعفر. ولم يدّخر المنصور وسعًا في الثناء على الصادق، فكان يعتبره من ألمع فقهاء عصره وأعلم المحدّثين في المدينة.

وفي رسالته إلى الثائر محمد النفس الزكية الحسني، أشار المنصور إلى الصادق فأطره واعتبره أفضل العلويين[٢]. والمعروف أنَّ الصادق وقف موقفًا سلبيًّا من ثورة النفس الزكية ولم يبايع لمحمد النفس الزكية، وحذّر أتباعه من الانضمام إليه حين تنبأ بفشل الثورة ومقتل النفس الزكية.

إنَّ هذه العلاقة الودية بين المنصور والصادق قد قاربت بين مذهب الخلافة العباسية وبين مذهب الصادق، والواقع فإنَّ تلك الفترة كانت فترة تكوين المذاهب حيث لم تتبلور فيها المذاهب بعد. ولذلك لا يمكننا أن نرى اختلافًا واضحًا بين مذهب الدولة ومذهب جعفر الصادق وأنَّ إطلاق تسمية "أهل السنة والجماعة" أو "الإمامية الاثنا عشرية" على مذهبي العباسيين والشيعة الجعفرية إنَّما وقع في فترةٍ متأخرةٍ عن الفترة التي نبحث فيها. ولهذا السبب ذاته نلاحظ أن الفقهاء والعلماء من أهل الحديث والقضاة الذين يعملون للدولة العباسية كانوا يجتمعون بالصادق

(١) الأصبهاني، مقاتل الطالبين، ص٢٥٦-٣٠٣.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٧، ص٥٦٧.

ويسألونه في المسائل الشرعية، فيفتي لهم ويأخذون برأيه دون أن يجدوا حرجًا في ذلك أو تمنعهم الدولة العباسية من ذلك. فقد اتصل بالصادق العديد من الفقهاء من أمثال مالك بن أنس وأبي حنيفة وابن أبي ليلى وابن شبرمة وسفيان الثوري وغيرهم. يقول المستشرق كب:

"ليس هناك في الحقيقة برهان قاطع في تلك الفترة عن أي انشقاق مذهبي بين السنة والشيعة المعتدلة، ولم يكن هناك من يهتم بإحباط نشاطهم أو معاقبتهم بسبب مذهبهم بشرط أن يظلُّوا على ما هم عليه من المثالية التي لا علاقة لها بالسياسة"(١).

ويلاحظ الأستاذ هودسون أنه كان يُنظر إلى جعفر الصادق كإمام من أئمة الحديث والفقه مثلُه كمثل مالك بن أنس وأبي حنيفة والأوزاعي وغيرهم من الفقهاء الذين يركزون اهتمامهم لإيجاد التشريعات المناسبة التي تساعد المسلمين على حلّ المشاكل التي تواجههم(٢).

ويؤكّد المستشرق وات(٣) تلك النظرة إلى آل الحسين، فيقول: لم تكن هناك حركة سرية ثورية غرضها إقامة خلافة يرأسها إمام من آل الحسين في تلك الفترة المبكرة التي نبحثها، وأن حركة الشيعة الإمامية (الاثني عشرية) لم تتبلور إلا حوالي سنة ٢٨٧هـ أو ٩٠٠م.

على أنَّ هناك فرقًا بين الصادق وغيره من المحدثين والفقهاء، ذلك أنَّه كان علويًّا فاطميًّا، وهذا ما جعله أكثر وزنًا ونفوذًا، وربما خطرًا من وجهة النظر

(1) H. Gibb، Government and Islam، E. DI. Islam، VIII، P. 118.

(٢) عمر، التاريخ الإسلامي، ص١٠٢، نقلا عن هودسون، المصدر السابق، ص١١.

(3) Watt، Shi'ism Under the Umayyads، J. R. A. S. P 169، 1960.

العباسية، خاصة وأن شيعة الصادق كانوا يعتبرونه إمامهم مستندين على مبدأ النص الذي أشرنا إليه سابقًا. على أنَّ الصادق فرّق بين الإمامة والخلافة؛ فالأولى رئاسة دينية وروحية. أما الثانية فهي سلطة دنيوية. وأكَّد الصادق أنه ليس من الضروري على الإمام أن يتقلد السلطة الدنيوية والدينية معًا إذا كانت الظروف غير مواتية لذلك.

لقد استطاع الصادق أن يقنع أتباعه بأن الظروف غير مناسبة لإقامة الخلافة العلوية، وبذلك برّر اتجاهه المسالم والودي تجاه العباسيين.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى بشّر الصادق أتباعَه بقرب ظهور (القائم) وهو الإمام السابع الذي سيقودهم إلى الثورة والسلطة[1]. إنَّ تبشير الصادق أتباعه بالقائم أدَّى إلى نقل آمالهم وطموحاتهم إلى خليفته، وبهذا تخلّص من إلحاح الشيعة عليه بضرورة الثورة ضد العباسيين، وأزال عبئًا ثقيلًا عن كاهله ووضعه على كاهل الإمام السابع الذي يخلفه في رئاسة الشيعة الإمامية.

ولم يكن الخليفة المنصور غافلًا عمَّا يدور في حلقات الشيعة من آراء ومعتقدات، ولذلك حاول أن يقابل أو يعارض كل فكرة علوية بأخرى عباسية. وذلك واضح في الرسائل المتبادلة بينه وبين محمد النفس الزكية. كما وأنَّ المنصور قابل فكرة المهدي أو القائم العلوي بفكرة المهدي العباسي والمنصور العباسي. ومقابل ادعاء العلويين بامتلاكهم العلم السِّرّي المتوارث عن الرسول ﷺ، ادعى المنصور أن للعباسيين علمًا سريًّا موروثًا حيث قال في وصيته لابنه المهدي:

---

(١) الكليني، الكافي، ١٣٠٢، ص١٤٨ فما بعد، العاملي، أعيان الشيعة، ج٤، ص١٦.

"انظر هذا السفط فاحتفظ به؛ فإنَّ فيه علم آبائك ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة".

وإذا أخذنا بنظر الاعتبار وجود فِرَقٍ شيعية متطرفة اعتقدت بآراء غالية حول الأئمة وصفاتهم؛ فإننا عند ذاك فقط ندرك لماذا تساهل العباسيون الأوائل مع الراوندية وهم الجناح المتطرف من الشيعة العباسية، والذين دانوا بآراء غالية حول الخلفاء العباسيين إلى درجة تقديسهم وتأليههم. وبمعنى آخر أراد العباسيون أن يجعلوا من الراوندية واجهة تغالي في تمجيدهم والدعاية لهم مقابل الفِرق المتطرفة الأخرى التي تشايع غيرهم وخاصة العلويين.

ولا ننسى أخيرًا بأنَّ العباسيين بعد أن وصلوا إلى السلطة لم يؤكدوا فقط قرابتهم للرسول ﷺ بل ادَّعوا بأن الرسول ﷺ قد أوصى لعمِّه العباس بن عبد المطلب من بعده!! وفي هذا معارضة لادعاءات الشيعة العلوية حول النص والوصية. وهكذا فقد ضرب العباسيون على نفس النغمة التي ضرب عليها خصومهم السياسيون، وساروا على نفس النهج مقابلين حجة بحجة وتكتيكًا بتكتيك مثله، وربما بأقوى منه؛ ذلك لأن العباسيين ادعوا بأنهم وصلوا إلى الحكم عن طريق الثورة التي أسقطت الأمويين، الأمر الذي لا يستطيع العلويون أن يدّعوه، ذلك لأنَّ حركاتهم كلّها انتهت بالفشل.

لقد أقلق الصادق تطوُّر الحركة المتطرفة في صفوف أتباعه بزعامة أبي الخطاب الأسدي؛ فقد استطاع أبو الخطاب أن يجمع حوله العديد من أتباع الصادق، وجذب إليه كذلك إسماعيل بن جعفر الصادق مكونًا نواة لحركة معارضة فعالة ضدّ السلطة العباسية. وحين سمع المنصور بفعاليات الخطابية، استدعى الإمام

الصادق وابنه إسماعيل إلى العراق، وحذّرهما من نشاطات الخطابية المتطرفة، ولكنَّه لم يمسَّهما بأذى بل قتل أحد أتباعهما وهو بسام بن عبد الله الصيرفي[١].

وثار أبو الخطاب وجماعته المنشقون عن الصادق في الكوفة سنة ١٣٨هـ، واستطاع والي الكوفة أن يقمع الثورة في مهدها، ويقتل أبا الخطاب والعديد من أصحابه، ولكن بقايا الخطابية ظلوا يدينون بالولاء لإسماعيل بن الصادق، وحين وافاه الأجل سنة ١٤٥هـ أو سنة ١٤٨هـ لم تعترف الخطابية بموته وادَّعوا أنه اختفى وسيعود حتمًا[٢].

وحين ثار محمد النفس الزكية الحسني في المدينة، التحق بعض أتباع الصادق به سنة ١٤٥هـ رغم تحذيرات الصادق لهم وتنبئه بفشل الثورة. ولعل الذي جذبهم إلى هذه الحركة كونها حركة مقاومة إيجابية تدعو لحمل السلاح ضدّ العباسيين أولاً، ثم إنَّها دعت إلى المنقذ المنتظر "المهدي" حيث أعلن محمد النفس الزكية أنه مهدي أهل البيت مما جذب إليه الكثير من الأتباع. ولعلّ ذلك يؤكِّد أن ولاء الشيعة العلوية كان لا يزال في ذلك الوقت من المرونة وعدم التبلور بحيث ينتقل الشيعي من الولاء لإمام علوي مُعَيّن إلى الولاء لإمام آخر، من فرع علوي آخر بكل سهولة ودون إحراج!! ولعلَّ من أبرز الأمثلة على ذلك المعلّى بن خنيس الذي كان من أتباع الصادق وأحد وكلائه، ولكنَّه استطاع أن يوفق بين ولائه للصادق وانتمائه إلى المغيرية، ثم حوَّل ولاءه إلَى حركة محمد النفس الزكية، وقد قُتل وهو يقوم بالدعاية للنفس الزكية.

---

(١) الكشي، رجال الشيعة، ص١٥٩.

(٢) عمر، التاريخ الإسلامي، ص١٠٤-١٥.

وفي سنة ١٤٧هـ، ذهب المنصور للحج واجتمع بجعفر الصادق، ولا شك فإنَّ المنصور أراد في لقائه بالصادق أن يؤكِّد رضاه على سياسة الصادق السلمية وتبرؤه من كل ما له علاقة بالحركات السياسية، وليظهر له بأنَّ السلطة العباسية تراقب الأمور عن كثب ويقظة(١)، تلك المراقبة التي أَوْدَت بحياة الكثير من الثوار أو المعارضين الفعالين، ومن بينهم عدد لا بأس به من أتباع الصادق نفسه.

أمَّا المأمون فإنه عندما أسند منصب ولاية العهد لعلي، وكان ذلك يوم الثلاثاء الثاني من رمضان سنة (٢٠١هـ/ ٨١٧م)- كان يقصد من هذه الخطوة إعادة بناء عناصر الثقة بين أطراف آل البيت؛ العلويين والعباسيين، ولتأكيد قصده زوجه المأمون ابنته أم حبيب(٢).

يقول النص: "الإمام التاسع وأيضًا الإمام العاشر كانَا تحت، ضغوط من الخلفاء العباسين الظلمة ومنعوهم من الاختلاط مع الناس، وكذلك منعوهم من تبليغ الدين، وكان أصحابهم المقربين يتصلون بهم بصعوبة.

الخليفة المتوكل العباسي أمر أن يدخلوا من فوق الجدران إلى منزل الإمام الهادِي ويفتشوا كل منزله وأن يحضروه إلى بغداد وأن يسجن في معسكر عسكري، وفي النهاية قتل هذا الإمام العزيز على يد المعتمد العباسي بالسُّمّ أيضًا.

وأيضًا الإمام الحادي عشرالحسن العسكري قضَى كل حياته في سامراء في أحد

(١) تشير بعض الروايات إلى أن المنصور استفسر من الصادق حول (الخُمس) الذي كان يدفعه الشيعة للإمام، وذلك لأن الخمس كان له مضمون سياسي، ويدل على ولاء الشيعة للإمام الصادق دون غيره. راجع: الكليني، الكافي، ج١، ص١٣٩-٣٥٥.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٣٣.

المراكز العسكرية، كان يعيش تحت مراقبة الخليفة المأمون وكان محرومًا من أي نوع من التبليغ أو الإرشاد.

لماذا كان أئمتنا الأعزاء يعيشون تحت ضغط من الحكام الظالمين في عصرهم ويتحملون السجن والتعذيب بهذا الشكل؟

هل لأنهم كانوا يُوجِّهون الناس للأحكام الإلهية ويدعون الناس إلى الصلاة والعبادات الفردية؟ هل السبب وراء كل هذا التعذيب والإذاء أن الائمة كانوا يسعون للوصول إلى حكومة إلهية، ويدربون الناس لهذا الغرض.

يقول الإمام الخميني بهذا الخصوص:

(استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام- وسجن وتعذيب ونفي تسميم الأئمة عليهم السلام، كل هذا كان نضال الشيعة ضد الظلم، وبكلمة واحدة: إن النضال والنشاط السياسي جزء مهم من المسؤولية الدينية).

يضيف النص: "في النهاية فإنَّ الإمام لثاني عشر هو غائب بأمر من الله، واستمرار النضال حول إلى علماء الدين ونواب الإمام الثاني عشر، هؤلاء وبتوجيهٍ من هذا الإمام الغائب فإنَّ واحدًا تلو الآخر كان ينضال ضد حكومات الظلم ومن بعده فإنه كان يسلم الراية إلى عالم ومرجع آخر، هذا الظلم استمرَّ حتى وقتنا هذا؛ فقد تحقق النصر على يد فقيدنا القائد نائب إمام الزمان حضرة آية الله العظمى الإمام فخميني، وسوف يستمر حتى النصر الكامل على عالم الكفر والظلم والغطرسة، وقلع شوكة أي نوع من الظلم والاستبداد، وظهور حضرة ولي العصر وتحقيق الحكومة الإسلامية العالمية"[١].

---

(١) فرهنك إسلامي وتعليمات اجتماعي، سال سوم، شركت جاب كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٩، ص٩٥-٩٦.

تحليل النص:

من الإمامة إلى ولاية الفقيه:

لم تكن فكرة الإمامة من البداية محددة المعالِم، كانت مفتوحة على التاريخ فقهًا واعتقادًا، ومن المفترض أن تمتد من بعد وفاة الرسول ﷺ إلى يوم القيامة يوصي بها كل إمام لمن بعده، فجوهر النظرية الإمامية يعتمد على القول بعدم جواز خلو الأرض من قائم لله بالحجة (الإمام)، ويجب أن يكون معصومًا، وتفوق أحيانًا تلك التي يثبتها أهل السنة والجماعة للنبيِّ، وهو مشرِّع ومبلِّغ عن الله يتَّصف بالعلم اللَّدُنّي الإلهي ويوحى إليه من الله بالإلهام، حتى ذهب بعض المناوئين للشيعة إلى اعتبار أنَّ الإمامة هي النبوة وتخالف ما تسمى بعقيدة ختم النبوة. قال هشام بن الحكم، أقدم المنظرين للإمامة وهو يحاور أحدهم: "ولا بدَّ من أن يكون في كل زمان قائم بهذه الصفة (العصمة) إلى أن تقوم الساعة[1].

ولكن بعد وفاة الإمام الحادي عشر الحسن العسكري في سامراء سنة ٢٦٠هـ دون إعلانه عن وجود خَلَفٍ له، أحدث شكًّا وحيرة بشأن مصير الإمامة. فافترق الشيعة إلى أربع عشرة فرقة كما يقول النوبختي في "فرق الشيعة"، واحدة منها فقط قالت بوجود خلف للإمام العسكري، وأن اسمه محمد، وقد أخفاه والده خوفًا من السلطة فستر أمره[2].

(١) الصدوق، علل الشرائع، ج ١، ص٢٤٠.

(٢) النوبختي، الشيعة ص ١١٨- ١١٩.

تعتقد الشيعة أن الإمام لابدَّ أن يكون معصوماً؛ لأن إمامته راجعة إلى الله تعالى لا إلى اختيار الأمة، لأنَّ الأمة ليست معصومة عن الخطأ، فكيف لها أن تختار معصومًا! وحيث إنَّ الشيعة يرون هذا الرأي نلاحظ أنَّ بدعتهم في ولاية الفقيه قد قلبت مفهومهم في الإمام المعصوم وعودته رأسًا على عقب وخصوصًا بما يتعلَّق باختيار الأمة لإمامها أو نائبه وصلاحيات هذا النائب الذي ينسخ عقيدة الشيعة في انتظار الفرج عن إمامهم المنتظر الذي طالت غيبته مما جعل اليأس والإحباط يملأ قلوبهم. ونقرأ هذا جليًّا في قول الخميني: "قد مر على الغيبة الكبرى[(١)] لإمامنا المهدي أكثر من ألف، وقد تمرُّ ألوف السنين قبل أن تقتضي المصلحة قدوم الإمام المنتظر، في طول هذه المدة المديدة هل تبقى أحكام الإسلام معطلة يعمل الناس من خلالها ما يشاءون، القوانين التي صدع بها في الإسلام ﷺ وجهد في نشرها وبيانها وتنفيذها طيلة ثلاثة وعشرين عامًا، هل كان ذلك لمدة محدودة؟ هل حدّد الله عمر الشريعة بمائتي عام مثلاً؟ وهل ينبغي أن يخسر الإسلام بعد عصر الغيبة الصغرى كل شيء؟ الذهاب إلى هذا الرأي أسوأ في نظري من الاعتقاد بأنَّ الإسلام منسوخ...)[(٢)].

---

(١) يدعي الشيعة أن لإمامهم غيبة صغرى وغيبة كبرى أما الغيبة الصغرى: فالإمام احتجب عن عامة الشيعة دون نفر قليل سموا رواة الحديث؛ إذ كان هؤلاء- حسب دعواهم- ينقلون إلى الإمام المزعوم مسائل الناس ومشاكلهم، ويعودون بالأجوبة عنها. أما الغيبة الكبرى: فإن الإمام المزعوم احتجب عن جميع الشيعة.

(٢) الخميني، الحكومة الإسلامية، ص٢٣-٢٤.

ومن خلال مقالة الخميني نستطيع أن نستنتج:

- أنَّ غيبة الإمام المنتظر قد طالت وربما تطول قرونًا ولا بدَّ من مخرج من هذا المأزق الذي وضعوا فيه أنفسهم جراء بدعتهم ومخالفتهم للإسلام وأصوله.
- أن الشيعة قد أصابهم اليأس من طول الغيبة المزعومة وخصوصًا أنَّهم لا يملكون شيئًا أمام هذه العقيدة التي صاغها الشيعة لأنفسهم.
- أن عقيدة الشيعة قائمة على عدم تطبيق الأحكام الشرعية إلا بوجود الإمام المعصوم حتى إنهم قالوا: "كل راية قبل راية القائم ﷺ صاحبها طاغوت"[١].

وأمام هذه الحقائق الواقعية حاول الخميني ومن أخذ برأيه الخروج من هذا المأزق ببدعة جديدة أطلقوا عليها اسم "ولاية الفقيه".

*** أدلة ولاية الفقيه:**

وعلى هذا كان لابدَّ لهؤلاء النفر أصحاب بدعة ولاية الفقيه من أدلةٍ نقليةٍ وعقليةٍ لتسويغ بدعتهم وتمريرها على أتباع المذهب الشيعي الرافضي ومن هذه الأدلة ما يلي:

أولًا - القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا** ﴾ [النساء:٥٨].

---

(١) أصول مذهب الشيعة الإمامية، ج٢، ص٧٣٨.

قال الخميني مستدلًّا بهذه الآية لتبرير بدعته: "إنَّ الخطاب مُوَجَّه إلى من يمسكون الأمور بأيديهم، وليس خطابًا للقضاة؛ لأن القضاة جزء من الحكومة"(١).

ثانيًا- الأحاديث المنسوبة إلى النبي ﷺ:

وجاء القوم بحديث منسوب إلى النبي ﷺ يقول فيه: "اللهم ارحم خلفائي- ثلاث مرات- قيل: يا رسول الله ومن خلفاؤك؟ قال الذين يأتون بعدي، يرون حديثي وسنتي فيُعلِّمونها الناس من بعدي".

وقد قال الخميني: "إنَّ المقصود بخلفاء الرسول أولئك الذين يسعون إلى نشر علوم الإسلام وأحكامه ولا علاقة لها بنَقَلة الحديث ورواته المجردين عن الفقه، فالمقصود هم فقهاء الإسلام الذين يجمعون إلى فقههم وعلمهم العدالة والاستقامة في الدين ليصل في نهاية المطاف إلى تبرير نظرية ولاية الفقيه وصلاحية الفقيه لتعمم جميع شؤون الحياة"(٢).

ثالثًا – أقوال منسوبة للإمام الغائب:

كما استدل أصحاب هذه البدعة بتوقيعٍ منسوب عن الإمام المغيب والذي زعموا فيه أنه قال: "وأما الحوادث الواقعة فارجعوا إلى رواة حديثنا؛ فإنَّهم حجتي عليكم وأنا حجة الله"(٣).

---

(١) الحكومة الإسلامية، ج ٢، ص٧٣٨.
(٢) الحكومة الإسلامية، ج٢، ص ٦٠- ٦٣.
(٣) آراء في المرجعية الشيعية، ص ٦٥.

قال الهمداني في شرح هذا القول: "يتضح من التأمل والتدقيق في الرواية المذكورة، التي هي الدليل لأساس على نصب الفقهاء في عصر الغيبة أنَّ الفقيه الذي يأخذ روايات الأئمة ويتمكن منها، يكون في موقعهم، ليرجع الشيعة إليه في الأمور التي يجب أن يرجعوا فيها إلى الإمام"[١].

صلاحيات الفقيه في ولايته

بعد أن أورد فقهاء الشيعة أدلتهم من أجل تبرير وتشريع بدعة ولاية الفقيه، اختلفوا في حدود وسلطات الفقيه الولي إلى اتجاهات ثلاثة[٢]:

الاتجاه الأول: يرى أن للفقيه ولاية عامة؛ فالفقيه هو نائب الإمام الغائب وله أن يملكه الإمام الغائب؛ إذ يرى الخميني أنَّ سلطة الفقيه أثناء ولايته سلطة مطلقة، لا تختلف أبدًا عن سلطة الإمام المعصوم، ولا حتى عن النبي ﷺ، ويستند في ذلك إلى التوقيع المزعوم للإمام المزعوم، الذي يقول فيه: "أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا؛ فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله".

فالخميني يرى أنَّ الفقيه حجة على أهل زمانه ولا فرق بينه وبين الإمام الغائب مما يعنِي حقيقة أن عقيدة ظهور الإمام أو عدم ظهوره أصبحت تحصيل حاصل للشيعة الرافضة ما دام هناك من يطبِّق شريعة الشيعة.

ثم يؤكد الخميني بدعته بقوله: "إنَّ جميع شؤون الرسول ﷺ قابلة للانتقال والوراثة، ومن جملتها الإمارة على الناس، وتولّي أمورهم، من كل ما ثبت للأئمة من

(١) آراء في المرجعية الشيعية، ص ٦٥.

(٢) آراء في المرجعية الشيعية، ص ١٣٧-١٣٨.

بعده وللفقهاء من الأئمة"[١].

ثم ينتهي إلى البدعة التي تمناها، فيقول: تبيَّن لنا أن ما ثبت للرسول ﷺ والأئمة فهو ثابت للفقيه[٢].

وتبعًا لهذه المقدمات نجد أنَّ الخميني أراد أن يلبس ولاية الفقيه لبوسًا مقدسًا؛ لذا فإنَّ الجاحد لولاية الفقيه يعتبر جاحدًا للإمام المعصوم والجاحد للإمام المعصوم يُعتَبَر جاحدًا لحقوق الله والجاحد للحقوق الله يقع في حدّ الشرك الأكبر عند الشيعة. وهذا ما عبر عنه الخميني عندما قال: "إنّ الرادّ على الفقيه الحاكم يعدّ رادًّا على الإمام، والردُّ على الإمام ردٌّ على الله، والردُّ على الله يقع في حد الشرك بالله"[٣].

ومما يؤكِّد على البدعة الكبرى التي ابتدعها الخميني أن هناك أعلامًا من المذهب الشيعي رفضت فكرة الولاية. ومن هؤلاء الخوئي الذي عارض عقيدة ولاية الفقيه فأسَّس جمعية في إيران سماها (جماعة الحجتية) أي جماعة الإمام الحجة، والتي ترفض الولاية من حيث المبدأ وتدعو إلى الالتزام بمبدأ الانتظار حتى يظهر إمامهم الغائب[٤].

كما نجد محمد جواد مغنية ينتقد ولاية الفقيه في كتاب أسماه "الخميني والدولة الإسلامية" الذي قال فيه: "إنَّ التفاوت في المنزلة يستدعي التفاوت في الآثار لا محالة، ومن هنا كان للمعصوم الولاية على الكبير والصغير حتى على المجتهد العادل، ولا ولاية للمجتهد على البالغ الراشد، وما ذاك إلا لأنَّ نسبة المجتهد إلى

---

(١) الخميني، الحكومة الإسلامية، ص٨٦.
(٢) الخميني، الحكومة الإسلامية، ص٨٨.
(٣) الخميني، كشف الأسرار، ص ٢٠٧.
(٤) فهمي هويدي، إيران من الداخل، ص ١٠٥.

المعصوم تمامًا كنسبة القاصر إلى المجتهد العادل"[١]. لذلك يصل جواد مغنية ومن أخذ برأيه إلى نتيجة مفادها أنه: "لا دليل على وجوب طاعة الفقيه كالإمام المعصوم، رغم ورود أخبار تبيِّن أنَّ العلماء كالأئمة فالإنصاف يقتضي الجزم بأن مقام العلماء لنشر الأحكام الشرعية، لا كون العلماء كالأنبياء والأئمة المعصومين"[٢].

ملخص الدرس:

يقول النص:

١- إدارة وقيادة العالم الإسلامي وحفظ وتوضيح العلوم الدينية، بعد وفاة الرسول هي بعُهْدة الإمام المعصوم والذي قُدِّم للناس من قبل الرسول، مهمة الناس أن يعرفوا إمامهم، وأن يقبلوا بولايته وقيادته وأن يسعوا في سبيل تثبيت الحكومة الإلهية.

٢- أئمتنا الأعزاء ومن أجل القيام بالمسؤوليتين الكبيرتين عليهم، قضوا كل أعمارهم في الجهاد ضد خلفاء الظلم، الذين جلسوا على الحكم بدون حقّ، واستشهدوا من أجل ذلك.

٣- في زمان الغيبة، فإنَّ مكافحة الكفر والاستبداد مستمرّ بقيادة الولي الفقيه، حتى ظهور حضرة ولي العصر، وتحقق الحكومة الإسلامية في كافة أنحاء العالم[٣].

---

(١) الخميني والدولة الإسلامية، ص ٦١- ٦٢.

(٢) الخميني والدولة الإسلامية، ص٦٣.

(٣) فرهنك إسلامى وتعليمات اجتماعي، سال سوم، ص ٩٦.

تحليل النص:

ولاية الفقيه، هذا ما يريده أهل العمائم، النيابة عن الإمام الغائب المزعوم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. يتمتعون بالأخماس وأموال المساكين من بني جلدتهم، الذين يدفعون راضين بأنَّ ذلك من موجبات محبة وطاعة الإمام المنتظر، إضافةً إلى هالة التقديس التي يحظون بها في المحيط الشيعي.

أليس في هذا استخفاف للعقل البشري؟

فكِّر وأجب:

١- وضِّح مسؤوليتي الرسول الأساسيتيْن.

٢- لماذا يتولَّى الإمام هاتين المسؤوليتين بعد وفاة الرسول؟ وبماذا يختلف عن الرسول في هذا الأمر؟

٣- من أئمتنا من استطاع أن يصل إلى حكم المجتمع الإسلام، كم المدة التي استمرَّ فيها حكمه؟

٤- لماذا كان للأئمة طرق مختلفة للقيام بمسؤولياتهم؟

٥- ما هو أسلوب الإمام السجَّاد- عليه السلام- لتوضيح علوم الدين للناس؟ ولماذا اتَّبع هذا الأسلوب؟

٦- ما هو أسلوب الإمام الباقر- والإمام الصادق- عليهما السلام- لتوضيح علوم الدين للناس؟ ولماذا اتَّبَعَا هذا الأسلوب؟

٧- الإمام السابع كيف قضى معظم مدة إمامته؟ وكيف استشهد في النهاية؟

٨- لماذا سافر الإمام الثامن إلى خراسان؟ ما هدف المأمون من الترتيب هذه السفرة؟

٩- وضِّح أمثلة على الضغوط التي تعرَّض لها الإمام الجواد، والإمام الهادي، والإمام العسكري عليهم السلام على يد حكَّام الظلم.

١٠-في فترة غياب الإمام الثاني عشر، كيف يؤدِّي علماء الدين ونواب الإمام مسؤولية قيادة النضال ضد الكفر والاستبداد؟ إلى متى يستمر هذا النضال؟ [١]

تحليل النص:

يريد الكاتب أن يوصِّل للطالب جملة من الأمور المهمة في الفكر الشيعي المتطرف:

١) مفهوم الوصاية لعلي بن أبي طالب، وأن الأئمة في درة قريبة من النبوة.

٢) أنه في ظل غياب الإمام لا بدَّ ممن ينوب عنه: "ولاية الفقيه".

---

(١) المصدر نفسه، ص٩٧.

دور الإيرانيين في حكومة بني العباس

العباسيون لم يكونوا يعرفون الطرق الصحيحة لإدارة البلاد، وقد وجد هؤلاء ومنذ البداية أنَّهم بحاجة إلى الإيرانيين لإدارة أراضيهم؛ لهذا اختاروا وزراءهم من بين الإيرانيين، الإيرانيون وبتشجيعهم إلى الكُتَّاب والشعراء، والكتاب أدَّى ذلك إلى ازدهار العلم والأدب في ذلك الوقت.

إحدى العائلات الإيرانية المعروفة التي كانت بعهدتها إحدى وزارت الحكومة العباسية كانت عائلة البرامكة[١].

تحليل النص:

نودُّ أن نؤكِّد على حقيقةٍ أشرنا إليها سابقًا أنَّ الأمويين وخاصةً في عهد الخليفة العظيم عبد الملك بن مروان الذي قعَّد أسس الدولة ونظَّم أمورها ونظَّمها.حيث اعتبر أنَّ عمل غير العرب وغير المسلمين في الدواوين وكذلك استخدام اللغات غير العربية في الدواوين أمرٌ يتنافَى مع عظمة الدولة وينتقص من سيادتها. فأصدر قراره التاريخي بتعريب الدواوين والعملة، وحقَّق بذلك مفهوم السيادة الكاملة للدولة العربية الإسلامية.

وقد استمر العمل في هذا البرنامج (التعريب طوال تاريخ دولة بني أمية). وعندما انهارت الدولة الأموية على يد بني العباس فإنَّ هذا لا يعني أنَّ العباسيين قضوا على كل النظم الإدارية والمالية في الدولة واستحدثوا مؤسسات جديدة. لكن

(١) تعليمات اجتماعي، بنجم دبستان، اداره كل جاب وتوزيع كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٨، ص٩٨.

الذي حدث أنَّ بنِي العباس بنَوْا على ما وجدوه من نظمٍ وأضافوا إلى ذلك نظمًا جديدةً مع التوسُّع الحضاري الذي شهده العصر العباسي، خاصةً أنَّ العصر العباسي شهد إلى حدٍّ كبير توقف حركة الفتوح، فانكفَأَ الناس للعمل بمختلف الشؤون ومزاولة المِهَن. وأخذ الناس يقتبسون من الحضارات القديمة ما يتواءم مع الدين والمجتمع.

صحيح أنَّ العباسيين استعانوا ببعض رجالات الفرس في إدارة الدولة، لكن هذا لا يعني أنَّ السبب هو تفوُّقهم على غيرهم. بل السبب في ذلك كان سببًا سياسيًّا. والمتمثِّل بأن العرب كانوا سندًا لبني أمية، وحجر الأساس لدولتهم، لذا لجأ العباسيون إلى الفرس، ثم بعد أن فقدوا ثقتهم بهم استعانوا بالأتراك في عهد الخليفة المعتصم.

كذلك إذا كان الكلام صحيحًا، فلماذا لم تَنْهَر مؤسسات الدولة بعد التخلص من البرامكة؟

يقول النص: "بعد بني أمية، وصل بنو عباس إلى السلطة وكانوا مخالفين لبني أمية، لم يكن للعباسيين سمعة جيدة بين الناس ولكنهم استطاعوا إلى السلطة عن طريق المكر والخدع، وللوصول إلى الحكم أرسلوا مندوبين إلى كافة المدن المختلفة من جملتها خراسان وأشهر من أرسلوا أبو مسلم الخراساني، إلى كل مكان وصل إليه المندوبون كانوا يدعون الناس للنهضة ليتولّى الحكم أحد أفراد عائلة الرسول، ولكنهم لم يقولوا من يقصدون، وبالتالِي كان ينضمّ إليهم كل من يحب عائلة الرسول والمعارضين لبني أمية وكان أكثرهم من الإيرانيين، وبعد هذه الثورة على بني أمية وانتصارهم، لم يعطِهم العباسيون فرصة للاختيار وفورًا جلسوا مكانهم،

أول من تولّى الحكم من العباسيين السفاح"[(١)].

وتستعرض النصوص موضوعات يُرَاد غرسها في ذهن الطالب؛ حيث تقول: "في الدرس الماضى عرفنا التغييرات التى حدثت في العصر الأموي، في هذا الدرس نقرأ عن التحولات السياسية في العصر العباسى ونبحث في طريقة تثبيت واستقرار الخلافة العباسية ودور الإيرانيين في هذا الأمر، وعوامل ازدهار الحضارة الإسلامية، دور الأئمة الشيعة في انتشار وتنمية الحضارة الإسلامية، وفي النهاية نتعرف على خلافة العباسين"[(٢)].

تحليل النص:

إن في تضخيم دور الفرس في قيام الدولة العباسية، حتى يشعر القارئ غير المتخصِّص بأن الثورة لم تكن لتنجح بدون الفرس.

لذا، لا بدَّ من توضيح حقائق الموقف، فلا يعنِي أنَّ مجرد انطلاق الثورة من خراسان، يعني ذلك أنَّ الفرس هم الذين أوقدوها، بل كان للقبائل العربية التي استقرَّت في خراسان منذ أيام الفتح دور في مجريات الثورة.

تتابع دخول الفرس في الإسلام بِخُطَى حثيثة عن اختيار حر واقتناع، ولم يُمارَس عليهم أي نوع من أنواع الإكراه[(٣)]، وكل ما كان يفعله المسلمون لجذب الفرس إلى الإسلام، وهو التعريف به وشرح مبادئه، ولما استقرَّ الفتح في العهد الأموي، خطا

---

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلى، مرحله دوم تعليمات عمومى، ص٢٩.

(٢) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته ادبيات وعلوم إنساني)، ص١٢٤.

(٣) آرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص٨٥-٨٦.

الأمويون خطوة كان لها أثر كبير في انتشار الإسلام في بلاد فارس، وهي التوسُّع في تهجير القبائل العربية إلى الأقاليم الفارسية، وبصفةٍ خاصة إلى خراسان، التي أصبحت إقليمًا ثغريًّا في العصر الأموي، لمواجهتها لأقاليم ما وراء النهر، فقد نقل زياد بن أبي سفيان إلى خراسان في سنة (٥١هـ) خمسين ألفًا بأُسَرِهم، من أهل البصرة والكوفة[١]، وتتابعت هجرات العرب إلى الأقاليم الفارسية للإقامة والسكنى بأعداد كبيرة، وكان لهؤلاء المهاجرين العرب أثر في انتشار الإسلام بين الفرس بالمخالطة وعن طريق القدوة، وإقامتهم لشعائر الدين[٢].

وهذه الهجرات العربية إلى أقاليم فارس، صاحبتها هجرة مضادة من الأقاليم الفارسية إلى الأمصار الإسلامية، وبصفةٍ خاصةٍ إلى البصرة والكوفة فقد قصدت أعداد كبيرة من الفرس- الموالي- هذه المدن للعمل في التجارة والأعمال الحرفية[٣]، كما عمل كثيرون منهم في دواوين الدولة، ففي ولاية عبيد الله بن زياد على البصرة (٥٥-٦٤هـ) كان عدد العمَّال من الموالِي المقيدين في ديوانه مائة وأربعين ألفًا[٤]، وقد يندهش البعض من ضخامة هذا العدد، ولكن الدهشة تزول إذا عرف أن ديوان البصرة كان يشمل الموظفين المدنيين في الكور والمقاطعات الفارسية الجنوبية حتى خراسان. ولقد أكثر ابن زياد من استخدامهم في الديوان لكفاءتهم ومهارتهم وأمانتهم، وقال بصدد ذلك: "كنت إذا استعملت الرجل من العرب على الخراج

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٥٠٧.

(٢) شكري فيصل، المجتمعات الإسلامية، ص٢١١.

(٣) حسن محمود، الإسلام في آسيا الوسطى، ص٥٦.

(٤) الطبري، ج٥، ص٥٠٤.

يكسره، فإذا أغرمته أوغرت صدور عشيرته، وإذا تركته تركت مال الله وأنا أعرف مكانه، فوجدت الدهاقين أبصر بالجباية، وأوفى بالأمانة، وأهون في الطلب منكم[١].

فوجود هذا العدد الكبير من الموالي في ديوان البصرة، يدلُّ على الثقة التي منحتها الدولة لهم[٢]، وقد كثر الموالي كثرةً هائلةً في الأمصار الإسلامية، وبصفة خاصة في البصرة والكوفة، وتركوا قُرَاهم فتأثرت الزراعة وتناقصت المحاصيل، مما جعل الحجاج الثقفي يعيد كثيرين منهم إلى مواطنهم الأصلية ليعملوا في الزراعة كما كانوا.

والذي نستخلصه من وجود الموالي بأعداد كبيرة في المدن الإسلامية واشتراكهم في الجباية، والأعمال الإدارية وغيرها من وظائف الدولة، بالإضافة إلى وجود أعداد كبيرة منهم في البيوت العربية، فقلما كان يخلو بيت عربي من وجود مولى أو أكثر فيه[٣]، الذي نستخلصه أنَّ هؤلاء أو معظمهم على الأقل قد اعتنقوا الإسلام، بل لم يكتفِ هؤلاء بالدخول في الإسلام وإنَّما اتخذوا أسماء وألقابًا عربية للمحافظة على أوضاعهم وزيادة حقوقهم، واستعرابهم على هذا النحو زادهم اتصالًا بالمجتمع والحكومة[٤].

---

(١) المصدر نفسه، ج٥، ص٥٢٣.

(٢) حسن محمود، العالم الإسلامي، ص٥٠، ٥٨.

(٣) أحمد أمين، فجر الإسلام، ص٩١.

(٤) حسن محمود، العالم الإسلامي، ص٥٠-٥١.

وباختصارٍ يمكن القول إنّ غالبية الشعب الفارسي قد تحول إلى الإسلام في العصر الأموي، وليس أدلَّ على ذلك من المشكلة التي أوجدها إقبال الفرس على الإسلام أمام ولاة بني أمية، فهؤلاء عندما رأوا أنَّ كثرة الذين دخلوا في الإسلام قد أدَّت إلى تناقص موارد بيت المال من الجزية التي كانت تُؤخَذ منهم قبل إسلامهم عمدوا إلى إبقاء الجزية عليهم حتى بعد إسلامهم، وكان هذا خطأً كبيرًا من الولاة الذين فضَّلوا الجباية على الهداية، وقد أزال عمر بن عبد العزيز هذا الخطأ، وصحَّح المسار الإسلامي، وكان تأثيرهم نافعًا إيجابيًّا في الناحية العلمية، فقد نبغ عدد كبير منهم- كما وضحنا ذلك فيما سبق- فازداد في عهده الإقبال على الإسلام زيادة كبيرة.

لقد أصبح الفرس في العصر الأموي عنصرًا مؤثرًا في الدولة والمجتمع الإسلامي، وكانوا موضع احترام وتقدير العرب بمن فيهم الخلفاء أنفسهم.

إلا أنَّهم أثَّروا تأثيرًا سلبيًّا، أو بمعنى آخر كان تأثيرًا معاكسًا للدولة الأموية، فقد ناصبوها العداء طوال تاريخها وانحازوا انحيازًا كاملًا لكل خصومها، فانضمُّوا إلى عبد الله بن الزبير وحاربوا معه. ولبّوا نداء كل ثائر أو خارج على الدولة، مثل المختار بن أبي عبيد الثقفي، وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، ويزيد بن المهلب، وغيرهم كما انضموا إلى الخوارج، وحاربوا في صفوفهم.

ثم تحالفوا تحالفًا رئيسيًّا مع الشيعة، فبالإضافة إلى اشتراكهم معهم في العداء الشديد لبني أمية فقد كان هناك سببان رئيسيان وراء مَيْل الموالي إلى الشيعة وتعضيدهم.

السبب الأول: أنَّ نظرية الشيعة في الإمامة وتخصيصها لآل البيت تنسجم مع نظرية الحكم الملكي الفارسي، التي كانت تقصر الملك على أسرة ملكية بعينها، يتوارثه أبناؤها فيما بينهم.

السبب الثاني: هو زواج الحسين بن علي بن أبي طالب من شاهبانو بنت يزدجرد الثالث آخر ملوك الأسرة الساسانية، فنظروا إلى ذرية الحسين منها على أنَّهم يحملون أنقى دم عربي، لانتسابهم إلى الرسول ﷺ من جهة أبيهم، وأنقى دم فارسي، لانتسابهم إلى ملوك الفرس من جهة أمِّهم. وعلى هذا فهم في نظرهم أحق الناس بالإمامة وحكم الأمة الإسلامية، فألقوا بكل ثقلهم وراء حركات الشيعة، ثم آل أمرهم إلى أن أصبحوا من أقوى دعائم الدعوة العباسية، التي استغلَّت ميلهم إلى آل البيت، واستثمرت جهودهم في تقويض الدولة الأموية.

هذا الموقف العدائي الشديد الذي وقفه الموالِي من الدولة الأموية جعل كثيرًا من الباحثين يظن أن هذا الموقف كان نتيجة ظلمٍ وقع عليهم من جانبها؛ لأنها كانت تتعصب للعرب ضدهم[1]، وهذا الظن بعيد عن الواقع إلى حد بعيد، فالدولة الأموية عُرِفت بسياسة التسامح تجاه أهل الذمة، فكيف يمكن أن نتصوَّر أن صدور خلفائها تضيق بالموالي وتضطهدهم وهم مسلمون؟ هذا بعيد جدًّا.

أما السبب الرئيسي لعداء الموالي للدولة الأموية- فيما أرى- فيَكْمُن في أنَّ كثيرين من الفرس لم يستطيعوا التخلص تمامًا من الماضي، ذلك الماضي الذي كانت لهم فيه السيادة والكلمة العليا، فلما فتح المسلمون بلادهم، وضمُّوها إلى الدولة

---

(١) انظر على سبيل المثال: أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج١، ص٣٧، النجار، الدولة الأموية في المشرق، ص١٤٩ وما بعدها، ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية، ج٢، ص٣٢٧.

الإسلامية، عزَّ عليهم أن يحكمهم العرب، فعملوا كل ما في وسعهم لتقويض الدولة الأموية.

ناصبت هذه الطوائف العرب العداء، وخصَّت الأمويين بالنصيب الأكبر منه، باعتبارهم أصحاب الدولة ويمثلون السيادة العربية في نظرهم. ولما كانوا لا يستطيعون الدعوة صراحةً لإقامة حكومة فارسية عندما كانت الدولة الأموية قوية وفي عنفوانها، فقد عمدوا إلى تقويضها -كخطوة أولى- عن طريق الانضمام إلى كل ثائرٍ عليها، ولما نجحوا في نهاية الأمر في القضاء عليها لم يقنعوا بما أتاحه لهم العباسيون من مشاركةٍ في الحكم وإدارة الدولة، بل حاولوا السيطرة والاستحواذ على السلطات كلها، ومن هنا بدأ صدامهم مع العباسيين منذ بداية دولتهم، وكان أول من تنبَّه لخطر بعث الروح القومية الفارسية، وطموح الفرس إلى السيطرة على الدولة، هو أبو جعفر المنصور، الذي تخلَّص من أبي مسلم الخراساني، صاحب الدور البارز في القضاء على الدولة الأموية والبطل القومي في نظر الفرس، ثم جاءت نكبة البرامكة على يد الرشيد، ونكبة بني سهل على يد المأمون.

كل ذلك يؤكِّد أن الفرس كانوا يسعون إلى الإطاحة بالحكومة العربية وتحويلها إلى حكومة فارسية، ولما لم يستطيعوا ذلك في العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٣٢هـ) لوجود خلفاء أقوياء، كانوا يقفون لحركتهم بالمرصاد فقد انتظروا حتى مضى عصر الخلفاء الأقوياء. وجاء العصر العباسي الثاني وضعفت سلطة الخلافة العباسية وفاعليتها، فأخذوا يقطعون أوصالها ويقيمون دولًا مستقلة على حسابها.

من كل ما تقدَّم يتضح أن القول بأن عداء الفرس الموالي للأمويين كان نتيجة الظلم والاضطهاد والتعصب ضدهم، هو قول بعيد عن الواقع، فلم تكن هناك

سياسة عامة مرسومة للدولة الأموية لاضطهادهم، أو التعصب ضدهم، ولم يكن هناك مجال من مجالات العمل موصد أمامهم، إلا المناصب العليا، التي كانت تفرض الضرورة أن يحتفظ بها العرب في تلك المرحلة؛ لأنهم كانوا آنئذ أكثر فهمًا للرسالة، وأهدافها من غيرهم، ولم يكن متصورًا ولا معقولًا أن يقيم العرب دولة ثم يسلمونها للفرس، وليس هذا من التعصب في شيء، بل هو من باب المحافظة على الكيان الذي جاهد العرب في إقامته.

وإليكم جملة من الأدلة على عروبة الثورة العباسية:

هذه بعض الدلائل التي تُثْبِت عروبة الثورة العباسية أي أنَّها حدث يهمُّ القبائل العربية من أهل خراسان بالدرجة الأولى وبكلمة أصحّ أن الدور البارز والفعَّال قام به العرب الخراسانية رغم اشتراك غير العرب فيها كذلك. لقد أوردنا أغلب هذه الدلائل في مناقشتنا لطبيعة الثورة وواجهاتها، إلا أنَّ هذه الدلائل ربما جاءت مُبَعْثَرة بين أحداث الثورة ومجرياتها ولذلك رأينا أن نجمعها هنا على شكل نقاط[1]:

١- أن المستأثرين من العرب المستقرين التابعين لقبائل متباينة الذين حرموا من العطاء نظروا بعين الحسد إلى إخوانهم العرب المقاتلة من أصحاب الامتيازات. وتذمروا كذلك من تسلُّط الدهاقين عليهم في واحة مرو. كان هؤلاء يأملون تغيرًا في الطبقة الحاكمة. وهذا يفسر حقيقة كسب الثورة العباسية للعرب من اليمانية والربعية والمضرية الذين كانوا يشعرون بخيبة أمل.

---

(١) انظر تفاصيل ذلك: الثورة العباسية، حيث استوعب الباحث الموضوع في دراسته بالاعتماد على المصادر الأصلية.

٢- وكان للعرب المقاتلة من أصحاب الامتيازات المسجلين في ديوان العطاء مشاكلهم كذلك مع السلطة الأموية تتعلق بسياسة التجمير وحصتهم من الفيء والغنيمة وكذلك بضرورة بقاء وارد خراسان في خراسان لكي يصرف على تحسين حالتها، وألا تأخذ منه الخزينة المركزية إلا بمقدار حصتها، ولقد رأى هؤلاء في الدعوة أملًا جديدًا لحياة أحسن.

٣- لقد سكن العرب في القرى الواقعة في واحة مرو وكان لهم حاميات عسكرية في عددٍ من المدن الخراسانية ولذلك كانت الدعاية العباسية مُركَّزة في هذه المناطق فلقد أدرك الدعاة بأن العرب وحدهم مصدر السلطة؛ لأنهم مصدر القوة الضاربة الوحيدة. ومن أجل الوصول إلى السلطة يجب أولًا كسبهم إلى الدعوة، ولم يفضِّل الدعاة في البداية قبيلةً عربيةً على أخرى رغم أنهم حصلوا على عضد من اليمانية أكثر من المضرية، إلا أنهم كانوا دائمًا يرحبون بالمضريين والربعيين الذين يرغبون في الانضمام للدعوة.

ولا ينكر انضمام غير العرب إلى الدعوة إلا أنَّهم كانوا أيضًا إلى جانب الأمويين ولا يمكن مقارنتهم من حيث الدور والفعالية بالعرب.

٤- يظهر أنَّ عرب خراسان سئموا النزاع فيما بينهم وليس أدلّ على ذلك من تسمية تلك الأيام بأيام الفتنة وأيام الفورة وأيام العصبية.

٥- يورد الجاحظ افتخار العرب بدورهم في الدعوة العباسية فيقول:

"إن العربي يقول... وهل أكثر النقباء إلا من صميم العرب ومن صليب هذا النسب... وبعد فمن هذا الذي باشر قتل مروان، ومن هزم ابن هبيرة، ومن قتل ابن ضبارة، ومن قتل ابن حنظلة إلا عرب الدعوة والصميم من أهل الدولة".

٦- من شعارات الثورة العباسية "يا محمد يا منصور" ولعل هذا الشعار دليل واضح على تركيز الدعوة على القبائل اليمانية خاصة في خراسان؛ ذلك لأن المنصور هو المنقذ المنتظر لقبائل اليمن الذين يسمونه (منصور اليمن) أو (منصور حمير). وقد اتخذ الخليفة الثاني أبو جعفر لقب المنصور لأسباب سياسية كذلك.

٧- لقد أظهرت حوادث الثورة العباسية أنَّ الإيرانيين في مناطق مختلفة لم يشتركوا في الثورة ولم ينحازوا إليها، بل إنَّ قسمًا منهم في جرجان، ومنها وفد نيشابور وبلخ، انحاز إلى نصر بن سيار والأمويين. ولم تشترك في بلاد ما وراء النهر أية مدينة في الثورة فلو كان الضغط الاقتصادي والاجتماعي للإيرانيين قد بلغ ما يصوِّره هؤلاء المؤرخون دعاة التفسير العنصري لانتهزت تلك المدن فرصة الثورة وهبّت عن بكرة أبيها ضد الأمويين.

ثم لماذا لم يساند الإيرانيون الدولة العباسية بعد نشوئها إذا كانت قد قامت على أكتافهم وحققت رغباتهم؟ إن إيران كانت في العصر العباسي من أكثر المناطق اضطرابًا وعدم استقرار.

٨- قال أبو مسلم الخراساني مخاطبًا شيعة العباسيين في خراسان:

"أمرني الإمام (إبراهيم) أن أنزل في أهل اليمن وأتالف ربيعة ولا أدع نصيبي من صالحي مضر وأحذر أكثرهم من اتباع بني أمية وأجمع إليّ العجم...". وكان الإمام محمد العباس قد أوصى أبا عكرمة السراج بما يُشابِه هذه الوصية؛ حيث قال:

""فلتكن دعوتك إلى الرضا من آل محمد... وليكن اسمي مستورًا من كل أحد إلا عن رجل توثَّقت منه وأخذت بيعته. فإذا قدمت مرو فاحلل في اليمن وتألَّف ربيعة وتوقَّ مضر وخذ نصيبك من ثقاتهم".

٩- ولعلَّ سبب اختيار خراسان مكانًا للثورة هو أنَّ العرب لم يصابوا فيها بانتكاسة أو ضربة قوية لعدم قيام ثورات علوية أو غيرها فيها وربَّما كان مغزى قول محمد العباسي حين أرسل دعاته إلى خراسان.

كما أنَّه "في خراسان جمجمة العرب وفرسانها، هؤلاء الفرسان المتمرسين على القتال السنوي مع الكفار عبر بلاد ما وراء النهر".

١٠- لقد كان النقباء في غالبيتهم من العرب من خزاعة وتميم وطي وشيبان وبجلة. وكذلك نظراء النقباء والدعاة.

١١- لقد كان العمل مشتركًا في مجلس النقباء أنَّهم حاولوا دومًا أن يبرزوا دور سليمان بن كثير الخزاعي رئيس النقباء. والواقع أنَّ سليمان الخزاعي رئيس النقباء، وقد لعب دورًا رئيسًا في الدعوة والاتصال بابن الكرماني والمفاوضات مع نصر، وتحركات الجيش العباسي. ولعلَّ إبراز الدعوة لسليمان الخزاعي كان حركة بارعة لإظهار الواجهة العربية المتمثلة بالخزاعي من أجل كسب العرب.

١٢- حاول نصر بن سيار أن يفرِّق بين العب من أنصار العباسيين حيث أشار إليه أحد قواده قائلاً: "ما أهون شوكة هؤلاء أن كفَّت عنهم اليمن وربيعة"، مِمَّا يدلّ على مساندة هذه القبائل للثورة.

١٣- تشير بعض الروايات إلى أنَّ أنصار العباسيين كانوا علوج القرى وسقاط العرب، على أنَّ رواية الجاحظ تؤكِّد أنَّهم عرب إلا أنَّ استيطانهم في القرى وامتزاجهم بالسكان المحليين أدَّى إلى صعوبة تمييزهم:

"وقد نرى الناس من أبناء الأعراب والإعرابيات الذين وقعوا إلى خراسان فلا نشكُّ أنهم علوج القرى" ولذلك فليس من المستغرب أن يحتفظ المقدسي بالمثل القائل: (رجال مرو من قراها).

١٤- تحفل المصادر التاريخية بذكر أسماء القواد والوجوه الذين ميَّزوا أنفسهم بما قاموا من أعمال في سبيل الدعوة.

١٥- وفي (الصحيفة الصفراء) وهي الوصية التي سُلِّمت إلى محمد بن علي العباسي من قبل أبي هاشم يأتِي ذكر العرب كأنصار للدعوة: "... وأي أحياء العرب أنصارهم".

١٦- وفي حديثٍ للمنصور بعد قيام الدولة العباسية يذكر فيه أنَّ الدعوة قامت على أكتاف اليمانية وأن النقباء كلهم يمانية. ثم يقول عن اليمانية: "فيحقُّ لنا أن نعرف لهم حق نصرهم لنا وقيامهم بدعوتنا ونهوضهم بدولتنا".

١٧- وقد خاطب المنصور أثناء حصار واسط اليمانية قائلاً: "السلطان سلطانكم والدولة دولتكم".

١٨- وحين يتكلم صاحب كتاب (الإمامة والسياسة) عن الجيش العباسي يفرِّق بين أهل خراسان من العرب وبين الفرس فيقول إن تعداد الجيش كان ١٢ ألفًا من أهل خراسان سوى الأعاجم.

١٩- وقد طلب عبد الله بن علي العباسي العون من اليمانية حيث حاصر دمشق قائلاً: "إنكم وإخوتكم من ربيعة كنتم بخراسان شيعتنا وأنصارنا... فانصرفوا وخلوا بيننا وبين مضر".

وهكذا نلاحظ أنَّ العناصر التي قامت بالثورة العباسية كانت عربية في غالبيتها، أي أن العرب شكلوا القوة الضاربة في الثورة. ابتداء وانتهاءً.

وبذلك حقَّق العباسيون هدفهم من الثورة باستلامهم قيادة الدولة العربية في

مرحلتها التاريخية الجديدة التي امتدَّت زهاء خمسة قرون ونصف تقريبًا كشفوا فيها عن أصالة الفكر العربي الإسلامي وإبداعه في خدمته الإنسانية.

الصورة التي رسمتها الكتب المدرسية من خلال النصوص السابقة:

الكتب المدرسية بكاملها تهدف إلى إبراز دور الفرس في التاريخ الإسلامي عبر عصوره المختلفة، والفرس لا يقبلون التبعية، فثاروا بحجة المطالبة بحق آل البيت، كما أنهم أثروا في المحتل حضاريًا، ولولاهم لما قامت الدول.

أولاً: صورة العرب:

إن الكتب المدرسية صورت العرب قبل الإسلام بأنهم قبائل بدوية همجية، تحتكم للسيف لحل مشاكلها، تمتهن المرأة وتحتقرها، لدرجة أنها تحرم من الميراث، كما كانت تنتشر بينهم عادة وأد المواليد من البنات، وكانت هذه العادة منتشرة بين الكثير من القبائل، وأن المجتمع العربي مجتمع مليء بالكذب والفساد، وأن هؤلاء البدو لم يملكوا أيًا من مقومات الحضارة.

أما في أحداث التاريخ الإسلامي، فلم نلحظ للعرب أهل السنة أيضًا صورة واضحة في ذلك، فقد حاول النص تجاهل دورهم في مجريات الدعوة الإسلامية، وإذا أُريد إبرازهم، فهم أعداء الدعوة النبوية، فقريش وزعماؤها "كانوا يشعرون بالخطر من الإسلام"، وأبو سفيان (الأموي) كان من أشهر المعادين للإسلام.

ثم جميع أهل السنة، الذين أشار إليهم النص، كانوا في نظر الكاتب (وشيعته) أعداء لآل البيت، فعائشة- أم المؤمنين- وطلحة والزبير ﷺ أعداء لعلي بن أبي طالب، وحريصون على إشعال نار الفتنة التي أدت إلى موقعة الجمل.

أما معاوية بن أبي سفيان ﷺ، فهو مخادع، وهو الذي خدع علي بن أبي طالب ﷺ بمساعدة عمرو بن العاص في التحكيم، بل دس السم لقتل الحسن بن علي بن أبي طالب، وأن معاوية لأجل تحقيق أهدافه استعان بعدد من العرب الماكرين، أمثال عمرو بن العاص. حتى الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، رغم كل الجهود التي بذلها في توحيد المجتمع الإسلامي، فإن ما قام به كان لأجل تخفيف سخط العامة عن الأمويين؛ "قام بإجراء بعض التغييرات الإصلاحية؛ ليقلل من غضب عامة الناس من الأمويين".

أما يزيد بن معاوية، فقد "فرح بشهادة الإمام حسين (عليه السلام)"، لذا فالأمويون عبر فترة حكمهم ناصبوا آل البيت العداء.

وإذا انتقل إلى العباسيين (وهم عرب وجزء من آل البيت)، فلم ينجوا من تهجم كاتب النص، فقد وصلوا إلى الحكم "عن طرق الخداع والمكر".

فأهل السنة- كما ذكرنا سابقًا- في النص يظهرون وكأنهم عنصر ثانوي في أحداث تاريخ المسلمين، وكأنهم ليسوا هم الذين نشروا الإسلام في الجزيرة العربية.

ثانيًا: صورة الفرس (الإيرانيون):

حاولت الكتب المدرسية تجسيد صوره منمقة للفرس عبر مراحل وعصور التاريخ الإسلامي، تبدأ هذه الصورة بالظهور في غزوة الخندق في السنة الخامسة للهجرة، من خلال موقف ورأي سلمان الفارسي بحفر الخندق حول المدينة النبوية.

وبعد صلح الحديبية، يشير النص إلى أن أول الرسائل التي بعث بها النبي ﷺ إلى ملوك الأرض آنذاك، يدعوهم فيها إلى الإسلام، كانت إلى ملك إيران.

وأن الإيرانيين دخلوا في الإسلام بدافع جاذبية الإسلام، وليس بفعل الجيوش الإسلامية التي توجهت شرقًا في عصر الفاروق، والتي استطاعت أن تنشر الإسلام بعد القضاء على دولة الفرس.

وتبرز صورة الفرس بشكل أوضح مع مطلع العصر العباسي، فقد حاول النص جاهدًا إبراز الفرس في مجريات التاريخ العباسي، من خلال القول بأن الفرس- وبسبب ظلم الأمويين لهم وإذلالهم- ساهموا في الثورة على الأمويين، كما أن إقليم خراسان هو الذي رجَّح كفة العباسيين على الأمويين، كما أبرز النص دور أبي مسلم الخراساني في الثورة العباسية، وأنه محور الثورة، والتي لم تكن لتنجح بدونه، إلا أنه ورغم الجهود التي بذلها في تأسيس حكم بني العباس، والقضاء على بني أمية، نجد أبا جعفر المنصور يقتله "بالحيلة والجبن".

وفي خلافة هارون الرشيد، فإن البرامكة- "وهم من العائلات العريقة"- هم الذين كانوا يدبرون أمر الدولة، فكانت "وزارة الرشيد بأيديهم، وكانوا مشهورين بالقدرة، حتى أصبح مقام الخليفة العباسي في الواقع مقامًا تشريفيًا"، ولكن هارون الرشيد "حسدهم" على هذه المكانة، فتخلص منهم بالقتل، فكان ذلك وبالاً على الدولة العباسية، فقد "وضع هذا القتلُ العامُّ الحكومةَ العباسيةَ في مشاكل عديدة، وكذلك العباسيون ليس لديهم القدرة على إدارة شئون البلاد" من دون الفرس.

ولولا الفرس لما استطاع المأمون إنهاء الصراع مع أخيه الأمين، وكسب منصب الخليفة، فقد حرص المأمون على كسب حماية الإيرانيين، وقد استطاع طاهر الإيراني "قائد خراسان" أن يهزم جيش الأمين، الذي كانت تحميه "عائلة عباسية". أدرك المأمون طبيعة العلاقة التي تربط بين الإيرانيين وأئمة الشيعة، لذلك- وحتى يكسب ودّهم- أجبر الإمام الرضا على تولي منصب ولاية العهد.

***المنهج الذي كُتبت به نصوص الكتب المدرسية:**

يلاحظ من القراءة المتأنية للنص، أن كاتبه أراد منه إبراز دور الفرس (الإيرانيين) في صنع أحداث التاريخ الإسلامي، وأن هؤلاء الفرس ناصروا المظلوم (آل البيت)، لذا جهد الباحث كثيرًا لإبراز هذه العلاقة التوءمية بين الإيرانيين وآل البيت، واتبع منهجية في كتابته قامت على:

أولاً: اختيار الروايات والنصوص التي تظهر دور الفرس بمعزل عن العناصر الأخرى في صنع مجريات الأحداث التاريخية، بحيث تظهر للقارئ أنه لولا الفرس لما قامت الحضارة والدولة الإسلامية.

ثانيًا: ولأجل تحقيق الهدف المنشود، فقد حاول النص الإساءة إلى كل من عارض الفرس وقاومهم في فكرهم ومشروعهم القومي، فالعرب- مُمثَّلون بأبي جعفر المنصور وهارون الرشيد- هم أعداء الفرس الذين قتلوا قادتهم أمثال أبي مسلم والبرامكة"، الذين أسسوا نهضة الدولة.

ثالثًا: الملاحظ أيضًا على منهجية كاتب النص أنه اعتمد اعتمادًا كبيرًا على مصادر فارسية وشيعية مفرطة في التعصب.

رابعًا: قام منهج الكاتب على التعصب الواضح للفرس من خلال إبراز دورهم، عبر مراحل التاريخ.

خامسًا: محاولة طمس الحقائق وتزييفها؛ كبيعة الرسول ﷺ بالخلافة لعلي بن أبي طالب من بعده، وأن معاوية بن أبي سفيان أسلم بعد الفتح.

سادسًا: كل ما سبق يهدف من خلاله إلى تجذير روح الكراهية والحقد ضد أهل

السنة، فبهذه الكراهية يبقى الشيعة ملتفين حول الملالي (أصحاب العمائم)، والذين يستغلون عامة الشيعة لتحقيق مصالحهم المالية (الخمس).

القيم التي حاولت الكتب المدرسية التركيز عليها:

١- تحاول الكتب المدرسية التأكيد على أحقية آل البيت بالخلافة والإمامة، وأن هذا الحق منصوص عليه من سنة الرسول ﷺ كما جاء في واقعة غدير خم.

٢- أن المسلمين (العرب) قد تآمروا على آل البيت، وانتزعوا أمر الخلافة والحكم من آل البيت في سقيفة بني ساعدة، باختيار أبي بكر الصديق خليفة.

٣- يرى الشيعة أن ما بنى على باطل فهو باطل، فإذا كانت خلافة أبي بكر- في نظرهم باطلة- فإن خلافة كل من عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان باطلة أيضًا.

٤- أن الأمويين ناصبوا آل البيت والشيعة العداء، فكرههم واجب، بل هو جزء من عقيدة التشيع لآل البيت، فهم لم يظلموا آل البيت فحسب، بل خرجوا عن الملة، ويجب تكفيرهم.

٥- أن العباسيين وصلوا للخلافة بالخداع والمكر، واستغلوا شعار الرضا من آل محمد لكسب دعم الشيعة، لكنهم بعد أن حققوا غايتهم، تخلوا عن الشيعة، بل قتلوهم وناصبوهم العداء.

٦- يحول النص ترسيخ دور الفرس في أحداث التاريخ الإسلامى، ومدى ارتباط الإيرانيين بآل البيت، وأنهم ساهموا مساهمة فعالة في نصرة التشيع وآل البيت.

٧- التأكيد على مظلومية الحسين، وتوظيف حادثة مقتله ﷺ في مجال الدعاية،

واستغلالها لأقصى حد في مجال الحشد الجماهيري، والتعبئة الفكرية والنفسية للأتباع والمريدين، خاصة في الوضع الراهن.

لما فتحت إيران على يد الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب، ومزق جموعها، وهدم كيانها، نقم أهل إيران على الفاروق ورفقته من الصحابة، لما جبلوا على ملوكيتها، فوجد الفرس مزرعة خصبة لغرس بذور الفتنة. وكان من الاتفاقات أن ابنة يزدجرد (ملك إيران) شهربانو، تزوجت من الحسين ﷺ بعدما جاءت مع الأساري الإيرانيين، لذا فقد ساهم هؤلاء في الفتنة الأولى، وخاصة بعدما رأوا أن الدم الذي يجري في عروق علي بن الحسين، الملقب بزين العابدين، وفي أولاده دم فارسي من قبل أمه، التي تعتبر لدى الفرس من سلالة مقدسة، لذا دخل الفرس في التشيع، وتعاونوا مع اليهود وغيرهم من العناصر المتربصة بالمسلمين. يقول المستشرق الإنجليزي براون- الذي سكن إيران طويلاً، ودرس تاريخها دراسة وافية-: "إن من أهم أسباب عداوة أهل إيران للخليفة الراشد الثاني عمر هو أنه فتح العجم، وكسر شوكته، غير أنهم (أهل إيران) أعطوا لعدائهم صبغة دينية، وليس هذا

إن تصرف كثير من الشيعة- خاصة الإيرانيين منهم- من منطلق مجوسي شعوبي، منعهم من مراجعة كثير مما تراكم لديهم من الثقافات القديمة، وما صدر عنها من الأحكام والعقائد، وحال ذلك دون تقويم ذاتهم، أو استدراك أخطائهم، أو حتى التسليم للثوابت الشرعية التي جاءت لتخرجهم من الضلال إلى النور، ودفعهم حنينهم لعزة الماضي إلى التمسك بعادات الفرس وتقاليدهم، فما لبثوا على مدى العصور يحتفلون بعيدي النيروز والمهرجان، اللذين هما في الأصل عيدان مجوسيان، كما أنهم ما أرّخوا منذ تمكنوا في الأرض إلا بأسس التأريخ الفارسي.

وهذه العرقية والشعوبية المتعالية زادتهم تمسكًا بلغتهم وتقاليدهم، وحرّمت عليهم استخدام اللغة العربية، وزرعت في نفوسهم احتقار أهلها على اعتبار أنهم "أعراب" جاءوا من جزيرة العرب، فشكل ذلك كله دوافع مكبوتة لم يتمكن الشيعة من التصريح بها، إلا أنهم تصرفوا من خلالها، فأوقعتهم في تناقضات داخلية وخارجية غير مبررة لدى الغير، لكن أسبابها كانت مفهومة عند علمائهم.

كما اعتقد الشيعة بأن الدم الفارسي دم فريد، وعرق أسمى بين الأمم، جعلوا ذلك– كما أشرنا سالفًا– مدخلاً لتعظيم سلالة علي بن أبي طالب ﷺ على سلالات الصحابة جميعًا (رضوان الله عليهم)، بل جعلوا سلالة الحسين بن علي ﷺ أسمى من سلالة الحسن، بالرغم من اشتراكهما في النسب، وليس الأمر يتعلق بقرابته من النبي ﷺ، ولا بانتسابه لآل البيت، ولو كان كذلك لما فرّقوا بين سلالة الحسين والحسن؛ فالأمر مردّه إلى معتقد قديم عندهم، ومبني على رواسب فكرية وعقدية ورثوها من أجدادهم المجوس؛ فالحسين بن علي رغم تزوجه بست نساء، خمس منهن من أصول عربية، إلا أن الشيعة لم يُعظموا منهن إلا زوجته الثانية، التي هي بنت آخر ملوك الفرس يزدجرد الثالث، والتي ولدت له ابنه علي زين العابدين (السجاد)، والذي أصبح فيما بعد الإمام الرابع من أئمتهم الاثني عشر، ومن سلالته كان بقية الأئمة، على الرغم من أن الحسين ﷺ كان له أربعة من الولد، ثلاثة منهم من الأمهات العربيات.

كان ارتباط الشيعة بآل البيت عاطفيًا، وقد دعتهم العواطف إلى تعظيمهم، وتحولت العواطف إلى نظرية الاستشفاع بهم، بعدما أسبغوا عليهم من صفات وقدرات خارقة للعادة؛ لذا أقاموا لهم الأضرحة، التي تحولت إلى مزارات، ومن ذلك مشهد الحسين في كربلاء، ومشهد علي بن أبي طالب في النجف، ولم يكتف

الشيعة بذلك، بل وترغيبًا لأتباعهم من أبناء المذهب، أوردوا أقوالاً نسبوها لأئمة الشيعة في فضل زيارة قبر علي بن أبي طالب، كالذي رووه عن جعفر الصادق أنه قال: "من زار أمير المؤمنين عارفًا بحقه، غير متجبر ولا متكبر، كتب الله له أجر مائة شهيد، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر"، وكذلك: "أتى رجل إلى الإمام جعفر الصادق وأخبره أنه لم يزر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فقال: بئس ما صنعت، لولا أنك من شيعتنا ما نظرت إليك".

قال الإحقاقي: "إن الصدمات التي واجهها كل من شعبي إيران والروم الكبيرين، نتيجة لحملات المسلمين، والمعاملة التي تلقوها من الأعراب البدائيين الذين لا علم لهم بروح الإسلام العظيمة- أورثت في نفوسهم نزعة صدود عن العرب، وشريعة العرب، فطبيعة سكان البادية الأوباش الخشنة، وذلك الخراب والدمار اللذان ألحقوهما بالمدن الجميلة والأراضي العامرة في الشرق والغرب، وغارات عباد الشهوات العطاشى إلى عفة وناموس الدولتين الملكية والإمبراطورية... إلخ".

يَعْجب المرء لماذا يبكي الشيعة مقتل الحسين ﷺ، ولا يبكون لمقتل أخيه أبي بكر، ولا لابنه أبي بكر (رضي الله عنهم أجمعين)، اللذين قُتلا معه، أليس هذان من أهل البيت أيضًا، أم أنهما يحملان اسمًا لا يرغب الشيعة بإذاعته بين عامة الشيعة، حتى لا تنكشف حقيقة المحبة بين أهل البيت والصحابة، وعلى رأسهم أبو بكر وعمر (رضي الله عنهما)؟.

فمن هم آل البيت؟

يميل الشيعة إلى حصر أهل البيت النبوي في الابنة الصغرى للنبي ﷺ فاطمة، وزوجها علي، وابنيها الحسن والحسين، وتسعة من نسل الحسين، الذي كان قد تزوج من ابنة الإمبراطور الفارسي يزدجرد على عهد عمر بن الخطاب، ويخصون هؤلاء بصفات مثل الولاية الوراثية الشاملة، والعصمة، وعلم الغيب.. إلخ.

ثم يعمدون إلى إغفال خلفاء المسلمين وقضاتهم عبر العصور، والتقليل من شأن منجزاتهم في نصرة الإسلام والمسلمين، وهذا يشمل مع من يشمل جيل الصحابة الكرام (رضوان الله تعالى عليهم أجمعين)، إلا من ثبت لدى علماء الشيعة بالدليل القاطع أنه قد ناصر عليًّا ؓ، ولم يعارضه في شيء أبدًا.

أما جمهور علماء المسلمين، فإنهم يعتبرون أهل البيت كل من حرمت الصدقة عليه من أقرباء النبي (عليه الصلاة والسلام)، ويشمل هؤلاء النبي وآله، وجعفرًا وآله، وعقيلاً وآله، والعباس وآله.

كما يعتبر علماء المسلمين زوجات الرسول من أهل البيت بنص الآية الثالثة والثلاثين من سورة الأحزاب، إذ يخاطبهن الله بقوله: ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ [الأحزاب:٣٣].

هل نستطيع حقًا حصر أهل البيت في عدد محدود يختارهم لنا الشيعة؟ هل توجب علينا محبة واحترام صالحي أهل البيت كراهية ولعن آلاف الصحابة الكرام؟ وماذا عن عثمان الذي تزوج اثنتين من بنات النبي، وله ابن من واحدة منهن؟ وماذا عن ذريتها؟ وماذا عن ذرية الحفيد الأول للنبي، الحسن؟ ألا تعتقدون أن عليًا

والصالحين من نسله أول من يستنكر هذا الغلو الذي يقلب الحب إلى ضده؟ تخيل إنسانًا يغالي في المدح لدرجة يمقتها السامعون، أليس ذلك أشبه بالاستهزاء من الثناء؟ وأقرب من المدح إلى القدح؟

لذلك، فإن غلاة الشيعة يرفضون هذا الوصف لآل البيت، ويهدفون من ذلك غرس الحقد والضغينة في قلوب الناس ضد أبي بكر وعمر وباقي الصحابة من العشرة المبشرين بالجنة، إلى صغيرهم وكبيرهم، حَمَلَة الدين، وورثة النبي الكريم، المبلغين رسالته، والناشرين دعوته، والرافعين رايته، والمجاهدين في سبيل الله، والممدوحين في كلام الله، حتى لا يبقى للمسلمين تاريخ يمجدونه، ورجال يفتخرون بهم، ومثلٌ عُلْيا يقتدون بها، وقدوات يهتدون بها، فيقعوا في خيار الأمة حتى ينجروا إلى الخوض في سيد الخلق، ورسول رب العالمين محمد بن عبد الله ﷺ، ويبتعدوا عن القرآن الكريم، ويشكوا فيه، القرآن الذي أنزله الله على نبيه وفيه مدح لهؤلاء، والرضا عليهم، والمباهاة بهم.

فهم يرون أن جميع الصحابة ما عدا أربعة قد ارتدوا عن الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ، لا لشيء إلا لأنهم- كما زعم الشيعة- قد خالفوا أمر الرسول بأن تكون الولاية والإمامة من بعده لعلي ﷺ.

السؤال: ماذا يقول هؤلاء الغلاة في قول رب العزة (عز وجل) في وصف الصحابة: ﴿ **لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا** ﴾ [الفتح: ١٨]. والرضا من الله صفة قديمة، فلا يرضى إلا عن عبد علم أن يوافيه على موجبات الرضا، ومن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبدًا، فكل من أخبر الله عنه أنه رضي عنه، فإنه من أهل الجنة،

وإن كان رضاه عنه بعد إيمانه وعمله الصالح؛ فإنه يذكر ذلك في معرض الثناء عليه، والمدح له، فلو علم أنه يتعقب ذلك بما يسخط الرب لم يكن من أهل ذلك، فمن أخبرنا الله (عز وجل) أنه علم ما في قلوبهم، ورضي عنهم، وأنزل السكينة عليهم، فلا يحل لأحد التوقف في أمرهم، أو الشك فيهم البتة.

﴿ **لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [التوبة: ١١٧].

لا يختلف اثنان أن كبار الصحابة، أمثال الخلفاء الراشدين والمهاجرين والأنصار، هم أول من شملتهم هذه الآيات الكريمة، فضلاً عن بقية الصحابة، وعددهم ثلاثون ألفًا؛ فالسابقون الأولون مشهورون ومعروفة أسماؤهم، ولا يجهلهم أحد على مستوى العالم بأسره، وقد نصّ القرآن أن الله قد رضي عنهم، وبشرهم بالجنة، فكيف نترك كلام الله ونسمع لمن في قلبه مرض، الذي يريدنا أن نبغض من أحبهم الله؟ هل بلغ بنا الغباء أن نسجُر أنفسنا بنار جهنم، فنعادي ونحارب من أحبهم الله؟

وهذه آيات عامة تزكي المهاجرين والأنصار وصحابة رسول الله عمومًا:

﴿ **وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ** ﴾ [الحشر: ٩].

﴿ **لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ** ﴾ [الحشر: ٨].

ووجه آخر حارب الفرس به العرب المسلمين، تمثل بالحركة الشعوبية التي تمثل واحدة من فصول مخطط المؤامرة على الإسلام.

وقد عمدت الشعوبية إلى مهاجمة العرب حَمَلَة لواء الإسلام، وأصحاب الدولة الإسلامية في تاريخهم، وأسلوب حياتهم، ومهاجمة التاريخ الإسلامي واللغة العربية، والطعن في أصول القيم الإسلامية وجذورها. كذلك عمدت الشعوبية إلى إذاعة المجون والشراب، والمجاهرة بالخلاعة والانحراف الجنسي، واعتبرت ذلك نوعًا من التحرر والظرف.

ويذكر الدكتور الدوري في مقدمة كتابه "الجذور التاريخية للشعوبية"، أن حاضر الأمة نتاج سيرها التاريخي، وبداية طريقها إلى المستقبل، ولذا فلا انقطاع في التاريخ، ولا ظاهرة تبدو فيه دون جذور وتمهيد، ويضيف قائلاً: "لكل هذا نريد إلقاء نظرة علمية نقدية على جذور الشعوبية في المجتمع العربي، ولا حاجة بنا إلى وصف الشعوبية المعاصرة، بل يكفينا أن نفهم الجذور فهمًا عامًا سريعًا يرسم الخطوط، ويكشف الخيوط، وكلنا ثقة بأن الروح العلمية خير سبيل لفهم الذات، ولمعرفة النفس، ومن عرف نفسه وعَى تجربته، وأدرك طريقه.

ويبدأ الكتاب بالحديث عن بذور الحركة الشعوبية، ثم عن البيئة العامة للشعوبية وبداياتها وتطورها ورجالها ومخططها الفكري، ويرى الدكتور الدوري أن المنطقة التي نشطت فيها الشعوبية نشاطًا خاصًا هي العراق وإيران والأندلس، ويُرجع السبب في نشاطها هذا إلى أن الإسلام قد قضى في هذه البلاد على حضارات كانت قائمة، فعزَّ على شعوب هذه المناطق خضوعها للعرب، وارتفعت أصوات تدعو إلى نبذ التراث العربي، والاستهانة بالثقافة العربية الإسلامية.

ويبين الدكتور الدوري أن هذه الحركة الشعوبية قد بدأت في العصر الأموي مستترة بستار إسلامي، فقد دعت إلى مساواة الموالي بالعرب، واستندت في دعوتها إلى القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد ساعد الشعوبيين في دعوتهم هذه أن بعض الأحزاب السياسية العربية قد نادت بوجوب تحقيق المساواة التي جاء بها الإسلام، كالخوارج مثلاً، ومثل هذه المطالبة تبدو معقولة لو كانت بعيدة عن الهوى، ولكن الدكتور الدوري يبين- بجلاء- أن هذه الدعوة إلى المساواة لم تكن إلا ستارًا يخفي وراءه كراهية العرب، كما يورد الشواهد التي تدحض مزاعم القائلين بانعدام المساواة.

كما يبين أن العصر العباسي شهد ألوانًا من الشعوبيين، فهناك العامة، وهم جلُّ هذه الفئة، وهناك دهاقين الفرس من أمثال آل برمك، وبني سهل، وطاهر بن الحسين، والأفشين، وهناك الحركات الدينية؛ كالخرمية والمانوية والزرادشتية وغيرها، وهناك الشعوبيون من الأدباء والكتّاب، وهَمّ هذه الفئة جميعًا هو الدعوة إلى إزالة السلطان العربي، وإحياء مجد الفرس، ومحاربة الإسلام، والعودة إلى المجوسية، وقد انتشرت هذه الحركات الشعوبية في إيران، في المناطق التي تكثر فيها الجماعات غير المسلمة، وهي مناطق واقعة على الأطراف، مثل خراسان وأذربيجان وما وراء النهر.

ويرى الدكتور الدوري أن الشعوبيين ركزوا هجومهم بادئ ذي بدء على العرب قبل الإسلام، فهاجموهم في أسلوب حياتهم، وفصاحتهم، وأساليب قتالهم، وأنسابهم، وعلاقاتهم الاجتماعية، وكرمهم ومروءتهم ومقاييسهم الخلقية. وقد يظن المرء أنهم تعففوا عن تهجمهم على العرب في ظل الإسلام تقديرًا منهم لدورهم الحضاري فيه، ولكن الصحيح أن سكوتهم هذا إنما كان خوفًا من سطوة السلطان

والمتدينين، ولكن التستر لم يطل، فامتد هجومهم إلى فترات التاريخ الإسلامي، فشوّهوا هذه التاريخ، وقد فصّل الدوري هذا الدور الذي لعبوه في كتابه "مقدمة في تاريخ صدر الإسلام".

تأسيس الحكومات المستقلة في إيران

يقول النص: "بعد أن كشف ظلم بني العباس، قامت ثوراث عديدة ضدهم، حاول الإيرانيون أن يتخلصوا من نفوذ حكم العباسيين، إدارة بعض أجزاء من البلاد، ونتيجة هذه المحاولات تشكلت في إيران عدة حكومات مستقلة "[1].

* إيران في القرون الإسلامية الأولى:

يقول النص: "بعد هزيمة الحكومة الساسانية على يد الجنود العرب، لم يسلم الإيرانيون مباشرة، ولكن على أساس الفهم والمعرفة والإدراك العميق لمحتوى الإسلام، أسلموا بمرور الوقت، نمط عمل الخلفاء الأمويين كان بنمط العنصرية القومية والعرقية، وهذا مخالف لتعاليم وآداب الإسلام النقية، هذا الأمر أثر بالمسلمين الإيرانيين وبالطبع سبب أيضًا ظهور ردود فعل لدى الإيرانيين وكانت على شكل حركات سياسية واجتماعية متعددة بدأت في العصر الأموي واستمرت أيضًا إلى العصر العباسي"[2].

---

(١) تعليمات اجتماعي، بنجم دبستان، اداره كل جاب وتوزيع كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٨، ص١٠٠.

(٢) تاريخ إيران وجهان ١، ص١٣٢.

***الحركات السياسية والاجتماعية:**

يقول النص "بتوسع الأقاليم الإسلامية، عين الخلفاء الأمراء والقادة لإدارة هذه الأقاليم، ولكن بالتدريج ظهر بعض القادة الطامعين بالسلطة والجاه، ولجأوا إلى القوة العسكرية، بتشكيل حكومات مستقلة ونصف مستقلة عن الخلافة العباسية. [١]

يضيف النص: "قامت الحركات السياسية والاجتماعية في القرون الإسلامية الأولى، وتقسمت وفقًا لاتجاهات مختلفة.

١- الحركات التي نشأت نتيجة لتحفيز الشعور الوطني، سعت لإحياء الثقافة والدين والنظام الاجتماعي الذي كان سائدًا قبل الإسلام، وهذا معارض للفكر الإسلامي، هذه الحركات نقلت المعاداة في العهد الأموي من المعاداة الشديدة للعرب إلى معاداة الأمويين، طبعًا استمرت هذه الحركات حتى العصر العباسي.

بعض هذه الحركات أخذت الطابع الديني وادعى بعض قادة هذه الحركات النبوة، والبعض الآخر اتخذ الاتجاه السياسي، بهذا الأمر يجب أن نذكر جهود بعض الأشخاص مثل مازيار ومرد آويج، ولكن أي من هذه الحركات لم تصل إلى أهدافها كما يجب[٢].

فكر وأجب:

وبعد نهاية النص، تطرح الأسئلة والنشاطات التالية على الطلبة لترسيخ بعض

---

(١) المصدر نفسه، ص١٣٢.

(٢) المصدر نفسه، ص١٣٢.

الأفكار:

برأيك لماذا لم يكن لهاتين الحركتين قاعدة بين الناس في إيران ولم يساندهم الإيرانيون؟[(١)]

الحركات التي استطاع قادتها بالخبرة والذكاء استطاعوا أن يفصلوا ما بين الأصول والعقائد الإسلامية وبين نمط الخلافة الأموية، هؤلاء أسلموا ولكنهم خالفوا وكافحوا وبطرق مختلفة الحكم الأموي والعباسي، كان اتجاه الناس في إيران كبيرًا بعائلة الرسول ﷺ ونشر التشيع في إيران وكانوا يدركون بعمق أن هؤلاء هم الورثة الأصليون للرسول ﷺ ويجب أن يكونوا الخلفاء والأمراء من بعده، ويساند الإيرانيون في هذا الدعاة العباسيين وحركة مرتدي الأسود في خراسان، رغم أن هذه الحركة لم تنجح في الوصول إلى أهدافها، وقتل أبو مسلم بطريقة جبانة، ولكن بعض العائلات مثل البرامكة وآل سهل استطاعوا وبذكائهم الوصول إلى التشكيلات الإدارية والسياسية في الخلافة العباسية ووصلوا إلى مناصب عالية، واستطاعوا بشكل أو بآخر التمهيد لاستقلال إيران، بعد ذلك شكل المسلمون الإيرانيون منهجين فكريًا وسياسيًا[(٢)]:

أ- منهج يعتمد على فكرة تحقيق استقلال إيران السياسي عن الحكومة العباسية، هذا المنهج عن طريق رجال السياسة الإيرانيين والسعي لإيجاد حكومات مستقلة ونصف مستقلة، وكان من نتائج هذا المنهج تأسيس حكومات الطاهريان، الصفاريان والسامانيان.

(١) المصدر نفسه، ص١٣٢.

(٢) المصدر نفسه، ص١٣٢-١٣٣.

ب-منهج العلاقة المتينة بعائلة الرسول ﷺ والالتحاق بالمذهب الشيعي من خلال السعى إلى الحصول على الاستقلال السياسي، وكذلك السعي إلى إيجاد الهوية المستقلة للحضارة[١].

تحليل النص:

كما يقال: من فمك أدينك. إذًا فإن الثورات التي شارك بها الفرس ضد الدولتين العباسية ومن قبلها الأموية كانت بدافع قومي فارسي، وليس كما يزعمون لأجل المطالبة بحق آل البيت في الحكم والخلافة. وهذا ما يؤكد بالدليل القاطع أن الفرس عندما فشلوا في تحقيق حلمهم بالقضاء على الدولة الإسلامية، نحو تجاه التشيع، ليسبغوا على مطالبهم وثوراتهم طابعا دينيا، وأن هدفهم إحقاق الحق وإعادته إلى أصحابه.

*** الطاهريان فجر استقلال إيران:**

يقول النص: " تشكلت أول حكومة نصف مستقلة إيرانية كانت بقيادة طاهر ذو اليمينين، فتح طاهر بغداد خلال الخلاف الذي حدث بين الأمين والمأمون وقتل الأمين ونظم الخلافة للمأمون، لهذا كلفه بالإمارة على خراسان (٢٠٥ هـ- ق)"[٢].

يضيف النص: "في القرن الثاني للهجرة توسعت أقاليم الخلافة العباسية كثيرًا، هذه الأقاليم شملت مساحات شاسعة من الأراضي وأجناسًا مختلفة من الناس، الخليفة كان يعين لهذه الأقاليم حكامًا وكان يطلق عليهم اسم الأمير"، "وفي أوائل القرن الثالث أرسل الخليفة العباسي المأمون أحد قادته الإيرانيين باسم طاهر أميرًا

---

(١) المصدر نفسه، ص١٣٣.

(٢) المصدر نفسه، ص١٣٣.

على خراسان، طاهر كان ينوِي تشكيل حكومة مستقلة، لذلك وبمجرد أن سنحت له الفرصة استغلها، وأعلن أنه لن يطيع المأمون بعد الآن، وبالتالي فإنَّ أول حكومة نصف مستقلة تشكلت في إيران، هذه الحكومة عرفت باسم حكومة طاهريان نسبة إلى مؤسسها طاهر، حكومة طاهر بعد أن أصبحت كامل خراسان تحت أيديهم بشكل كامل، بعد ذلك اتخذوا من نيشابور عاصمة لهم، الطاهريان كانوا يهتمون بالبناء والعمران وحماية المزارعين، لهذا كان المزارعين في عهدهم يعيشون في وضع مريح"[(١)].

تحليل النص:

حاول النص كالعادة تمجيد القادة الفرس، كطاهر بن الحسين والِي خراسان، وحاول إظهاره بصورة القادة العظام الذين تحدوا الخلافة العباسية.

ولكن إذا كان طاهر- الإيراني- والذي يفترض أنه لأجل إحقاق حق آل البيت في الحكم والإمارة، فلما لم يعلن ذلك، خاصة وأنه تحدَّى المأمون، واستقل بالمشرق (خراسان).

أضف إلى ذلك لم يُشِر النص إلى الموقف العدائِي الذي وقفه طاهر الإيراني، ضد آل البيت، فلما ادَّعى محمد بن القاسم العلوي الإمامة في خراسان، طارده عبد الله ابن طاهر وأسره وأرسله إلى المعتصم سنة (٢١٩هـ/ ٨٣٤م)[(٢)].

---

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلى، مرحله دوم تعليمات عمومى، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٩، ص٣٤.

(٢) انظر التفاصيل، عبد العزيز الدوري، دراسات في العصر العباسي المتأخر، مطبعة الريان، بغداد ١٩٤٥، ص١١١.

أليس الضرورة السياسية ومصلحة استمرار حكمهم كانت أقوَى من الهوى الإيراني لآل البيت؟

لماذا يحمل النص مسؤولية انهيار الدولة الطاهرية للصفارين وغيرهم، ولم يشر إلى فساد حكامهم في الفترة المتأخرة من حكمهم أمثال محمد بن طاهر، وكان يميل للهو والمجون، فخسر إمارته وبلاده ليعقوب الصفار سنة (٢٥٩هـ/ ٨٧٢م)[١].

تفسير:

يقول النص: "سمى طاهر بـ (ذو اليمينين) وحسب رواية طاهر أنه ذهب إلى الإمام الرضا عليه السلام ليبايعه على ولاية عهد المأمون، مد طاهر يده اليسرى ولم يمد يده اليمني؛ لأن يده هذه كانت مشغولة بمبايعة المأمون لهذا أطلق عليه المأمون هذا الاسم، ومن ناحية أخرى كان طاهر شجاعًا وعنده مهارة خاصة باللعب بالسيف بكلتا يديه ولهذا سمى بـ (ذو اليمينين)". [٢]بعد سنة أسقط طاهر اسم الخليفة من الخطبة، وطبع عملة نقدية باسمه، وبهذا ادعى الاستقلال إلا انه توفي بعد فترة قصيرة، ومع خوف المأمون من شغب الخوارج في سيستان وأيضًا علاقة جند خراسان مع العائلة الطاهرية أدى إلى أن يعين المأمون أبناء طاهر لإمارة خراسان.

يضيف النص "حكومة عبد الله بن طاهر تعرف بالعصر الذهبي لحكومة الطاهريان، كان له اهتمام خاص لترويج ونشر الثقافة، ولتعميم الثقافة والعلم

---

(١) الطبري، تاريخ ج٩، ص٥٠٧.

(٢) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته أدبيات وعلوم إنساني)، ص١٣٤.

وضع خطة مشابهة لخطة التعليم الإجباري ومحو الأمية، أصدر أوامره ألا يحرم الأطفال الفقراء من الذهاب إلى المدارس وأن تقدم لهم وسائل التعليم، حتى لا تضيع موهبة أحد[١].

اهتم عبد الله بن طاهر أيضًا بالزراعة والمزارعين اهتمامًا خاصاً، وفتح القنوات حتى يستفيد منها المزارعون، كان هناك خلافات بين المزارعين، ولذلك قام بجمع فقهاء العراق وخراسان حتى يدنوا الأحكام المتعلقة بالقنوات، كان هذا الكتاب لفترة مرجعا لحل الخلافات، الإجراء الآخر الذي قام به وهو الحد من ظلم المالكين ووكلاء الضرائب الذي أدى إلى تدمير القرى وفرار المزارعين[٢].

يضيف النص: "استمرت حكومة الطاهريان حوالي نصف قرن، ولكن هناك عدة عوامل أدت إلى انهيارها ومن بين هذه العوامل الشغب المستمر الذي كان يقوم به الخوارج في سيستان وظهور حركة العياران بقيادة يعقوب ليث وحركة العلويين في طبرستان، بالنهاية وبانتصار يعقوب ليث في نيشابور انقرضت دولة الطاهريان سنة (٢٥٩ هجري – قمري)[٣].

---

(١) المصدر نفسه، ص١٣٤.

(٢) المصدر نفسه، ص١٣٤.

(٣) المصدر نفسه، ص١٣٤.

الأمراء الطاهريه

ميلادي

هجري قمري

اسم الأمير

٨٢٠

٨٢٢

٨٢٨

٨٤٤

٨٧٢

٢٠٥

٢٠٧

٢١٣

٢٣٠

٢٤٨-٢٥٩

طاهر ذو اليمينين

طلحة

عبد الله

طاهر الثاني

محمد

طاهر ذو اليمينين

٢- طلحه ٣- عبد الله علي

سليمان ٤- طاهر الثاني مصعب

٥- محمد حسين [١]

(١) المصدر نفسه، ص١٣٤ .

تفسير:

سألوا محمد بن طاهر آخر أمير من سلالة الطاهريان عن سبب زوال حكومة الطاهريان فقال: الشرب في الليل والنوم في الصباح، وتسليم المناصب العالية لمن هم ليسوا أهلا لها.[1]

تحليل النص:

حاول النص كالعادة تمجيد القادة الفرس، كطاهر بن الحسين والي خراسان، وحاول إظهاره بصورة القادة العظام الذين تحدوا الخلافة العباسية.

ولكن إذا كان طاهر – الإيراني- والذي يفترض أنه لأجل إحقاق حق آل البيت في الحكم والإمارة، فلم لم يعلن ذلك؟ خاصة وأنه تحدى المأمون، واستقل بالمشرق (خراسان).

أضف إلى ذلك لم يشر النص إلى الموقف العدائي الذي وقفه طاهر الإيراني ضد آل البيت؟ فلما ادَّعى محمد بن القاسم العلوي الإمامة في خراسان، طارده عبد الله ابن طاهر وأسره وأرسله إلى المعتصم سنة (٢١٩هـ/ ٨٣٤م)[2].

أليست الضرورة السياسية ومصلحة استمرار حكمهم كانت أقوى من الهوى الإيراني لآل البيت؟.

إذًا فساد حكامهم في الفترة المتأخرة من حكمهم أمثال محمد بن طاهر، والذي

(١) المصدر نفسه، ص١٣٥.

(٢) انظر التفاصيل، عبد العزيز الدوري، دراسات في العصر العباسي المتأخر، مطبعة الريان، بغداد ١٩٤٥، ص١١١.

كان يميل للهو والمجون، أدى إلى خسارة إمارته وبلاده ليعقوب الصفار سنة (٢٥٩هـ/ ٨٧٢م)[١]

ثورات بابك ومازيار

يقول النص: "الأقاليم الأصلية للطاهرين كانت نواحِي شرقي إيران، أما النواحي الغريبة فكانت ما تزال تحت حكم خلفاء بغداد، في أوائل حكومة الطاهرين ثار شخص من أذربيجان باسم بابك على الخليفة، كان بابك عدوًّا للخليفة واستطاع في الكثير من الحروب أن يهزم جند الخليفة، سبب هو وجنده الكثير من المشاكل للخلفاء العباسيين لأكثر من عشرين عامًا ولكن في النهاية كان جنود الخليفة يقمعونهم"[٢].

ضعف الطاهريان والقضاء عليهم

يقول النص: "بعد بابك قام أحد كبار منطقة طبرستان باسم مازيار بثورة، ولكن ثورته لم تَدُم طويلًا؛ لأن الطاهريان قمعوهم".

يضيف النص: " ثورة بابك ومازيار فتحوا الأعين على القسم الشرقي من إيران، آخر أمراء الطاهريان لم يكن شخصًا قادرًا، بالنتيجة ضعفت حكومة الطاهريان وقضي عليها في أواسط القرن الثالث الهجري على يد يعقوب ليث"[٣].

---

(١) الطبري، تاريخ ج٩، ص٥٠٧.

(٢) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلى، مرحله دوم تعليمات عمومي، ص٣٤.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٥.

حكومة العلويين والديلمان

يقول النص: "تحتوي أراضي مازندران وجيلان، من ناحية الطبيعة على طبيعتين؛ جبلية وغابات، منذ القدم كانوا يطلقون على المناطق الجبلية وجيلان، (ديلم) ومازندران (طبرستان) في الدرس الثالث قرأنا لماذا لم يستطع العرب أن يفتحوا جزءًا من هذه المناطق، منذ القرن الثالث الهجري انتشر الإسلام في هذه المنطقة وظهرت فيها حكومات اشتهرت بالحكومات الديلميه[١].

في هذا الدرس نتعرف على بعض هذه الحكومات باختصار:

الديليمان يستقبلون العلوين في طبرستان

يقول النص: "في أواسط القرن الثالث الهجري كان فريق من نسل الإمام علي عليه يُسَمّون بالعلويين، كانوا يعيشون بين الناس في طبرستان وديلم وكان لهم نفوذ هناك، وقد عرفوا الناس بالدين الإسلامي، العلويون كانوا يريدون الاستقلال، وبالتدريج زادت قوتهم وبمساعدة هؤلاء الناس استطاعوا أن يؤسسوا الحكومة العلوية، مركز الحكومة العلوية كان مدينة آمل، على الرغم من أنَّ حكومة العلويين في انقرضت في بدايتها على يد السامانيين، ولكن بدء نشاط بين أتباعهم وجندهم لتشكيل حكومة، ومن نتائج هذا تأسيس حكومة من قبل سلسلتين آل زيار وآل بويه"[٢].

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٩.

(٢) تاريخ، سال دوم، دوره ي راهنمايى تحصيلي، مرحله دوم تعليمات عمومي، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٩، ص٣٩.

يتسأل النص: "كيف انتشر الإسلام في سواحل بحر الخزر؟ الولايات الساحلية في بحر الخزر وجبالها الصعبة العبور والغابات الكثيفة وبالإضافة إلى صمود الناس لسنوات طويلة أمام الغزو العربي الإسلامي، لم تنجح جهود الفاتحين العرب في إخضاع هذه الولايات بالطرق العسكرية، ولكن دخلها الإسلام بالتدريج وبشكل سلمي، ساعد وجود السادة العلويين الذين كانوا تحت مراقبة وكلاء الخليفة العباسي، وكانوا يسكنون في هذه المنطقة، في الترويج ونشر الدين الإسلامي الشيعي، وذلك بسبب التصرفات الجيدة والأخلاق الحسنة والسلوك الإنساني هناك كان أرضية مناسبة لنشر الإسلام في هذه المنطقة"(١).

تحليل النص:

أفضل من كتب عن موضوع بلاد الخزر وانتشار الإسلام فيها كان حسينا الداقوقي المتخصص في هذا الموضوع. فقد أشار في كتابه "دولة البلغار المسلمين في حوض الفولجا"، جاء في الصفحة ١٣٣، إلى أن التجار المسلمين كانوا أول من ادخل الإسلام إلى تلك البلاد.كذلك كان للقادمين من بلاد خوارزم دور مهم في انتشار الإسلام في تلك البلاد منذ القرن الثاني للهجرة.

الثورة بقيادة العلويين: يقول النص" سكان هذه المناطق كانوا من المزارعين المجتهدين وكانوا يقعون تحت استغلال فريقين، من ناحية من قبل أصحاب الأراضي المحليين والعائلات الحاكمة القديمة، ومن ناحية أخرى من الحكام الطاهريين ومن معهم وبمصادرة الأراضي والمواقع العامة، وأخذ ضرائب كثيرة

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته أدبيات وعلوم إنساني)، ص ١٣٩.

ومكررة في السنة، وكان الناس يعيشون في هذه الأراضي بصعوبة، بالنهاية فإن استمرار هذا الاستغلال كان السبب في الشغب وتمرد الناس، هؤلاء وبمشاهدتهم للأخلاق الحميدة من السادات العلويين، اختاروا شخصا شجاعا وعالما من العلويين باسم حسن بن زيد قائدا لهم.

هذه السلالة معروفة أيضًا بآل افراسياب وقراخيانان، كانوا يحكمون جزءا مما وراء النهر وتركمنستان الشرقية (٦٠٧ – ٣٨٢)[١].

أعمال الحسن بن زيد

يقول النص "طبرستان (٢٥٠ هجري- قمري) ووصلت حدود أقاليمه إلى جرجان وري وقزوين، وكافح قطاع الطرق، وتخلص من لصوص البحر، ونظم الأمن بشكل منقطع النظير في المنطقة وعزز أحكام ومبادئ المذهب الشيعي[٢].

يضيف النص" بعد وفاة حسن بن يزيد أصبحت الحكومة العلوية تهبط وتصعد، من أشهر الأمراء العلويين حسن بن علي وكان ملقبا بناصر الكبير (١) وكان سبب شهرته عدالته وحمايته للفقراء من البلطجية والأغنياء، كان عالما مجاهدا وفقيها زاهدا، لم تدم حكومة العلويين بعد ناصر الكبير وفي النهاية سقطت طبرستان بيد آل زيار وبذلك انقرضت حكومة العلويين في طبرستان"[٣].

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٣٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٩.

(٣) تاريخ إيران وجهان ١، نظري، ص ١٤٠.

فكر وأجب:

يطلب النص إجراء مقارنة بين حكومات كل من الطاهريين والصفاريين والعلويين من ثلاثة نواحي واذكر أوجه الشبة والاختلاف فيما بينها[١].

تأسيس حكومة الصفاريين في سيستان

يقول النص: "في ظل شروط ضعف حكومة الطاهريان والفوضى التي أثارها الخوارج في سيستان والتي أوجدت عدم الأمان، وإيذاء ومضايقة الناس، في هذا الوقت قام أحد إبطال سيستان المسمى بيعقوب بن ليث بمساعدة العياران ضد الخوارج، يعقوب هو أحد أفراد مجموعة العياران، العياران هم مجموعة كانوا يساعدون الضعفاء.

يضيف النص: "يعقوب كان رجلًا شابًّا شجاعًا ذكيًّا متسامحًا، لهذا أصبح قائد العياران وبمساعدتهم قضى على الخوارج بعد ذلك، هذا العمل جعل له أنصارًا كثيرين، يعقوب في البداية كان مبيض نحاس (مصفر) ولهذا شكل السلسلة وسميت الصفاريان، وفي النهاية وبسيطرته على نيشابور قضى على الطاهريان"[٢].

*** الصفاريان، العياران.. طالبو الحرية:**

وفي نص أخر تقول الكتب المدرسية الإيرانية: "الحركة الثانية من المطالبين باستقلال إيران وأراضي سيستان، كانت سيستان في ذلك الوقت ذات ماء وفير

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٤٠.

(٢) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلى، مرحله دوم تعليمات عمومى، ص٣٦.

وأراضي خصبة، وكان للتجار ورجال الأعمال في سيستان علاقات واسعة مع الهند.

إن المعاملة السيئة والسلوك العدواني من قبل المهاجرين العرب لأهالي هذه الديار، كانت السبب في تعزيز فكرة الاستقلال وطلب الحرية بين الناس، وهذا من آثار وعلامات الأساطير البطولية والحماسية لشعب سيسستان.

الأراضي السيستانية كانت في تلك الأيام مكانا لتلاقي جنود المعركة، الخوارج، العياران، والمقاتلين المتطوعين (طالبي الحرب) الخوارج كانوا من المجموعة الغير راضية ومن المعادين للخلافة، وكانوا يعتبرون الأراضي السيستانية أحد مراكز الشغب، وكان التحيز والعنف السبب في حرمأنهم من الأمن والحياة الاجتماعية، لهذا لم تنج الحكومة الطاهرية في قمعها، مجموعة من أهالي سيستان ومن أجل إحلال الأمن والاستقرار ومكافحة الفوضى شكلوا مجموعة من طالبي الحرب ووقعت بينهم وبين الخوارج معركة. طالبي الحرب (تعني المتطوعين)[(١)].

يضيف النص "العيارين يتشكل غالبيتهم من أهالي مدينة فردوست المعروفين بالظاهر بالأخلاق والرجولة والفتوة، وأحيانا قطاع طرق ولصوص ويعيشون على أموال الممتلكات الخاصة، ومع ذلك فأنهم كانوا يعتبرون الدفاع عن المحرومين والفقراء ضد السلطة المحلية من واجباتهم، العياران كانوا يشاركون في الحروب المحلية التي تحدث بين الأمراء وحكام الولايات، وفي الغالب يتم تجنيدهم كمرتزقة، من بين العيارين السيستان كان ليعقوب ليث سمعة خاصة. ويمكن دراسة سلطة يعقوب ليث على مرحلتين:

---

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته أدبيات وعلوم إنساني)، ص١٣٥.

المرحلة الأولى: يعقوب، وبالاعتماد على قوات العياران الذين كانوا تحت سلطته كان له معهم علاقة مميزة، وطرد الحاكم الطاهري والمدعين المحليين، وبعد ذلك احتل إمارة سيستان، وأرسل الجند إلى كابل وحدود السند، في هذه الفترة كانت علاقة يعقوب والخليفة عادية، وبواسطتهم استطاع الخليفة أن يقضي على فتنة الخوارج وتنظيم الأمن في هذه المنطقة(١).

*** تحفيز الخليفة العباسي أَضْعَفَ حكومة الصفاريان:**

يقول النص: "بعد يعقوب خلفه أخوه عمرو ليث، عمرو ليث، حيث صمَّم أن يتصالح مع الخليفة العباسي وأن يدفع الضرائب، وبالمقابل فإنَّ الخليفة أيد حكومته"(٢).

تحليل النص:

ما هذا التناقض في النص؟!:

"العيارين يتشكل غالبيتهم من أهالي مدينة فردوست المعروفين بالظاهر بالأخلاق والرجولة والفتوة" وفي الوقت نفسه:" وأحيانا قطاع طرق ولصوص ويعيشون على أموال الممتلكات الخاصة". كل ذلك لأجل إثبات دور الفرس في أحداث التاريخ؟.

يقول النص: "لفظ العياران بمعنى الأشخاص الذين يتحركون لغاية وأيضا الشخص الذكي وذو اللياقة، كانوا يطلقون على رؤساء العياران لقب قائد أو كبير

---

(١) المصدر نفسه، ص١٣٥-١٣٦.

(٢) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلي، مرحله دوم تعليمات عمومي، ص٣٦.

العياران".[١]

المرحلة الثانية: توسعة الفتوحات وتوسع سلطة يعقوب المحلية والتي أدت إلى اشتباكه مع الطاهريين، وقد انهى سلطة الطاهريين على خراسان باحتلاله نيشابور، وهذه كانت بداية عداء يعقوب مع الخليفة، لأن الطاهريين كانوا تحت حماية الخليفة وقد اعتبر الخليفة هذا كنوع من العصيان عليه، ووصف يعقوب بالتمرد، غضب يعقوب وبعد فتح خراسان أرسل جيشًا إلى خوزستان، واستمر إلى بغداد، على الرغم من طلب الخليفة الصلح مع يعقوب ولكن يعقوب كان جادا بأمر الانتقام من الخليفة ولكن مرضه ووفاته لم يعطه المجال لذلك[٢].

تحليل النص:

ما هذه الوقاحة كما يقول المرحوم العلامة الدوري[٣]. فالصفاري الفارسي لم يعد يحترم الخليفة العباسي الذي أصبغ على حكمه الشرعية، فوصل به الأمر إلى تهديد بغداد[٤].

تفسير:

يقول النص: "خلال فتح نيشابور أرسل محمد بن الطاهر رسالة إلى يعقوب جاء فيها إذا أتيت إلينا بأمر من الخليفة، وأعطاك وعدا وعهدا بالولاء، اعرض

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته أدبيات وعلوم إنساني)، ، ص١٣٥.

(٢) المصدر نفسه، ص١٣٦.

(٣) الدوري، دراسات، ص١١٥.

(٤) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته أدبيات وعلوم إنساني)، ص١٣٦.

الأمر علي حتى أعطيك الولاء، وإذا لم يعطك الخليفة وعدًا وعهدًا فعُدْ، وأرسل ردًّا على رسالة محمد بن الطاهر وأبلغه يعقوب فيها: إنني أخرجت سيفي من غمده ـ وكان يضعه في العادة تحت سجادة الصلاة وقال-: هذا عهدي وولائي[١].

يرى العلامة الدوري أن هذه الرواية" ممتعة [٢] "!!.

تفسير:

يقول النص "خلال فترة مرض يعقوب في نيشابور جاءه رسول الخليفة ومعه أمر بولايته على فارس وبهدف استرضاء يعقوب، يعقوب وضع سيفه ومقدارا من الخبز الجاف والبصل، وأرسل رسالة إلى الخليفة قال فيها أنا مريض وإذا مت فأنت الخليفة وبهذا تتخلص مني وإذا بقيت حيا فهذا السيف سيحكم بيننا، إذا انتصرت عليكم فقد وصلت إلى غايتي، وإذا انهزمت فهذا الخبز والبصل يكفيني.

بعد يعقوب خلفه أخوه عمرو ليث، لقد اتبع عمرو سياسية الحذر مع الخلافة، وكان يعتبر نفسه تابعا للخليفة، وكان يخطب باسم الخليفة، في ذلك الوقت كان الخليفة مشغولا بالثورة العظيمة لصاحب الزنج، لهذا أعطاه إمارة سيستان وخراسان وفارس، وأما ما وراء النهر فكانت نقطة خلاف بين الصفاري عمرو ليث وبين أمير إسماعيل ساماني في الحرب بين الأمريين الإيرانيين والتي انهزم فيها عمرو وسجن وأرسل إلى بغداد وقتل بأمر من الخليفة في السجن، حكم الأمراء الصفاريان سيستان ولم تكن حكومتهم مستقلة وكانوا في فترات مختلفة تحت هيمنة

(١) المصدر نفسه، ص١٣٦.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٥.

السامانيان والغزنويان[١].

جاء في النص:"في ذلك الوقت كان الخليفة مشغولا بالثورة العظيمة لصاحب الزنج" أقول من أي منطلق هي ثورة عظيمة، هل من منطلق ديني، أم فارسي.

كل هذا لأنه رفع شعار الثورة لأجل المطالبة بحق آل البيت، بعد أن ادعى النسب العلوي[٢].

وبعد نهاية النص، تطرح الأسئلة والنشاطات التالية على الطلبة لترسيخ بعض الأفكار:

أسئلة نموذجية:

١- ما هي وجهة نظر الحركات السياسية والاجتماعية في عهد الخلافة العباسية؟

٢- ما هي الأعمال المهمة التي قام بها عبد الله بن طاهر؟

٣- ما هي القوات التي كانت فعالة في منطقة السيستان زمان تشكيل الحكومة الصفاريان واشرح عن كل واحدة منها؟ [٣]

البحث والأفكار:

١- اكتب مقالة عن كيفية الثورات ضد العباسيين (حسب النظرة الأولى والثانية).

---

(١) المصدر نفسه، ص١٣٧.

(٢) فاروق عمر، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص٢٨٥-٣١٢.

(٣) تاريخ إيران وجهان، ص ١٣٧.

٢- اكتب مقالة عن علاقة الإيرانيين بالأئمة الشيعة[١].

تحليل النص:

كالعادة، فإن كاتب النص لا يجد فرصة إلا ويحاول إظهار الفرس بدور البطل، صاحب الرسالة الأخلاقية(الدفاع عن المظلوم) ونقصد بهم آل البيت. فمن خلال الواجبين السابقين، نجده يحاول أن يذكر الطالب بأن الثورات الفارسية ضد الحكم العباسي كانت لأجل المطالبة بحق آل البيت. ثم يحاول ترسيخ هذا المفهوم من خلال تكليف الطالب بعمل تقرير عن علاقة الإيرانيين بآل البيت، كل ذلك لخدمة الغاية المنشودة من النص برمته.

الصورة التي رسمتها الكتب المدرسية من خلال النصوص السابقة:

أولاً: صورة آل البيت في النص:

حاولت الكتب المدرسية جعل آل البيت محور التاريخ الإسلامي عبر عصوره المختلفة. فعلي بن أبي طالب الذي كان صبيا كرم الله وجهه كان أول من آمن بالرسول والرسالة الجديدة قبل خديجة رضي الله عنها، وجعفر بن أبي طالب يترأس المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة.

ثم ركزت نصوص الكتب المدرسية على دور علي بن أبي طالب ﷺ في الهجرة، "فحتى لا ينجح مخطط المشركين – بالقضاء على الدعوة – قام سيدنا علي في تلك الليلة بفراش الرسول ﷺ. كان من الممكن أن يخاف الموت وأن يخرج ويفر ولا ينام في الفراش...".

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٣٧.

وبعد وصول النبي ﷺ، أوجد الروابط الأخوية بين المسلمين بدلًا من التعصب القبلي، لهذا آخى بين كل اثنين من المسلمين، وتآخى الرسول مع علي عليه السلام "واتخذه أخًا في الدنيا والآخرة".

وفي خيبر كان قائد المسلمين علي بن أبي طالب. وبعد فتح مكة أخذ علي بن أبي طالب على عاتقه تحطيم جميع الأصنام.

وفي آخر أيامه عليه الصلاة والسلام، أمر بتعيين علي رضي الله عنه خليفةً له من بعده. وبعد وفاته ﷺ ترك أثرين عظيمين القرآن والعترة الشريفة (وليس السنة المطهرة). ورغم مخالفة المسلمين وعلى رأسهم الصديق وعمر لأمر الرسول بتعيين علي خليفة له إلا أن عليًّا رضي الله عنه، سكت عن الأمر وذلك حفاظًا على وحدة المسلمين. وعلي بن أبي طالب هو الذي وضع التاريخ الهجري.

وفي أحداث الفتنة التي أودت بالخليفة عثمان رضي الله عنه حاول الإمام علي عليه السلام ومن أجل الحد من الفتنة والفوضى طلب من المعترضين أن يحافظوا على الهدوء، ولكن جموع المعترضين هاجموا منزل عثمان وقتلوه. وعلى إثر شغور منصب الخلافة أَلَحّ المسلمون على علي بن أبي طالب كي يتولّى الخلافة، في البداية رفض قبول الخلافة، ولكن نتيجة لإصرار الناس على ذلك قبل.

وفي موقعة الجمل، فرغم حرص علي بن أبي طالب على الصلح، إلا أن عائشة رضي الله عنها أصرت على الحرب والاقتتال. وفي صفين صمم معاوية على قتال علي ابن أبي طالب، وبعد قتال فُرض على علي بن أبي طالب، كان التحكيم الذي خُدع فيه أبو موسى الأشعري وحكم لصالح معاوية.

ثم تتوالى الصور التي تعرضها الكتب المدرسية التي تصور آل البيت (العلويين)

بصورة المظلوم، فيُقتلون طوال العصرين الأموي والعباسي. فقد فرح يزيد بمقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما.

إن هذه الصورة التي حاولت النصوص رسمها لآل البيت تحمل الكثير من التناقض والإساءة معاً. فكيف يقبل علي السكوت عن حقٍ أوصى به الرسول ﷺ بعد وفاته؟ قد يقول قائل أن المهاجرين والأنصار تآمروا عليه في اجتماع السقيفة. نقول إذا كان هذا حدث، فلماذا يرفض علي الخلافة بعد مقتل عثمان؟ أليست وصية الرسول تنص على ذلك؟

ومن جهة أخرى فإن مثل هذه الأقوال إساءة إلى جميع الصحابة، فهل يُعقل أن الصحابة الذين حجوا مع الرسول في حجة الوداع، وسمعوا ما دار في غدير خُمّ لم يفهموا مفهوم الولاية التي جاءت في قوله ﷺ؟! أليس منهم المبشرون بالجنة؟!

كذلك لماذا لم يحاول أبو مسلم الخراساني الذي صوَّره النص على أنه محور الثورة العباسية أن ينقل الخلافة إلى العلويين بعد أن تكشف له الأمر، وهو قائد الجيش والزعيم الفارسي (الذي يجب أن يكون مؤمنًا بعدالة وحق آل البيت في الخلافة). لكنه على العكس من ذلك، نجد حبه للسلطة والنفوذ يدفعانه إلى التعاون مع السلطة العباسية.

وإذا كان العباسيون مغتصبين للسلطة من العلويين، وفاقدين للشرعية، فلماذا يتعاون الفرس معهم في إدارة الدولة؟ ألم يصور النص البرامكة بأنهم الحكام الفعليون في دولة هارون الرشيد؟

ثانيًا: صورة الفرس (الإيرانيين):

إنها لصورة مضيئة (مزورة) حاولت الكتب المدرسية تجسيدها للفرس عبر

مراحل وعصور التاريخ الإسلامي، تبدأ هذه الصورة بالظهور في غزوة الخندق في السنة الخامسة للهجرة من خلال موقف ورأي سلمان الفارسي بحفر الخندق حول المدينة النبوية، يقول النص: "وسلمان إيراني".

وبعد صلح الحديبية يشير النص إلى أن أول الرسائل التي بعث بها النبي ﷺ إلى ملوك الأرض آنذاك يدعوهم فيها إلى الإسلام كانت إلى ملك إيران.

وتبرز صورة الفرس بشكل أوضح مع مطلع العصر العباسي. فقد حاول النص جاهدًا إبراز دور أبي مسلم الخراساني في الثورة العباسية وأنه محور الثورة، والتي لم تكن لتنجح بدونه، إلا أنه ورغم الجهود التي بذلها في تأسيس حكم بني العباس والقضاء على بني أمية، نجد أبا جعفر المنصور يقتله "بالحيلة والجبن".

وفي خلافة هارون الرشيد، فإن البرامكة "وهم من العائلات العريقة" هم الذين كانوا يدبرون أمر الدولة، فكانت "وزارة الرشيد بأيديهم، وكانوا مشهورين بالقدرة حتى أصبح مقام الخليفة العباسي في الواقع مقامًا تشريفيًّا".

ولكن هارون الرشيد "حسدهم" على هذه المكانة، فتخلص منهم بالقتل، فكان ذلك وبالًا على الدولة العباسية، فقد "وضع القتلُ العام هذا الحكومة العباسية في مشاكل عديدة، وكذلك العباسيون ليس لديهم القدرة على إدارة شؤون البلاد" من دون الفرس.

ولولا الفرس لما استطاع المأمون إنهاء الصراع مع أخيه الأمين وكسب منصب الخليفة. فقد حرص المأمون على "كسب حماية الإيرانيين". واستطاع طاهر الإيراني قائد جند المأمون أن يهزم جيش الأمين الذي كانت تحميه "عائلة عباسية".

أدرك المأمون طبيعة العلاقة التي تربط بين الإيرانيين وأئمة الشيعة، لذلك

وحتى يكسب ودّهم، أجبر الإمام الرضا أن يأتي "إلى بغداد وعينه خليفة له".

الاستقلال والتحرر من سيطرة الأجنبي، هو شعار الإيرانيين وقيمة من القيم التي يؤمنون بها. لذا فما إن حانت الفرصة لطاهر بن الحسين الذي ولَّاه المأمون إقليم خراسان، حتى أعلن أنه "لن يطيع المأمون، وبالتالي فإن أول حكومة نصف مستقلة تشكلت في إيران هذه الحكومة، والتي عرفت باسم حكومة طاهريان".

والفرس منذ اللحظة الأولى لاستقلالهم (المزعوم) بدأوا بالاهتمام "بالبناء والعمران وحماية المزارعين، لهذا كان المزارعون في عهده يعيشون في وضع مريح".

كان الفرس مصدر إلهام حضاري لكل الشعوب حتى المغول فقد تأثروا بحضارة الفرس وبثقافتهم "وتخلوا عن عادات النور البشعة والوحشية".

الفارسي ذكي ولبق، وبهذه اللباقة استطاع الخواجة نصير الطوسي والخواجة رشيد الدين فضل الله الوصول إلى الوزارة عند الإيلخانيين. كذلك الفارسي ثائر على الظلم "يسلم رأسه إلى الرصاص ولا يسلم جسده إلى الذل".

الفارسي لا يتخلى عن أبناء قوميته من الفرس، فإذا ما حاز منصبًا ما، فإنه لا ينساهم ويحرص على تقديم الخدمات للشعب الإيراني.

وإذا انتقلنا إلى الجانب الثقافي، فالفرس كالعادة هم علماء المسلمين الأوائل، فيكيل النص المديح لهم أمثال: الشاعر الفارسي رودكي "الذي صرح بآراء لا تتفق مع روح الإسلام".

والفردوسي الشاعر "فقد كان له دور مهم في حفظ واستمرارية تاريخ إيران، وكان مصدر إلهام لمن جاء بعده من الشعراء.

إضافة إلى ذلك، فإن الحضارة الفارسية والروح الاستقلالية التي يتمتع بها الفرس عصية على كل محتل أو غازي، لذا، فرغم موجة التخريب التي رافقت هجوم المغول، استمر العلماء الإيرانيون في مسيرتهم العلمية في المساجد والمدارس، كما عكفوا على تأليف الكتب.

وبجهود نصير الدين الطوسي أنشئ مرصد مراغة، ذلك المركز الذي يعتبر من أشهر مراصد الفلك في العالم آنذاك.

لقد اشتغل علماء الفرس في كل ميادين المعرفة منهم ممن شجع العلم "هكذا الإيرانيون المسلمون كانوا منذ البداية يشجعون العلم بالمجالات المختلفة". فبرزوا في علوم اللاهوت والفلسفة والتاريخ والجغرافيا والرياضيات، والطب وغير ذلك من التخصصات الأخرى.

بالإضافة إلى ذلك فقد اهتم الإيرانيون بفن العمارة، وبالتالي كانوا عاملًا أساسيًا في إنشاء المساجد والمدارس والنزل وغير ذلك.

ثالثاً: صورة أهل السنة:

نلاحظ صورة واضحة في النصوص، فقد حاولت النصوص تجاهل دور أهل السنة فيما بعد في مجريات الدعوة الإسلامية. وإذا أراد إبرازهم، فهم أعداء الدعوة النبوية فقريش وزعماؤها "كانوا يشعرون بالخطر من الإسلام" وأبو سفيان (الأموي) كان من أشهر المعادين للإسلام.

ثم جميع أهل السنة الذين أشارت إليهم النصوص، كانوا في نظر الكتب المدرسية أعداءً لآل البيت، فعائشة أم المؤمنين وطلحة والزبير ﵃ أعداء لعلي بن أبي طالب، والحريصون على إشعال نار الفتنة التي أدت إلى موقعة الجمل.

أما معاوية بن أبي سفيان ﷺ فهو مخادع، كان "يعطي وعودًا لأي شخص" لأجل تحقيق غايته. وهو الذي خدع علي بن أبي طالب ﷺ بمساعدة عمرو بن العاص في التحكيم.

أما يزيد بن معاوية فقد "فرح بشهادة الإمام حسين عليه السلام". لذا فالأمويون عبر فترة حكمهم ناصبوا آل البيت العداء.

وإذا انتقل إلى العباسيين (وهم عرب وجزء من آل البيت)، فلم ينجوا من تهجم كاتب النص، فقد وصلوا إلى الحكم "عن طرق الخداع والمكر". والعرب لم يستطيعوا فتح أي جزء من بلاد ديلم، لعله بسبب عدم مساعدة الفرس لهم!.

فأهل السنة في النصوص يظهرون وكأنهم عنصر ثانوي، في أحداث تاريخ المسلمين. وكأنهم ليسوا هم الذين نشروا الإسلام في الجزيرة العربية، وتحملوا الكثير لأجل إعلاء شأن الإسلام خارج الجزيرة العربية، أليسوا هم الذين أنجبوا محمد بن القاسم الثقفي الذي فتح المشرق وحاصر الصين، وعقبة بن نافع فاتح أفريقيا، ومن قبلهم سعد بن أبي وقاص، الذي زلزل عرش الساسانيين بعد القادسية؟!.

رابعًا: المنهج الذي كُتب به النص:

يلاحظ من القراءة المتأنية للنصوص أن الكتب المدرسية أرادت إبراز دور الفرس(الإيرانيين) في صنع أحداث التاريخ الإسلامي. لذا فإن المنهجية المتبعة في كتابته قامت على:

أولاً: اجتزاء الروايات والنصوص التي تظهر دور الفرس بمعزل عن العناصر الأخرى في صنع مجريات الأحداث التاريخية، بحيث تظهر للقارئ أن لولا الفرس

لما قامت الحضارة والدولة الإسلامية.

ثانيًا: ولأجل تحقيق الهدف المنشود، فقد حاول النص الإساءة إلى كل من عارض الفرس وقاومهم في فكرهم ومشروعهم القومي، فالعرب ممثلين بأبي جعفر المنصور وهارون الرشيد هم أعداء الفرس الذين قتلوا قادتهم أمثال أبي مسلم والبرامكة" الذين أسسوا نهضة الدولة، والذين بمقتلهم فسدت الدولة، وبدأت مراحل الانهيار".

ثالثًا: حاولت النصوص ان توجد اقتران وارتباط لا تنفصم عراه بين الفرس وآل البيت، فالفرس وقفوا على جانب آل البيت وناصروهم ضد (العرب: بنو أمية وبنو العباس). ولأجل ذلك فقد قدموا التضحيات الكثيرة من دمهم وزعمائهم.

رابعا: أوردت نصوص الكتب المدرسية أحاديث مكذوبة على النبي ﷺ، تخدم فكر الفرس والمغالين من الشيعة، من ذلك: "أول شخص يؤمن بي سيكون أخي وخليفتي". "كل الإسلام الآن يقاتل كل الكفر".

خامسًا: الملاحظ أيضًا على منهجية الكتب المدرسية أنها اعتمدت اعتمادًا كبيرًا على مصادر فارسية وشيعية مغالية.

سادسًا: قام منهج الكتب المدرسية على التعصب الواضح للفرس من خلال إبراز دورهم والمبالغة في ذلك في صنع أحداث التاريخ.

سابعًا: محاولة طمس الحقائق وتزييفها، كتقديمه إسلام علي بن أبي طالب على إسلام أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وبيعة الرسول ﷺ بالخلافة لعلي بن أبي طالب من بعده، وأن معاوية بن أبي سفيان أسلم بعد الفتح، وأن المأمون استدعى عِليَّ الرضا إلى بغداد لأجل بيعته بولاية العهد من بعده.

خامسًا: القيم التي حاولت الكتب المدرسية التركيز عليها من خلال ما سبق:

نتيجة للدعايات الشيعية المكثفة والمستمرة منذ أكثر من ألف عام، ونظرا لتوظيفهم لحادثة مقتل الحسين بن على رضى الله عنهما، في مجال هذه الدعاية، واستغلالها لأقصى حد في مجال الحشد الجماهيري والتعبئة الفكرية والنفسية للأتباع والمريدين، ولتجذير المظلومية في وجدانهم الجمعى، وكون هذه المناسبة بما تحفل به من طقوس وشطحات ومواكب وضجيج، قد أضحت هى المعلم البارز، للعقيدة الشيعية الاثنى عشرية في الوقت الراهن.

نقول نتيجة لذلك كله ولغيره صار هناك من يعتقد أن حادثة مقتل الإمام الحسين ﷺ، هى أساس الفرقة بين المسلمين، أو بالأحرى السبب الرئيسى في خروج الشيعة عن إجماع الأمة، وإصرارهم على استمرار هذه الفرقة والتغريد خارج السرب منذ ذلك الوقت وحتى الآن.

والحقيقة التى ينبغى أن نعرفها جميعا، ونركز عليها ونضعها نصب أعيننا هى أن خروج هذه الفرقة عن إجماع الأمة لا علاقة له بهذه الحادثة المؤسفة.

إذن ما هو السبب في ذلك الخروج يا ترى؟!

الجواب: إن السبب الأساسى في خروج الشيعة عن إجماع الأمة هو (الإمامة)، هو قولهم بأن النبى ﷺ أوصى بالخلافة لعلى بن أبي طالب من بعده، وأن الصحابة رضوان الله عليهم، وعلى رأسهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، وغيرهم قد تواطئوا مع بعضهم البعض على اغتصابها منه بدون وجه حق، وذلك بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، ولذلك فهم لا يعترفون

بخلافة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان، بل يعتبرونها باطلة وتأكيدا على ذلك يقولون: إن على بن أبي طالب وريث النبى ﷺ وخليفته بلا فصل، ويقولون على أولئك الخلفاء الثلاثة وغيرهم من الصحابة قولا عظيما، يعف اللسان عن ذكره، ويبرأ منه الإمام علي بن أبي طالب وأهل البيت.

هنا مربط الفرس، وبيت القصيد. هنا تكمن المعضلة التى ليس لها حل. وكل قضية يثيرها الشيعة تبدأ من هنا وتنتهى هنا. أي تبدأ عند الإمامة وتنتهى عندها. فالإمامة – وكونها من فروض الدين – هى جوهر العقيدة الشيعية الاثنى عشرية، ولذلك تنسب إليها هذه الفرقة فيقال: (الإمامية). وأي مظلومية يشكو منها الشيعة، وأي معركة فكرية يشعلونها بعيدا عن مسألة الوصية بالخلافة لعلى بن أبي طالب، والتى اغتصبها منه الصحابة ظلما وعدوانا كما يزعمون. فهى عبارة عن زوابع، يثيرونها في وجوه أهل السنة للطعن في عقيدتهم ولإحداث البلبلة في صفوفهم، وإثارة الخلافات والجدل والخصومات فيما بينهم، وزعزعة ثقتهم في المبادئ والقيم التي يؤمنون بها، والتي تقوم عليها عقيدتهم تلك.

وفي هذا الإطار يأتي الاستخدام الوظيفى المنظم والممنهج للمآسى والمحطات المؤلمة في التاريخ الإسلامى من قبل الشيعة، وفي مقدمة ذلك مناسبة عاشوراء. فضلا عن استخدام هذه الأحداث والمناسبات من قبل القائمين على هذه العقيدة، لتعبئة صفوف الأتباع والمريدين وتحصينهم فكريا من عقيدة السنة، ولو كان هذا التحصين بحقنهم بالأحقاد والضغائن وأَمَرِّ العداوات، وشحن أدمغتهم بالأباطيل والأوهام والخرافات، كما هو جار اليوم.

نعود ونكر على أن أساس مخالفة الشيعة للسنة هو قولهم بالوصية في الإمامة، لا

حادثة مقتل الإمام الحسين ﷺ، في عاشوراء، ولا قضية خروج معاوية بن أبي سفيان على الإمام على بن أبي طالب، ولا علاقة لها بغيرهما من القضايا والأحداث الكبرى والصغرى في التاريخ الإسلامي.

وإذا كانت الفتنة الكبرى بين على بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان قد قسمت المسلمين إلى قسمين كبيرين هما: أشياع الإمام على بن أبي طالب ﷺ، وأشياع معاوية بن أبي سفيان، فإن الشمل قد عاد إلى الالتئام من جديد، وتم حقن دماء المسلمين، ببركة الإمام الحسن بن على بن أبي طالب رضى الله عنهما، الذي تنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان، وفقا للصلح المشهور بينهما عام ٤٠هـ، وهو العام الذي اكتسب في التاريخ الإسلامي اسمه السامي (عام الجماعة).

ولا شك أن الحسن بن على بن أبي طالب لم يسرع بالتنازل بالخلافة لمعاوية بن أبي سفيان عن جبن – حاشاه – أو عن قلة أنصار، أو للشعور بأن معاوية بن أبي سفيان أصلح منه للخلافة وأقدر على تحمل مسئوليتها والقيام بأعبائها، وإنما هو فعل ذلك من أجل حقن دماء المسلمين، ومن أجل استقامة أمر الإسلام والمسلمين. فآثر بالخلافة معاوية عن نفسه، وهذا دليل على أن معاوية كان صالحا للخلافة ومؤهلا لها، ولو لم يكن كذلك لما تنازل له الحسن. ومنذ ذلك الحين تقرر مبدأ إسلامي أصيل، وهو جواز إمامة الفاضل مع وجود من هو أفضل منه.

والمهم أن هذا الصلح قد ترتب عليه اجتماع شمل المسلمين من جديد تحت راية الخليفة معاوية بن أبي سفيان، ولم يشذ عن ذلك سوى الشيعة الغلاة.

السامانية

يقول النص: "إحدى الحكومات المستقلة كانت حكومة السامانيان، اختار السامانيان مدينة بخارى عاصمة لهم، كان الملوك السامانيان يشجعون الشعراء والعلماء، كذلك اهتموا بنشر اللغة الفارسية كثيرًا"[(١)].

يضيف النص: "في زمان السامانيان، هاجر عدد من القبائل الذين يتحدثون اللغة التركية إلى أقاليم شمال شرق إيران اتَّخذ ملوك السامانيان عددًا من الأتراك غلمانًا للخدمة، وكان يستفاد منهم في أعمال البناء والخدمة، بعد فترة أسلم عدد من هؤلاء الغلمان وبسبب قدرتهم وجدارتهم فقد أصبح بعضهم قادة للجيش وحكموا بعض المدن"[(٢)].

تشكيل الحكومة السامانية في ما وراء النهر

تقول الكتب المدرسية الإيرانية في موقع أخر: "عندما كان عمرو ليث الصفاري مشغولًا بحرب المعارضين أسس الأمير إسماعيل الساماني حكومة السامانيان في ما وراء النهر، كان بدران إسماعيل مع مرزداري يحارب الأتراك، وقد وصلت لهم السلطة، جاء دور إسماعيل واستطاع أن يوسِّع الأقاليم السامانية، كانت مدينة بخارى عاصمة الأمير إسماعيل، الأمير إسماعيل الساماني كان رجلاً شجاعًا وعادلاً، وكان يهتمُّ كثيرًا بالعمران في البلاد، في عهده توسَّعت وقَوِيت الحكومة

---

(١) تعليمات اجتماعي، بنجم دبستان، اداره كل جاب وتوزيع كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٨، ص١٠٢.

(٢) المصدر نفسه، ص١٠٢.

السامانية بشكلٍ مُلْفِت، الأمير إسماعيل الساماني ومن خلفه استفادوا من وجود وزراء كبار مثل البلعمي وجيهاني، هؤلاء الرجال كانوا يهتمون بكل الأمور حتى الصغيرة، السامانيان اهتموا أيضًا باللغة الفارسية، وكانوا يشجِّعون الشعراء والأدباء والعلماء، من أهم الشعراء الإيرانيين المعروفين رودكي، ومن العلماء المعروفين في ذلك الزمان أبو علي سينا وأبو ريحان، والبيروني"[(١)].

تحليل النص:

يُمجِّد النص الشاعر الرودكي السمرقندي الذي صرح بآراء لا تتفق وروح الإسلام، فالشاعر الرودكي يقول: لا معنًى لتوليته الوجه نحو القبلة، والقلب مُنْجَذِب إلى القدسية المجوسية[(٢)].

*** الخلافات الداخلية والهجمات الخارجية، قضت على السامانيين:**

يقول النص: "كانت الحكومة السامانية في البداية تُديِّر أمورها بنظام، وفيما بعد وقعت في مشاكل مختلفة ومتعددة، والسبب الرئيسي لهذا المشاكل تدخُّل قادة الجيش في عمل الوزراء، أكثر القادة هم من الأسرى ومن أصول تركية ارتفع شأنهم بالتدريج للحدِّ الذي أصبح الأمراء السامانيان لعبة في أيديهم، بالإضافة إلى المشاكل الداخلية فإنَّ الأقاليم السامانية في الشرق والغرب إقليمهم شهدت الكثير من الفوضَى والشغب، في الغرب تأسَّست حكومة آل بويه، وكذلك في الشرق حكومة المسلمين والأتراك العنصرين آل افراسياب هاجموهم، في النهاية وبهجوم آل

---

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلى، مرحله دوم تعليمات عمومي، ص٣٦-٣٧.

(٢) الدوري، دراسات، ص١٢٥.

افراسياب على بخارى في أواخر القرن الرابع للهجرة انتهى عمر حكومة السامانيين"[١].

*** السامانيان: الخلفية التاريخية:**

تستعرض الكتب المدرسية الإيرانية في موقع أخر الخلفية التاريخية للسامانيين فتقول "السامانيان، عائلة إيرانية يعود نسبها إلى بهرام جوبين (من قادة الفترة الساسانية) جده سامان خداه من دهقان وهو من أصحاب الأراضي في منطقة بلخ، بعد إسلامه ذهب برفقة أحفاده ليعملوا في بلاط الخلفاء، في عهد المأمون سلمهم حكومة ما وراء النهر.

يعتبر المؤرخون الأمير إسماعيل الساماني المؤسس الحقيقي للحكومة الساسانية، وحكم من بعده أمراء اخرون من هذه العائلة ما وراء النهر وكانوا يحكمون بشكل مستقل (للمعرفة عن الأمراء الساسامانيان راجع الصفحة التالية) الحكومة السامانية.

الحكومة السامانية فيما وراء النهر بعد استمرت قرنا واحدا من السلطة والعظمة وكذلك فرضت سيطرتها على أقاليم خراسان وطبرستان وجورجان وحتى سيستان[٢].

*** سياسية وأملاك السامانيان:**

يضيف النص أن الأصل في السياسية السامانية الطاعة والتبعية للخلافة

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلي، مرجع سابق، ص٣٧.
(٢) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته أدبيات وعلوم إنساني)، ص ١٣٨.

العباسية، الأمراء السامانيان كانوا يحكمون من منطلق ملكية الأراضي وكانوا على اطلاع بالأديان والشعوب الأخرى الذين يعيشون في بلاد ما وراء النهر وكانوا يتعاملون معهم بالتسامح والمدارة، وكانوا يستفيدون من خبرات ذوي الخبرة وأصحاب الرأي والعلماء، وكانوا يختارون وزرائهم من المفكرين[١].

يقول النص: "خلال الحكم الساساني كانت بخارى تعتبر من أهم المراكز المهمة في الآداب والعلوم والحضارة في العالم الإسلامي، وكان في هذه المدينة العديد من العلماء، المكتبة الساسانية كانت خزنة مليئة بالكتب ومن المؤلفات العلمية والأدبية والفلسفية في العالم، انشغل ابن سينا فترة في هذه المكتبة بالدراسة والتحقيق، وكتب في هذا المجال (وجدت هنا كتب والبعض منها حتى اسمائها غير معروفة لدى الكثيرين وحتى إن مجموعة منها لم أرها في أي مكان) [٢].

يضيف النص: "أن اهتمام واحترام الأمراء السامانيان الشديد للعلماء والباحثين، بحيث كانوا يركزون على احترامهم، وكانوا يستفيدون من خبراتهم في إدارة أعمالهم"[٣].

*** نهاية السامانيان:**

يقول النص" بسبب الاعتماد على الغلمان ذوي الأصول التركية، والاعتماد على الفلاحين المحليين أضعف وساعد على زوال الحكومة، الصراع بين البيروقراطيين الإيرانيين وقادة الحرب الأتراك الأصل، سبَّبَ الفوضى والشغب في هيئة الحكومة

(١) المصدر نفسه، ص ١٣٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٣٩.

الساسانية، بالنهاية وبظهور حكومة الغزنويان ودخول حكومة ايلك خانيان (١) إلى الساحة والصراعات السياسية والعسكرية فيما وراء النهر قضت على حكومة السامانيان وقسمت ممتلكاتها بين الحكومتين بحيث إن بلاد ما وراء النهر وخراسان تحت تصرف الغزنويان"[١].

تحليل النص:

السامانيون نسبة إلى إحدى قرى المشرق تسمى سامان. وهي إحدى قرى سمرقند وليس بلخ كما يقرر ذلك المقدسي[٢] وياقوت[٣].

خط الوقت في التقويم الهجري

سنة ٥٠٠ هجري ٤٠٠ ٣٠٠ ٢٠٠ ١٠٠ سنة١هجري

القرن الهجري الخامس	الرابع	الثالث	الثاني	الأول

أوائل القرن = حوالي ٢٠ إلى ٣٠ سنة بداية كل قرن

أواسط القرن = حوالي ٢٠ إلى ٣٠ سنة في النصف الثاني من القرن

أواخر القرن = حوالي ٢٠ إلى ٣٠ سنة الثالثة آخر كل قرن

نصف القرن الأول = ٥٠ سنة أول كل قرن

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٣٩.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسم، ٣٣٨.

(٣) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٧٣.

نصف القرن الثانِي = ٥٠ سنة الثانية كل قرن[1]

وبعد نهاية النص، تطرح الأسئلة التالية على الطلبة لترسيخ بعض الأفكار:

الأسئلة والمناقشة:

١- املأ الفراغات التالية بالكلمات المناسبة:

أ- كان الخليفة العباسي يُعيِّن على كل إقليم من الأقاليم حاكمًا وكان يسمَّى...........

ب- الشاعر المشهور في عهد السامانيين هو....................

ج- السبب الرئيسي للمشاكل الداخلية السامانية تدخل.............. في عمل الوزراء.

٢- جد العلاقة بين العمودين وصل بينهما بخط

مازيار	ما وراء النهر
بلعمي	سيستان
خوارج	طبرستان
طاهريان	آذربيجان
	خراسان [2]

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايي تحصيلي، مرحله دوم تعليمات عمومي، ص٣٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٨.

تحليل النص:

يهدف السؤال إلى إبراز دور الفرس في الحضارة الإسلامية من خلال الإبداعات الثقافية ما جاء في السؤال:

ب- الشاعر المشهور في عهد السامانيين هو.....................

آل زيار اول سلالة من الديلميان

يقول النص: "بعد إسقاط حكومة العلويين على يد السامانيين في أوائل القرن الرابع الهجري، وبسبب عدم وجود قيادة وحكومة أدَّى هذا إلى تشتُّت الكثير من قادة وجنود الديلميين الذين كانوا في خدمة العلويين، لم يَطُل الوقت كثيرًا حتى التحق هؤلاء في صفوف السامانيين، من جملة الديليمين الذين التحقوا بصفوف الديلميين مرد آويج بن زيار. وكان من قادة الديلميين الشجعان وكان يأمل أن يشكل حكومة مستقلة.

يضيف النص: "بدأ آويج عمله بأخذ جرجان وطبرستان، وبعد ذلك عدد آخر من المدن الرئيسية وغرب إيران واتخذ من أصفهان عاصمة له، ولأنه قرَّر أن يوجد حكومة مثل حكومة الساسانيين أصدر أمرًا بإحياء الكثير من القوانين ومن عادات وتقاليد الساسانيين، وقتل على يد جنوده؛ لأنه كان يُسِئ معاملتهم، بعد هذه الحادثة ضعفت حكومة آل زيار واختفت على يد السلاجقة"[(١)].

يتساءل النص في موقع أخر حول كيفية تأسيس حكومة آل زيار؟ بعد أن اتضح ضعف حكومة العلويين ادعي عدد من القادة المحلين الحكومة لأنفسهم، وفرض

---

(١) المصدر نفسه، ص٤٠.

كل واحد حكمه على حي، ومن أشهر هؤلاء القادة مردآويج بن زيار كان يعتبر نفسه من سلالة ملوك كيلان القدماء، سيطر على طبرستان وجرجان وأصفهان، وبذلك تأسست حكومة آل زيار"[١].

ياسة مرد مرد آويج: يقول النص "أحيى مردآويج العادات والتقاليد قبل الإسلام وكان يتخيل أن يحيى الإمبراطورية الساسانية، كان يضع على رأسه تاجا مرصعا مثل تاج أنوشيروان ويجلس على عرش قيم وكان يقيم الاحتفالات في المناسبات الوطنية بطريقة مجيدة.

مرد آويج اتخذ من الغلمان الأتراك خدما له، وضمهم إلى الجند ورئاسة جند الديلمي، ولكن نتيجة إذلال وسوء معاملته للغلمان الأتراك، سببت الشغب وبالنهاية قتل مردآويج"[٢].

شارك في عدة حروب وأصيب بجروح عديدة من الأسلحة ومن آثار التعذيب أثرت على أذنيه ولهذا عرف أيضًا بالأطرش.

بعد موت مردآويج خلفه أخوه وشمكير، أصدر الأمر بمحاربة الأمير نصر الساماني وأبناء بويه.

مع تأسيس حكومة آل بويه (٣٢٠ق) وبالتدريج قل نفوذ حكومة آل زيار ولم تتجاوز حدودها أكثر من جرجان وطبرستان[٣].

---

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته أدبيات وعلوم إنساني)، ص ١٤٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٤٠-١٤١.

آل بويه

الخلفية التاريخية: يقول النص" أبناء بويه قائد ديلمي شجاع، وضعت حكومة قوية إيرانية قدمها في القرن الرابع، كانوا من قادة الحرب المحليين في جبال الديلم، في البداية كانوا يعملون تحت سلطة الحكومة السامانية، وبعد أن ظهرت حكومة الزياران في السواحل الجنوبية في مازندران أصبحوا في خدمة مردآويج، مردآويج بن علي كبير آل بويه وكان محارب لائق وعين(٣) على حكم كرج.(٢)

علي عماد الدولة اعتمد لفترة على محاربين كيل، امتدت سلطته وقدرته إلى الجنوب وأصفهان واستمر إخوته حسن وأحمد، بعد استقرار أحمد في شيزار وامتدت أقاليمه إلى النواحي الغربية واستقرت الخلافة استطاع أن يفتح بغداد"[١].

*** أهمية آل بويه في تاريخ إيران:**

كان لفتح بغداد بواسطة آل بويه أهمية خاصة بناء على ما يلي:

أولاً: شكلوا حكومة مستقلة، وكانت الخلافة العباسية تحت سيطرتهم ورقابتهم، ولفترة استطاعوا أن ينهوا سلطة الأتراك في العالم الإسلامي.

ثانيًا: من الناحية المذهبية كان آل بويه يميلون إلى المذهب الشيعي، بشكل كانت التقاليد الشيعية رائجة في أيام حكومتهم وكانوا يحمون الشيعية ويأمنون لهم الأمان، هذه العوامل كانت سبب لانتشار المذهب الشيعي في إيران[٢].

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٤١.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤١.

لم يكن لعماد الدولة أبناء؛ لهذا عين ابن شقيقه ابن ركن الدولة، فناخسرو الملقب بعضد الدولة خليفة له.

١- كان آخر أمراءها دودمان، كيلان شاه بعد استيلاء الإسماعيليين على المنطقة، تفككت الحكومات المحلية والصغيرة

٢- معروفه بكرج، مدينة في جنوب سلطان آباد (اراك الان) ومتصلة بها.

٣- كل مدة ولأن مردآويج محبوب بين الجنود ندم لتعيينه، وفشلت كل جهوده في التراجع ولم يكن لها أثر[1].

*** ذروة قوة وازدهار حكومة آل بويه:**

يقول النص "في عهد حكم عضد الدولة شهدت حكومة آل بويه ذروة قوتها وازدهارها، لقد حظى عضد الدولة باحترام وتقدير العلماء والمفكرين وكان لتأسيسه المؤسسات العلمية والعمرانية أهمية وشهرة خاصة في تاريخ إيران والإسلام، وكان أول شخص يحصل على لقب الملك من طرف الخليفة، وكان اسمه يذكر بعد اسم الخليفة في الخطبة، وبأمر من عضد الدولة تم بناء مباني ضخمة في إيران وفارس، وقام بإنشاء أضرحة إلى مزارات شهداء كربلاء، وبنى مستشفى في بغداد عرف باسم المستشفى العضدي، وفي فارس قام بإنشاء سد عرف باسم (سد أمير).

الأقاليم وصلت في عهد عضد الدولة إلى أوج توسعها ووحدتها السياسية ووصلت إلى العراق وكل إيران حتى بحر السند (باستثناء خراسان وسيستان التي

(١) المصدر نفسه، ص ١٤١.

كانت بيد السامانيين) وإلى السعودية حتى الأراضي العمانية كانت تحت سلطته"[١].

ضعف وسقوط آل بويه: يتحدث النص حول العوامل التي أدت إلى ضعف آل بويه بعد عضد الدولة:

١- التنافس بين أمراء أجزاء الأقاليم التي كانت تحت سيطرة الأمراء.

٢- حدوث فشل في مصدر هام لدخل آل بويه، يعنى التجارة نتيجة توسع الخلفاء الفاطميين في الشام.

٣- حدوث أعمال شغب في المناطق المختلفة مثل البحرين، وبسبب تجزئة حكومة آل بوية لم يستطيعوا أن يقمعوهم.

لهذا ضعفت قدرتهم وبالنهاية استطاع السلجوقيون أن يهزموهم وينهوا حكمهم[٢].

تحليل النص:

كان البويهيون شيعةً، ورغم اعتقادهم بأن العباسيين قد اغتصبوا الخلافة، إلا أنهم لم يعملوا على نقلها منهم إلى آل البيت، وأبقوا الخلافة العباسية[٣].

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٤٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٢-١٤٣.

(٣) أشار الشهرستاني إلى أن السبب في عدم قضاء البويهيين، على الخلافة العباسية يرجع إلى اعتقاد الزيدية بأن الإمامة من مصالح الدين يحتاج إليها لإقامة الحدود، وحتى لا يكون الأمر فوضى بين العامة، فلا يشترط أن يكون الإمام أفضل الأئمة علماً، وأقدمهم عهداً، وأسدهم رأياً، إذ الحاجة تنسد بقيام المفضول مع وجود الفاضل والأفضل. الملل والنحل، ص١٨٠.

رغم أن المصادر أشارت إلى تفكير معز الدولة البويهي بنقل الخلافة إلى العلويين، إلا أنه عدل عن فكرته، بعد نصيحة خواصه الذين حذروه من سخط الناس ومخالفتهم، لأن عامة الناس اعتادوا الدعوة العباسية في الأقطار الإسلامية، ودانوا لدولتهم، وأطاعوهم، وأظهروا له خطر تلك السياسة على مستقبله، ومستقبل أمراء بني بويه وقالوا له: "ليس هذا برأي، فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة، ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه، ومتى أجلست بعض العلويين خليفة، كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته، فلو أمرهم بقتلك لفعلوا"(١).

أما الأستاذ جب (Gibb) فإنه لا يعتقد بأن البويهيين كانوا زيدية، بل أنهم اثنا عشرية، ثم يستعرض جب (Gibb) التطورات السياسية والإدارية في عهد العباسيين، وما نتج عن هذه التطورات من ابتعاد الدين عن المؤسسات السياسية والدنيوية حيث ولد شعور في بعض الحلقات بأن الأمل الوحيد لحفظ القيم الإسلامية بصورة فعالة يكون بفصلها عن التنظيم السياسي. وكان الشيعة الإمامية أول من أدرك ضرورة فصل الدين عن السياسة، واعترفت به وطبقته فكانت غيبة الإمام الثاني عشر قبولًا ضمنيًا للحقيقة القائلة بأن العمل على إقامة خلافة علوية سوف لا يغير سير الحوادث، بل إنه سوف يؤدي إلى اضطرابات جديدة في المجتمع الإسلامي وتفرقه دون كسب حقيقي(٢).

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ح٨، ص٤٥٢-٤٥٣؛ عمر، الخلافة العباسية، ص٨٠.

(٢)Gibb،Islam،.p.126 ، منينمة، تاريخ الدولة البويهية، ص ١٨٦.

اعتبر عدد من الباحثين أن هذه الرواية صحيحة[١]، وأنها كانت السبب في عدول معز الدولة عن رأيه، لما قد يتعرض إليه سلطانه السياسي من خطر وجود خلافة علوية يطيعها الجند، وفضّل أن يستبد بالسلطة في ظل خليفة عباسي ضعيف، على أن يكون تابعًا لخليفة يعترف بإمامته، مع أن الفرصة كانت مواتية، لوجود خلافة علوية قائمة بالأمر وقتذاك في مصر، وهي الخلافة الفاطمية[٢].

إذًا فالمصلحة السياسية هي التي كانت وراء موقف البويهيين تجاه إبقائهم على الخليفة العباسي، والتخلي عن نقل الخلافة للعلويين.

وبعد نهاية النص، تطرح الأسئلة والنشاطات التالية على الطلبة لترسيخ بعض الأفكار:

أسئلة نموذجية:

١- ماذا تعرف عن نقاط قوة وضعف حكومة السامانيان؟ ولماذا؟

٢- ما هي المميزات الهامة لمردآويج مع مقارنتها مع الحكام الآخرين؟

٣- ما هي المجالات التي سببت تشكيل حكومة العلويين في طبرستان؟

٤- ما هي أهمية فتح آل بويه لبغداد؟ [٣]

---

(١) الدوري، دراسات، ص ص٢٤٨-٢٤٩؛ حلمي الخلافة والدولة، ص١٦٤؛ عمر، الخلافة العباسية، ص٨٠.

(٢) الكروي، البويهيون والخلافة، ص١٨٢.

(٣) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته أدبيات وعلوم إنساني)، ص١٤٣.

الأفكار والبحث:

١- اكتب بحثًا حول: لماذا لم يستطع آل بويه رغم أنهم شيعة ويملكون قوة عسكرية من إزالة الخلافة العباسية؟

٢- اكتب مقالاً عن الأفرع المختلفة لحكومة آل بويه بعد وفاة عضد الدولة.

٣- اكتب مقالاً حول حياة أحد وزراء العهد السامانيان مع آل بويه[١].

تحليل النص:

غالبية الأسئلة تهدف إلى إبراز طبيعة العلاقة بين الفرس وآل البيت، ومدى التضحيات التي قدمها الفرس لدعم آل البيت.

لكنه في (الأفكار) عندما طلب من التلاميذ:" اكتب بحثا حول، لماذا لم يستطع آل بويه رغم أنهم شيعة ويملكون قوة عسكرية من إزالة الخلافة العباسية؟

كأنه أراد أن ينفي الأسباب الخاصة والمصالح السياسية وراء موقف البويهيين تجاه العلويين. ويحاول أن يبحث عن أسباب غير تلك وراء ذلك الموقف.

*** آل بويه السلالة الثانية من الديلم:**

يقول النص: "من بين مَن التحق بمرد آويج من الديليمان علي وحسن وأحمد أبناء صياد باسم بويه، أسس هؤلاء حكومة بعد قتل مرد آويج باسم حكومة آل بويه.

كان أحمد وحسن من أمراء الديلميين وكانوا يطيعون أخاهم الأكبر عليًّا، عليٌّ

---

(١) المصدر نفسه، ص١٤٣.

كان في الواقع يعدّ من أكبر أمراء آل بويه، آل بويه كانوا أعداء الخليفة العباسي، بالنهاية قام أحمد مع جيش كبير بمحاصرة بغداد، واستطاع أن يفتح بغداد ويسجن الخليفة، بعد ذلك ولمدة قرن كان العباسيون مطعين لآل بويه".

يضيف النص: "كان مذهب حكام آل بويه المذهب الشيعي، في عصرهم توسَّعت وقويت المراكز العلمية الشيعية في بغداد وري وقم، وكان العلماء البارزون مشغولين بالتدريس والتأليف"[1].

الأمير عضد الدولة الديلمي

يقول النص: "من أشهر حكام الديلمي عضد الدولة، ابن حسن، في عهده كان آل بويه أقوياء جدًّا، كان عضد الدولة يهتم به العمران والأعمار، وأسس مستشفى العضدي في بغداد، في هذا المستشفى كان الأطباء بالإضافة إلى معالجتهم للمرضى، كانوا أيضًا يدرسون علم الطب، وأيضًا وبأمرٍ من عضد الدولة تَمَّ بناء سدٍّ على نهر كر في فارس، وعرف به سد الأمير، ازدهرت الزراعة في عهد آل بويه وأصلحوا الكثير من الأراضي، وكان من سياسة آل بويه أيضًا الاهتمام بالعلم والعلماء، أبو علي سينا العالم الإيراني المعروف كان في أواخر عمره وزيرًا لأحد أمراء آل بويه في همدان.

يضيف النص: "أبو علي سينا العالم الإسلامي الإيراني الكبير وُلِد قبل ١٠٠٠ سنة وكان أستاذًا لا مثيل له في الفلسفة والطب وصناعة الأدوية، ألَّف أكثر من ١٠٠ كتاب معظمها باللغة العربية، وقد ترجم بعض آثاره إلى اللغات الأوروبية،

---

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلي، مرحله دوم تعليمات عمومي، ص٤١.

هل تعرف لماذا كانت معظم مؤلفات ابن سينا باللغة العربية.

بعد عضد الدولة، انشغل كل أمير من الديلميين بتشكيل حكومة مستقلة، كانوا يقضون معظم أوقاتهم للحصول على أقاليم أكثر، وكانوا يشتبكون مع بعضهم البعض"[١].

وبعد نهاية النص، تطرح الأسئلة التالية على الطلبة لترسيخ بعض الأفكار:

الأسئلة والمناقشة:

١- املأ الفراغات التالية بالكلمات المناسبة:

أ- فريق من الشيعة من نسل الإمام علي عليه السلام كانوا يسمون..............

ب- أشهر القادة الديلميان كان اسمه..........................

ج- علي وحسن وأحمد أبناء صياد سمك يدعى.............

أوجد العلاقة وصل بينهما بخط

الهجوم على العراق	عضد الدولة
تأسيس مستشفى العضدي في بغداد	أحمد بن بويه
انقرض على يد السامانيين العلويين	علي بن بويه

٢- ما شكل حكومة العلويين في طبرستان؟

(١) المصدر نفسه، ص٤٢.

٣- ماذا فعل عضد الدولة للعمران في البلاد؟

٤- برأيكم ما الفرق بين حكومة آل بويه مقارنة مع الحكومات الأخرى؟[١]

تحليل النص:

تحاول الأسئلة ترسيخ جملة القيم والمبادئ التي يروِّج لها الإيرانيون في نفوس الطلاب منها أنَّ النموذج الفارسي كان نموذجًا يُحْتَذى لجميع الدول التي قامت بعدهم: يظهر من ذلك من خلال السؤال التالي:

برأيكم ما الفرق بين حكومة آل بويه مع الحكومات الأخرى حسب الحكومات الأخرى

(١) المصدر نفسه، ص٤٣.

الحكومات التركية وطريقة دخول الأتراك إلى إيران

يقول النص: "لا يوجد معلومات تاريخية معروفة عن تاريخ الأتراك، ولكن الذي نعرفه أنهم جاءوا من الشرق إلى الصين ومن الغرب إلى نهر سبحون، وكانوا يعيشون بتلك المنطقة، لهذا عرفت هذه المنطقة بتركمنستان، لحوالي القرن السادس الميلادي (العهد الساساني) كان الأتراك يعيشون على شكل قبائل متناثرة، ولم يكن لهم تمركز سياسي، في ذلك الوقت تشكل اتحاد للقبائل هاجمت هذه القبائل الأراضي المجاورة ومن بينها إيران، هذه الحملات تمت بتشجيع من الساسانيان، بعد ظهور الإسلام ومن خلال انتشار الإسلام وصل الفاتحون المسلمون إلى شرق إيران وإلى المناطق التي يقطنها الأتراك بتشكيل الحكومة السامانية في مناطق ما وراء النهر في القرن الثالث تعهدت هذه الحكومة بحفظ الحدود الإسلامية من الأتراك، بهذه الحالة فإن عدة عوامل أدت إلى دخول الأتراك الأقاليم السامانية والعالم الإسلامي[1] من بينها.

١- السامانيان ومن خلال حملاتهم على بعض المناطق التي يقطنها الأتراك، أسروا عددا منهم وأخذوهم كخدم، أو قوات حربية.

٢- بدخول عدد من الأتراك إلى الإسلام استطاعوا أن يدخلوا إلى العالم الإسلامي، وبناء على تعاليم الدين الإسلامي فان جميع المسلمين سواسية.

٣- بعد تشكيل الحكومة التركية فقد توسع دخول الأتراك إلى إيران، فقد دخل عدد منهم وانتشروا في مناطق مختلفة من إيران، في القرن السابع هجري، وخلال

---

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته أدبيات وعلوم إنساني)، ص١٤٤.

حملات المغول على إيران دخل مجموعة أخرى من الأتراك إلى إيران[1].

وتقول الكتب المدرسية الإيرانية في موقع أخر نفس الموضوع: "مع مرور الزمان، قام عدد من القادة الأتراك بتشكيل حكومات مستقلة في إيران، السلسة التركية- يعني الغزنويان، السلاجقة، والخوارزم شاهيان، حكموا في إيران خمسين سنة، ملوك هذه السلسلة استفادوا من وزراء إيران الأذكياء. أحد الوزراء الإيرانيين في عهد السلاجقة كان الخواجا نثام الملك، وبأمر منه بُنِيت المدارس في كافة أنحاء البلاد ومانت تسمى هذه المدارس النظامية"[2].

مناقشة في الصف:

برأيك لماذا استفادت الحكومات التركية في إيران لإدارة أمر البلاد من الوزراء الإيرانيين؟

من جملة الشعراء المعروفين الإيرانيين، أبو القاسم الفردوسي، هل تعرف اسم أحد آثاره؟[3]

الأسئلة:

١- لماذا قامت ثورات عديدة ضد العباسيين؟

٢- املأ الفراغات التالية:

---

(١) المصدر نفسه، ص١٤٤.

(٢) تعليمات اجتماعي، بنجم دبستان، اداره كل جاب وتوزيع كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٨، ص١٠٢-١٠٣.

(٣) المصدر نفسه، ص١٠٣.

- في عهد الحكومة.......... هاجرت القبال التركية إلى إيران.

- حكمت ثلاث سلاسل من الأتراك إيران عبارة عن.......... السلاجقة والخوارزم شاهيان.

٣- ما الدور الذي لعبه الإيرانيون في عهد سلسة الحكومات التركية؟[1]

تحليل النص:

إن الإيرانيين هم مصدر إلهام للشعوب المختلفة، حتى تلك التي احتل بلاد إيران منذ القدم مرورًا بالسامانيين وغيرهم. فالإيراني هو المثقف والمتنوِّر وصاحب المعارف والخبرات الإدارية. والذي ساهم سواء كان منتصرًا أم منهزمًا في بناء حضارات الدول ولولاه لعَمَّ الظلام والجهل.

إن ما يهدف إليه الكاتب هو التأكيد على نظرية التفوق العرقي والحضاري للفرس على غيرهم من الأجناس.

لكن أودُّ أن أطرح سؤلاً هل نظام الملك السلجوقي فارسي أيضًا. أم هو تركي شافعي أنشأ المدارس النظامية لمواجهة المدّ والفكر الشيعي. ما أحوجنا إلى من ينهج نهجه اليوم.

(١) المصدر نفسه، ١٣٨٨، ص١٠٤.

الدولة الغزنوية

يقول النص: " في زمن الحكومة السامانية تم تجنيد عدد من الجنود الأتراك بصفتهم قوات حربية، وبالتدريج استطاع بعض هؤلاء المحاربين أن يصلوا إلى مناصب القادة وقادة عامين للجيش، في نفس وقت وصول القادة الأتراك إلى السلطة، استمر دخول الأتراك إلى إيران واستقرت عدد من القبائل التركية فيما وراء النهر وخراسان، القادة الأتراك ورؤساء القبائل التركية شكلوا في إيران ثلاث حكومات وذلك ما بين القرن الرابع والسابع هجري. هذه الحكومات الثلاث عبارة عن الغزنويان، السلاجقة، خوازم شاهيان، لهذا كانت تتسمى هذه الفترة في تاريخ إيران بفترة الحكم التركي، "[1].

وفي موقع أخر تقول نصوص الكتب المدرسية الإيرانية: "أحد القادة الأتراك في الحكومة السامانية، يدعى آلبتكتين، آلبتكتين ذهب إلى غزنين (مدينة في أفغانستان) وشكل هو وخليفته حكومة في هذه المدينة، ولهذا سموا بالغزنويين.

يضيف النص: "من أشهر قادة الغزنويين السلطان محمود الغزنوي، وقد وسع أقاليم الغزنويان، وقد حرَّك جيشًا إلى سيستان وقضى على من بقي من الصفاريين، بعد ذلك هاجم خراسان وما وراء النهر، وكذلك وضع يده على جزء من أقاليم آل بويه.

ومن أحد أعمال السلطان محمود قام بحملة على هندوستان (الهند، باكستان، بنجلادش وسيرلانكا، كانوا يطلقون عليها في ذلك الوقت هندوستان) لقد قام

---

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته أدبيات وعلوم إنساني)، ص١٤٤.

بمهاجمة هذه البلاد عدة مرات، وضموها إلى أقاليم غزنويان، خلال هذه الغارات كسبوا الكثير من ثروات معابدهم وكانت من نصيب السلطان محمود وأدَّى هذا الأمر إلى تكرار الغارات على هندوستان"[١].

هل تعلم:

يقول النص: "إنَّ الفردوسي الشاعر والعالم الإيراني كان يعيش في عهد السلطان محمود الغزنوي، وبتأليفه الشاهنامه كان له دور مهم في حفظ واستمرارية تاريخ إيران".

وقد تأثَّر الكثير من الشعراء من بعده بالشاهنامه، هذه المجموعة الفريدة من نوعها ستبقَى دائمًا في الذكرى"[٢].

تحليل النص:

محاولة ترسيخ القيم القومية من خلال الإشادة بالشعراء الإيرانيين، واستغلال النصوص التاريخية لغرس هذا الجانب.

تأسيس الحكومة الغزنوية

يقول النص: "في أواخر الحكومة السامانية حاول أحد القادة الأتراك باسم ألبتكين مع مجموعة أخرى بالتواطؤ لإيصال أحد أعضاء العائلة السامانية إلى الحكم

---

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلى، مرحله دوم تعليمات عمومى، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٩، ص٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٤.

ولكنه لم ينجح بهذا[١].

بعد هذه الأحداث ذهب ألبتكين إلى غزنة في شرق إيران، وحكم هذه المنطقة (٣٥١هجري – قمري) الدولة السامانية كانت تعاني من مشاكل داخلية، ومن ناحية أخرى كانت تعاني من مشاكل فيها وراء النهر مع المسلمين ومع التركي الأصل ايلك خانيان (قراخانيان) قبل السامانين حكم ألبتكين على غزنة وأعلن ألبتكين نفسه أيضًا تابعا للسامانيان، الحكومة التي أسسها ألبتكين وانتسب اسمها إلى مدينة غزنة وعرفت فيها بعد بالحكومة الغزنوية[٢].

يضيف النص "أحد أشهر خلفاء ألبتكين نسيبه سبكتكين، أظهر سبكتكين الكثير من الكفاءة، ولفتت إليه أنظار كبار الأتراك في غزنة، في نفس الوقت كانت الحكومة السامانية قد وصلت إلى أقصى درجات ضعفها. أعلن سبكتكين وفائه للسامانيان، واتجه من غزنة إلى خراسان بحجة قمع قادة الطموح، واستطاع إلى حد ما أن يهدئ الأوضاع لمصلحة السامانيان، الحكومة السامانية أيضًا ثبتت فقط سبكتكين في حكم غزنة وأيضا وضعت ابنه محمودا لإدارة خراسان، استطاع محمود وبالاستفادة من الإمكانيات الموجودة في منطقة بهناور وأباد أن يفرض سلطته يومًا بعد يوم بعد فترة قصيرة، في سنة (٣٨٧ هجري – قمري) توفي سبكتكين، تولى السلطة ابنه محمود وفي ذلك الوقت وصل حكم بخاري إلى يد إيلك خانيان وبخارى إلى يد عمر وبذلك انتهى حكم السامانيان، وكذلك النواحي الجنوبية من نهر جيحون، وكذلك أجزاء من الأقاليم السامانية أضافها محمود إلى سلطته، وبهذا

---

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري، ص١٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ص١٤٥.

حصلت الحكومة الغزنوية على الاستقلال الكامل، وأيد أيضًا الخليفة العباسي (القادر بالله) حكومة محمود[١].

خلال فترة حكم محمود والتي استمرت أكثر من ثلاثة وثلاثين عامًا قضى أكثرها بالحرب مع الحكومات المجاورة وتوسيع أقاليم الحكومة الغزنوية وأكثر هذه الحروب انتهت بانتصاره، بالإضافة إلى الاستفادة من الجنود وتحسين أوضاع الحكومات المجاورة، في ذلك الوقت تجزأت حكومة آل بويه، وكان بقايا لحكومة آل زيار الضعفية في جرجان، وكذلك الصفاريان كانوا يعانون من الاختلافات العائلية في سيستان، وفي الهند أيضًا رغم الثروة الفائقة إلا أنهم كانوا يفتقرون إلى الوحدة السياسية"[٢].

*** علل وأسباب الحملة الغزنوية على الهند:**

يورد النص "أحد أهم الأسباب زيادة عدد الجنود خلال عهد الغزنويان وعدم التزام الهند، هذا الأمر بدء في عهد سبكتكين ووصل إلى ذروته في عهد حكم محمود، تابع الأمر بواسطة خلفائه، الحملة على الهند كانت هامة بالنسبة إلى الحكومة الغزنوية من عدة جهات:

١- الهند أراضيها خصبة وغنية ومليئة بالمعابد الوثنية المليئة بالجواهر التي كان الناس هناك يقدمونها هدايا، وبناء على ذلك فمعنى ذلك وصول هذه الثروات العظيمة إلى أيدي الغزنويان.

---

(١) المصدر نفسه، ص١٤٥.

(٢) المصدر نفسه، ص١٤٥.

٢- الحملة على الهند من وجهة نظر المسلمين وخاصة الخلافة العباسية أن أراضي الكفار هذه تعتبر توسعا للأقاليم الإسلامية ونوع من الشرعية للحكومة الغزنوية.

٣- القوات الحربية كانت أكثرها من الغزنويان وهذا إثبات أن الحكومة الغزنوية هي الأصلية والتي كانت مشغولة بالهجمات المستمرة على الهند، وفي حالة بقاء الجند بدون عمل فإن لك قد يسبب الفوضى.

ويضيف النص: "الشخص الذي كان يقصده ألبتكين نصر بن عبد الملك بن نوح، ولكن من وصل الإمارة كان عمه منصور بن نوح[(١)].

الحملات على الهند أثمرت عدة مكاسب الأول أنها كانت السبب في انتشار الإسلام في هذه الأراضي، والثاني لأن اللغة الفارسية كانت اللغة الرسمية للحكومة الغزنوية، انتشرت هذه اللغة في الهند أيضا، ثالثًا ضعفت القوات الدفاعية في هذه الأراضي وأفسحت المجال للقوات التي جاءت فيما بعد"[(٢)].

(١) المصدر نفسه، ص١٤٥.

(٢) المصدر نفسه، ص١٤٦.

فتح سومنات

يقول النص "إحدى أشهر فتوحات السلطان محمود في الهند.كانت فتح سومنات، سومنات أحد أكبر وأهم الأصنام في الهند، كان طوله خمسة أمتار في معبد كبير، وكان الهنود يزورون سومنات مجموعات مجموعات، وكان مئات البراهمة مشغولين بعبادته، كان الهنود يعتقدون أن البحر هو سومنات وكانوا يعتبرون المد والجزر هي إحدى علاماته، وكانوا ينذرون المجوهرات الكثيرة لهذا الصنم، المئات من القرى كانت وقفا له، أكثر حملات الغزنويان كانت من أجل السيطرة على هذا المعبد، كان عدد من الهنود يعتقدون أن هذه الأصنام ستمنع جند السلطان محمود من الوصول، عندما تحرك الجيش الغزنوني البالغ ثلاثين ألف جندي باتجاه السومنات، وقع الهنود على أيدي وأقدام السومنات يرجونه أن يمنعهم، ولكن عملهم هذا لم يثمر عن نتيجة، وبأمر من السلطان محمود حطمت السومنات ودمر المعبد، وقدمت الثروة إلى السلطان محمود".

(سوم) بمعنى القمر و(نات) يعنى الصاحب[1].

***الغزنويان بعد السلطان محمود:**

يقول النص "بعد موت السلطان محمود (٤٢١هجري – قمري) حدث اختلاف بين ولديه محمد ومسعود على الحكم، انتهى هذا النزاع بعد عدة أشهر بانتصار مسعود، ولكن لم تنتهى الفوضى في الحكومة الغزنوية، مسعود كان يظن أن الولاة الذين كانوا في عهد والده غير راضين تمامًا عن وصوله للحكم وأنهم قبلوا

(١) المصدر نفسه، ص١٤٦.

بحكمه على أساس انه لا حيلة بأيديهم، ومن هذا المنطلق فإن المئات منهم اختاروا التنحى، حسب كتابات تاريخ البيهقى وهو أهم نص تاريخي متعلق به فترة حكم السلطان مسعود في ذلك الوقت انقسم الولاة إلى قسمين مخالفين، الأول الأبويون يعني الأشخاص الذين تم تعيينهم في عهد الأب، والثاني الأولاد، يعني الذين عينهم السلطان محمود والأبناء الآخرون وهم من أتباع مسعود، من بين الأبويين الذين تعامل معهم مسعود بصعوبة الخواجة أبو علي ميكال المشهور بحسنك وكان وزيرا، مسعود كان يعلم أن حسنك كان يستغل منصبه السياسي ومكانته الاجتماعية الخاصة، واتهمه بالانحراف الديني، ولهذا قام بالترتيبات وقام بمصادرة أمواله، هذا العمل كان ضربة صعبة للحكومة الغزنوية، مسعود وبعمله هذا حرم نفسه من الاستفادة من الأشخاص ذوي الخبرة وخفض من شريعة الحكومة الغزنوية بين الناس[1].

يضيف النص "استمرّ مسعود الغزنوي بحملاته على الهند، وبإصراره على ذلك أدى بالنهاية إلى خسارة الحكومة الغزنوية، ولذلك فإن الاستفادة من ثروات الهند الكبيرة في تأمين مصاريف الجنود الغزنوين لم تؤد إلى نتيجه"[2].

ومن أهم الآثار التي بقيت من العهد الغزنوي عدة منارات في أفغانستان اليوم على اليمين منارة من عهد أحد القادة الغزنويان (محمود الثالث) وعلى اليسار منارة بنيت بأمر أحد القادة الغزنويين، باعتقادك ما الهدف من بناء هذه المنارات؟

(١) المصدر نفسه، ص١٤٦.

(٢) المصدر نفسه، ص١٤٦.

وهذه الميزانية الكبيرة وقعت على عاتق الناس، هذا الوضع أدى إلى تذمر الناس من الغزنويان وبخاصة أهالي خراسان. ومن ناحية أخرى أن تركيز السلطان مسعود على الهند، جعله يغفل عن زيادة قوة القبائل السلجوقية في خراسان"[١].

فكر وأجب:

بناء على ما قرأت حتى الآن اذكر ثلاثة أسباب لضعف وزوال الدولة الغزنوية[٢].

*** ضعف الغزنويين:**

يقول النص: "بعد السلطان محمود حكم ابنه مسعود، السلطان مسعود لم يستَفِدْ من أعمال وسياسة والده، بالإضافة إلى ذلك انشغل بالحملات المتعددة إلى مناطق إيران والهند المختلفة، لقد غفل عن الحدود الشمالية للأقاليم الغزنوية يعنِي ما وراء النهر، بالنتيجة مجموعة أخرَى من الأتراك باسم السلاجقة دخلوا إلى خراسان، وبعد مده هزموا جنود السلطان مسعود، وبعد الهزيمة فرّ السلطان مسعود وأصبحت الحكومة الغزنوية مجرد حكومة محلية صغيره في غزنويان"[٣].

---

(١) المصدر نفسه، ص١٤٦-١٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٧.

(٣) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلى، مرحله دوم تعليمات عمومى، ص٤٥.

تأسيس الحكومة السلجوقية

تقول الكتب المدرسية في موقع أخر حول هذا الموضوع: "بعد موت السلطان محمود الغزنوي وظهور الخلافات في الديوان الغزنوي وسياسية السلطان محمود الركيكة، أعطت الفرصة للسلاجقة لتزداد قوتهم ليفرضوا سلطتهم على إقليمهم ويسيطروا على خراسان، من أهم الانجازات في ذلك الوقت سيطرتهم على مروة ونيشابور، وبالنظر إلى أهمية موقع نيشابور في خراسان، تمت سيطرة السلاجقة الكاملة (في سنة٤٢٩ هجري – قمري) وهذا يعتبر حدثًا هامًّا.

بعد سيطرة السلاجقة على نيشابور سعى السلطان مسعود لقمعهم، وفي مكان باسم دندانقان هزمه جنود السلاجقة بقيادة طغرل، معركة داندنقان أنهت حكومة الغزنويان في خراسان.

بعد أن أخرج طغرل الغزنويان من خراسان جلس على كرسي الحكم وألقى خطبة باسمه وطبع عملة باسمه، وهذا يعنى بداية حكم السلاجقة، طغرل ومن أجل إضفاء الشرعية على حكومته سعى لكسب حماية الخليفة العباسي.

استفاد طغرل من خبرة وقدرة الإيرانيين في إدارة البلاد، واستطاعوا أن يستفيدوا من خبرتهم في قيادة القبائل من تأسيس حكومة قوية وإدارة أقاليم واسعة، كان وزيره المميز عميد الملك كندري، بالإضافة إلى خراسان فقد شملت أقاليم السلاجقة غرب إيران.

ألب أرسلان وانتصاره على الإمبراطورية الرومانية الشرقية: خلف طغرل ابن أخيه باسم ألب أرسلان في الحكم، بدأ بقمع الشغب الذي قام بعد وفاة طغرل،

وبعد ذلك فكر بتوسيع أقاليم الحكومة السلجوقية، في عهده امتدت الأقاليم السلجوقية من نهر سيحون في الشرق حتى سواحل البحر الأبيض في الغرب، وهذه كانت أكبر أقاليم لحكومة في إيران بعد ظهور الإسلام، لهذا فقد سمى بعض الباحثين في التاريخ الحكومة السلجوقية باسم الإمبراطورية السلجوقية[١].

إحدى الإنجازات الهامة في عهد ألب أرسلان الحرب مع الحكومة البيزنطية (الروم الشرقية).

السلاجقة بعد سيطرتهم على النواحي الغربية لإيران، أصبحوا مجاورين للبيزنطيين في آسيا الصغرى، أخذت الحكومتان شكل الحكومة البيزنطية (١) سعت لاستعادة الأراضي التي سيطرت عليها الحكومة السلجوقية، كانت معركة البداية في سنة ٤٦٣ هجري – قمري في منطقة باسم ملازكرد في تركيا اليوم، هزم في هذه المعركة الجنود البيزنطيون وأسر الإمبراطور البيزنطي، بعد فترة وبعد أن أخذ ألب أرسلان المال من الرومان قام بإطلاق سراحه، هذا شكل أرضية مناسبة لانتشار الإسلام أكثر، وكذلك انتشار اللغة الفارسية في أسيا الصغرى[٢].

١- رومانوس دير جانوس RomamusDiogenos

٢- بعد فترة تمكنت حكومة السلاجقة من آسيا الصغرى، حكمت هناك فرع من العائلات السلجوقية عرفوا بالسلاجقة الروم، في ذلك الوقت كان يطلق على آسيا الوسطى الروم، هذه المنطقة كانت لفترة تحت حكم الإمبراطورية الرومانية ".

---

(١) تاريخ إيران وجهان ١، نظري، ص ١٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ص١٤٨.

يقول النص: "إنَّ مؤسِّس سلالة السلاجقة هو طغرل وجده يدعى سلجوق، ولهذا السبب سُمِّيت الحكومة التي أسسها حكومة السلاجقة، السلاجقة وخلال بحثهم عن أماكن لرعي ماشيتهم تدريجيًّا دخلوا إلى آسيا الصغرى وما وراء النهر وخراسان، السلطان مسعود الغزنوي حاول إخراجهم، ولكن طغرل استطاع أن يهزمهم في حرب داندانقان، بعد انتصاره على الغزنويين أسقطت ما بقى من حكومة آل زياد، بعد ذلك ذهب إلى المناطق المركزية وغرب إيران وقضى على حكومة آل بويه، وتوسعت أقاليمه إلى الشام".

يضيف النص: "بعد طغرل وصل ابن اخيه آلب أرسلان إلى الحكم، استمرَّ في فتوحات السلاجقة، ومن بينها هاجم البيزنطيين الشرقية (بيزانس) وفي معركة ملازكرد هُزِم الجنود البيزنطيون وأُسِر أمبراطور الروم (انظر إلى الخارطة في الصفحة التالية)، في النهاية وبفتح ملازكرد أصبح القسم الأكبر آسيا الوسطى تحتَ أيدي الأتراك المسلمين، وهذا الأمر أقلق الأروبيين".

يضيف النص: " خليفة آلب أرسلان ابنه سلطان ملك شاه، وكان من أشهر السلاطين السلاجقة، ولأن فتوحات السلاجقة توسَّعت من قرب الصين، ومن الغرب إلى البحر الأبيض المتوسط، وأصبحت مدينة أصفهان عاصمة لملك شاه".

يذكر النص: "أنَّ من أشهر وزراء العهد السلجوقي خواجا نظام الملك طوسي، أنشاء العديد من المبانِي ومن أهمها تأسيس المدارس العسكرية، في العديد من المدن الكبيرة مثل بغداد ونيشابور، وكانت مكانًا للطلاب والتحصيل"[1].

---

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ي راهنمايى تحصيلي، ص٤٦-٤٨.

تقسيم أقاليم السلاجقة

يقول النص: "إنَّ من الأمور التي ساعدت تأسيس الحكومة السلجوقية من خلال الاستيلاء على الأراضي الكثيرة ووحدة أبناء سلجوق وبوجود الوزراء المختصين مثل ملك شاه، وخواجه نظام الحكم، انقسمت أقاليم السلاجقه وأدَّى ذلك إلى انقراض الحكومة السلجوقية. والسبب الرئيسي في ذلك كان الخلاف حول خليفة ملك شاه.

يضيف النص: "بعد عدة سنوات من وفاة ملك شاه، تسلم الحكومة ابنه السلطان سنجر وحاول أن يعيد إلى الدولة السلجوقية قوتها ووحدتها، ولكنه لم يستطع، ولم يوفق في المحافظة على قوة السلاجقة وجود حكومات جديدة وقوية في شمال إيران، ولهذا اتخذ السلطان سنجر مدينة مرو في شمال خراسان عاصمة له، وذلك ليكون قريبًا من حدود إيران الشمالية الشرقية".

"من أهم أعداء السلاجقة (خوار زمشاهيان) الخوارزم هؤلاء كانوا منذ البداية تحت أيدي السلاجقة، ولكن عندما ضعفت قوة السلاجقة وكثر أعداؤهم، أعلنوا استقلالهم وبالتدريج أصبحت خراسان تحت سلطتهم، عندما أصبحت خراسان بأكملها تحت أيدي (خوارزمشاهيان) الخوارزم، تقسمت كذلك بقية الأقاليم السلجوقية على يد الأمراء السلاجقة، وظهرت بعد ذلك حكومات محلية"[1].

(١) المصدر نفسه، ص٤٩.

الإسماعيليون حكام الجبال

يقول النص: "في الفترة السلجوقية، حكم الإسماعيليون أطرافَ إيران، في زمن السلاجقة كان قائد الإسماعيليين شخصًا اسمه حسن الصباح، وكان شخصًا ذكيًّا أرسل مبلغين إلى مناطق مختلفة واستطاع أن يجمع الكثير من المؤيدين له، وكذلك بنَى قلعة كبيرةً في الجبل قرب قزوين وكانت مقرًّا لنشاطه".

يضيف النص: "حسن الصباح كان معارضًا للسلاجقة واشتبك معهم، وأمر أتباعه أن يقتلوا معارضيهم، ومن ضمن من قتلوا على يد الصباح، خواجه نظام الحكم"[1].

وبعد نهاية النص تطرح الأسئلة التالية على الطلبة لترسيخ بعض الأفكار:

الأسئلة والمناقشة:

١- املأ الفراغات التالية بالكلمات المناسبة

أ- من أشهر القادة الغزنويين..............................

ب- مؤسس سلالة السلاجقة............................

ت- من اشهر وزراء السلاجقة...........................

---

(١) المصدر نفسه، ص٤٩.

٢-أوجد العلاقة بين العمودين وصل بينهما بخط

الحرب مع البيزنطين	السلطان سنجر
الحملة على الهند	السلطان محمود الغزنوي
انتقال العاصمة إلى مدينة مرو	آلب أرسلان
	طغرل

٢- ما المناطق التي ضمها محمود الغزنوي إلى أقاليم غزنويان؟

٣- بين مَن ومَن وقعت حرب ملازكرد وما نتيجتها؟

٤- لماذا سميت المدارس بالعصر السلجوقي بالمدارس العسكرية؟

٥- مع مراجعة الخرائط في الصفحات ٤٥ و٤٨ أي أقاليم أكبر الغزنويان أو السلاجقة؟

٦- اكتب بحثًا قصيرًا حول علاقة السلطان محمود الغزنوي مع الفردوسي.

٧- اذكر أسباب تقسيم وانقراض السلاجقة؟

٨- بالاستفادة من خارطة أقاليم الغزنويين والسلاجقة وضِّح ما هي المناطق إلى ضُمَّت إلى أقاليم حكومة السلاجقة[1].

وفي موقع أخر هناك إشادة بالإسماعيلين حيث يقول النص: "في عصر السلاجقة كانت هناك حركة دينية – سياسية قوية تشكلت في إيران، وجزء هام من قدرة حكومة السلاجقة ذهب في مواجهة هؤلاء، كانت هذه الفرقة فرقة

(١) المصدر نفسه، ص٥٠.

الإسماعيليين، الإسماعيليون فرقة من الشيعة، إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ويعرفون أنه الإمام، وبما أن إسماعيل توفي قبل أبيه اعتقد الناس أن ابنه محمدًا يعتبر الإمام.

تفرق الإسماعيليون في أراضي مختلفة من بينها إيران، الهند، الشمال وشمال إفريقيا، الإسماعيليون في إيران بقيادة حسن صباح حاولوا زيادة قوتهم لمواجهة الحكومة السلجوقية التي كانت معارضة للإسماعيليين، اختار الإسماعيليون عدة قلاع وفي مناطق مختلفة من إيران واتخذوها قواعد لهم، وكان من أهم هذه القلاع شاه دج بالقرب من أصفهان، والموت بالقرب من قزوين.

استمر العداء بين السلاجقة والإسماعيليين حتى نهاية الحكم السلجوقي، وبالنهاية انتهت القدرة السياسية والعسكرية للإسماعيليين خلال حملة المغول على إيران"[(١)].

تحليل النص:

حتى هذه الفترة حاول النص إبراز دور الفرس في صنع أحداث التاريخ الإسلامي، الذين "لولاهم ولولا مشاركتهم لما شُيِّدت الدولة والحضارة الإسلامية".

ثم يبدأ النص بالتمهيد الإيرانيين، لترسيخ مفهوم الروح الاستقلالية للفرس، وأنهم شعب يعتزُّ بقوميته، ولا يقبل أن يحكم من قبل عنصر آخر. فكان طاهر بن الحسين قد أسَّس أول حكومة "نصف مستقلة" في إيران.

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٥٠.

لذا نجد النصَّ منذ قيام الدولة الطاهرية في بلاد خراسان يأخذ ببلورت تاريخ إيران، هذا التاريخ الذي يرفض التبعية للأجنبي (العرب). ومع ذلك فإنَّ كاتب النص لم يستطع الاستمرار في الحديث عن تاريخ إيران بمعزل عن آل البيت، لذا نجده يقحم النص بأحداث تاريخية لا علاقة لها بإيران كحديثه عن بلاد الديلم، وتأسيس العلويين بها حكمًا خاصًّا. كما أنه تحدث عن البويهيين وهم ليسوا من الفرس، لكنهم لما أرادوا أن يوجد حكومة، لم يجدوا أفضل من النموذج الفارسي، لذا أصدر مردويخ بن زيار أمرًا "بإحياء الكثير من القوانين ومن عادات وتقاليد الفرس".

ويرتبط بما سبق أيضًا، بأنَّ البويهيين بعد أن سيطروا على بغداد، فإنهم "توسعوا في إنشاء المراكز الشيعية في العراق وقم.

هنا أودُّ التركيز على نقطة تَمَّ التنبيه لها أكثر من مرة أثناء التعليق على النص، إذا كان الفرس الإيرانيون ومن شايَعهم من الديالمة كالبويهيين، مؤمنين بحق آل البيت في الحكم، وهذه العقيدة من القيم التي لا يقوم إيمان أحدهم إلا بها، نقول: لماذا لم يغيروا نظام الحكم العباسي، وإعادة الحق إلى أصحابه من آل البيت؟

ولكن مما سبق نلاحظ أن الفرس وغيرهم من العناصر التي لبست لبوس التشيع، لبسته لتحقيق مصالحها ونفوذها، وضحَّت بكل المبادئ والقيم لأجل تلك الغاية، فقد حانت لهم الفرصة أكثر من مرة لقلب نظام الحكم وخاصة في عهد بني العباس. بدءًا من أبي مسلم الخرساني ومرورًا بالبرامكة، وانتهاءً بالبويهيين.

ملك شاه وخواجا نظام الملك أوج ازدهار السلاجقة

يقول النص: "الحكومة التي تأسست بواسطة طغرل، وأوصلها ألب أرسلان إلى مستوى الإمبراطورية وصلت في عهد خليفته ابنه ألب أرسلان إلى أوج قدرتها وازدهارها وتوسعها، استطاع ملك شاه وبمساعدة وزيره الإيراني المميز خواجه نظام الملك توسي أن يثبت قواعد حكومته بالإضافة إلى تطويعه لمن تبقى من الغزنويان في أفغانستان والصفاريان في سيستان للحكومة السلجوقية، اهتم ملك شاه اهتماما خاصا بالشام وآسيا الصغرى وسعى لتوسيع حكم السلاجقة هناك.

من الإنجازات المهمة في زمان ملك شاه اتفاقه مع الخلفاء العباسيين، السلاجقة كانوا يعتبرون أنفسهم منجين الخلافة العباسية من سلطة آل بويه، وكانوا يريدون من الخلفاء التعاون الكامل لسياستهم، مخالفة الخلفاء العباسين لهذا الأمر جعل ملك شاه يفكر بمهاجمة بغداد، ولكنه لم يوفق بهذا الأمر[1].

في فترة حكم ملك شاه كانت أصفهان عاصمة له، وقد قام وبتوجيه من خواجه نظام الملك بإقامة المباني الكبيرة في هذه المدينة وكذلك تقوية البنية التحتية فيها، الشيء الهام في نجاح السلاجقة كان بفضل براعة وخبرة رجل كبير مثل خواجة نظام الملك الذي كانت إدارة أمور البلاد بيده"[2].

---

(١) تاريخ إيران وجهان ١، ص ١٤٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٩.

***العوامل التي أثرت وكيفية زوال الحكومة السلجوقية:**

يقول النص "بعد وفاة ملك شاه وخواجه نظام الملك، اتجهت الحكومة السلجوقية نحو الضعف السريع وذلك نتيجة ظهور الخلافات بين أعضاء العائلة السلجوقية، تقسمت الحكومة إلى عدة فروع، وزيادة الصراع بين مطالبي السلطة، طريقة إدارة السلاجقة للبلاد أيضا كانت بشكلٍ سبَّب ضعف قوتها، وكمثال نستطيع أن نشير إلى أسلوبين: الولاة والإقطاعيين، الولاة الأشخاص المشرفون على حكم الأمراء في الإمارات المختلفة، ولكن هؤلاء وبالتدريج وبسبب تخلي الأمراء عن مناصبهم فقدوا قيمتهم التشريفيه، فقد سيطر هؤلاء الولاة على حكم الإمارات، وفي الوقت الذي ضعفت فيه الحكومة السلجوقية شكل الولاة حكومات مستقلة في نواحي وأطراف إيران، من أهم هذه الحكومات كانت في فارس، ويزد، آذربيجان ولرستان واستقروا هناك لفترة بعد زوال دولة السلاجقة.

إقطاعيو الأراضي الذين كانوا معينين من قبل الحكومة السلجوقيه كانوا من القادة العسكريين حتى يستفيدوا من عائدات هذه الأراضي، وهذا الأسلوب يقلل من الاعتماد على الحكومة السلجوقية، ومن ناحية أخرى، أرضية لزيادة الظلم الواقع على الناس(١).

من أشهر الحكام السلاجقة بعد ملك شاه السلطان سنجر، بعد عدة اشتباكات مع مدعي الحكومة، سيطر على شرقي الحكومة السلجوقية، اتخذ سنجر من مرو عاصمة له وحاول مرة أخرى إعادة الوحدة إلى الإمبراطورية السلجوقية، وقد

---

(١) تاريخ إيران وجهان ١، ص ١٥٠.

اشتبك لفترة مع الإسماعيليين، ولكنه لم ينجح في قمعهم وذلك بسبب مواجهته لهجمات الأتراك في الشرق، ورغم أنه تم سجنه من قبل الأتراك ونجا من الأسر، ولكن بوفاته المبكرة زاد من سرعة الضعف في الحكومة السلجوقية، في النهاية وفي منتصف القرن السادس الهجري كان يحكم كل ناحية من الأقاليم السلجوقية إما إقطاعي أو أمير إقطاعي، قام الخوارزم شاهيان بإنهاء عمر الحكومة السلجوقية في إيران"[1].

فكر وأجب:

بناء على ما قرأت اذكر أربعة عوامل أدت إلى ضعف وزوال الحكومة السلجوقية[2].

تأسيس حكومة الخوارزم شاهيان

يقول النص "كما ترى في خارطة أقاليم الخوارزم شاهيان نرى أن الخوارزم شاهيان من الناحية الجنوبية لبحيرة آرال وشرق بحر الخزر، هذه المنطقة ولأسباب مميزة لها أهمية خاصة، وجود مصادر للمياه كان السبب في خصوبة الأراضي وازدهار التجارة، وكذلك وقوع خوارزم في طريق ارتباط الشرق بالغرب كان له أهمية خاصة وكذلك وجود الموانع الطبيعية مثل نهر جيحون والطرق المتعددة والصحاري الواسعة بين هذه المناطق أدى إلى الاستقلال النسبي للحكام وكذلك صعوبة الهجوم على هذه المناطق.

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٥٠-١٥١.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥١.

الحكام الخوارزميين كان يطلق عليهم قبل الإسلام خوارزم شاه، الحكومة السلجوقية والغزنوية عند وصول السلطة لها جعلتهم تحت سلطتها، وأصبح حكامهم تابعين لهم، ملك شاه السلجوقي سلم إدارة خوارزم لأحد البوابين باسم أنوشتكين، أنوشتكين وابنه قطب الدين محمد الذي وصل له الحكم من بعد والده كان يدير الأمور الداخلية باستقلالية وكان يعتبر نفسه تابعا للحكومة السلجوقية، وبظهور الفوضى بالإمبراطورية السلجوقية وبوصول فشل سنجر في الحدود الشرقية وصلت ذروته، كان على رأس حكومة الخوارزم شاهيان آتسز حفيد أنوشتكين واستمر في مسيره نحو الاستقلال الكامل استطاع سنجر أن يقمعه عدة مرات وفي كل مرة كان يعود سنجر من خوارزم كان آتسز يسيطر عليها مرة أخرى"[١].

تقول الكتب المدرسية الايرانية في موقع أخر حول هذا الموضوع: "أراضي خوارزم تقع في جنوب بحر خوارزم (حاليًا آرال) وقائدها يُعْرَف باسم خوارزم شاه (يعني ملك خوارزم)، من أشهر ملوك خوارزم الذين جاءوا بعد السلاجقة محمد خوارزمشاه"[٢].

يضيف النص: "حكومة الخوارزم كانت حتَّى فترة حكم السلطان محمد موفقة، ولكنها لم تكن قائمة على أسس متينة وقوية، لهذا لم يكن لهم سلطة على الحكومات المحلية، ومن ناحية أخرى السلطان محمد كان بينه وبين الخليفة العباسي عداوة بالإضافة إلى تدخُّل والدة السلطان محمد في أمور الحكم وسببت الارتباك، ، هذه الأمور كانت تزيد غضب الشعب، محمد شاه كان مغرورًا في أواخر حكمه وقعت

(١) المصدر نفسه، ص ١٥١.

(٢) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلي، ص٥١.

حرب بينه وبين القراخناية وقضى على حكومة القراخناية واعتبر المؤرخون أنَّ ما قام به السلطان محمد كان خطأً كبيرًا.

نشاط: بمساعدة الخارطة في الصفحة السابقة لماذا تتوقع أن ما قام به السلطان محمد كان خطأً[(١)].

وصول السلطة إلى جنكيزخان

يقول النص: "أرض المغول كانت في شمال الصين ذات الجو البارد والجاف، كان يعيش في هذه الأرض قوم يجوبون البراري يسمون المغول وكانوا يقضون وقتهم بالقتل وبالهجوم والغارات على الأراضي العامرة في فترة حكم السلطان محمد كان جنكيزخان حاكم المغول، وقد وصل إلى رئاسة قبائل المغول بعد حروب كثيرة".

يضيف النص: " أباد جنكبزخان أعداءه بدون رحمة بالإضافة إلى أنَّ جنكيزخان كان ينوِي مهاجمة الدول المجاورة، وقد استولى على أراضي وثروات الناس في هذه الأراضي المغول كانوا يقدرون قادتهم وكانوا ينفذون الأوامر بكل دقة"[(٢)].

هل تعلم:

يقول النص: "إنَّ العمل باللوائح والقوانين التي وضعها جنكيزخان كان له أهمية كبيرة بالنسبة إلى المغول وكانوا يسمونها قانون (باسا) ومن يتخلف عن هذا القانون كان يتعرض إلى عقوبات، لهذا السبب في أي وقت يكون فيه الحديث عن الصرامة يحضر في الأذهان جنكيز خان، أم لم يكن جنكيز بهذه الصعوبة".

---

(١) المصدر نفسه، ص٥١-٥٢.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٢.

يضيف النص: "في البداية هاجم جنكيزخان شمال الصين وقتل ونهب أموال الناس في هذه الدولة"[١].

زيادة سلطة الخوارزم شاهيان والنزاع مع الخلافة العباسية

يقول النص "بعد وفاة سنجر وآتسز وحدث هذا خلال سنة استطاع تكش أن يؤسس خوارزم شاه جديدة وذلك بانتصاره على منافسيه وبالاستفادة من ضعف الحكومة السلجوقية استطاع أن يصل إلى القوة والاستقلال لحكومة الخوارزم شاهيان[٢]، بالإضافة إلى ضم ما وراء النهر، وخراسان بالإضافة إلى المناطق المركزية في إيران إلى سلطته، تمكن من هزيمة آخر سلطان سلجوقي في إيران (طغرل الثالث)، لهذا اعتبر بعض المؤرخين أن تكش هو المؤسس الفعلي لحكومة الخوارزم شاهيان[٣] تكش وخلال تقدمه نحو الغرب واقتراب إيران من أقاليم الخلافة العباسية، طلب من الخليفة العباسي أن يعامله مثل السلاطين السلاجقة، وأن يعترف به رسمياً، ولكن الخليفة العباسي الناسي لدين الله وعلى عكس الكثير من الخلفاء، كان شخصا قويا، وكان يسعى أن يملأ منصب الخلافة بشكل أكبر ويعيد للخليفة مكانته في العالم الإسلامي، ولم يرض بهذا الأمر، وبناء على ذلك زادت العداوة بين الخليفة وتكش، ولكن موت تكش حال دون وقوع الحرب بينهم[٤].

---

(١) المصدر نفسه، ص٥٢.

(٢) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته أدبيات وعلوم إنساني)، ص ١٥١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٥٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٥٢.

السلطان محمد خوارزم شاه

يقول النص: "ابن وخليفة تكش استمر على طريق والده في توسيع وتقوية حكومة الخوارزم شاهيان في المناطق مثل: تركستان وأفغانستان وفارس وأذربيجان، وكرر الطلب من الخليفة بالاعتراف رسميًا بحكومة الخوارزم شاهيان، ولكنه كان يواجه ردود الخليفة الباردة. بالنهاية خرج بجيش إلى بغداد لمواجهة الخليفة، ولكن جيش الخوارزم شاهيان علق بالأرض في أسد آباد وهمدان، وذلك بسبب الثلوج الكثيفة، وبعد ذلك لم يستطع السلطان محمد تكرار هذا الأمر بسبب حملات المغول. في الوقت الذي كان السلطان محمد الخوارزمشاه مشغولاً بتوسيع أقاليمه"(١).

يقول النص: "وصل له خبر حكومة قوية بقيادة جنكيزخان في مغولستان، في نفس الوقت الذي كان يتوسع فيه السلطان محمد باتجاه الغرب، أصبح المغول جيرانًا إلى الخوارزم شاهيان جنكيزخان، الذي سيطر على الصين. كان ينوي أن يقيم علاقة مع الخوارزم شاهيان، لهذا أرسل وفدًا سياسيًا وتجاريًا إلى ما وراء النهر وخوارزم. أحد هذه الوفود كان يتكون من حوالي خمسمائة تاجر، وقافلة تجارية كبيرة وصلت إلى مدينة أترار في الحدود الشرقية لأقاليم الخوارزم شاهيان. أصدر غاير خان (حاكم هذه المدينة)، وهو من عائلة السلطان من جهة الأم، أصدر أمرًا بإيقاف هذه القافلة، ومصادرة أموالهم، وأرسل رسالة إلى خوارزم شاه قال فيها: إن هؤلاء جواسيس جنكيزخان. خوارزمشاه الذي أرسل قواته إلى بغداد، ولم يوفق في

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٥٢.

هذا الأمر، وأمام أمه وأهله لم يكن يملك الحرية والاستقلالية الكاملة، إلا أنه وافق على قتل ومصادرة أموال من في القافلة. أرسل جنكيزخان مندوبًا إلى ديوان الخوارزم شاهيان مطالبًا بمعاقبة من قام بهذه الحادثة، إلا أن المندوب قتل أيضًا. هذا الأمر جعل المغول يشطاطون غضبًا، وجعل هذا الأمر ذريعة ومبررًا لمهاجمة إيران، وكان قائد الحملة جنكيزخان"[1].

هجوم المغول على أقاليم خوارزم

يقول النص: "في سنة ٦١٦ بدأ الهجوم الواسع والوحشي المغولي على أقاليم خوارزم شاهيان. السلطان محمد كان عاجزًا عن اتخاذ سياسة حربية، خاصة بوجود خلاف بين من حوله، بالنهاية صمم على مواجهة المغول عن طريق الجنود المتفرقين في المدن المختلفة. استغل المغول هذا الوضع بمهاجة المدن ومراكز تجمع هؤلاء الجنود. أجمع المؤرخون على أن الخوارزم شاهيان كان من الأفضل أن يستفيدوا من جمع جنودهم في مكان واحد، وأن يتحدوا، وفي هذه الحالة كان من الممكن أن يتغلبوا على جيش المغول.

في الوقت الذي استمر فيه جيش المغول بالتقدم نحو ما وراء النهر وخوارزم، وبدلاً من أن يقاومهم الخوارزم شاهيان تراجعوا بسرعة إلى مناطق إيران الداخلية. احتل المغول المدن الكبيرة والمأهولة مثل: بخارى، سمرقند ومرو، وانتشر الدمار والقتل العام، ونشروا الرعب في مناطق إيران. على الرغم من السياسة السيئة لحكومة الخوارزم شاهيان، إلا أن الناس في بعض المدن الكبيرة قاوموا المغول

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٥٢، ١٥٣.

بشجاعة، وألحقوا بهم خسائر، إلا أنهم خسروا في النهاية"[١].

جنكيزخان مع استمراره في التقدم نحو ما وراء النهر وشمال خراسان، قام بإرسال جيش من ثلاثين ألف جندي لملاحقة السلطان محمد خوارزم شاه، لاحقه الجيش من مدينة لأخرى. استمر السلطان بالفرار، وبالنهاية استقر في جزيرة أيسكون في بحر الخزر، وبعد فترة من الغم والقهر مات هناك، ووقعت خزنته بأيدي المغول"[٢].

فكِّر وأجِب:

لماذا أصر جنكيزخان على أن يقبض على ملك خوارزم شاه؟[٣]

السلطان جلال الدين خوارزم شاه وتدابيره

بعد موت السلطان محمد واستمرار هجمات المغول، حدث خلاف حول تعيين خوارزم شاه جديد بين من بقي منهم، رغم استمرار الحرب. السلطان في أواخر أيامه عين أحد أبنائه باسم جلال الدين خلفًا له، ولكن بعد موته خالف عدد من قادة الجيش وأقاربه هذا الاختيار؛ لهذا اضطر جلال الدين أن يُضيّع جزءًا من وقت جيشه لمواجهة معارضيه، وجمع جند والده المتفرقين لمواجة المغول، وحقق بعض الانتصارات، إلا أن هذه الانتصارات انتهت بسرعة؛ بسبب الفوضى بين الجيش، والمنافسة بين القادة. الخلافات والنزاع مع الخلافة في بغداد والإسماعيليين، وعدم

(١) المصدر نفسه، ص ١٥٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٥٣.

الاهتمام بالظلم الواقع على الناس، وأمور أخرى مثل مهاجمة كرجاستان كانت عائقًا أمام مواجهتهم للمغول.

السلطان جلال الدين استطاع أن يقاوم المغول في بعض الحروب في بعض مناطق إيران، وفي إحدى الحروب قتل بظروف غامضة. في الدرس القادم سنتعرف على التغيرات التي حدثت في إيران بعد الحملة المغولية"[١].

تحليل النص:

- حتى هذه الفترة حاول النص إبراز دور الفرس في صنع أحداث التاريخ الإسلامي، الذين "لولاهم ولولا مشاركتهم لما شُيدت الدولة والحضارة الإسلامية.

- ثم يبدأ النص بالتمهيد لتاريخ الإيرانيين؛ لترسيخ مفهوم الروح الاستقلالية للفرس، وأنهم شعب يعتز بقوميته، ولا يقبل أن يُحكم من قبل عنصر آخر، فكان طاهر بن الحسين قد أسس أول حكومة "نصف مستقلة" في إيران.

- لذا نجد النص منذ قيام الدولة الطاهرية في بلاد خراسان يأخذ ببلورة تاريخ إيران. هذا التاريخ الذي يرفض التبعية للأجنبي (العرب)، ومع ذلك، فإن كاتب النص لم يستطع الاستمرار بالحديث عن تاريخ إيران بمعزل عن آل البيت، لذا نجده يقحم النص بأحداث تاريخية لا علاقة لها بإيران؛ كحديثه عن بلاد الديلم وتأسيس العلويين بها حكمًا خاصًا، كما أنه تحدث عن البويهيين، وهم ليسوا فُرسًا، لكنهم لما أرادوا أن يوجد حكومة، لم يجدوا أفضل من النموذج الفارسي، لذا أصدر مردويخ بن زيار أمرًا "بإحياء الكثير من القوانين، ومن عادات وتقاليد الفرس".

(١) المصدر نفسه، ص ١٥٣، ١٥٤.

– ويرتبط بما سبق أيضًا أن البويهيين بعد أن سيطروا على بغداد، فإنهم "توسعوا في إنشاء المراكز الشيعية في العراق وقُم.

– هنا أود التركيز على نقطة تم التنبيه لها أكثر من مرة في أثناء التعليق على النص: إذا كان الفرس الإيرانيون ومن شايعهم من الديالمة- كالبويهيين- مؤمنين بحق آل البيت في الحكم، وهذه العقيدة من القيم التي لا يقوم إيمان أحدهم إلا بها، نقول: لماذا لم يغيروا نظام الحكم العباسي، ويعيدون الحق إلى أصحابه من آل البيت؟

– ولكن مما سبق نلاحظ أن الفرس وغيرهم من العناصر التي لبست لبوس التشيع، لبسته لتحقيق مصالحها ونفوذها، وضحَّت بكل المبادئ والقيم لأجل تلك الغاية، فقد حانت لهم الفرصة أكثر من مرة لقلب نظام الحكم، وخاصة في عهد بني العباس، بدءًا من أبي مسلم الخراساني، مرورًا بالبرامكة، وانتهاءً بالبويهيين.

وبعد نهاية النص، تطرح الأسئلة والنشاطات التالية على الطلبة لترسيخ بعض الأفكار:

أسئلة نموذجية:

١ – اذكر أهم العوامل التي ساعدت في دخول الأتراك إلى إيران؟

٢– ما الأسباب التي ساعدت في قوة محمود الغزنوي؟

٣– ما أسباب ونتائج الحملات الغزنوية على الهند؟

٤ – لماذا ضعفت الحكومة الغزنوية في عهد السلطان مسعود؟

٥– ما العوامل التي ساعدت في تأسيس حكومة السلاجقة؟

٦– وضح.. كيف سارت علاقة السلاجقة مع الخلافة العباسية؟

٧- وضح.. أسلوب قوة الخوارزم شاهيان من البداية حتى عهد أتسز.

٨- اذكر أسباب فشل حكومة الخوارزم شاهيان في مواجه المغول.

٩- بنظرك، ما الأحداث أو النتائج المهمة في عصر الحكومة التركية في إيران؟ اذكر أسبابك لهذا؟ [١].

البحث والمناقشة:

١- اكتب بحثًا حول أحد الأسماء التي وردت في هذا الدرس.

٢- اكتب بحثًا حول معركة ملاذكرد[٢].

٣- اكتب بحثًا في حال وجود آثار في منطقتك من العهد الغزنوي أو السلجوقي.

٤- ذكر عدد من المؤرخين أن أفعال وتصرفات الأتراك وأم السلطان محمد خوارزم شاه كانوا عوامل مهمة في سقوط الخوارزم شاهيان. اكتب بحثًا حول هذا الأمر[٣].

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٥٤ .

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٤.

(٣) المصدر نفسه، ص١٥٥.

بداية حملات جنكيزخان على العالم

تقول الكتب المدرسية الإيرانية في موقع أخر: "كانت الصين أول بلد لفتت نظر المغول. عبر المغول من سور الصين من الجهة الشمالية للصين وسيطروا عليها"[(١)].

وبعد ذلك سيطر المغول على مناطق كثيرة، أحرقوا مدينة بكين، وقتلوا معظم أهالي المدينة. بعد أن سيطروا على شمال الصين بالكامل عاد جنكيزخان إلى مغولستان. في هذا الوقت كان جنوده قد اكتسبوا بعض فنون الحرب من الصينيين، مثل: محاصرة المدن، واستخدام البارود والمنجنيق، وأصبحوا مستعدين أكثر لمهاجمة أراضي أكثر. بعد الصين توجه جنكيزخان إلى تركستان غرب الأراضي المغولية. استطاع جنكيزخان أن يطوع القبائل التركية له، وخلال تقدم المغول نحو تركستان واجهوا ولأول مرة جنود خوارزم شاهيان. بعد فترة من حادثة أترار، يعني بعد مقتل التجار المرسلين من قبل جنكيزخان، كانت حجة لمهاجمة المغول لإيران، ونتائج الحملة لم تكن فقط كركبة أوضاع حكومة الخوارزم شاهيان، ولكنها غيرت سير تاريخ إيران"[(٢)].

---

(١) المصدر نفسه، ص١٥٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٦.

المغول وجنكيزخان

يقول النص حول هذا الموضوع في موقع أخر: "المغول قوم كانوا يعيشون في مغولستان في شمال الصين. مغولستان منطقة واسعة تشتمل على السهول والمناطق الجبلية، بالإضافة إلى أنها منطقة قليلة الماء والأمطار وجو غير مناسب؛ لهذا السبب كان المغول شعبًا صعب المراس، كانوا يعيشون على شكل قبائل والحياة البدوية، وكانوا يحصلون على احتياجاتهم من الغارات على الأراضي المجاورة، ومن ناحية سياسية لم يكن يوجد أي وحدة أو توافق سياسي في هذه المنطقة؛ كل قبيلة كانت تعيش بشكل مستقل تحت قيادة رئيس القبيلة.

في أواخر القرن السادس الهجري، وبنفس الوقت الذي كانت تحكم فيه حكومة الخوارزم شاهيان، استطاع تموجين، ابن أحد رؤساء القبائل، إيجاد اتحاد سياسي بين القبائل وإطاعتهم لبعض في هذه الأرض. بالنهاية وحتى أوائل القرن السابع الهجري، قبِل عدد كبير من القبائل برئاسة تموجين، ومنحوه لقب جنكيزخان، وقبلوا العمل تحت قيادته"[١].

"من أهم إنجازات جنكيزخان في السنوات الأولى تشكيله لجيش من قوات القبائل، وكان أعضاء الجيش يطيعون أوامره"[٢].

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٥٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٥.

هجوم المغول على إيران

يقول النص: "بعد استيلاء جنكيزخان على الصين سنه ٦١٦ هجريًّا هاجم إيران، فعندما علم السلطان محمد بأمر جند جنكيزخان بدلًا أن يبحث عن حلّ ويقاومهم قام بالفرار، وبعد ذلك مات وهو متشرِّد، دخل المغول إلى إيران وبالرغم من مقاومة الشعب بشجاعة إلا أنهم وبسرعة كبيرة احتلُّوا المدن الكبيرة ودمروها. قتلوا خلال ذلك مئات الآلاف، هجوم المغول على إيران كان من أكثر الهجمات وحشية وأكثرها خسارة على إيران".

يقول النص: "في أواخر عهد جنكيزخان كانت ممتلكاته توسعت من الصين إلى أوربا، وقسمها بين أبنائه الأربعة، بعد وفاة جنكيزخان قرّر أبناؤه مهاجمة إيران مرة أخرى، ولأنَّ الشعب المسلم في إيران لم يقبل بسلطة المغول قامت ثورات في بعض المدن الإيرانية ضد الحكام المغول، وكذلك الخلفاء في بغداد لم يكونوا مستعدين لطاعة حكام المغول، كلّف هلاكو حفيد جنكيزخان بمهاجمة إيران، هذه الحملة كانت بعد أربعين سنة من مهاجمة جنكيزخان لإيران، هلاكو هاجم إيران بجيش كبير وبعد إيران هاجم بغداد وقتل آخر الخلفاء العباسيين، وبذلك انتهى العصر العباسي سنه ٦٥٦ هجريًّا، قام جيش هلاكو بالقتل وتدمير كل المدن التي دخلوها"[1].

يضيف النص: "من الذين وقفوا في وجه المغول السلطان جلال الدين خوارزم شاه، ابن السلطان محمد، قاتل السلطان جلال الدين جيش المغول عدة مرات،

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ی راهنمایی تحصیلی، مرحله دوم تعلیمات عمومی، ص٥٣-٥٤.

ولكنه في النهاية قتل على يد شخص مجهول، وبمقتلة انتهى عمر سلالة الخوارزم شاهيان"[١].

يقول النص: "حملة جنكيزخان على إيران وتشكيل حكومة بواسطة المغول كانت من أهم الأحداث في تاريخنا. هذه الأحداث كانت لها آثار سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية كبيرة، بقيت آثارها حتى هذا الوقت؛ لهذا يوجد أهمية خاصة لمعرفة تاريخ إيران في تلك الفترة.

هنا نتعرف على طريقة إيجاد إمبراطورية المغول، وأوضاع إيران في هذه الفترة، وكذلك التغييرات التي حدثت في إيران، وزوال هذه الحكومة حتى تأسيس الحكومة الصفوية".

تضيف الكتب المدرسية الإيرانية: " إحدى السلالات التركية التي حكمت إيران سلالة الخورازم شاهيان، في البداية حكمت هذه السلالة في منطقة خوارزم، ولهذا السبب عرفت هذه السلسة بهذا الاسم، وأحد ملوك هذه الخوارزم شاهيان كان السلطان محمد خوارزم شاه، وهاجم الأتراك إيران في زمانه[٢].

يضيف النص: "المغول كانوا رجال حرب وسافكي دماء، قام هؤلاء في البداية بمهاجمة الصين بأمر من جنكيزخان وسيطروا عليها، بعد فترة أصبح المغول جيرانًا للأتراك، أراد جنكيزخان أن يكون له علاقات تجارية مع الخوارزم شاهيان، وأرسل قافلة تجارية إلى إيران، ولكن حاكم أحد المدن الحدودية أغار على هذه القافلة بحجة

---

(١) المصدر نفسه، ص٥٣.

(٢) تعليمات اجتماعي، بنجم دبستان، ص١٠٥.

وجود عددٍ من الجواسيس بين أفرادها وقتل معظم التجار، عندما وصل هذا الخبر إلى جنكيزخان قرّر أن يهاجم إيران"[١].

تحليل النص:

تسرد الكتب المدرسية حيثيات هجوم المغول على بلاد إيران حيث أرسل جنكيزخان قافلة إلى بلاد خوارزم: "ولكن حاكم أحد المدن الحدودية أغار على هذه القافلة بحجة وجود عددٍ من الجواسيس بين أفرادها وقتل معظم التجار، عندما وصل هذا الخبر إلى جنكيزخان قرَّر أن يهاجم إيران". هل هذا هو السبب الحقيقي. أم أن الاعتداء على القافلة كان للنَّهْب والسلب. لماذا تبييض الصورة؟

المناقشة في الصف:

برأيك لو لم يقع هذا الحادث هل كان جنكيزخان سيهاجم إيران أيضًا؟[٢]

يضيف النص: "بعد مهاجمة جنود المغول إيران، فإنَّ السلطان محمد قام بالفرار بدل أن يواجهه الأعداء.

حملة المغول على إيران سبَّبت الكثير من القتل، وقتل الكثير من الناس الأبرياء ودمرت العديد من القرى والمدن. هؤلاء كانوا محرمين من الثقافة والتمدن، حرقوا المكتبات والمدارس والمساجد، حاول الإيرانيون كثيرًا منع هيمنة الأجانب على بلادهم، إلا أنَّهم لم يوفقوا وذلك لعدم وجود قيادة قوية لقيادة الناس"[٣].

---

(١) المصدر نفسه، ص١٠٥-١٠٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٦.

(٣) المصدر نفسه، ص١٠٦-١٠٧.

للقراءة:

يقول النص: "بعد هجوم جنكيزخان على إيران حكم المغول بلادنا عدة سنوات، الحكام المغول الذين حكموا إيران كانوا معرفين باسم ايلخان.

بعد ضعف وانقراض حكومة الأيلخان ظهرت حكومات جديدة متعددة في إيران"[١].

إيران بعد عودة جنكيزخان إلى مغولستان حتى تأسيس حكومت إيلخان

تقول الكتب المدرسية في موضع أخر حول هذا الموضوع: "في الوقت الذي استمر فيه تقدم المغول في إيران، وخلال سعي السلطان جلال الدين خوارزم شاه لإنقاذ حكومة خوارزم شاهيان، وصل إلى جنكيزخان أخبار عن شغب في الشرق، ولهذا فقد صرف نظر عن استمرار تقدمه في إيران، وعاد لمغولستان، ولم يكن له مجال في البقاء في إيران.

بعد وفاة جنكيزخان تقسمت الأقاليم بين أبنائه الأربعة، وحسب وصيته، فإنه يجب أن يطيع الجميعُ أخاهم أكتاي. في عهد أكتاي اتبع سياسة ملائمة أكثر مع البلاد التي كانت تحت سيطرته، ومن بينها إيران، حتى إن بعض الإيرانيين كانوا ضمن تشكيلات حكومة المغول"[٢].

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٠٧.

(٢) تاريخ إيران وجهان١، نظري (رشته أدبيات وعلوم إنساني)، ص١٥٧.

وبعد نهاية النص تطرح الأسئلة والنشاطات التالية على الطلبة لترسيخ بعض الأفكار:

فكِّر وأجِبْ:

برأيك، ما هي العوامل التي سببت دخول الإيرانيين في حكومة المغول؟[(١)]

من عهد أكتاي ولحدود ثلاثين عامًا، كانت إيران تحت إدارة الضباط المغول، وكان من أهم واجباتهم تثبيت حكم حكام المغول، وتوسعة الفتوحات، وأهم من هذا كله تحصيل الضرائب، وكانوا يستفيدون من خبرات الإداريين الإيرانيين في هذا الأمر.[(٢)]

تفسير:

ياساي جنكيزي:

يقول النص: "وضع جنكيزخان بعض القوانين لتنظيم وإدارة إمبراطوريته، عرفت هذه القوانين عند المغول باسم ياسا (قوانين)، وكان القادة المغول يهتمون بتنفيذ هذه القوانين بشكل خاص"[(٣)].

---

(١) المصدر نفسه، ص١٥٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٥٧.

تأسيس حكومة الايلخانين في إيران

تقول الكتب المدرسية حول نفس الموضوع في موضع أخر: "بوفاة أكتاي (٦٣٩ هجري – قمري) حدث نزاع بين أبنائه وأحفاده، وعمت الفوضى في الإمبراطورية، واستمر هذا الوضع حتى وصل الحكم لحفيد جنكيزخان متكوقآن. متكوقآن- وبمساعدة عدد من أفراد عائلة جنكيزخان، ومساندة عدد من أشراف وقادة المغول- استطاع أن يقمع معارضيه، وعاد التضامن مرة أخرى إلى إمبراطورية المغول. على الرغم من سيطرة المغول على أجزاء كثيرة من إيران إلا أن الشعب ضدهم كان بشكل دائم، بالإضافة إلى وجود قوتين أساسيتين كانتا تشكلان تهديدًا لحكم المغول، الأولى الإسماعيليون، والثانية الخلافة العباسية، وبهذا الوضع أمر متكوقآن أخاه هولاكو أن يتجه بجيش جديد لإيران، دخل هولاكو إلى إيران بجيش يبلغ مائتي ألف جندي.

قآن بمعنى السيد الكبير. هذه الصفة كانت تطلق على أفراد من عائلة جنكيزخان، الذين كانوا مركزًا لرئاسة كل الإمبراطورية المغولية"[(١)].

يضيف النص: "هولاكو بعد تغلبه على الإسماعيليين (٦٥٤هـ)، وأيضًا إسقاطه الخلافة العباسية، اتجه إلى الشام. وصل خبر موت متكوقآن إلى هولاكو وهو في مسير تقدمه نحو الشام، ولطمعه في الوصول إلى الخلافة عاد إلى إيران، ومنها إلى مغولستان. في هذه الظروف، في مكان بالشام يدعى عين جالوت، حيث هُزم جند المغول على يد الجنود المصريين، هذه كانت أكبر ضربة أصابت المغول حتى ذلك الوقت، ولم يستطيعوا أن يعوضوا هذه الضربة القاسية أبدًا.

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٥٧.

كان هولاكو في إيران عندما وصل إليه خبر تعيين شقيقه الآخر قوبيلاي قآن، بصفته خان المغول الكبير، لهذا فقد صرف النظر عن الذهاب إلى مغولستان. وقد أيد قوبيلاي حكومته في إيران والعراق والشام، وبهذا تشكلت الحكومة المغولية في إيران. هذه الحكومة عرفت باسم حكومة إيلخان(١). وهولاكو وعائلته يرأسون القبائل المغولية المستقرة في إيران. استمرت حكومة هولاكو وأبنائه وأحفاده في إيران حوالي ثمانين عامًا، طوال هذه الفترة حدثت تغيرات كثيرة في حكومة إيلخان وفي الأوضاع في إيران ستتعرف عليها أكثر لاحقًا(٢).

وفي موقع أخر حول نفس الموضوع تقول الكتب المدرسية الإيرانية: "بعد فتح إيران اتَّخذ المغول مدينة مراغة عاصمة له، وأسس حكومة، عُرِّفت باسم حكومة الايلخايين، تأثر المغول بالثقافة والعادات الإيرانية وتركوا عادات النور البشعة والوحشية، الإيرانيون وبلباقتهم استطاعوا أن يصلوا بالخواجة نصير الدين والخواجة رشيد الدين فضل الله إلى الوزارة وبهذه الطريقة قدموا خدمات إلى الشعب الإيراني"(٣).

---

(١) **إيلخان**: ذكر لها عدة معانٍ، البعض وبالمعنى اللغوي لكلمة إيل (تعني الطاعة والتبعية) إلى خان، وبما أن كلمة خان تابعة لها، ويعتقدون أن هولاكو كان يتبع إلى خان المغول الكبير في مغولستان (أو الصين)؛ لهذا سميت إيلخان، والبعض الآخر يأخذون معنى إيلخان بمعنى خان إيل، يعني رئاسة القبائل.

(٢) تاريخ إيران وجهان١، ص ١٥٨.

(٣) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلى، مرحله دوم تعليمات عمومى، ص٥٤-٥٥.

زوال حكومة إيلخان وتـأسيس حكومات متعدده في إيران

يقول النص: "بعد انتهاء عهد غازان خان أشهر حكام الايلخايين ضعفت الحكومة ايلخا، لأن قادة المغول كانت قوتهم كبيرة، ومع تدخُّل البعض في إدارة أمور البلاد سبَّب ذلك الفوضى الكثيرة، آخر حكام حكومة الايلخايين المغولية باسم أبو سعيد (ابن آخر غازان خان) وكان شابًّا قليل الخبرة لم يكن له أولاد ولم يَعِش طويلًا عندما توفِّي أبو سعيد، تقسمت الأقاليم بين قادة المغول وأصحابهم وانتهت حكومة الايلخايين في وسط القرن الثامن (٧٣٦١)"[1].

تقول الكتب المدرسية حول موضوع زوال حكومة الاليخانين في موقع أخر: "القوة السياسية والازدهار والإعمار النسبي الذي حدث في عهد حكم غازان خان لم يستمر طويلاً بعد وفاته؛ التنافس على الحكم، وجشع الأشراف وقادة المغول، وتنافسهم مع رؤساء الديوان الإيرانيين، والنزاع مع الحكومات المغولية في الحدود الشرقية والشمالية، وانتشار الظلم بين الناس كان من جملة الأسباب التي أدت إلى تدهور أوضاع البلاد مرة أخرى، في هذه الظروف، وبعد وفاة أبي سعيد، الخليفة الثاني لغازان خان، دون أن يكون له ولد أو تعيين خليفة له، كل هذا مهد لزوال حكومة إيلخان.

في ذلك الوقت قام القادة المغول بإعلان كل واحد أن له صلة ما بعائلة إيلخان، وذلك في محاولة لكسب القوة. هذه الأوضاع فرقت الوضع السياسي المتحد، وحتى نصف قرن في كل ناحية من إيران كان يوجد حكومة محلية في الخارطة. في الصفحة

(١) المصدر نفسه، ص٥٥.

القادمة نتعرف على هذه الحكومات"[١].

تحليل النص:

التحليل الأول:

الملاحظ أن النص عرج على سقوط الخلافة العباسية بشكل عرضي في أثناء حديثه عن حروب هولاكو، وكأن الحدث شيء عادي لم يهز أركان العالم الإسلامي. ولِمَ لا يغفل الحديث عنه وقد عملوا منذ تأسيس الدولة العباسية وهم يحاولون إسقاطها، إضافة إلى أنه أراد التهرب من الحديث عمَّا اتُهم به اثنان من الشيعة، وهما: ابن العلقمي ونصير الدين الطوسي، من التآمر على الخلافة العباسية، ودورهما في إضعافها، وتعاونهما في إسقاط الخلافة.

فكِّر وأجِب:

حافظ شاعر إيراني كبير عاش في الفترة قبل زوال حكومة إيلخان. هل تذكر بعضًا من شعره يعكس الأوضاع في ذلك الوقت؟[٢]

التحليل الثاني:

هنا يبدأ النص بتمجيد دور الفرس الثقافي من خلال الواجب الذي كلف النص الطالب أن يقوم بإعداده عن الشاعر الإيراني حافظ.

---

(١) تاريخ إيران وجهان١، نظري (رشته أدبيات وعلوم إنساني)، ص١٦٠.

(٢) المصدر نفسه، ص١٦٠.

ثورة سربداران (مقدمو الرؤوس)

يقول النص: "أحد الأحداث المهمة في تاريخ إيران في فترة زوال حكومة إيلخان ثورة سربداران في خراسان، والتي أدت إلى تشكيل حكومة لهم. ما حدث أنه بعد وفاة سعيد، وانتشار الظلم وعدم الأمن، قامت مجموعة من أهالي قرى باشين (بالقرب من سبزوار في الوقت الحاضر)، بقيادة شخص باسم عبد الرزاق، بمواجهة مأمورين المغول الذين يتعرضون إلى الناس، هؤلاء- وبقتلهم للمغول- أعلنوا أنهم مستعدون أن تذهب رءوسهم من فوق أجسادهم، ولا يسلموا أجسادهم للذل، لهذا عرفوا بمقدمي الرءوس. انضم عدد كبير وبسرعة إلى سربداران، وأصبح جزء من خراسان تحت سيطرتهم. من ناحية أخرى، قام الشيخ حسن جوري- من قادة المذهب الشيعي، وله مؤيدون كثيرون في خراسان- بمؤازرة سربداران، وبعد ذلك تأسست حكومة سربداران، وهذه الحكومة استمرت حتى حملة تيمور على إيران. يعني حوالي خمسين عامًا"[(١)].

هل تعلم:

يقول النص: "على الرغم من هجوم المغول على إيران لم يستطيعوا أن يقضوا على روح الاستقلالية والإسلامية، وحب العلم الموجودة بين الإيرانيين، ومع موجة التخريب استمرَّ العلماء في مسيرتهم، في المساجد والمدارس، وكتبوا مئات الكتب في مختلف المواضيع (التاريخ والجغرافيا والعلوم الدينية، علم الفلك والرياضيات، والطب وغيره.....)، أحد أهم المراكز العلمية في ذلك العصر،

---

(١) المصدر نفسه، ص١٦٠.

مرصد مراغة، الذي بُنِي بجهود نصير الدين طوسي والعشرات من العلماء الإيرانيين والعرب والصينيين والهنود، وكانوا منشغلين فيه بالمطالعة والأبحاث في علم الفلك، مكتبة المرصد كانت تحتوي على عشرات آلاف من المجلدات وكان أكثرها من تأليف الخواجة نصير الدين طوسي، خلال حملات المغول على إيران تَمَّ جمع الأموال من مختلف المدن لتأمين ميزانية لإدارة هذا المرصد، وكل هذا بجهود الخواجة نصير الدين الطوسي"(١).

وبعد نهاية النص، تطرح الأسئلة التالية على الطلبة لترسيخ بعض الأفكار:

الأسئلة والمناقشة:

١ - املأ الفراغات التالية بالكلمات المناسبة:

أ- من الأشخاص الذين وقفوا بوجه المغول........... ابن السلطان محمد.

ب- بعد احتلال إيران اتخذ هلاكو........... عاصمة له.

ج - كانوا يطلقون على قانون هلاكو.............

٢ - أوجد العلاقة بين العمودين وصل بينهما بخط

قُتِل آخر خليفة عباسي على يد	جنكيزخان
حاكم المغول في عهد السلطان محمد خوارزم شاه	أبو سعيد
	هلاكو

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلي، مرحله دوم تعليمات عمومي، ص٥٦.

٣-لماذا لم تكن حكومة خوارزم شاه قوية ومتينة؟

٤- ابحث في سبب حملة جنكيزخان على إيران وناقش النتيجة في الصفّ

٥- اذكر أسماء بعض الشخصيات البارزة في عهد حكومة المغول؟

٦- اذكر سببًا لسقوط حكومة الايلخايين؟

٧- هل تعلم كم سنة استمرَّ حكم العهد العباسي؟ [1]

تحليل النص:

الملاحظ أن النص أغفل الحديث عن أخطر حدث في تاريخ المسلمين ألا وهو سقوط الخلافة العباسية على يد المغول سنة ٦٥٦هـ. وكأنه أراد التهرُّب من الحديث عما اتُّهم بها اثنان من الشيعة: ابن العلقمي ونصير الدين الطوسي من التآمر على الخلافة العباسية، ودورهم في إضعافها وتعاونهما في إسقاط الخلافة.

لا بدَّ من نبذة عن دور نصير الدين الطوسي، وابن العلقمي، ولما يشيد الشيعة دومًا بدورهما؟

(١) المصدر نفسه، ص٥٦.

الإيرانيون يضعون المغول تحت تأثيرهم

هوكولا- وبالاستفادة من تجارب الإيرانيين وأفكارهم- شكل لنفسه حكومة قبل أن تكون سمتها مغولية كانت إيرانية، من بين الأشخاص الذين كان لهم الرأي والمشورة، وأوكلت له مهمة إدارة الأمور الخواجا نصير الدين الطوسي، وشمس الدين محمد جويني، وأخوه عطا ملك جويني، هؤلاء الأشخاص كانوا بحكم وزراء ومستشارين في حكومة إيلخان، بالإضافة إلى شبكة من الإداريين الإيرانيين والموظفين الإيرانيين، كان لهم دور هام في كبح جماح عنف المغول، ولعبوا دورًا في تدمير المغول، حتى إن بعضهم قدم حياته في هذا الطريق، وسعى البعض الآخر لإعادة الإعمار، وإحياء التراث والحضارة مرة أخرى.

أسلوب تعايش الإيرانيين مع المغول بعد دخولهم في الإسلام تم على يد غازان خان، وبدخول المغولِ الإسلامَ زاد عدد المغول القاطنين في إيران بسرعة كبيرة"[1].

تحليل النص:

جاء في النص: "الإيرانيون يضعون المغول تحت تأثيرهم: هوكولا- وبالاستفادة من تجارب الإيرانيين وأفكارهم- شكل لنفسه حكومة قبل أن يكون سمتُها مغوليًا كان إيرانيًا. من بين الأشخاص الذين كان لهم الرأي والمشورة، وأوكلت له مهمة إدارة الأمور: الخواجا نصير الدين الطوسي".

---

(١) تاريخ إيران وجهان١، ص ١٥٨.

لاحظ النفس العنصري القومي الفارسي، ولاحظ أن الفرس على عادتهم يضعون كل خدماتهم تحت تصرف المنتصر، أم أن التتار كانوا من شيعة آل البيت؟

وبعد نهاية النص تطرح الأسئلة والنشاطات التالية على الطلبة لترسيخ بعض الأفكار:

فكِّر وأجِب:

برأيك: ما هي العوامل التي أثرت على دخول حكومة إيلخان في الإسلام؟ اذكر اثنين منها على الأقل[(١)].

كان لفترة حكم غازان خان أهمية خاصة في تاريخ إيران، ومن عدة جهات، من بينها بالإضافة إلى إسلام غازان خان، وترك التبعية للخان الكبير، وبهذا استقلت الحكومة بشكل كامل، وبهذا فإن الأوضاع ممهدة لدخول الإيرانيين بشكل أكبر في الميادين السياسية. غازان خان كان يعتبر نفسه ملكًا لبلد إسلامي، ساعد- وبمساعدة من وزرائه ومستشاريه الإيرانيين، وخاصة فضل الله الهمداني- من حماية الإجراءات التصحيحية. ومن الناحية السياسية سعى لوحدة حكومة إيلخان، وكذلك قضى على التمرد الداخلي، والرأي الواحد لبعض الحكام. ولتحسين أوضاع الجيش، ولمنع غارات النهب وضع قواعد للجنود، من بينها تعيين مقرات للجند، وتعيين قادة لها، أما الضرائب التي كانت من أكثر مسببات المشاكل في ذلك الوقت، وخاصة أن الناس يعانون من هذا الأمر، فوضع بعض القوانين لها، وتنظمت بشكل نسبي، أما بخصوص الزراعة، فنظم قانون الملكية، وإعادة تعمير

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٥٨.

شبكات الري، وكذلك شهدت المساجد والمدارس التي كانت موجودة مسبقًا ازدهارًا"[(١)].

إيران في عهد التيموريين

أ- الحكام الشيعة:

يقول النص: "عندما ساد الظلم وعدم الأمن في أواخر عهد حكومة الايلخايين، قام رجل دين باسم الشيخ خليفة ودعا الناس للثورة على الظالمين، وقد قبل الناس كلامه في خراسان وطبرستان (مازندران)، كان حكام المغول يخافون من ثورة الناس، الشيخ خليفة كان في الليل يعقد حلقات الدراسة في مسجد سبزوار، بعد الشيخ خليفة استمر على نهجه طالبه الشيخ حسن الجوري وأكمل مسيرة أستاذه ولكن المغول ألقوا القبض عليه وسجنوه".

يضيف النص: "بعد موت آخر حكام سلسلة المغول، في الوقت الذي كان فيه عدد من جند المغول يقضون وقتهم بالمرح والغارات على قرية باشتين قرب سبزوار، ثارَ الناس عليهم وقتلوهم وأعلنوا (نسلِّم رءوسنا إلى الرصاص ولكن لا نسلِّم أجسادنا إلى الذل) ولهذا عرفوا باسم حكومة وثورة (سربدار).

قادة ثورة سربدار إخوة اثنان باسم عبد الرزاق، ووجيه الدين مسعود، أخرجوا المغول من خراسان وأسسوا حكومة سربدران، أخرج الشيخ مسعود وجيه الدين الشيخ حسن من السجن ووسَّع أقاليم سربدران"[(٢)].

---

(١) المصدر نفسه، ص١٥٩-١٦٠.

(٢) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلى، مرحله دوم تعليمات عمومى، ، ص٥٧-٥٨.

وفي موقع أخر حول نفس الموضوع تقول الكتب المدرسية الإيرانية: "بعد حوالي ١٦٠ سنة بعد هجوم المغول على إيران، قام شعب آخر بمهاجمة إيران بقيادة تيمور، تيمور كان رجلاً هائجًا وبدون رحمة، بعد هذه الحملة تلاشت الحكومات المحلية في إيران، وأكثر المدن والقرى تحوَّلت إلى أطلال، أمَّا خلفاء تيمور فقد تأثّروا بالثقافة والحضارة الإيرانية، اهتموا بالعلم والمعرفة، وحالوا تطوير إيران.

شاه رخ، ابن تيمور، حاول كثيرًا يعمر ما دمَّره والده، مسجد كوهر إحدى الأبنية التي شيدت بهمة (كوهر شاد) زوجة شاه رخ في مدينة مشهد يقول النص"[1].

يضيف النص: "في أواخر القرن الثامن الهجري، وفي حالة وجود حكومات مختلفة في مناطق إيران كانت مشغولة بالنزاعات مع بعضها البعض، واجهت بلادنا حملة جديدة من ناحية ما وراء النهر. هذه الحملات تذكرنا بحملات جنكيزخان، وهذه الحملات كانت بقيادة تيمور، وتيمور كان يقدم نفسه أنه من أقرباء جنكيزخان، وادعى أنه من ورثته. عندما وصل تيمور إلى سن الشباب وصل إلى ما وراء النهر، وكانت إيران أيضًا تعاني من الفوضى، وكان قادة وأمراء المغول مشغولين بالنزاعات فيما بينهم، واستطاع تيمور- وبالتدريج- من التغلب على منافسيه، وأن يسيطر على ما وراء النهر، ومن أجل هذا قام بالكثير من الحروب.

تيمور وبعد ثبت أقدام حكومته فيما وراء النهر تفرغ لإيران، كان يريد أن يشكل حكومة وأقاليم مشابهة للحكومة التي شكلها جنكيزخان وأبناؤه، وللوصول إلى

(١) تعليمات اجتماعي، بنجم دبستان، ١٣٨٨، ص ١٠٨.

هدفه هذا لم يترك جهدًا. من ناحية أخرى، الأوضاع الموجودة في إيران مثل: تعدد الحكومات، والنزاع والمنافسة فيما بينهما كانت من أهم سماتها الرئيسية، ونجاحه في السيطرة على إيران لم يكن أمرًا سهلاً.

تيمور وجنوده ومن خلال عدة حملات استمرت خمسة عشر عامًا، سيطر خلالها على عدة مناطق من إيران، وبالنهاية زالت الحكومات المنتشرة في أنحاء إيران[١].

يضيف النص: "خلال هذه الحملات دمرت العديد من القرى والمدن، وقتل آلاف، من ضمن المدن التي أصيبت بأضرار كبيرة سبزوار، وتبريز وأصفهان. كان مصير أصفهان أكثر فظاعة؛ حيث دخل مأمورين تيمور إلى المدينة ليأخذوا أموال الناس، ثار الناس وقاموا بقتل عدد من هؤلاء المأمورين، وبناء على ما حدث، أمر تيمور باحتلال كل المدينة وتدميرها، وقد قتل خلال ذلك الكثير من الأهالي.

تيمور وخلال حملته الأخيرة على غرب إيران، في السنوات الأولى للقرن التاسع الهجري، توجه إلى آسيا الوسطى، وقامت حرب بينه وبين الحاكم العثماني(١)، وانتصر عليه. خلال هذه الحملة احتل تيمور دمشق وبغداد، واقترب من الحدود المصرية. في أواخر أيامه فكر تيمور باحتلال الصين، وذلك لتحقيق حلمه بأن تكون كل ممتلكات جنكيزخان تحت تصرفه، ولكنه توفي في طريقه إلى مدينة أترار، يعنى نفس النقطة التي بدأت منها حملات جنكيزخان على إيران"[٢].

(١) تاريخ إيران وجهان١، نظري (رشته أدبيات وعلوم إنساني)، ص ١٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦٢.

الأسئلة:

١- لماذا هاجم المغول إيران؟

٢- ماذا فعل المغول أثناء مهاجمتهم لإيران؟

٣- ما الفرق بين تصرفات تيمور خلال حكمه لإيران، وبيت تصرفات تيمور؟[(١)]

تحليل النص:

كما أشرت في أكثر من مكان في الدراسات السابقة، فإنَّ عقدة الاضطهاد ولعنة المحتلّ لا زالت تلاحق الفرس، فمن خلال استعراض تاريخ إيران نلاحظ أنَّ الفرس لم يحكموا أنفسهم بأنفسهم وخاصة بعد قضاء المسلمين على دولة بنِي ساسان في عهد المجاهد عمر بن الخطاب ﷺ. لذا نجد الكاتب يحول أن يعزِّي نفسه والطلبة الذين أُلِّف الكتاب لأجلهم بما يسميه بالأثر الحضاري للفرس.

"الحكومة العثمانية بعد انهيار حكومة إيلخان في آسيا الوسطى، شكل مجموعة من الأتراك الذين يعيشون على الحدود حكومة، وباحتلالهم الأراضي المجاورة امتدت إلى حدود إمبراطورية"[(٢)].

---

(١) تعليمات اجتماعي، بنجم دبستان، ص ١٠٨.

(٢) تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته أدبيات وعلوم إنساني)، ص١٦٢.

ب- حملة تيمور:

يقول النص: "عندما وزَّع جنكيزخان أملاكه بين أولاده، أعطى ما وراء النهر إلى ابنه جغتاي، بعد فترة أصبحت أقاليم أحفاد جغتاي مثل أقاليم الايلخاييين في إيران، وبسبب الحروب بين قادة المغول، انتشرت بينهم الفوضَى، من بين هؤلاء القادة شخص باسم تيمور وكان يدَّعِي أنه من أقارب جنكيزخان، على الرغم من أنَّه كان قائدًا شجاعًا، بنفس الوقت كان لا يرحم، وبالتدريج أصبح حاكمًا إلى ما وراء النهر واتَّخذ من مدينة سمرقند عاصمة له"(١).

هل تعلم:

يقول النص: "بعد أن وصل تيمور إلى القيادة، كان لفترة في خدمة الحكام الآخرين، ولفترة أيضًا كان مشغولاً بالغزو والغارات على ما وراء النهر وخراسان وسيستان، خلال إحدى الغارات في سيستان أصيب بقدمه ولآخر عمره بقي يعرج من أثرها ولهذا عرف باسم تيمور لنك (يعنِي الأعرج)".

يضيف النص: "بعد ذلك هاجم مناطق قريبة ومن ضمنها إيران، تيمور وخلال حملاته لجَعْل الحكومات المحلية تقع تحت سلطته قتل الكثيرين، من بين هذه الحكومات حكومة سربدران، في هذه الحالة قامت ضده ثورات في بعض المدن ومن بينها أصفهان، تيمور هاجم إيران ثلاث مرات، انضمَّت له مناطق كثيرة من إيران، ودمر الكثير من المدن وشكل تيمور حكومة سُمِّيت حكومة التيموريان"(٢).

---

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلى، مرحله دوم تعليمات عمومى، ص٥٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٨-٥٩.

ج- أبناء تيمور لم يكملوا مسيرة والدهم:

يقول النص: "بعد وفاة تيمور أعلن بعض الحكام الذين أطاعوه خوفًا منه استقلالهم، وشكل كل ابن من أبناء تيمور حكومةً خاصة به.

في النهاية استطاع شاه رخ هزيمة منافسيه وأعلن نفسه خليفةً لوالده واستلم الحكم، عاش شاه رخ في خراسان سنوات عديدة وتأثّر بالثقافة الإيرانية، على عكس والده كان يهدف إلى تحقيق الأمن وكان يحب الإعمار، اتَّخذ من مدينة هرات عاصمة له وأصبحت مركزًا للفنانين والعلماء، وقد شجَّعته وساعدته زوجته كوهرشاد بهذه النشاطات، وقد بنت مسجدًا في مدينة مشهد سمي بمسجد كوهر شاد، واستمرّ هذا في عهد خلفاء شاهرخ"[1].

وحول نفس الموضوع تقول نصوص الكتب المدرسية الإيرانية حول نفس الموضوع في موقع أخر: "بعد موت تيمور تجزأت أقاليمه بسرعة، وظهرت الخلافات بين أبنائه وأحفاده، وكانت أعمال الشغب التي قام بها الناس والسلطة المحلية السبب الرئيس لهذه الخلافات. بعد عدة سنوات من الصراع بين أفراد عائلة تيمور، بالنهاية استطاع ابن تيمور شاه رخ، الذي كان يعيش في خراسان، أن يمسك بزمام الحكومة، ونقل العاصمة من سمرقند إلى هرات، رغم ـن شاه رخ لم يسيطر على كل ممتلكات والده، ولكن- وبشكل عام- فإن جميع الأمراء كانوا يطيعونه. في عهد حكم شاه رخ حدثت تغييرات هامة في سياسة الحكومة التيمورية، عاش تيمور عدة سنوات في ظل الثقافة والحضارة، وترك سياسة والده التوسعية، وسعى أكثر إلى الأمان والهدوء، وإلى تطوير العلم والثقافة، ولهذا قل

---

(١) المصدر نفسه ص٥٩-٦٠.

اعتماده على الأشراف والقبائل المغولية، واعتمد على رجال إيران الذين كان لهم دور أكبر. كوهر شاد- زوجة شاه رخ- من جملة من أيد وساند السياسة الجديدة، وبأمر منها تم بناء مبانٍ ضخمة في هرات وفي المدن الأخرى، ومن آثارها مسجد كوهر شاه في إيران"[١].

يضيف النص: "بعد موت شاه رخ (٨٥٠ هـ - قمري) خلفه ابنه ألغ بيك. ألغ بيك شخص عالم يحب العلم، وأمضى عمره في الدراسة والبحث، وخاصة في الرياضيات وعلم الفلك. هذا الوضع على الرغم من أنه ساعد في ازدهار العلوم والثقافة، إلا أنه وفي نفس الوقت غفل عن الأمور السياسية والعسكرية. في هذا الوقت وبالتدريج ظهرت سلطات جديدة في أطراف أقاليم تيمور، من بينها حكومتان باسم قراقويونلو، وحكومة آق قويونلو، هذه الحكومات تأسست بواسطه الأتراك(١). في بداية حملات المغول على غرب إيران وآسيا الصغرى، وبنفس الوقت الذي كانت حكومة تيمور قد تجزأت، النصف الغربي لإيران كان تحت سلطته، في عهد خلفاء ألغ بيك قلت أقاليم حكومة تيمور، وبالنهاية تحددت خراسان وهرات، في هذا الوقت كان أزبكان ومن بقي من المغول يسيطرون على منطقة خوارزم وما وراء النهر، بينما كان الخلاف بين الأمراء التيموريين زادت حدته، تعرضت هرات أيضًا إلى هجوم أزبكان، وانتهت حكومة التيموريين في إيران، وفي نفس الوقت كانت الحكومة الصفوية قد أخذت مكان حكومة الأتراك في غرب إيران. بعد فترة، دحر الصفويون أزبكان، وأصبحت أكثر ممتلكات التيموريين تحت أيديهم"[٢].

---

(١) تاريخ إيران وجهان١، نظري، ص ١٦٣.

(٢) المصدر نفسه، ص١٦٢-١٦٣.

وبعد نهاية النص تطرح الأسئلة والنشاطات التالية على الطلبة لترسيخ بعض الأفكار:

أسئلة نموذجية:

١- ما هي الأحداث المهمة في تاريخ المغول قبل الحملة على إيران؟

٢- ما هي عواقب حملة هولاكو على إيران؟

٣- اذكر الأسباب التي ساعدت على انهيار حكومة إيلخان.

٤- كيف كانت الأوضاع في إيران بداية حملة تيمور على إيران؟

٥- ما هي التغييرات التي حدثت في الحكومة التيمورية بعد موت تيمور؟

٦- قيم دور الرجال الإيرانيين في التغيرات التاريخية في عصر المغول.

٧- ما هي نتائج الأحداث والتطورات التي حدثت في تاريخ إيران[1] في عهد المغول؟

الأفكار والمناقشة:

١- اكتب بحثًا حول أحد الأسماء الواردة في هذا الدرس.

٢- اكتب بحثًا حول علاقة المغول مع الأوربيين (المسيحيين).

٣- هل شاهدت فيلمًا حتى الآن عن التغيرات التاريخية في إيران خلال الفترة المرتبطة بالبحث، إذا كانت إجابتك بالإيجاب، اكتب بحثًا عن محتواه.

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٦٤.

٤- ابحث في الإنترنت عن مواضيع بخصوص مغولستان وشعبها في الماضي والحاضر[1].

د- العلم والمعرفة:

يقول النص: "حتى الآن عرفنا تاريخ إيران بعد الإسلام حتى عهد التيموريين، ويجب أن نوضِّح ونشير إلى وضع العلماء المسلمين وخاصة الإيرانيين بعد الإسلام، وقد أكَّد القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ بشِدّة على أهمية هذا الأمر، هكذا الإيرانيون المسلمون كانوا منذ البداية يشجعون العلم بالمجالات المختلفة، في الأقاليم الإسلامية جمعت العديد من الملل المختلفة وكذلك شملت العديد من الثقافات والحضارات المختلفة، وكذلك بسبب مجاورتها لبلاد مثل الهند، واليونان والهند هذا الأمر أدَّى إلى زيادة مستوى الحضارة والثقافة بين المسلمين، في الواقع ومع اكتساب الحضارة من الآخرين وبإضافتها إلى علمهم وعقيدتهم الإسلامية كل هذه كانت أسس لحضارة وعلم جديدة وكان الإيرانيون في المقدمة".

"مع تعلم القراءة والكتابة، بدأت أول مرحلة في عالم العلم والمعرفة، الأشخاص الذين تعلموا الكتابة والقراءة استمروا في تعلم العلوم المختلفة، العلماء الإيرانيون كانوا مشغولين في دراسة اللاهوت، والفلسفة والتاريخ والجغرافيا والرياضيات والطب والفيزياء والطب، والتخصصات الأخرى، منهم الفارابي، زكريا الرازي، ابن سينا، أبو ريحان البيروني، والخواجة نصير الدين الطوسي".

يضيف النص: "بالإضافة إلى التخصصات العلمية اهتم العلماء الإيرانيون

---

(١) المصدر نفسه، ص١٦٤.

المسلمون بفنّ العمارة، كان لهم دور واضح في علوم الدين، والاحتياجات اليومية، ومن العوامل الأساسية التي ساعدت في هذا المساجد، المدارس، القوافل، النزل، كذلك بناء القصور كان من الثراث المهم فنّ العمارة والصناعات الفلزية، الأعمال الفخارية، البلاط والرسم، الخط ونسج السجاد كل هذا كان يعدّ من مظاهر الفن الإيراني في تلك الفترة في كتاب................ نتعرف على بعض هؤلاء الفنانين مثل كمال الدين بهزاد وهو من أشهر الرسامين الإيرانيين الذين عاشوا في أواخر العهد التيموري"[1].

وبعد نهاية النص، تطرح الأسئلة التالية على الطلبة لترسيخ بعض الأفكار:

الأسئلة والمناقشة:

١- املأ الفراغات التالية بالكلمات المناسبة

أ- بعد الشيخ خليفة أتم مسيرته...........

ب- جنكيزخان عندما قسم ممتلكاته أعطى........... إلى جغتاي

ت- بني مسجد كوهر.............

٢- أوجد العلاقة بين العمودين وصل بينهما بخط

سمرقند	شاهرخ
هرات	تيمور
خراسان	سربداران

(١) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلى، مرحله دوم تعليمات عمومى، ص٦١-٦٢.

٣- وضح كيف بدأت ثورة سربدران

٤- ما الفرق بين نمط حكومة شاه رخ وتيمور، ولماذا؟[١]

تحليل النص:

لم يقصر النص في تمجيده للفرس على دورهم في الحياة السياسية، بل تعدَّاه إلى الحديث عن أمجادهم ودورهم في الجوانب الحضارية.

---

(١) المصدر نفسه، ص٦٢.

الصفويون

الأوضاع في إيران قبل تشكيل الحكومة الصفوية

يقول النص: "قرأنا في السنة الماضية أن الأوضاع في بلادنا كانت مضطربة ومشتتة جدًا بعد انقراض حكومة التيموريين، وقد اختل النظام والأمن لأنه لم يكن هناك حكومة موحدة قوية، وقد تلاشى الأمان العام، وتم تدمير العمران، وكما قرأنا تشكلت حكومات مختلفة في إيران في أواخر القرن التاسع هجري.

هذه الحكومة كانت مشغولة ببعضها البعض في حروب متواصلة، وأحيانًا ينتصر بعضها على الآخر، بالإضافة إلى الأعداء الخارجيين الذين كانوا يهاجمون الحدود في بعض الأحيان؛ فالبرتغاليون- مثلاً- جاءوا إلى الخليج الفارسي بسفنهم الحربية، بهدف احتلال السواحل والجزر، بالإضافة إلى انعدام الأمن، والاضطرابات بين الناس، والتفرقة الشديدة بين الناس. ومن أحد أسباب هذه الخلافات الدينية؛ أنه لم يكن في ذلك الوقت دين رسمي للبلاد"[1].

*** حرب جالديران:**

الملك إسماعيل صفوي- في البداية- هزم الأوزبكيين، وبعد ذلك التقى مع جيش العثمانيين في غابة شالدران، وبما أن العثمانيين كان عندهم قذيفة مدفعية، بالنتيجة فإن جزءًا من أذربيجان وقعت بيد الأتراك العثمانيين، ولكن بعد فترة قام الجنود الإيرانيين بطرد الجنود الأجانب من أراضيهم، وأعادوا جميع أراضي

---

(١) تاريخ، سال سوم، دوره ى راهنمايي تحصيلي، مرحلة ى دوم تعليمات عمومي، ص ١.

أذربيجان إلى إيران، وبالنتيجة فإن هذه الجهود أثمرت عودة النظام إلى البلاد"[١].

تحليل النص:

السؤال الذي يجب أن يطرح على التلاميذ:

لماذا كانت معركة جالديران؟

استطاع الصفويون الوصول إلى الحكم بعد أن زحف الشاه عباس الأول على زعيم قبائل التركمان (آق قونيولو) وقتله، وجلس على ملكه، فبايعته كل قبائل التركمان، وأعلن دولته الصفوية. سيطر الصفويون على كامل بلاد فارس سنة ٩٠٧هـ، وأصبحت (تبريز) هي عاصمة الدولة الصفوية.

ومن جملة القرارات والخطوات التي اتخذها إسماعيل الصفوي، والتي بدورها أغضبت السلطان سليم العثماني، ما يلي:

- أقر إسماعيل الأول المذهب الشيعي كمذهب رسمي للدولة.

- أمر الخطباء بأن يسبوا الخلفاء الثلاثة، مع المبالغة في تقديس الأئمة الاثني عشر.

- حاول إسماعيل الأول تدمير الوجود السني في المدن العراقية التي دخلها، وحصلت بعض المذابح.

- هدم إسماعيل الأول قبة الإمام أبي حنيفة، وجعلها مزبلة، وهدم قبر الشيخ عبد القادر الجيلاني، وقتل كل من ينتسب إلى خالد بن الوليد ﷺ.

(١) تعليمات اجتماعي، بنجم دبستان، إدارة كل جاب وتوزيع كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٨، ص١١٠.

- أعمل الشاه إسماعيل الأول السيف في رقاب أهل السنة، حتى إن المؤرخين ذكروا أرقامًا مفزعة للشافعية والحنفية الذين قتلوا، وأقام محاكم للتفتيش في إيران لمخالفي المذهب الشيعي، وأباحوا نساء أهل السنة.

- أعمل الشاه إسماعيل الأول السيف في رقاب الأفغان، واحتل نصف أفغانستان.

- يذكر بعض المؤرخين أن الدولة الصفوية قتلت ألف ألف سني؛ لتحويل أهل السنة إلى التشيع.

قام الشاه (إسماعيل الأول) بمحاربة الأوزبك السُّنة في الشرق، الذين هم تحت زعامة (محمد الشيباني)، الذي أقام دولته وملكه على أنقاض الإمبراطورية التيمورية، فاستولى على عاصمتها (سمرقند)، وسيطر على (هراة).

وقد قام زعيم الأوزبك السُّني بدعوة الشاه (إسماعيل الأول) إلى ترك المذهب الشيعي، والعودة إلى مذهب أهل السنة والجماعة، فقامت الحرب بينهما، وقام الشاه الصفوي بقتله في إحدى المعارك.

- سقطت (بغداد) بأيدي الصفويين سنة (٩١٤ هـ ١٥٠٨م)، ثم استولى الصفويون على العراق، ولم يكن العراق في ذلك الوقت من ممتلكات الدولة العثمانية.

- استولى الشاه الصفوي عباس الأول على مدينة (مشهد) في خراسان سنة (٩١٦ هـ ١٥١٠ م)، ثم توجه إلى (مرو) شمال شرق إيران، وقتل من سكانها أكثر ١٠ آلاف من أهل السنة.

- كان لعباس الصفوي أثر في إشعال المعارك الفكرية والعسكرية والسياسية بين الدولة الصفوية والدولة العثمانية[1].

- اتفق الشاه إسماعيل الأول مع البرتغاليين على أن يأخذ مصر، وأن يأخذوا هم فلسطين، بعد أن أقر لهم باحتلال مضيق هرمز، فقام العثمانيون باحتلال الشام ومصر، بعد أن كشفت المراسلات بين الصفويين والبرتغاليين.

لهذا كله كانت معركة جالديران، معركة قامت سنة (٩٢٠ هـ ١٥١٤ م) بين الجيوش العثمانية بقيادة السلطان (سليم الأول)، والجيوش الصفوية بقيادة (الشاه إسماعيل الأول)، وانتهت المعركة بانتصار العثمانيين، واحتلالهم لعاصمة الدولة الصفوية (تبريز)، وأوقفت هذه المعركة التوسع الصفوي لمدة قرن من الزمان، وسيطر العثمانيون على مناطق من (عراق العجم) و(أذربيجان) ومناطق الأكراد وشمال (عراق العرب)، ثم توجُّه العثمانيون للسيطرة على الشام ومصر، والقضاء على دولة المماليك، حلفاء الدولة الصفوية في معركة (مرج دابق).

*** نتائج معركة جالديران:**

- التحكم بالطرق الرئيسية الاستراتيجية في الأناضول وسوريا وإيران.

- تنظيم خطوط الدفاع والهجوم في تلك المناطق.

- السيطرة على طرق التجارة العالمية، وخاصة الحرير الفارسي من تبريز إلى حلب وبورصة.

---

(١) طقوس تاريخ الدولة الصفوية، ص٣٨، وبيومي، قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين، ص ١٢٣.

– تحول التوسع العثماني من الغرب (أوروبا) إلى الشرق (الأكراد والعراق والشام ومصر).

– اهتزاز صورة الشاه الصفوي في العراق، مما أدى لانضمامها لاحقًا للعثمانيين.

– خنق العثمانيين للصفويين اقتصاديًا، مما اضطرهم للتحالف مع حليف قوي اقتصاديًا، وهم البرتغاليون النشطون في البحر.

*** خالد بن الوليد ﷺ:**

لماذا يبغض الشيعة خالد بن الوليد ﷺ؟

نقول: إن وراء هذا الكره أسباب، منها:

أنه قتل مالك بن نويرة التميمي اليربوعي، الذي ترى الشيعة أن قتله لمالك كان لأسباب ودوافع شخصية بعيدة عن الإسلام، فمالك في نظرهم "صاحب شرف رفيع، وأريحية عالية بين العرب، حتى لقد ضرب به المثل في الشجاعة والكرم، والمبادرة إلى إسداء المعروف، والأخذ بيد الملهوف، وكانت له الكلمة النافذة في قبيلته، حتى إنه لما أسلم ورجع إلى قبيلته وأخبرهم بإسلامه، وأعطاهم فكرة عن جوهر هذا الدين الجديد، أسلموا على يديه جميعًا، ولم يتخلف منهم رجل واحد".

أود أن أوضح حقيقة مهمة، وهي أن الشيعة ترى أن مالك بن نويرة كان ممن يشايع علي بن أبي طالب، ويعتقد بإمامته طبقًا لآيات القرآن الكريم، وتبيان النبي (صلى الله عليه وآله) عن أمر ربه (سبحانه وتعالى) يوم غدير خم، وكذلك والنبي عائد إلى المدينة المنورة بعد حجة الوداع- كما يسمونها- وهي حجة الإسلام التي لم يحج النبي سواها، ولذلك فإن مالكًا حين علم بتنصيب أبي بكر خليفة على المسلمين

في سقيفة بني ساعدة، وإقصاء الإمام علي صاحب الحق المنصوص، والأولوية المطلقة، عن إمرة المسلمين وإمامتهم، رفض الانقياد لأبي بكر، وامتنع عن بيعته ودفع الزكاة إليه. فالشيعة لا ترى بأن مالك بن نويرة ارتد عن الإسلام، وإنما رفض مبايعة أبي بكر؛ لعدم شرعية خلافته، ومخالفتها لتعاليم القرآن ووصايا الرسول بإمامة علي.

وإليكم الحقيقة- كما وردت في مصادر أهل السنة- لكن قبل ذلك نقول: إن خالد بن الوليد بشر ليس بمعصوم، فهذه قاعدة أهل السنة: أنه لا معصوم إلا الأنبياء.

أوضح ابن العماد بداية القصة، والنقاش الذي دار بين خالد ومالك بن نويرة، فقال[١]: "وفيها قتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة في رهط من قومه بني حنظلة ممن منع الزكاة. وكان مالك من دهاة العرب، وكان عرض على خالد الصلاة دون الزكاة، فقال خالد: لا تقبل واحدة دون الأخرى، فقال مالك: كذلك كان يقول صاحبك، قال خالد: وما تراه لك صاحبًا، والله لقد هممت أن أضرب عنقك. ثم تجادلا في الكلام".

ثم يوضح الطبري السبب في مقتل مالك[٢]، مفصلاً لما جرى بأنه لما اختلف في أمر مالك وجماعته: "فلما اختلفوا فيهم، أمر بهم فحبسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء، وجعلت تزداد بردًا، فأمر خالد مناديًا فنادى: أدفئوا أسراكم. وكانت في لغة كنانة إذا قالوا: دثروا الرجل فأدفئوه، دفؤه قتله، وفي لغة غيرهم: أدفه فاقتله.

(١) ابن العماد، الشذرات، ص ٣٤٣ وانظر تفاصيل ذلك: الذهبي، سير، ج١، ص ٣٧٨، ٣٧٩.
(٢) تاريخ، ج٣، ص ٢٧٨، ٢٧٩.

فظن القوم- وهي في لغتهم: القتل- أنه أراد القتل فقتلوهم، فقتل ضرار بن الأزور مالكًا.

وسمع خالد الواعية، فخرج وقد فرغوا منهم، فقال: إذا أراد الله أمرًا أصابه. وقد اختلف القوم فيهم، فقال أبو قتادة: هذا عملك. فزبره خالد، فغضب ومضى حتى أتى أبا بكر، فغضب عليه أبو بكر حتى كلمه عمر فيه، فلم يرض إلا أن يرجع إليه، فرجع إليه حتى قدم معه المدينة، وتزوج خالد أم تميم ابنة المنهال، وتركها لينقضي طهرها. وكانت العرب تكره النساء في الحرب وتعايره. وقال عمر لأبي بكر: إن في سيف خالد رهقًا، فإن لم يكن هذا حقًا، حق عليه أن تقيده، وأكثر عليه في ذلك. وكان أبو بكر لا يقيد من عماله ولا وزعته، فقال: هيه يا عمر، تأوَّل فأخطأ، فارفع لسانك عن خالد. وكتب إلى خالد أن يقدم عليه ففعل، فأخبره خبره، فعذره، وقبل منه، وعنفه في التزويج الذي كانت تعيب عليه العرب من ذلك.

أما ما اتهموه بأنه نزل عليها يوم مقتل زوجها، فإن هذا ظلم وبهتان، قال الطبري: "وتزوج خالد أم تميم ابنة المنهال، وتركها لينقضي طهرها"[(١)].

* قُتل حمزة بن عبد المطلب يوم أحد، أليس كذلك؟ لماذا لم يطالب هؤلاء الغلاة بدمه، وشتم من قتله؟ أليس قاتله فارسي؟ وعز عليهم مالك بن نويرة، ليس إلا لأنه كان- كما يدعون- معتقدًا بإمامة علي.

---

(١) تاريخ، ج٣، ص ٢٧٨.

تشكيل حكومة الصفويين

يقول النص: "بالنهاية تشكلت حكومة الصفويين في أوائل القرن العاشر، وتغيرت أوضاع بلادنا، تأسست السلالة الصفوية على يد الملك إسماعيل، وهو من أحفاد الشيخ صفي الدين أردبيلي.

كان للشيخ صفي الدين أتباع كثيرون، وكانوا يذهبون إلى أردبيل، ومن بعده كسب أبناؤه السلطة بتأييد من أتباع والداهم، وكان من أهم مؤيديهم سبع قبائل تركية، وكانوا من أتباع المذهب الشيعي، وكانوا معروفين باسم قزلباش. بالنهاية استطاع الملك إسماعيل أن يصل إلى السلطة بمساعدتهم سنة ٨٨٠ هجري شمسي".

يضيف النص: "وبالتدريج فرض إسماعيل شاه سلطته على كافة أنحاء إيران، وبالنهاية أصبح المذهب الشيعي المذهب الرسمي لإيران، وقمع المعارضة في الداخل، والأعداء الخارجيين، وظهرت حكومة قوية، واختار مدينة تبريز عاصمة له.

بما أن الأوضاع الداخلية لإيران تنظمت، توجه جنود إيران إلى الحرب مع أزبكان وهزمهم. بهزيمة أزبكان وصلت الحدود مرة أخرى إلى ناحية الشمال الشرقي، إلى نهر جيحون، ومن الناحية الشرقية أصبحوا مجاورين للهند.

بتشكيل الحكومة الصفوية القوية ذات المذهب الشيعي، قام الملك العثماني، سلطان سليم، الذي كان يعتبر نفسه قائدًا لجميع المسلمين بمهاجمة إيران، قاومه الجنود الإيرانيون، والتقوا في مكان يسمى جالديران في حرب شديدة، في حرب جالديران- وبوجود الكثير من الفدائيين- هزَم الإيرانيين. الجيش العثماني كان يملك القذائف، ولكن الجيش الإيراني كان يفتقد هذه الأسلحة، وكانوا يستعملون

السيوف والنبال، بعد هزيمة جالديران احتلت تبريز، إلا أن مقاومة الناس أدت إلى انسحاب العثمانيين، وتوفي الملك إسماعيل بعد فترة"[١].

تشيد نصوص الكتب المدرسية باسماعيل الصفوي، في عدة مواقع أخرى، حيث تقول النصوص "الملك إسماعيل مؤسس السلالة الصفوية، وثبتها الملك طهماسب، وزاد من قوتها خامس الملوك الصفويين، الملك عباس، عندما وصل إليه الحكم احتل العثمانيون والبرتغاليون أجزاء من الحدود، ولأن أوضاع البلاد تغيرت بعد شاه طهماسب، بسبب الصراعات بين الخلفاء، أصبحت الأوضاع غير منظمة، وأصبحت الطريق مفتوحة أمام تمرد القزلباش في الداخل، وأمام هجوم الأجانب من الخارج".

يضيف النص: "بالنهاية فإن الملك عباس، حفيد الملك طهماسب، استطاع وبمساعدة بعض قادة القزلباش أن يصل إلى الملك، وبعد أن قام بتنظيم الأوضاع الداخلية، وتصالح مع العثمانيين، حتى إنه سلمهم بعض الأجزاء من الغرب والشمال الغربي لإيران، لأنه كان يرغب أن يذهب لمحاربة أوزبكان وهو مرتاح البال، وبهذا استطاع أن يلحق بهم هزيمة صعبة.

بعد قمع الأوزبكيين، استعد الملك عباس لمحاربة العثمانيين، ولهذا طلب المساعدة من البريطانيين لصناعة القنابل والبنادق، وبعد ذلك بدأت الحرب مع العثمانيين. ومن الضروري أن نشير هنا إلى أن فترة حرب الإيرانيين مع العثمانيين استمرت عشرين عامًا، وفي النهاية انتهت بانتصار الإيرانيين.

---

(١) تاريخ، سال سوم، دوره ى راهنمايى تحصيلي، مرحله ى دوم تعليمات عمومي، ص ١-٢.

من الأحداث المهمة في عهد الملك عباس، الحرب مع المستعمر البرتغالي، في البداية والظاهر، جاء البرتغاليون إلى الخليج الفارسي بهدف التجارة، وبعد مدة، وبالاستفادة من السفن الحربية، احتلوا جزر البحرين وهرمز، وكذلك ميناء كمبرون، ولإخراج البرتغاليين قام شاه عباس في البداية بتحرير جزيره البحرين وميناء كمبرون، بعد ذلك سمي هذا الميناء بندر عباس، بعد ذلك قام الإيرانيون، بمساعدة القوات البحرية البريطانية على جزيرة هرمز، وهزموا البرتغاليين بشكل تام، وأخرجوهم من الخليج الفارسي. وسبب مساعدة البريطانيين لإيران أن البريطانيين أنفسهم كانوا من المستعمرين، أولاً: أن البرتغاليين كانوا ينافسونهم بالتجارة، وثانيًا: أن الحكومة كانت تهددهم إذا لم يدخلوا في حرب مع البرتغاليين، فلن يكون لهم الحق بالتجارة مع إيران. في عهد الملك عباس كانت أوج قوة الصفويين، بالإضافة إلى انتصاراته الخارجية كان أيضًا يقوم بأعمال هامة داخل البلاد"[(١)].

تعظم الكتب المدرسية من شأن التقدم المعماري والعلمى والتطور المذهبى في العهد الصفوي، والتركيز على النشر والتأليف المذهبى، من أمثال: ميرداماد تلميذ ملا صدرا، الشيخ بهايى، والعلامة المجلسي[(٢)].

"تعزو كتب التاريخ أسباب سقوط الدولة الصفوية إلى حياة الدعة والراحة التى عاشها ملوك الصفويين، والاستبداد، والدموية، والضعف، وعدم توفر الخبرة للحكم"[(٣)].

---

(١)المصدر نفسه، ص ٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥.

الشاه عباس الصفوي

يقول النص: "بعد الملك إسماعيل وصل عدة ملوك إلى الحكم، من بينهم الملك عباس الأول، الملك عباس كان مشغولاً من ناحية خراسان، ومن ناحية أذربيجان كان مشغولاً بالحرب مع الحكومة العثمانية. الملك عباس- وبالتخطيط المناسب، وشجاعة الجنود الإيرانيين- استطاع أن يهزم الأوزبكيين والعثمانيين، وأن يحتل بغداد وكربلاء والنجف"[(١)].

يضيف النص: "الشاه عباس الصفوي تعتبره كتب التاريخ بأنه أشهر الملوك الصفويين، على اعتبار أنه استطاع بناء جيش عصري، وتسليحه للجيش بالمدافع والبنادق، وأن الحروب استمرت مع العثمانيين، وانتهت بانتصار الإيرانيين"[(٢)].

تشيد الكتب المدرسية بالشاه عباس ودوره في النهضة، حيث يقول النص في موقع أخر "، انتقلت العاصمة الصفوية بعد أن هدأت الحرب في عهد الملك الشاه عباس إلى أصفهان، ، حيث تحولت أصفهان إلى مدينة مليئة بالسكان وعامرة، وبناء على أوامره قام المعماريون الإيرانيون بإنشاء المباني الضخمة والفخمة في هذه المدينة، الكثير من هذه المباني، والتي شيدت على الطراز الإسلامي ما زالت موجودة حتى الآن، ولها شهرة عالمية"[(٣)].

---

(١) تعليمات اجتماعي، بنجم دبستان، إدارة كل جاب وتوزيع كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٨، ص١١٠، ١١١.

(٢) تاريخ، سال سوم، دوره‌ء راهنمايي تحصيلي، مرحله ى دوم تعليمات عمومي، ص ٤.

(٣) تعليمات اجتماعي، بنجم دبستان، ص ١١١.

ثم تشيد الكتب المدرسية بدور الشاه عباس في قتال الاستعمار البرتغالي، والتعاون مع الإنجليز[١].

وتسهب الكتب المدرسية في الحديث عن أسباب النزاع بين إيران والدولة العثمانية، بأنه كان لأسباب المنافسة التجارية، والسياسية، والعسكرية، وأن علاقات إيران مع الأوروبيين في عهد الصفويين وصفت بالعلاقات الواسعة، وتعزوه الكتب إلى الأسباب السابقة بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية[٢].

البحث والمناقشة في الصف:

بمشاورة زملائك في الصف، عرِّف بعض الآثار التاريخية والفنية في مدينة أصفهان[٣].

الأسئلة:

١- لماذا هُزم الملك إسماعيل الصفوي على يد العثمانيين؟

٢- عندما وصل الملك عباس إلى الحكم، ما هي المشاكل التي كانت تواجه إيران؟ وكيف حلت هذه المشاكل؟

٣- كيف أبيدت الحكومة الصفوية؟ [٤]

---

(١) تاريخ، سال سوم، دوره‌ء راهنمايي تحصيلى، مرحله ى دوم تعليمات عمومي، ص ٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩.

(٣) تعليمات اجتماعي، بنجم دبستان، ص ١١١.

(٤) المصدر نفسه، ص ١١٢.

النشاط في الصف:

العهد الصفوي من أي ناحية له أهمية في تاريخ إيران؟ اذكر عدة أسباب[1].

ضعف وسقوط حكومة الصفويين

يقول النص: "آخر الملوك كان سلطان حسين، وبسبب عدم جدارة هذا الملك، فإن أوضاع إيران تدهورت بشكل كبير. في هذا الوقت، فإن الأفغان، الذين كانوا يعيشون في الشرق، هاجموا أصفهان، واستسلم لهم الملك سلطان حسين، وبالنتيجة وقعت البلاد بأيدي الأفغان[2].

وفي موقع أخر تقول الكتب المدرسية الإيرانية حول هذا الموضوع: "بعد الملك عباس جلس أربع ملوك آخرين على العرش، وكان معظمهم ضعفاء وغير جديرين، ضعفت قوة الحكومة الصفوية في عهد هؤلاء. وبالنهاية سقطت هذه السلالة بالكامل، وبشكل عام هكذا نستطيع أن نلخص أسباب وبالتالي سقوط السلالة الصفوية:

- أن الملوك الصفويين، بعد الملك عباس، لم يكونوا مهيئين لإدارة البلاد، وكانوا يقضون معظم أوقاتهم في القصور باللهو والمتعة.
- معظم هؤلاء كانوا سفاكي دماء وظالمين، وكانوا في معظم الأحيان يقضون على الكبار والمقربين منهم، خوفًا من أن يقوموا بشغب، ويصل الحكم إليهم.

---

(١) المصدر نفسه، ص ١١٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٢.

- بسبب ضعف وعدم جدارة هؤلاء الملوك، فإن رجال البلاط الاستغلاليين والظلمة قاموا باستغلال سلطتهم، وقاموا بأخذ ضرائب كبيرة من الناس، وكانوا يقمعون غير الراضين، بالنتيجة عمت الفوضي البلاد"[١].

يضيف النص: "سقطت الحكومة الصفوية في عهد الملك سلطان حسين، فالملك سلطان حسين كان رجلاً ضعيفًا، ويفتقد الشهامة، وبدلاً من أن يهتم بإدارة شئون البلاد سلمها إلى الاستغلاليين. في عهد حكمه أثار الأفغان الذين كانوا تحت حكمه الفوضى. سبب الفوضى التي قام بها الأفغان أنه في أواخر الحكم الصفوي قام كركين خان (حاكم قندهار) بقمع وظلم الأفغان، ونتيجة لهذا جاء عدد منهم إلى أصفهان لتقديم شكوى، وبما أن رجال البلاط كانوا مع كركين خان يدًا واحدة، لم تؤدِّ شكواهم إلى نتيجة، لهذا قام الأفغان، بقيادة أحد رؤسائهم باسم محمود، بأعمال شغب، وبعد ذلك تحركوا من طريق كوبر إلى أصفهان.

الملك سلطان حسين، وبسبب عدم علمه عن أوضاع البلاد، أرسل جنوده لمحاربة الأفغان، إلا أنهم هزموا في حربهم مع الأفغان، وسيطر محمود الأفغاني على المدينة"[٢].

الفن والعلم:

يقول النص: "العهد الصفوي كان العهد المشرق من تاريخ الفن والعمارة في إيران، العلم أيضًا ازدهر في هذه الفترة. كانت أصفهان عاصمة الصفويين، ما زال

---

(١) تاريخ، سال سوم، دوره ى راهنمايى تحصيلي، مرحلة ي دوم تعليمات عمومي، ص ٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦.

فيها بعض المباني التذكارية من هذا العهد. تتعرف في كتاب اللغة الفارسية أكثر على هذه المدينة والآثار التاريخية الموجودة فيها، من الفنون المعروفة في ذلك الوقت فن العمارة، والرسم والخط، وأعمال البلاط".

وكذلك شهدت العلوم الدينية في تلك الفترة اهتمامًا كبيرًا، وقد ألف العلماء الكبار مثل ميرداماد، وتلميذه الفيلسوف ملا صدر، والشيخ بهايي، والعلامة مجلسي، الكثر من الكتب التي قدمت خدمات قيمة إلى الإسلام".

المباني الهامة	مسجد الشيخ لطف الله- مسجد إمام- الأربعين عمودًا- مدرسة الحدائق الأربعة- شارع الحدائق الأربعة- جسر خواجو – ثلاثة وثلاثون جسرًا.
الفروع الفنية	الرسم – الصناعات الجلدية – الترصيع – الحفر على الخشب – الخط – البلاط وغيره...
الفنانون المشهورون	بهزاد- آقاميرك- مير عماد – علي رضا عباسي.
العلماء	ميرداماي – ملا صدرا – العلامة مجلسي – الشيخ بهايي و...
المؤرخون	إسكندر بيك منشي – حسن بيك روملو، و....
الشعراء	صائب تبريزي – كليم كاشاني – محتشم كاشاني وغيره..
المعماريون	أستاذ محمد رضا أصفهاني و.....[1]

(١) المصدر نفسه، ص٧.

طريقة الحكم وإدارة البلاد:

يقول النص: "يوجد على رأس الحكومة الصفوية المَلِكُ، بعد الملك يوجد المستشار، وكان يسمى اعتماد الدولة، وكان للقادة العسكريين أيضًا مناصب رفيعة، وكانوا يتلقون الأوامر من الملك مباشرة، اعتماد المؤسسة العسكرية للصفويين، وحتى عهد الملك عباس وقبل تشكيل الجيش المنظم، كانت تعتمد على المحاربين القزلباش. القزلباش كانوا أناسًا شجعانًا وماهرين، ولكنهم لا يعتبرون جنودًا دائمين. ولهذا فقد كانوا مساعدين إلى الجيش المنظم والدائم، ويستفاد من هذه القوة من الأسلحة الجديدة مثل البنادق والمدافع"(١).

النشاطات الاقتصادية:

يقول النص: "اشتهرت التجارة الداخلية والخارجية في العهد الصفوي بشكل كبير، ومن أهم أسباب ازدهار التجارة إحداث طريق للقوافل، وإحلال الأمن، المساواة في وحدات القياس (الوزن والمال...). كانت العلاقات التجارية أكثر في ذلك الوقت مع الصين والهند والدول الأوروبية. من أهم الصادرات الحرير وماء الورد والسجاد والمكسرات، وبالمقابل كانت إيران تستورد الأسلحة والبضائع الأخرى"(٢).

يضيف النص: "في ذلك الوقت، كانت أعمال الزراعة تتم عن طريق القرويين ومُربِّي الماشية، واشتهرت الزراعة في المدن الكبيرة. من أهم المصانع في إيران مصنع القذائف المدفعية، ونسج الحرير"(٣).

---

(١) المصدر نفسه، ص ٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨.

(٣) المصدر نفسه، ص٩.

علاقات إيران مع الدول الأوروبية في عهد الصفويين

يقول النص: "في العهد الصفوي، كانت علاقات واسعة بين إيران والدول الأوربية، ومستقرة، وأحد أسباب إيجاد مثل هذه العلاقة حرب العثمانيين مع إيران والدول الأوربية مثل أسبانيا. الأوربيون كانوا يرغبون أن يتحدوا مع إيران ضد العثمانيين).(١) والسبب الآخر هو المنافسة التجارية والسياسية والعكسرية بين الدول الأوربية، مما جعل كل دولة تسعى من أجل كسب اهتمام إيران. بالإضافة إلى أن أسبانيا، كان لإيران أيضًا في ذلك الوقت علاقات مع بريطانيا وفرنسا وهولندا"[(١)].

الأسئلة والبحث:

١- أكمل الفراغات التالية بالكلمات المناسبة:

أ- من أحد الأحداث الهامة في زمان الملك عباس الحرب مع المستعمرين......

ب- كان الاسم القديم لبندر عباس.......

٢- ماذا تعلم الملك عباس من ذكرى هزيمة حرب جالديران؟ وماذا فعل لتعويض ذلك؟

٣- ماذا ساعد البريطانيون إيران في حربها مع البرتغال؟

٤- ما هي أسباب ضعف وسقوط الحكومة الصفوية؟

---

(١) المصدر نفسه، ص٩.

٥- ما هي أسباب رغبة الأوربيين في إقامة علاقات مع إيران خلال العهد الصفوي؟

٦- هل يوجد في مدينتك آثار تعود إلى العهد الصفوي؟ ما هي؟

اكتب تقريرًا صغيرًا عن حياة أحد علماء العهد الصفوي[1].

*** كان للأوربيين دور في الخلاف بين إيران والعثمانيين:**

تحليل النص:

- يتناول فترة حكم الملك عباس الصفوي، ودوره في مواجهة أعداء إيران الخارجيين، من البرتغال والأتراك العثمانيين الذين احتلوا مناطق من إيران، وذلك سبب اضطراب الأوضاع السياسية في إيران بعد عهد الملك طمهاسب.

- التركيز على منجزاته السياسية:

١- مصالحة العثمانيين للتفرغ للأوزبك ومحاربتهم. "أهمية المكر والخديعة، التقية في الفكر الشيعي".

٢- بعد محاربة الأوزبك وهزيمتهم، طلب مساعدة البريطانيين في صناعة الأسلحة (القنابل والبنادق)؛ لمحاربة العثمانيين، فطالت الحرب (٢٠) سنة، وانتهت بانتصار الإيرانيين."تعزيز ثقافة الانتصار".

٣- ولا يشير هنا إلى طبيعة التحالف مع بريطانيا، والمقابل "إخفاء الحقائق التاريخية"، ويؤكد أن السياسة تسعى للتحالف مع أي قوة لمحاربة أعدائها من السنة، رغم كل الخلافات الدينية.

---

(١) المصدر نفسه، ص٩.

٤- منجزات عباس الأهم: محاربة البرتغاليين، وتحرير ما احتلوه من أرض إيرانية أهمها: جزر البحرين، وهرمز بمساعدة بريطانية، وميناء كمبرون الذي عرف فيما بعد بـ(بندر عباس)، وبذلك حرر الخليج نهائيًا من البرتغاليين.

٥- في هذه الإشارة تلميح صريح وواضح بأن لإيران طموحًا في ضم البحرين، الدولة العربية، إلى إيران، على اعتبار أنها أرض إيرانية حررت من قبلهم على يد الملك عباس. وهناك أمر خطير، وهو أن النص لا يشير إلى البحرين كدولة ذات سيادة وحدود، بل كجزيرة فقط؛ لغرس فكرة أن دولة البحرين كانت ومازالت جزيرة، تنتظر العودة إلى الوطن الأم. سوف نتعرض لهذا الموضوع مستقبلاً في دراسة موسعة مستقلة.

في تبرير مساعدة بريطانيا لإيران في حرب البرتغال لا يسوق النص إلا أمرين:

أ- العداء والتنافس بين البرتغال وبريطانيا.

ب- التهديد الإيراني بعدم المتاجرة مع بريطانيا.

٦- هنا محاولة تحليل أسباب السقوط بضعف الحكام، واتجاههم إلى اللهو، ووجود حاشية فاسدة فرضت ضرائب باهظة على الناس، مما أدى لانتفاضة في إيران. وهنا إشارة إلى أن حكم الملوك هو اعتداء على حقوق الأئمة، وأن الحكم دون فقهاء لن يكون إلا حكمًا فاسدًا ظالمًا. وهنا محاولة للتمهيد لنظرية ولاية الفقيه.

٧-يشير النص لدور الأفغان وسيطرتهم على مدينة قندهار في عهد الملك سلطان حسين.

٨- تشيد النصوص بمنجزات الدولة الصفوية الحضارية

أشاد النص بازدهار العلوم في أصفهان عاصمة الصفويين، إضافة إلى إنشاء كثير من البنايات والعمائر. والتركيز كان على الجانب السياسي والعسكري.

٩- أشاد النص بطريقة الحكم وإدارة البلاد: تنظيم الدولة – الملك – المستشار (اعتماد الدولة)- القيادة العسكريون وتبعيتهم المباشرة للملك.

١٠- تأكيد هنا على عسكرية الدولة، وأهمية جيشها، والذي استطاع عباس أن يشكله ويجعله جيشًا منظمًا، بدل جماعات أو محاربي القبائل، وخاصة القزلباش. هنا محاولة إظهار أهمية الجيش ودوره في تطور وقوة إيران الشيعية في مواجهة أعداء إيران، وخاصة من السنة.

١١- التركيز في الطرح على أن الأمن كان العامل الأهم للتجارة الذي حققه الصفويون.

١٢- علاقات إيران مع الدول الأوربية في عهد الصفويين:

١٣- التركيز على أن العامل الأهم للتحالف مع الدول الأوربية كان العداء المشترك للدول العثمانية (أسبانيا، بريطانيا، فرنسا، هولندا).

١٤- الرغبة في إقامة علاقات تجارية مع إيران كان سببًا من أسباب العلاقات، وهنا تأكيد أن إيران تتحالف مع أي قوة أوربية "كافرة"، في مقابل هزيمة عدوها الأهم، والخطر المهدد لها، الدولة العثمانية السنية، التي هي أساس الشر السنة. وهنا لا تفصيل لطبيعة العلاقة، وإغفال كلي للتحالف الصفوي مع البابوية، والمقابل الذي قدمتة إيران لأجل هذا التحالف المساعدات وخاصة لبريطانيا."من كتاب الإمبراطورية الشيعية، كيف تحالفت إيران مع الغرب ضد الدولة الإسلامية".

التعليق على الأسئلة:

١- تركيز على إنجازات عباس، وخاصة في حروبه مع البرتغاليين.

٢- يؤكد السؤال الثاني على أن عباس استطاع أن يقوي إيران عسكريًا بتحالفاته مع بريطانيا، بتقوية جيشه، وذلك حتى لا تترك هزيمة جالديران. وفي هذا السؤال توجيه لتفكير القارئ نحو أهمية عمل أي شي لأجل محاربة السنة، وعدم الوقوع تحت ذل هزيمتهم مرة أخرى مهما كلف الأمر.

٣- محاولة تأكيد مبررات مساعدة بريطانيا لإيران في حرب البرتغال.

٤- التأكيد على أن الدول الأوربية هي من سعت للتحالف مع إيران، وليس العكس.

٥- التأكيد على إنجازات الصفويين العمرانية والعلمية.

٦- تحاول الكتب المدرسية الحديث عن فترة طهماسب ابن الشاه إسماعيل، حيث تصف الكتب الظروف الصعبة التى عاشتها الدولة الصفوية في هذه الفترة، وتستذكر بإجلال دور الشاه طهماسب في تنظيم الأوضاع الداخلية، وإعادة بناء الجيش، واستعادته لخراسان، وتشير إلى استمرار الحرب بين إيران والعثمانيين لفترة طويلة خلال حكم طهماسب، ثم نجاحه في توقيع اتفاقية سلام مع العثمانيين لفترة طويلة، مكنته من تحسين أوضاع إيران[1].

تركز الكتب المدرسية على طرح أسئلة على الطلبة الصغار تركز على ترسيخ

(١) المصدر نفسه، ص ٣.

أهمية اتخاذ المذهب الشيعي كمذهب رسمي في الدولة، وأنه تم من خلال عهد الشاه إسماعيل.

يقول النص في موقع آخر حول الملك طهماسب: "بعد الملك إسماعيل وصل الحكم إلى ابنه طهماسب، وعندما جلس على العرش كانت الحكومة الصفوية تمر بظروف صعبة، وكانت الأوضاع الداخلية في البلاد تعاني من اضطرابات، وبدأت الحملات الأوزبكية والعثمانية مرة أخرى. في البداية، أعاد الملك طهماسب الهدوء إلى الأوضاع الداخلية، ونظم أمور إدارتها، بعد ذلك أرسل جيشًا إلى خراسان، وسيطر على الأوزبكيين مرة أخرى، وبعد ذلك دخل في حرب مع العثمانيين. استمرت الحرب بين إيران والعثمانيين فترة طويلة في عهد الملك طهماسب. وبالنهاية أبدى الجانبان استعدادهما للصلح، استمر الصلح بين إيران والعثمانيين فترة طويلة، وأدى هذا الأمر إلى تحسن الأوضاع الداخلية في البلاد[1].

الأسئلة والبحث:

١- أكمل الفراغات التالية بالكلمات المناسبة:

أ- تأسست السلالة الصفوية على يد...

ب- في عهد الملك إسماعيل وقعت حرب...

ج- الملك إسماعيل من أحفاد...

٢- جد العلاقة بين العمودين، وصل بينهما بخط:

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢-٣.

المذهب الشيعي المذهب الرسمي	قزلباش ها
الصلح بين إيران والعثمانين	الملك إسماعيل
من أهم مؤيدين الصفويين	شاه طهماسب

٣- ما هي المشاكل الرئيسة في إيران بعد عهد التيموريين؟

٤- ما هي أهم إجراءات الملك إسماعيل مؤسس الحكومة الصفوية؟

٥- هل تعرف لماذا سميت الحرب بين السلطان العثماني والملك إسماعيل الصفوي بحرب جالديران؟

٦- كيف كانت الأوضاع في إيران في عهد وصول السلطة إلى الملك الصفوي طهماسب؟[1]

تحليل النص:

يتناول نشأة الدولة الصفوية، وللبدء بالدولة الصفوية دومًا، والتركيز عليها في الكتب المدرسية دلالات كثيرة، أهمها:

١- أنها الدولة الأولى في إيران الإسلامية التي نشأت مستقلة عن محيطها.

٢- أنها الدولة التي أعطت الدولة الحديثة صورتها ومميزاتها، وبالأخص صبغتها الشيعية.

٣- التأكيد على ربط تأسيس إيران المعاصرة والجمهورية الإسلامية بالدولة الصفوية.

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣.

حيث بدأ الدرس بإشارة تعصب ضد الدولة التيمورية (المغولية) التي حكمت إيران والعراق، وذلك باستخدام كلمة انقراض للدلالة على نهايتها، وبالمقابل يظهر التحيز الكبير للصفويين ودولتهم، بتركيز الحديث حول سوء أوضاع إيران زمن التيموريين وانعدام الأمن، وتعرضها للغزو من قبل البرتغال، وتعليل أن سبب سوء الأوضاع في إيران هو عدم وجود دين رسمي للبلاد، وبالخلافات الدينية (أي المذهبية)، ويراد من كل هذا التأكيد على أن هذه الخلافات كانت سبب اضطراب إيران، وأن توحيد إيران المذهبي على التشيع هو الذي طور وقوّى إيران، وهو الأمر الذي يتابع الكاتب تأكيده بالتعصب للمذهب الصفوي، وذلك بالقول بسعة انتشار دعوة صفي الدين، ثم بالتأكيد على أن الإنجاز الأهم لإسماعيل الصفوي كان نشر المذهب الشيعي في إيران، وقضائه على المعارضة الداخلية، والإشارة هنا جاءت مبهمة عن المعارضة، وهي إشارة لأهل السنة الذين تم ارتكاب المذابح ضدهم، وفي النص لا إشارة لهذه المذابح والفضائح على الإطلاق.

- النص يركز على إنجازات إسماعيل الصفوي السياسية، وأهمها:
- هزيمة الأوزبك (المسلمين السنة).
- اتخاذه تبريز عاصمة له، وتأسيس حكومة قوية.
- التركيز أيضًا على أن قوة إيران كانت بعد نشر المذهب الشيعي فيها، وأنها (أي قوة إيران) السبب في غزو سليم الأول لإيران، وقتاله إسماعيل الصفوي في جالديران.
- ولا يذكر النص سببًا آخر قط لهذه المعركة؛ للدلالة على أن العثمانيين السُّنة رغبوا في تدمير إيران، وحسدوا الصفويين على قوتهم، وأنهم أعداء القوة والنجاح.

وفي سياق الحديث عن المعركة (جالديران) يشير النص إلى هزيمة الصفويين على الرغم من المقاومة الشديدة، ووجود الفدائيين. والفدائيون يمثلون في التاريخ التعصب الشيعي في أفضل صوره، والمثال الأفضل لمحاربة أهل السنة، فهم أتباع الحسن بن الصباح (صاحب قلعة الموت في إيران)، والمعروفون باسم الحشيشة أو الحشاشين، والذين لعبوا دورًا خطيرًا ومؤثرًا ضد المقاومة الإسلامية السنية في الشام للغزو الصليبي، وتحالفوا مع الصليبيين، وهم أصلاً شيعة إسماعيلية انشقوا عنها بعد وفاة الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، وعرفوا بالنزارية، نسبة إلى نزار بن المستنصر، وقد كان لهم تنظيم فائق البراعة ومراتب، ومن أهم مراتبهم: مرتبة الفداوية أو الفدائيين، وهم من يضحون بأنفسهم، وكانوا أداة الحسن الفعالة في قتل خصومه، وقد كان يراعي في اختيارهم الشجاعة، التي تكون أقرب إلى التهور والقوة البدنية، وكانوا يقومون بعملياتهم (عمليات الاغتيال) بعد عملية غسيل مخ.

وكان هؤلاء الفداوية يدربون منذ الطفولة، ويزرع فيهم روح المخاطرة والتضحية[١].

- وهذه الإشارة تشير إلى استمرار هذا الفكر، وإلى تبني إسماعيل الصفوي للفدائيين كأداة عسكرية قوية وفاعلة، وهي تأكيد على محاولة زرع هذا النهج عن الشيعة في مقاومة الغزو السني، والذي استطاع الفدائيون في زمن الحروب الصليبية النجاح فيه.

(١) عاشور، سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٦، ١٩٩٦، ج١، ص٤٣٠-٤٣٧.

- كما يؤكد النص على أن سبب هزيمة الصفويين كان التفوق العسكري العثماني، من خلال الأسلحة المستخدمة كالأسلحة النارية، وافتقار الجيش الإيراني لها، ورغم احتلال العثمانيين لتبريز، إلا المقاومة الشعبية للإيرانيين أدت بالعثمانيين للانسحاب.
- لا إشارة قط لأسباب معركة جالديران غير السبب الذي ذُكر سابقًا، وهنا إغفال للحقائق بهدف رسم صورة معينة، وتوجيه فكرة معينة للقارئ الإيراني، بأن السنة يكرهون ويعادون أي تقدم وتطور لإيران، ويسعون لمحاربته بشتى الوسائل والطرق.
- أما عهد الملك طهماسب ابن إسماعيل:

فيشير النص إلى اضطراب الأوضاع زمنه دون تحديد للأسباب، وأن الأوزبك والعثمانيين استغلوا ذلك لمهاجمة الدولة، فقام طهماسب بمحاربة الأوزبك وهزيمتهم، ودخل في حرب طويلة مع العثمانيين انتهت بالصلح، وبالتالي أعاد طهماسب الاستقرار لإيران.

هنا تأكيد على أن أعداء الدولة، وأسباب اضطرابها هم الأوزبك والعثمانيون- أي السنة- للتأكيد على أن العداء قديم بين إيران الشيعية وجيرانها السُّنة.

التعليق على أسئلة الدرس:

تركيز الأسئلة على:

- ترسيخ معلومات أهمها مؤسس الأسرة الصفوية.
- التأكيد على حفظ معركة جالديران، وارتباطاتها المذهبية بين السنة والشيعة، وترسيخ أهمية المعركة في ترسيخ وجهة النظر الشيعية بأن أعداءهم الأهم هم السنة.

- التركيز ومحاولة ترسيخ أهمية عمل إسماعيل الصفوي في نشر المذهب الشيعي في إيران، وجعله المذهب الرسمي للدولة، وركز على أهمية اتباع الدعوة الصفوية باعتبارها أهم من أي شيء، ثم ربط ذلك بعلاقة إيران بالدولة العثمانية، ويتضح ذلك في س١/ ج.
- ترسيخ أهم إنجازات الصفويين ودورهم في تغير أوضاع إيران قبل توليهم بأكثر من سؤال.

نتائج ضعف الصفويين

يقول النص: "بعد ضعف الصفويين عمت الفوضى وعدم النظام في أنحاء إيران، كل شخص كان يجد لديه سلطة شكَّل حكومة، بذلك تشكلت حكومات صغيرة محلية في أنحاء إيران. جيران إيران استغلوا عدم النظام وتفرق القوات الداخلية، فقد اعتدوا على الحدود.

في هذه الأثناء قام أفراد العائلة الصفوية، والتي كان لها شعبية في إيران، بتشكيل حكومة، وبالتدريج سيطروا على مناطق مختلفة من إيران. مؤسس السلسلة الصفوية إسماعيل شاه. أعلن إسماعيل شاه المذهب الشيعي هو المذهب الرسمي لإيران. في ذلك الوقت كان الأتراك العثمانيون في غرب إيران، وفي شرق إيران أوزبكان يحكمون. هاتان الحكومتان كانتا رافضتين المذهب الشيعي في إيران؛ وبعد ذلك عارضوا الصفويين وخالفوهم"[1].

(١) تعليمات اجتماعي، بنجم دبستان، ص ١٠٩-١١٠.

تحليل النص:

لماذا انتحل الصفويون التشيع، هل عن اقتناع أم لأغراض السياسة؟ ألم يكن انتحال التشيع لأغراض المصلحة السياسية؟ فقد كان هذا التحول إلى المذهب الشيعي يهدف إلى استقطاب الشيعة في إيران، وتوسيع قاعدتهم الشعبية، وبخاصة السربداريين المعارضين للحكم الإيلخاني، والمعروف أن المعارضة للإيلخانيين اعتمدت على العناصر الشيعية، وأدى ذلك إلى تحول الصفويين من التوجه الصوفي المحض إلى العمل السياسي، والذي توّج بتأسيس دولة صفوية شيعية المذهب على يد إسماعيل الصفوي(١).

ملاحظات عامة على مجموع الدروس:

- سرد جزء من الحقيقة التاريخية للأحداث بما يتوافق مع وجهة النظر السياسية والفكرية للدولة الحديثة.
- الموضوعية أو الحيادية التاريخية مفقودة تامًا، والتعصب والميل واضحان لا لبس فيهما.
- ربط التشيع بقوة إيران وقدرتها على التصدي لأعدائها.
- سنية إيران قبل الصفويين كانوا سببًا في الخلافات وسوء أوضاع إيران.
- أهمية إدارة الدولة من قبل الفقهاء.
- التاريخ في النص فيما يتعلق الفقهاء والمراجع تاريخ خالٍ من العيوب والأخطاء.

---

(١) طقوس، تاريخ الدولة الصفوية، ص٣٨.

- الدين يمثله الفقهاء والمراجع الشيعية، والاعتداء عليهم اعتداء على الدين.
- تطور إيران ودولتها الحديثة أساسه جهود العلماء والمراجع الدينية الشيعية.
- السنة أعداء كل نجاح للدولة، ويسعون دومًا لمحاربتها وإضعافها، بدأ ذلك مع الصفويين وخلفائهم الذين خاضوا حروبًا طويلة مع العثمانيين والأوزبك السنة، ثم في العصر الحديث ظهر العراق بقيادته السنية، ليعتدي ويحطم مكتسبات إيران الثورة بقيادة الخميني.
- إغفال الحقائق التاريخية التي تخالف وجهة نظرهم، واجتزاء كثير من المواضيع.
- التركيز على إبراز الدور المقاوم للفقهاء في تطوير إيران.
- إيران تخوض دومًا حروبًا دفاعية عن نفسها، سواء ضد العثمانيين أو الأوزبك، أو الدول المستعمرة، أو العراق.
- إيران لها الحق بالتحالف مع أي قوة كانت، في سبيل محاربة أعدائها السنة، قديمًا أو حديثًا، كالتحالف الصفوي- البريطاني ضد الدول العثمانية، أو غير ذلك.
- التركيز على أن كثيرًا من الملوك في التاريخ الإيراني منذ عهد الصفويين اتسمت فترات حكمهم وسياستهم بالبعد عن الدين، وعدم الالتزام بالشرع، والتوجه لممارسة الظلم، في تأكيد لأهمية النظام الجمهوري الإيراني، الذي وصلت إليه إيران بعد الثورة الإسلامية.
- الفقهاء أوصياء النبي، وطاعتهم واجبة، ولا تقدم للدولة دون مشاركتهم بالحكم.

تأكيد أن إيران تطورت وتقوت مع نشر إسماعيل الصفوي المذهب الشيعي

فيها، ثم أنها ازدادت قوة مع الثورة الإسلامية، فالتشيع يقوي الدول، لكن عندما يتولى علماء ومراجع الدولة الشيعة الدولة تقوى وتتطور أكثر فأكثر.

الأفشاريون والزنديون

*** الملك نادر شاه أفشر:**

يقول النص: "حكم الأفغان إيران لمدة سبع سنوات، ولكن في النهاية فإن الملك نادر شاه أفشر أزاحهم عن الحكم. الملك نادر شاه أفشر بعد أن توج وشكل السلالة الأفشرية، فقد حرك الجيش إلى شرق إيران للقضاء على الأفغان بشكل تام. بعد ذلك هاجم الهند، وبعد أن احتل دلهي العاصمة عاد إلى عاصمته مشهد بغنائم كثيرة.

أصبح نادر شاه عصبي المزاج وعنيفًا، وكان يسيء معاملة من حوله. بالنهاية قتل على يد قادة جيشه، وبقتل نادر شاه قامت الحرب بين قادة جيشه، وكذلك قام الحكام المحليين بالشغب"[1].

تحليل النص:

أليس في هذا دليل على خطل النظرية العرقية الآرية التي ينادي بها الإيرانيون،

فمن هم الأفشر؟

الأفشريون قبيلة تركمانية كانت تقطن شمال شرقي الأناضول، ثم دخلت

---

(١) تعليمات اجتماعي، بنجم دبستان، ص١١٣-١١٤.

كفصيل مهم في الجيش الصفوي (والصفويون من التركمان أيضًا)، حكمت في فارس وأفغانستان ١٧٣٦ – ١٧٩٦، وكان مقرهم مشهد.

تأسست دولة الأفشريين في أثناء عهد نادر أفشر، الذي ينحدر من قبيلة أفشَر التركمانية، والتي كانت إحدى فصائل تنظيم قزلباش العسكري الشيعي الصوفي المذهب.

برز نادر أفشر (التركماني) كقائد عسكري لآخر الشاهات الصفويين، وكان له دور كبير في تزعم حركة المقاومة العسكرية لتحرير إيران من الاحتلال الأفغاني، الذي قامت به قبيلة الغلزاي الأفغانية (ذات الأصول التركية أيضًا)، منطلقًا من مدينة مشهد، وبعد نجاحه انتهى به الأمر إلى أن نصَّب نفسه شاهًا (١٧٣٦-١٧٤٧)، وأخذ اسم نادر شاه.

يعتبر نادر شاه واحدًا من أكبر الغزاة الفاتحين في تاريخ إيران الحديث؛ حيث قام عام ١٧٣٧ بالاستيلاء على أفغانستان وبعض الأجزاء من وسط آسيا- خانية خيوة، ثم قاد حملة (١٧٣٨-١٧٣٩) إلى الهند، تمكن فيها من الاستيلاء على دلهي. حاول داخليًا أن يتبنى مذهبًا للدولة يوفق بين الشيعة والسنّة.

قتل سنة ١٧٤٧ على يد أحد قواده، ولم يتمكن خلفاؤه من الحفاظ على مملكته، وانحصر ملك حفيده- الأعمى- شاه رخ (١٧٤٨-١٧٩٦) في خراسان حتى سنة ١٧٩٦، وقضاء القاجار (وهم من التركمان أيضًا) على المملكة نهائيًا، وتأسيس سلالة تركمانية جديدة هي سلالة القاجار التي حكمت إيران حتى عام ١٩٢٤م".

المناقشة في الصف:

برأيك، لماذا قام قادة جيش نادر شاه بمحاربة بعضهم البعض؟ (١)

*** كريم خان زند:**

يقول النص: "كان أحد قادة جند الملك نادر شاه، وبعد مقتل نادر شاه، وبجهد وسعي كبير، سيطر على مناطق كثيرة من إيران. كريم خان- وبعد هذه الانتصارات- حكم إيران، ولكنه لم يكن راضيًا أن يطلق عليه لقب الملك، ولذلك اختار لنفسه لقب وكيل الرعايا، يعني (نائب الشعب).

اتخذ كريم خان شيراز عاصمة له، وبناء على أمره فقد شيدت مباني مهمة، منها مسجد وسوق. وكيل كريم خان كان يتحاشى الحروب وسفك الدماء، إلا أنه اضطر في أواخر أيامه أن يرسل جيشًا ليحارب العثمانيين. وسبب هذه الحرب أن العثمانيين كانوا يعاملون الإيرانيين المسافرين والزوار الإيرانيين الذين كانوا يسافرون إلى العراق معاملة سيئة"(٢).

تحليل النص:

مرة أخرى، ما رأي كتاب الخط القومي الإيراني؟ هل الأكراد الذين ينتسب إليهم هؤلاء الزند ينتسبون إلى العرق الآري الذي يتباهون فيه؟

كان كريم خان من أصل قبلي متواضع، من قبيلة زند الكردية، ثم أصبح أحد قادة نادر شاه العسكريين، وعلى أثر الفوضى التي أعقبت وفاة نادر شاه في عام

(١) المصدر نفسه، ص ١١٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٥-١١٦.

١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م غدا كريم خان من أهم المناضلين من أجل وراثة عرش إيران، لكن كان عليه مواجهة تحدي العديد من المتنافسين المطالبين بهذا العرش.

ولكي يضفي الشرعية على مطلبه، قام كريم خان بتتويج حفيد آخر الملوك الصفويين القاصر إسماعيل شاه الثالث ملكًا على عرش إيران؛ غير أن إسماعيل أصبح ملكًا صوريًا، أما السلطة الحقيقية فقد آلت إلى كريم خان، الذي حمل لقب وكيل الرعايا أو الوصي. وبعد أن قضى على حليفه زعيم البختياريين، أصبح كريم خان ملكًا على إيران الجنوبية. ومع حلول عام ١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م، كان كريم خان قد هزم جميع منافسيه، وفرض سيطرته على إيران كلها باستثناء خراسان[(١)].

البحث والمناقشة في الصف:

وضح.. لماذا كان الإيرانيون يسافرون إلى العراق؟[(٢)]

الأسئلة؟

١- املأ الفراغات:

- بعد الأفشريين ظهرت الحكومة....

٢- اذكر عملين مهمين من أعمال نادر شاه أفشر؟

٣-كيف كان كريم خان زند يحكم؟[(٣)]

---

(١) راجع الموسوعة العربية تحت عنوان: "كريم خان".

(٢) تعليمات اجتماعي، بنجم دبستان، ص ١١٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ١١٦.

النشاط في الصف:

صل كل كلمة بالعبارة المناسبة لها بالسهم:

كريم خان	اتخذ من مشهد عاصمة له.
جنكيزخان	أعلن المذهب الشيعي مذهبًا رسميًا لإيران.
الملك إسماعيل الصفوي	حرك جيشًا إلى إيران
نادر شاه	قام بتشييد مبانٍ رائعة في شيراز[(١)]

القاجارية

يقول النص: "وصل الحكم قبل حوالي ٢١٥ إلى آقا محمد خان، وهو أحد أفراد قبيلة قاجار، بعد أن قضى على الحكومة التي جلست على الحكم بعد كريم خان زند، واتخذ من طهران عاصمة له. آقا محمد خان كان رجلاً سيِّئ المزاج وعصبيًا، ولكنه استطاع أن يوحد الجيش المختلف، واستطاع أن يوحد إيران، وقتل بالنهاية على يد خدمه عندما كان يحاول أن يطرد الجيش الروسي من الأقاليم"[(٢)].

(١) المصدر نفسه، ص ١١٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٧.

الحروب الروسية

يقول النص: "حكم فتح علي شاه بعد آقا محمد خان، وكان رجلاً يفتقر إلى الإدارة وعديم المعرفة، ولهذا السبب فقد سيطرت روسيا في عهده على كرجستان. بعد احتلال كرجستان اشتدت الخلافات بين إيران وروسيا، وبدأت الحروب بين البلدين واستمرت عشر سنوات. بنهاية هذه الحروب انهزم الجيش الإيراني"[١].

*** أسباب هزيمة الجيش الإيراني:**

١- عدم معرفة الجيش الإيراني بالأساليب العسكرية الروسية والأسلحة الجديدة.

٢- تدخل وتآمر الدول الأجنبية مثل فرنسا وبريطانيا.

٣- عدم اهتمام ملك إيران وحاشيته بأمور البلاد.

يقول النص: "في نهاية هذه الحروب قام قادة البلدين: إيران وروسيا، بتوقيع عقود، وكان معظمها ضد مصلحة إيران، وحسب هذه العقود، فإن نهر أراس هو الذي حدد الحدود مع الحدود الروسية؛ فالأراضي التي تقع شمال هذا النهر (عبارة عن بلاد أذربيجان وأرمنستان وكرجستان) ضمن الحكم الروسي"[٢].

*** ناصر الدين شاه:**

يقول النص: "ملك آخر من الملوك القاجاريين هو ناصر الدين شاه، استمر في

---

(١) المصدر نفسه، ص ١١٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٧-١١٨.

عهده تدخل الدولة الروسية وبريطانيا في إيران.

عين ناصرُ الدين شاه أميرَ كبير، الرجل الجدير والداهية، بمنصب مستشار (رئيس وزراء).

تولى أمير كبير منصب المستشار في إيران مدة ثلاث سنوات، وخلال هذه الفترة قام بالعديد من الأعمال المهمة لتحسين أوضاع البلاد، وخفض من رواتب الأمراء القاجاريين، ومنع الأجانب من التدخل في الأمور الداخلية للبلاد، وكذلك أسس مدرسة دار الفنون، رأى رجال البلاط أن هذه الأعمال ليست في صالحهم، وصدر الأمر بإقالة أمير كبير من منصب مستشار. استمر عداء رجال البلاط لأمير كبير حتى بعد إقالته من منصب مستشار. بالنهاية استطاعوا أن يحصلوا على أمر بقتل أمير كبير من ناصر الدين شاه.

ضعفت الحكومة القارجارية بعد قتل أمير كبير، وبهذه الظروف أخذت بريطانيا جزءًا من شرق إيران، وأخذت روسيا جزءًا من خراسان وأضافوها إلى أقاليمهم، وبذلك زاد تدخل هذين البلدين في الأمور الداخلية لإيران"[1].

المناقشة في الصف:

برأيك، لماذا كان رجال البلاط يعارضون أمير كبير؟ [2]

---

(١) المصدر نفسه، ص ١١٨-١١٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٩.

الأسئلة:

١- املأ الفراغات التالية:

- اسم........ مؤسس الحكومة القارجارية.

٢- اكتب أسباب هزيمة إيران من روسيا.

٣- اذكر عملين مهمين من أعمال أمير كبير(١).

*** الصورة التي رسمتها الكتب المدرسية من خلال النصوص السابقة:**

من حق الفرس أن يعيشوا عقدة الاضطهاد والكراهية تجاه الآخرين، فهم لم يستطيعوا أن يحكموا بلادهم، خاصة بعد انهيار دولتهم على يد الخليفة عمر بن الخطاب، الذي شنوا وما زالوا يشنون عليه حربًا شعواء، فقد حطم كل طموحاتهم في السيطرة والتوسع.

لذا نجد أن إيران والفرس عاشوا محكومين من عناصر غير فارسية؛ سلاجقة، تركمان، صفويين، أكراد، قاجاريين، أفغان؛ لذا فالفارسي في وعيه وعقليته عاش الاضطهاد والانهزامية أمام الآخر، ولذا وجد في التشيع مجالاً رحبًا للتنفيس عن مشاعره الكامنة، وما يحدث يوم عاشوراء ما هو إلا دليل على ذلك.

أولاً: صورة الفرس:

تحاول الكتب المدرسية بذل كل الجهود، وتسخير كل المعطيات لخدمة وترسيخ فكرة، التي يمكن تلخيصها بأن بلاد فارس والشعب الفارسي بلاد وشعب حضارة

(١) المصدر نفسه، ص ١٢٠.

على مر العصور التاريخية، وأن الفارسي بطبعه يميل إلى البناء والعمران، وغيره من شعوب الأرض أعداء حضارة وفكر، بل إن الفارسي في أصعب أوقاته وهو محتل من قبل الغزاة لا ينفك يبني ويعمر ويطور في الفكر والنظم، ويستفيد منه حتى المحتل، وأن الموقع الجغرافي لبلاد فارس وثرواتها وحضارتها كانت وما زالت مطمع الجيران.

ثانيًا: صورة آل البيت:

هي الصورة النمطية عينها التي ترد وتتكرر في كل كتابات الفرس:

- العلويون أصحاب الحق في الخلافة.
- الوصية من النبي محمد ﷺ لآل علي من بعده بأمر الخلافة.
- العلويون لم يحصوا على هذا الحق بفعل التآمر من قبل كبار الصحابة، وعلى رأسهم أبو بكر وعمر (رضوان الله عليهما).
- العلويون وإيمانًا منهم بالحق تعرضوا للاضطهاد والظلم من قبل المسلمين (السنة).
- ارتباط الفرس بآل البيت على الدوام، نتيجة لاقتناع الفرس بأحقية آل البيت بالخلافة.

ثالثًا: صورة أهل السنة:

نجد صورة واضحة لأهل السنة في النص كما هي العادة في النصوص الأخرى، من خلال الحديث عن أهل السنة الذين- برأي الكاتب- تآمروا على المشروع العلوي.

***القيم التي أراد النص تعزيزها في عقل ووجدان الطالب الإيراني:**

- أن بلاد فارس وشعبها- وبفضل ما يتمتعون به من إمكانيات- صاروا مطمعًا لجيرانهم، لكنهم تصدوا لهم بحزم وقوة، حتى غزوا بلادهم.
- أن الإيرانيين بعد أن دخل الإسلام بلادهم دخلوا فيه عن اقتناع، وساهموا بدور مهم في نشره والدفاع عنه.
- أن الإيرانيين وقفوا إلى جانب العلويين الذين ظلموا من قبل أهل السنة، والذين أوصى الرسول ﷺ لهم بالإمامة من بعده.
- الأئمة معصومون.

***المنهج الذي كُتبت به نصوص الكتب المدرسية:**

قامت المنهجية المتبعة في نصوص الكتب التي عرضت للموضوعات سالفة الذكر على:

أولاً: الإصرار على الفكر العقائدي لدى الشيعة، بأن العلويين أحق بالخلافة، وبالتالي اعتمد الكاتب أسلوب الانتقاء، واجتزاء الروايات والنصوص التي تظهر النزعة الشوفينية الفارسية بمعزل عن القوميات الأخرى في صنع مجريات الأحداث التاريخية، بحيث تظهر للقارئ أنه لولا الفرس لما قامت الحضارة الإنسانية، والتي لولا وجود الفكر والنظام الفارسي لبقيت بلادٌ مجهولة الحضارة، ولولاهم بعد أن دخلوا في الدين الإسلامي لما قامت كذلك للمسلمين حضارة.

ثانيًا: أن الفرس كانوا على الدوام مصدر إلهام لغيرهم من الشعوب.

ثالثًا: حاول النص أن يوجد اقترانًا وارتباطًا لا تنفصم عراه بين الفرس وآل

البيت، فالفرس وقفوا إلى جانب آل البيت وناصروهم ضد العرب (بنو أمية وبنو العباس)، ولأجل ذلك فقد قدموا التضحيات الكثيرة من دمهم وزعمائهم.

رابعًا: قام منهج الكاتب على التعصب العنصري الواضح للفرس، من خلال إبراز دورهم، والمبالغة في ذلك، في صنع أحداث التاريخ.

الجهاد والدفاع في الكتب المدرسية، والربط مع الموضوعات السابقة:

تصف الكتب المدرسية فتح المسلمين لإيران بحملة المسلمين العرب، حيث تستعرض الكتب المدرسية مفاهيم عديدة لترسيخها في وجدان الطالب الإيراني لأسباب وغايات عديدة سوف نتناولها.

تعرض الكتب المدرسية لمفهوم الجهاد والدفاع في الإسلام، حيث تتحدث عن الجهاد فيقول النص: "الجهاد في اللغة تعني الجهد والمحاولة، وفي الثقافة الإسلامية بالإضافة إلى المعنى العام، تعني الكفاح المسلح، والحرب ضد أعداء الإسلام والمسلمين.

نعلم أن الدين الإسلامي دين عقيدة وإيمان وفكر ومنطق، وبالتالي انتشر في العالم، لم ينشر الإسلام أبدًا عقائده الحقة بالإجبار، لا يمكن الترويج للعقيدة بالإجبار، وهل من الممكن أن تزرع العقيدة في أعماق النفوس بالقوه والإكراه؟

الدين هو سلسلة من الاعتقادات تضع الإيمان في قلب الفرد، هل يمكن أن نجبر الناس على القبول بهذه الاعتقادات؟

نستطيع بالقوة العسكرية أن نجبر أو أن نمنع الناس من القيام ببعض الأعمال، ولكن هل نستطيع أن نغير الأفكار والعقائد القلبية للناس؟

الإسلام إيمان وعقيدة وتقوى وفضيلة، وكل القيم النبيلة، مع دلائل واضحة، وبراهين متينة تبلغ بين الناس، ربما تتساءل: لماذا الجهاد إذن؟ وما هو إذن الهدف من الكفاح المسلح والجهاد؟

والجواب على ذلك: أن الإسلام دين صلح وهدوء، وليس دين عمليات مسلحة، وإذا لم توجد الضرورة لذلك، فلا يوجد أمر بالجهاد، ولكن ليس في حالات الحرب والجهاد فقط، بل لا خلاف على أنه أمر شرعي، ويعتبر من أفضل العبادات، قال الله في كتابه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:١١١].

يشير الله في هذه الآية إلى صفقة مهمة جدًا: مَن المشتري في هذه الصفقة؟ ومن البائع؟ وما هو نوع البضاعة؟ وما ثمن هذه الصفقة؟

المشتري هو الله. الله لا يحتاجنا. الله رحيم، الله أكبر، وبكل عظمته وجلاله، وكل عطفه ومحبته علينا"[(١)].

يضيف النص: "الباعة هم المؤمنون، المؤمنون الذين يؤمنون ومن أعماق أنفسهم بالله وبالرسول ويوم القيامة، ويقبلون بالإسلام كأفضل دين سماوي، وسعادتهم تكمن بالعمل فيه، وحماية أحكامه وقوانينه. هؤلاء المؤمنون الذين أحبوا الله، وتتيموا بمحبته، ويعتبرون رضاه ومحبته أهم من أي شيء آخر، في نظر هؤلاء

(١) فرهنك إسلامي وتعليمات اجتماعي، سال سوم، شركت جاب كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٩، ص٦٧.

أن فضل الله علينا وثوابه ونعمه في الآخرة أعلى وأفضل وأجمل بكثير من النعم الدنيوية، ويعتبرون أن الحياة الدنيا هي حياة قصيرة، وممر نحو الحياة الآخرة المستقرة والخالدة"(١).

يضيف النص: "ما هو النوع، نوع البضاعة موضوع الصفقة؟ أنفس وأموال ووجود المؤمنين، فالمجاهدون في سبيل الله يبايعون الله بأنفسهم، النفس التي وهبها الله لهم يعيدونها إليه، ويضحون بها في سبيله، ويقدمون كل ما يملكون في سبيل المعبود العظيم الواحد الأحد، ويتركون محبة الآخرين، ويتجهون نحو حب منبع النور الإلهي.

ما ثمن هذه الصفقة؟ ثمن الصفقة جنة الله، الجنة وحياة الخلود، ومصاحبة الرسل والأئمة، ومعاشرة الشهداء والصديقين وعباد الله المختارين، جنة الله بكل بهائها ونعمها، لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطرت على بالٍ.

عقد هذه الصفقة وثقته كل الكتب السماوية التوارة والإنجيل والقرآن، وتعهد الله القادر الرحيم بالإيفاء بهذه الصفقة؛ ومن أوفى من الله عهدًا؟!

المؤمن والمجاهد في سبيل الله يرى نفسه في ميدان المعركة بمواجهة أمرين (١) هامين وعاليين: إرضاء الله، والدفاع عن الأحكام النورانية للإسلام، والدفاع عن العدالة والحق، ومساعدة المحرومين والمستضعفين، والدفاع عن الوطن وأراضيه، فإما أن يقتل أعداء الإسلام، ويكسب، ويعود إلى حضن عائلته فاتحًا مرفوع الرأس، وإما أن يقدم دمه في سبيل الله، وفي الحالتين هو سعيد ومنتصر"(٢).

---

(١) المصدر نفسه، ص٦٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٦٧.

الجهاد الابتدائي

الإسلام لا يعطي الأوامر بالجهاد والحرب من أجل توسيع البلاد، ولا من أجل استغلال الناس وإجبارهم على الدين، ولكن إذا كان الناس يعانون من الفقر والجهل وعدم المعرفة، ويعانون من الاختناق المعيشي، ويقوم الظلمة والمتغطرسين بسلب أجورهم. في هذه الحالة، فإن من واجب جند الإسلام أن يدافعوا عن المحرومين، وأن ينقذوهم من شوكة الغطرسة؛ في البداية عن طريق التبليغ، وأن ننبههم بالدليل والمنطق، وأن ننجيهم من الشرك والكفر والنفاق، وندعوهم إلى عبادة الله الواحد حتى ينجوا من سلطة المستكبرين، وأن يتولوا زمام أمورهم.

إذا أغلق المستكبرون باب الدعوة والبراهين، ومنعوا التبليغ والتوجيه، فحسب تقدير الرسول، أو الإمام، أو ولي أمر المسلمين، إذا رأى أن المصلحة بالجهاد، فإنه يصدر أمره بالجهاد حتى يقوم جند الإسلام بالجهاد المقدس، والهجوم العنيف ضد المستكبرين، ويهزمونهم، ويهيئوا الأرضية للتبليغ بحرية، وإيقاظ الناس ونجاتهم"[١].

يقول النص: "حروب المسلمين ضد الحكومة المستبدة في إيران في صدر الإسلام كانت لهذا السبب. المسلمون لم يقوموا بالحروب من أجل السيطرة على الأراضي وكسب المال، ولكن حاربوا من أجل حرية الناس من تسلط المستكبرين، ونجاتهم من نيران الظالمين والحكام الظالمين. هؤلاء بدءوا الحرب حتى يقضوا على الحكومات المتغطرسة، ويهيئوا من أجل إرشاد وهداية الناس المحرومين. الإيرانيون

---

(١) المصدر نفسه، ص٦٩.

في ذلك الوقت أيضًا لم يقبلوا بالإسلام بالإجبار أو بقوه السيف، ولكن ولأنهم حصلوا على الحرية، وبالبراهين الواضحة ومنطق الإسلام المتين، عرفوا الإسلام بالعقل والمنطق.

في الثقافة الإسلامية فإن الأمرين الهامين يشار إليهما بـ (إحدى الحسنيين).

وشاهدوا حسن سلوك المسلمين، فالتحقوا أفواجًا أفواجًا بالإسلام. إذن الجهاد الابتدائي هو نوع من الدفاع؛ دفاع عن حقوق الناس المحرومة، دفاع عن الشرف وعزة الإنسان، والدفاع عن حقوق المستضعفين"[(١)].

الجهاد الدفاعي

تتحدث الكتب المدرسية عن مفهوم الجهاد الدفاعي، فتقول: "عندما تتعرض البلاد الإسلامية إلى الاعتداء من قبل الغرباء، فإن الدفاع واجب على الجميع، يجب على المسلمين أن يقوموا بالتعبئة لإخراج المعتدين، والإطاحة بهم، وأن يستفيدوا من كل قدراتهم وإمكانياتهم للدفاع عن عزة وشرف بلدهم الإسلامي، قال الله تعالى في القرآن: ﴿ **وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ** ﴾ [البقرة:١٩٠].

الجهاد الدفاعي واجب على الجميع؛ العجوز والشاب والرجل والمرأة، الجميع يجب أن يشاركوا في هذا القتال المقدس، وأن يقاوم كل فرد حسب قدرته، ويساعد المحاربين. في هذه الحالة لا يجب أن ننتظر وصول أمر الرسول أو الإمام أو ولي أمر

(١) المصدر نفسه، ص٦٩.

المسلمين، وألا نعطي الفرصة للأعداء للهجوم أكثر. طبعًا فإن ولي أمر المسلمين يجب أن يقدم التوجيه اللازم في أول فرصة.

يجب أن يدافع المظلوم وفورًا عن حقه، وأن ينسحب المعتدي مذلولاً، وأيضًا حتى لا يخطر على بال الآخرين الاعتداء مرة أخرى. إذا حاول المستعمرون من خارج الحدود، وعن طريق عملائهم في الداخل التدخل بالشئون الداخلية في الدول الإسلامية، فإن الدين الإسلامي لا يسمح للمسلمين بأن يضعوا يدًا فوق يد، وأن يجلسوا وينتظروا هجوم الأعداء عليهم، ولكن أمرهم أن ينهضوا وبكل قوتهم، وأن يدافعوا ويقطعوا يد الأعداء القذرة، وأن يحرروا بلادهم. هذا الأمر أيضًا جهاد دفاعي، وواجب على الجميع.

مؤسس الجمهورية الإسلامية– قدس سره– عرف الجهاد أنه واجب على الجميع، وقد قال بهذا الشأن: "الدفاع عن الإسلام وعن الدول الإسلامية في حالات الخطر هو واجب ديني وإلهي ووطني، وواجب على كل فئات وشرائح المجتمع).

معظم الحروب التي وقعت في صدر الإسلام، مثل معركة الأحزاب ومعركة أُحد، كانت حروبًا دفاعية أيضًا"[١].

تحليل النص:

التحليل الأول:

هل صحيح أن جميع الإيرانيين دخلوا الإسلام عن قناعة كما تقول الكتب

---

(١) المصدر نفسه، ص٧٠-٧١.

المدرسية؟ "ولكن ولأنهم حصلوا على الحرية، وبالبراهين الواضحة ومنطق الإسلام المتين، عرفوا الإسلام بالعقل والمنطق".

إذا كان هذا الكلام صحيحًا، نرجو من هذه الكتب أن توضح الأسباب التي كانت وراء خروج جميع الأفكار والعقائد المنحرفة من بلاد فارس، وكيف تسربت أفكار الغلو والتطرف الديني، وتقديس البشر، وتناسخ الأرواح من الحضارات الفارسية والهندية إلى الدين الإسلامي؟ هل العرب هم الذين نقلوها– فهم أعراب بدو همج لا يعلمون من أمور الحياة إلا الغزو والنهب-؟.

التحليل الثاني:

ترى الكتب المدرسية أن الفرس كانوا دائمًا في حالة جهاد لأجل الدفاع عن الإسلام، وأنهم على الدوام يدعون إلى الوحدة الإسلامية، لكن ما هو رأي (آية الله الخميني) في الدور الذي لعبته إيران- وتلعبه- في تصدير الأفكار الخمينية لغيرها من البلاد العربية والإسلامية؟

وما رأيه أيضًا في موقف إيران العدائي تجاه دول الخليج العربي، ومحاولة إثارة الفوضى والطائفية بها، من خلال أتباعهم من عوام الشيعة، وهل هذا هو دوره في الدفاع عن الإسلام والمسلمين؟

كيف يرغب في حفظ وحدة المسلمين وهو وأتباعه يطعنون المسلمين (السنة) في عقيدتهم، وفي رموز الإسلام من كبار الصحابة؟

أليس هو وأتباعه من كفَّروا الصحابة إلا أربعة؟

الجهاد الداخلي

تعرض الكتب المدرسية لمفهوم الجهاد الداخلي فتقول: "هو نوع من الدفاع إذا تآمرت مجموعة داخلية وأثاروا الفوضى، وزعزوا هدوء المجتمع، لإضعاف الحكومة الإسلامية بالاغتيالات والتخريب، بهدف الإطاحة بالحكومة الإسلامية، والخروج عن ولي أمر المسلمين، وولاية الفقيه، وعدم العمل بقوانين المجتمع الإسلامي، والخروج عن طاعة القائد. هذه المجموعة يسمون أهل البغي أو البغاة أو الخوارج، ولكن الفقيه- في البداية- يبدأ مع هؤلاء بالنصيحة والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر والإرشاد، فإذا تنبهوا وعادوا إلى أحضان الحكومة الإسلامية، فسوف يقبلهم المجتمع الإسلامي، ويتعامل معهم باللطف والمداراة، ولكن إذا لم تنفع معهم النصيحة والإرشاد، فإن ولي أمر المسلمين- والولي الفقيه الذي يدافع عن كيان الحكومة الإسلامية مجبر على إعلان الجهاد- وبسلطته، يقمع هؤلاء. وفي هذه الحالة يجب على المسلمين أن يطيعوا؛ ليقمعوا ويستأصلوا هؤلاء، فإن محاربة هؤلاء وإفشال مؤامراتهم- بأي شكل- وإبادة هذه الجماعة، ومحاربة البغاة والخوارج والمتآمرين والمفسدين، يعتبر هذا نوعًا من الجهاد الدفاعي الواجب على المسلمين قمع عدد ممَّن يدَّعون الصلاة والصوم وقراءة القرآن"[1].

وتضيف الكتب: "حضرة علي (عليه السلام) في عهده حارب الخوارج المشهورين باسم خوارج النهروان، ولم يَبْقَ منهم إلا عددٌ قليل، والبقية قُتلوا في حربهم مع إمام المسلمين. الخوارج كانوا بالظاهر أهل صلاة وصوم، ولكن بالنسبة

---

(١) المصدر نفسه، ص٧١.

إلى حضرة علي الإمام وولي أمر المسلمين، كانوا خوارج ومثيرين للحروب والفوضى".

(للدراسة): حضرة الرسول (عليه السلام) ذكر هذه الحادثة إلى علي (عليه السلام)، وشرح له واجبه لمواجهة الخوارج: في حديث لرسول الله مع حضرة علي جاء فيه: "يا علي، إن الله أوجب الجهاد على المؤمنين لمحاربة الفتن التي ستقع من بعدي". سأله حضرة علي: يا رسول الله، أي فتنة التي تجعل من الجهاد واجبًا؟

أجاب الرسول: "إنها فتنة جماعة يشهدون بوحدانية الله، ورسالتي، ولكنهم يخالفون سنتي، ويحدثون البدع، ويطعنون في ديني".

سأله حضرة علي: يا رسول الله، لماذا نحاربهم إذن وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، ويؤمنون برسالتك؟

أجاب الرسول: "لأنهم يحدثون البدع، ويخرجون عن طاعة ولي الأمر، وأباحوا سفك دماء عترتي" (كتاب الوسائل، جزء ٦، صفحة ٦١).

تحليل النص:

بعد البحث عما نسبه الكاتب إلى النبي ﷺ في كل كتب الحديث، صحيحها وضعيفها، بل حتى في كتب التاريخ والأدب، لم نجد لذلك أثرًا، وبالتالي فهو- كما يتضح من صيغته وأسلوبه الحِواري- اختلاق ودس كالعادة.

ثم يعرض الموضوع إلى ملخص الدرس:

١- الدين الإسلامي يدعو الناس بالبراهين والأدلة الواضحة إلى الإيمان والتقوى وأعمال الخير، وإذا لم يكن هناك ضرورة للعمل المسلح، فلا يصدر الأمر

بالجهاد، ولكن في الأوقات الضرورية فهو يأمر بالقتال والجهاد، وهذا يعتبر من أفضل العبادات.

٢- أمر الله (سبحانه وتعالى) في معظم آيات القرآن الكريم المؤمنين إلى الجهاد في سبيل الله، وقتل الظالمين، وأعطى للذين يستشهدون في سبيل الله جنة الخلود، واعتبر الشهادة فوزًا عظيمًا.

٣-الجهاد الابتدائي للإطاحة بالمتغطرسين، ونجاة المحرومين، ويتم بأمر من ولي أمر المسلمين؛ لينقذ المحرومين من الظلم والقهر، وهدايتهم وإرشادهم، بالإضافة إلى الجهاد الابتدائي يوجد في الإسلام أيضًا الجهاد الدفاعي، وهو واجب على الجميع[1].

﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ** ﴾.

فكِّر وأجِب:

١ – ما معنى الجهاد في اللغة؟ وما معناها في الثقافة الإسلامية؟

٢ – في الصفقة التي يعقدها المؤمنون مع الله، من المشتري؟ ومن البائع؟ وما نوع البضاعة؟ وما ثمنها؟

٣- ماذا يعني الجهاد الابتدائي؟ وما الهدف من هذا الجهاد؟

---

(١) المصدر نفسه، ص٧٢.

٤- ماذا يعني الجهاد الدفاعي؟ وما الهدف من هذا الجهاد؟

٥- ماذا يعني الجهاد الداخلي؟ ومن هم أهل البغي؟ [1]

تحليل النص:

كل من يخرج عن طاعة ولي الفقيه هو باغٍ. هذا ما أراد الكاتب أن يوصله إلى التلاميذ.

(١) المصدر نفسه ص٧٢.

الإمامة نظام الأمة

التعرف على دروس هذا الجزء:

يقول النص: "قلنا في كتب التربية الإسلامية في السنوات الماضية: إن رسول الإسلام اهتم بأمر إمامة وقيادة المجتمع الإسلامي اهتمامًا كاملاً، وبأمر من الله (سبحانه وتعالى) عيَّن علي بن أبي طالب خليفة؛ ليتولى من بعده زمام القيادة، وتكون بيده رئاسة الأمة الإسلامية، وتخطيط البرنامج، وحفظ أحكام الدين وتنفيذها، وإقامة العدل في المجتمع الإسلامي".

و"من المواد الموجودة في هذا الجزء من الكتاب جزء بعنوان: (الإمامة نظام الأمة)، نتعرف فيه على مكانة الأئمة الرفيعة، وتصرفات الأئمة مقابل الخلفاء".

"يجب التذكير أن الإمامة هي أحد الأسس الأساسية لأصول الدين الإسلامي"[(١)].

أهل بيت الرسول حملة العلم الإلهي

يقول النص: "أصل ومصدر العلوم والأحكام الإسلامية والعلم الإلهي وبلا نهاية لله (سبحانه وتعالى)، وصلت إلى الرسول الكريم عن طريق الوحي، وكانت تصل إليه تعاليم الدين من الله (سبحانه وتعالى) بشكل مباشر، وكان عليه أن يحمل هذه العلوم والأحكام الإلهية المتينة، وأن يبلغها إلى الناس، وبذل قصارى جهده في

(١) فرهنك إسلامي وتعليمات ديني، سال سوم، دوره‌ء راهنمايى تحصيلي، مرحلة ى دوم تعليمات عمومي، شركت جاب ونشر كتاب هايى درسي، ١٣٨٩، ص ٨٧.

هذا الطريق، ولكنه كان مجبرًا أن يتحدث إليهم على حسب فهمهم وإدراكهم، بالإضافة إلى ذلك المشاكل التي كانت موجودة في طريق نشر وتبليغ أحكام الدين. تعرفون أن رسول الإسلام منذ البعثة بقي في مكة مدة ثلاثة عشر عامًا، وقد واجهت الرسول خلال هذه المدة العديد من المشاكل.

لعدة سنوات لم تكن دعوة الرسول بشكل علني، وتم محاصرته لمدة ثلاث سنوات في شعاب أبي طالب، تعرض المسلمون طوال الثلاث عشرة سنة هذه للمضايقة والتعذيب.

هذه المضايقة والأذى كانت السبب في هجرة العديد منهم إلى الحبشة، بالإضافة إلى أن هؤلاء الناس لم يكن لديهم القدرة على فهم العلوم العالية للدين الحنيف، ولهذا كان الرسول مجبرًا أن يخاطبهم على قدر عقلهم وإدراكهم"[(١)].

تحليل النص:

الله- تعالى اسمه- أرسل محمدًا ﷺ للناس كافة، يبلغهم دينه الذي ارتضاه لهم. والمعروف أن الرسول ﷺ مكث سنواتٍ طوالاً يدعو الناس إلى الدين الجديد بكل بساطة وسهولة (وليس بالعلوم العلية)، خاطب الناس بلغتهم، بلهجة لامست القلوب المتيبسة؛ لذا فلا يجوز التقعر في الطرح، وإسقاط الألفاظ التي يرغب الكاتب من خلالها الوصول إلى أن الأئمة هم مستودع العلوم العلية.

انظر أيها الطالب العزيز إلى هذا الموقف والحوار بين سيد الخلق وأحد المسلمين

(١) فرهنك إسلامي وتعليمات ديني، سال سوم، دوره‌ء راهنمايي تحصيلي، مرحلة ى دوم تعليمات عمومي، شركت جاب ونشر كتاب هايي درسي، ١٣٨٩، ص ٨٨.

في كيف يبسط الرسول الأعظم هذا الدين؛ روى البخاري في صحيحه: "حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن أبي سهيل، عن أبيه، عن طلحة بن عبيد الله، أن أعرابيًا جاء إلى رسول الله ﷺ ثائر الرأس، فقال: يا رسول الله، أخبرني ماذا فرض الله علي من الصلاة؟ فقال: "الصلوات الخمس إلا أن تطوع شيئًا"، فقال: أخبرني ما فرض الله علي من الصيام؟ فقال: "شهر رمضان إلا أن تطوع شيئًا"، فقال: أخبرني بما فرض الله علي من الزكاة؟ فقال، فأخبره رسول الله ﷺ شرائع الإسلام، قال: والذي أكرمك لا أتطوع شيئًا، ولا أنقص مما فرض الله علي شيئًا، فقال رسول الله ﷺ: "أفلح إن صدق، أو دخل الجنة إن صدق"[1].

وأسأل: ما رأي الكاتب بقوله تعالى: ﴿ **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [المائدة: ٣]؟.

يقول النص: "هاجر رسول الإسلام في السنة الثالثة عشرة للبعثة من مكة إلى المدينة، رغم أن المسلمين في ذلك الوقت كانوا قد تخلصوا من تعذيب وضغوط المشركين، لكن واجهتهم مشاكل أخرى، الصعوبات كانت أكثر وأشد؛ المدينة الحديثة كانت باستمرار هدفًا لمهاجمة أعداء الإسلام، ولهذا كان المسلمون دائمًا في حالة تأهب، في كل سنة كانت تقع عدة حروب، وقبل أن يعود المسلمون من إحدى المعارك حتى يبدأ هجوم آخر، ويضطر المسلمون للرد على الهجوم، وأن يدافعوا عن أنفسهم وعقيدتهم بكل قدراتهم، لهذا لم يكن المجال الكافي لتعلم علوم وأحكام الدين.

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم ١٨٩١.

رسول الله وعلى الرغم من أنه كان يستفيد من هذه الفرصة القصيرة لتعليم علوم وأحكام الدين للمسلمين، إلا أنه كان ينظر إلى المستقبل، وقد أودع كنوز علمه إلى أفراد يستحقون ذلك، حتى تكون فرصة للمسلمين للنمو، وفهم أعلى وأكبر، ليستفيدوا من هذه الكنوز من العلم والمعرفة. رسول الله بالإضافة إلى التبليغ العام الذي كان يقوم به بنفسه، إلا أنه ربى شخصًا مثل علي بن أبي طالب منذ صغره، ووصلت نفسه الطاهرة إلى مرحلة من الرشد؛ لأنه تعلم أيضًا من منبع العلم الإلهي، وتنورت روحه مثل روح رسول الله بالنور الإلهي.

يضيف النص: "عندما كان علي بن أبي طالب طفلاً صغير السن، كان الناس في مكة يعانون من القحط والغلاء والحياة الصعبة؛ فأبو طالب (والد سيدنا علي) كان رجلاً معروفًا، وكان يعاني من عبء حمل مصاريف الحياة الثقيلة. ذهب رسول الإسلام برفقة عمه العباس إليه، واقترحا عليه أن يأخذ كل واحد منهما ولدًا؛ حتى يخففا عنه مصاريف الحياة. وافق أبو طالب، وأودع عليًا عند ابن أخيه محمد.

سيدنا محمد، ولأن عليًا كان طفلاً محبوبًا في بيته، فقد بذل قصارى جهده في تربيته وتعليمه، علمه الأدب والأخلاق الحسنة، وهداه إلى أسرار الدين، وفتح عيونه نحو علم الغيب"[(١)].

يقول سيدنا علي: (منذ طفولتي كنت مع رسول الله، وكل يوم كان يفتح لي بابًا من العلم، ويوضح لي الأخلاق والآداب الحسنة، ويأمرني أن أتبع أوامره)[(٢)].

---

(١) فرهنك إسلامي وتعليمات ديني، سال سوم، دوره‌ء راهنمايي تحصيلي، مرحله ى دوم تعليمات عمومي، ص ٨٨-٨٩.

(٢) نهج البلاغة، ١٨٧.

ويضيف: "كان الرسول يقول لـي: (إن الله أوصاني بتربيتك، وأن أعلمك العلوم الدينية، وأن نفسك تقبل وتصون هذه العلوم)[١]. سيدنا علي بكمال علمه ومعرفته، فإن رسول الله قال بشأنه: (أنا مدينة العلم، وعليٌّ بابُها، وأي شخص يريد أن يدخل مدينة العلم هذه يجب أن يدخلها من بابها)[٢].

علي بن أبي طالب تعلم وعرف العلوم الدينية من منبعها، وفتح عيونه على علم الغيب، وكان عنده أمر أن يسمع الأحاديث والآيات من الرسول، وأن يكتبها بدقة، وأن يودعها للأئمة من بعده. ويُنقل عن سيدنا علي أن رسول الله قال له يومًا: "يا علي، اكتب ما أقوله" قلت: يا رسول الله، أتخاف أن أنسى؟

قال: "لا، أخاف أن تنسى أنت إرادة الله أن تكون أنت حافظًا لأحكام وعلوم الدين، لكن هذا ليس لك وحدك، ولكن إنها للأئمة من بعدك، لذلك اكتب".

في ذلك الوقت أشار رسول الله إلى ابني الحسن وقال: "أولهم الحسن"، وبعد ذلك نظر إلى الحسين وقال: "ثانيهما الحسين، والبقية أولاد الحسين"[٣]، وبالتالي، فإن علي بن أبي طالب، وبأمر الرسول، كتب وبكل دقة علوم وأحكام الدين؛ ليضعها أيضًا تحت تصرف الأئمة من بعده.

قال الرسول: "تركت فيكم أمرين؛ إني قد تركت الثقلين أحدهما أكبر من الآخر؛ كتاب الله عز وجل؛ حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي،

---

(١) غاية المرام، تأليف البحراني، ص ٣٦٧.

(٢) مناقب الخوارزمي، ص٤٠.

(٣) ينابيع المودة، ص ٢٢.

ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض"[١].

نستنتج من هذا الحديث، المعروف بحديث الثقلين، وكل أحاديث الرسول الأكرم أن القرآن والعترة (أهل بيت الرسول) المرجع ومصدر هداية وسعادة الناس، ويجب على المسلمين أن يرجعوا إليهم، ويلجئوا لهم؛ ليؤمِّنوا سعادة الدنيا والآخرة، كي لا يتجزأ أحدهما عن الآخر، وفتح الطريق لحل المشاكل الفردية والاجتماعية للمسلمين.

يضيف الدرس أيضًا: أن "الأئمة الآخرين أيضًا مثل سيدنا علي (عليه السلام) استفادوا بأخذ العلوم الدينية من منبع الفيض الإلهي، وارتبطت نفوسهم الطاهرة بعلم الغيب، وكلامهم كان كلام الرسول الطاهر والروحي، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (حديثي هو حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الإمام حسين، وحديث الإمام حسين حديث الإمام حسن، وحديث الإمام حسن حديث أبيه أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله، وحديث رسول الله هو كلام الله تعالى)[٢].

يجب التذكير بأن كل الكثير من العلوم الغنية والفقهية المتينة وأخلاق وآداب وأحكام الدين الواسعة للشيعة منبعها نصوص القرآن الكريم، وسنة رسول الإسلام، وكنوز كلام أهل البيت، وأي شخص يستفيد من هذا المنبع سيصل إلى سعادة الدنيا والآخرة، وكل من يقوم بغير ذلك سيكون متعطشًا، ويخسر الدنيا

---

(١) ذخائر العقبى، وكتب أخرى كثيرة.

(٢) أصول الكافي، مجلد ١، ص ٥٣.

والآخرة"[١].

ملخص الدرس:

١- الرسول الأكرم كان متصلاً بالله تعالى عن طريق الوحي، وكان يأخذ الأحكام المتينة للإسلام من الله ويبلغها للناس، ولكن كانت تواجهه مشاكل عديدة، فلم يستطع الرسول أن يعلم التعاليم الرفيعة للدين إلى الناس بشكل كامل، وكان مضطرًا أن يخاطب الناس على مستوى قدرتهم على الفهم والإدراك، وكان يستغل الوقت المناسب لتعليمهم وتربيتهم.

٢- رسول الله بالإضافة إلى تعليم وتربية عامة الناس قام بتربية علي بن أبي طالب منذ طفولته، وأوصل نفسه الزكية إلى مرحلة الرشد، وتعلم العلم الإلهي، وتفتحت عيونه نحو علم الغيب.

٣- سيدنا علي والأئمة من بعده عينوا حسب وصية الرسول، وتعلموا كنوز العلم، ويجب على المسلمين أن يلجئوا إليهم ليؤمّنوا سعادة دنياهم وآخرتهم[٢].

فكّر وأجب:

١- عدد المشاكل التي كانت تقف في طريق الرسول لإبلاغ وتبيين أحكام الدين.

---

(١) المصدر نفسه، ص ٩٠-٩١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩١.

٢- ماذا قال سيدنا علي حول تعلمه العلوم والأخلاق الحسنة والآداب من رسول الله؟

٣- ماذا كانت وصية الله للرسول بشأن تربية وتعليم سيدنا علي؟

٤- ماذا قال الرسول الأكرم حول الأئمة بعد سيدنا علي، سيدنا حسن وسيدنا حسين؟

٥- بين نقطتين من نقاط حديث الثقلين.

٦- أخذ الشيعة العلوم الغيبية والفقه المتين لمذهبهم من ثلاثة منابع مهمة، ما هي هذه المنابع الثلاثة؟[1]

تحليل النص:

يُستخلص من الدرس الرابع عشر والأسئلة التي طرحت حوله عدة محاور يريد الكاتب أن يرسخها في عقلية الطالب:

١- الوصية لعلي بن أبي طالب ﷺ بالخلافة.

٢- أن الأئمة مستودع العلوم، ويجب على المسلمين أن يلجئوا إليهم ليؤمنوا سعادة دنياهم وآخرتهم.

٣- أن الأئمة يعلمون الغيب.

٤- العصمة للأئمة.

---

(١) المصدر نفسه، ص ٩٢.

هنا لابد من شيء من الحديث عن رأي الشيعة في عصمة الأئمة:

نتيجة لما أضفاه الشيعة على الأئمة من صفات ومواهب علمية غير محدودة، ذهبوا إلى أن الإمام ليس مسئولاً أمام أحد من الناس، ولا مجال للخطأ في أفعاله مهما أتى من أفعال، بل يجب تصديقه والإيمان بأن كل ما يفعله خير لا شر فيه؛ لأن عنده من العلم ما لا قبل لأحد بمعرفته. ومن هنا قرر الشيعة للإمام من ضمن ما قرروا العصمة، فذهبوا إلى أن الأئمة معصومون في كل حياتهم لا يرتكبون صغيرة ولا كبيرة، ولا تصدر عنهم أية معصية، ولا يجوز عليهم خطأ ولا نسيان، ويقول محمد باقر المجلسي (توفي سنة ١١١٠هـ)- أحد علمائهم-: "اعلم أن إجماع علماء الإمامية قد انعقد على أن الإمام معصوم من جميع الذنوب، صغيرة كانت أم كبيرة، من أول العمر إلى آخره، فلا يقع منهم ذنب أصلاً، لا عمدًا ولا نسيانًا ولا سهوًا ولا غير ذلك"(١)، ويقول عالم آخر من علمائهم: "إن الأئمة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام، وإقامة الحدود، وحفظ الشرائع، وتأديب الأنام معصومون كعصمة الأنبياء، وإنهم لا يجوز منهم كبيرة ولا صغيرة، وإنه لا يجوز منهم سهو في شيء في الدين، ولا ينسون شيئًا من الأحكام، وعلى هذا مذهب سائر الإمامية إلا من شذَّ منهم"(٢)، ويقول صاحب عقائد الإمامية: "إن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصومًا من جميع الرذائل والفواحش، ما ظهر منها وما بطن، من سن الطفولة إلى الموت، عمدًا وسهوًا، كما يجب أن يكون معصومًا من السهو والخطأ والنسيان"(٣)،

---

(١) أمين، ظهر الإسلام، ج٤، ص١١٠.

(٢) الشيخ المفيد، أوائل المقالات، باب القول في عصمة الأئمة، ص ٣٥.

(٣) محمد رضا المظفر، عقائد الإمامية، ص ٦٧.

بل إن جماعة من الشيعة يزعمون أن الرسول ﷺ جائز عليه أن يعصي الله، وأن النبي قد عصى في أخذ الفداء يوم بدر، أما الأئمة فلا يجوز ذلك عليهم؛ لأن الرسول ﷺ إذا عصى فالوحي يأتيه من قبل الله فينبهه على وجه الخطأ، فيتوب منه، والأئمة لا يُوحى إليهم، ولا تهبط الملائكة عليهم، وهم من أجل ذلك معصومون لا يجوز أن يسهوا أو يغلطوا وإن جاز على الرسول العصيان"[١].

والذي دعا الشيعة إلى القول بعصمة الأئمة هو خطؤهم في إعطاء الأئمة وظائف لم يَقُل بها أهل السنة لأمير المؤمنين أو الخليفة؛ إذ أسند الشيعة إلى الإمام- كما سبق أن أشرنا- حفظ الشريعة، والقيام عليها بعد النبي ﷺ، فهو الذي يفسرها، ويقيد مطلقها، ويوضح غامضها، ويمنع عنها التحريف والتزييف والضلال، ولا ينبغي أن يكون مثل هذا الشخص عرضة للخطأ، وإلا لما أمن أن يقوم بوظيفته، يقول الشريف المرتضى: "لقد ثبت عندنا وعند مخالفينا أنه لابد من إمام في الشريعة يقوم بالحدود، وتنفيذ الأحكام... وإذا ثبت ذلك وجبت عصمته؛ لأنه لو لم يكن معصومًا وهو إمام فيما قام به من الدين، الذي من جملته إقامة الحدود وغيرها، وواجب الاقتداء به من حيث قام وفعل، لجاز وقوع الخطأ منه في الدين، ولكنّا- إذا وقع منه ذلك- مأمورون باتباعه والاقتداء به في فعله، وهذا يؤدي إلى أن نكون مأمورين بالقبيح على وجه من الوجوه، وإذا فسد أن نكون مأمورين بالقبيح، وجب عصمة من أمرنا باتباعه والاقتداء به في الدين"[٢]، ويقول الحلي في "نهج الحق": "ذهب الإمامية إلى أن الأئمة كالأنبياء في وجوب عصمتهم عن جميع القبائح

---

(١) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص٤٨.

(٢) كتاب الشافي، ص٤٠، وانظر أيضًا: عقائد الإمامية، ص ٦٧.

والفواحش، من الصغر إلى الموت، عمدًا وسهوًا؛ لأنهم حفظة الشرع والقوامون به، حالهم في ذلك كحال الأنبياء، ولأن الحاجة إلى الإمام إنما هي للانتصاف للمظلوم من الظالم، ورفع الفساد، وحسم مادة الفتن، ولأن الإمام لطف يمنع القاهر من التعدي، ويحمل الناس على فعل الطاعات، واجتناب المحرمات، ويقيم الحدود والفرائض، ويؤاخذ الفساق، ويعزر من يستحق التعزير، فلو جازت عليه المعصية وصدرت عنه، انتفت هذه الفوائد، وافتقر إلى إمام آخر"[١]. وهكذا يحتج الشيعة لمعتقدهم هذا بأن العلة التي لأجلها كانت الحاجة للإمام هو عدم عصمة الأمة، فلو لم يكن معصومًا لكانت الحاجة إلى إمام معصوم آخر[٢].

ويمكن الرد على الشيعة بأن وظيفة الإمام وواجبه حفظ مصالح الأمة، وتطبيق شرع الله فيها عن طريق إقامة الحدود، وتنفيذ الأحكام، ودرء المفاسد، وهذا كله لا يحتاج إلى عصمة من يقوم به، أما الذي يحفظ الشريعة، ويقوم عليها بعد النبي ﷺ، فهم علماء الأمة، وذلك عن طريق الدراسة والاجتهاد وفقًا لقوله تعالى: ﴿**وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَ**﴾ [المائدة:٤٤]، وقوله تعالى: ﴿ **كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ** ﴾ [آل عمران:٧٩] [٣].

هذا بالإضافة إلى أن الأئمة الذين نسبوا لهم العصمة قد باشروا كثيرًا من الأعمال، فكانت أعمالهم واضحة للناس بعضها صواب، وبعضها خطأ، فلم يكن

---

(١) الشيعة في الميزان، ص ٣٨، ٣٩.

(٢) الطوسي، كتاب الغيبة، ص ١٥.

(٣) انظر: مختصر التحفة الاثني عشرية، ص ١٢١.

هناك مجال لادعاء عصمتهم، بل إنهم هم أنفسهم قد شهدوا باحتمال الخطأ منهم... إذ إنه روي عن علي ﷺ أنه قال لأصحابه: "لا تكفوا عن مقالة بحق، أو مشورة بعدل؛ فإني لست آمن أن أُخطئ"(١)، وما ورد من أن الحسين كان يظهر الكراهية لصلح أخيه الحسن مع معاوية، وأبدى لومه لأخيه على ذلك، بل وحثّه على قتال أهل الشام(٢). ولو كان علي معصومًا من الخطأ أو عالمًا بالغيب كما قالوا- ما قبل التحكيم- ولو كان الحسين كذلك لما انتهى إلى المصير الذي انتهى إليه.

وتاريخ أئمة الشيعة مليء بالأحداث والمواقف التي جانبهم الصواب فيها، مما يدل على عدم عصمتهم، وأنهم كغيرهم من البشر عرضة للخطأ والصواب، وعلى كلٍّ فإن العصمة بهذا المفهوم الشيعي غريبة على التصور الإسلامي، بعيدة عن تعاليم القرآن الذي لم ينسب العصمة إلا للأنبياء؛ لأن العصمة المطلقة بعيدة عن الطبائع البشرية التي ركبت فيها الشهوات، وركب فيها الخير والشر، والذي يبدو أن الأئمة الأولين؛ كعلي والحسن والحسين، لم تعرف لديهم العصمة التي ادّعاها الشيعة ونسبوها لهم، كما يتضح من أقوالهم التي سبق أن أشرنا إليها.

بل إن بعض الشيعة، لاسيما المعاصرين منهم، أدركوا خطأ هذا التصور للعصمة، ومن ثم حاولوا تأكيد أن الأئمة كغيرهم من البشر في طبائعهم وغرائزهم وصفاتهم، وما لديهم من سمو ورفعة إنما نالوه بتقيدهم بأوامر الله ونواهيه، "فالصفات التي ينطلق منها الإنسان إلى المعاصي؛ كالرضا والغضب والشهوة وغير ذلك، موجودة في الأئمة والأنبياء، كما هي في سائر الناس، فمع أنهم يحبون

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١١، ص ١٠٢.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص١٦، ١٥٠.

ويكرهون، ويرضون ويغضبون، لكن في حدود أوامر الله ونواهيه، فحبهم للدنيا ومظاهرها وشهواتها مغلوب دائمًا لرضاء الله المسيطر على نفوسهم وقلوبهم، الذي حبب إليهم الطاعات، وأبعدهم عن الفسوق والنفاق". ووفقًا لهذا، فإن العصمة ليس لها مفهوم يتخطى إمكانيات الإنسان بنحو يكون هذا المخلوق البشري إنسانًا آخر له طبيعة غير طبائع الناس، بل إن المعصوم إنسان يغضب ويرضى، ويحزن ويفرح، ويتلذذ ويتألم، ويحب ويكره، إلى غير ذلك من صفات الإنسان. وهذه الحالات وإن كانت من شأنها أن تسيطر على الإنسان، وتسوقه إلى المعاصي والمنكرات واتباع الشهوات والملذات، إلا أنها في الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) تكون مغلوبة للقوة الخيرة التي تصرفهم إلى الطاعات، وتسيطر على الدواعي التي تحرك إلى المعصية بنحو تصبح تلك الدواعي معدومة التأثير وكأنها لم تكن"[(١)]. وقد استنكر هذا الكاتب الزعم بأن الأئمة يستحيل صدور المعصية عنهم والذنوب، واعتبر هذا نوعًا من المبالغة والغلو؛ لأن ذلك يؤدي كما يقول إلى الإلجاء، وعدم استحقاقه للمدح والثواب على أفعاله؛ لأنها لم تصدر عن إرادة واختيار، هذا بالإضافة إلى أنها لو كانت بهذا المعنى لم يبق لتعلق النهي بالمحرمات أثر؛ لأن الأفعال المنهي عنها لا تدخل تحت قدرة المعصوم بناءً على هذا التفسير"[(٢)].

---

(١) الحسني، الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة، ص ٢٠٤، ٢٠٥.

(٢) الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة، ص٢٠٣، ٢٠٤.

الشيعة والسنة

تتحدث الكتب المدرسية الإيرانية عن الشيعة والسنة، فتقول:

"ينقسم المسلمون إلى فئتين رئيسيتين: الشيعة والسنة.

الخلاف بين الشيعة والسنة بعد وفاة الرسول كان خلافًا في وجهات النظر حول موضوع الخلافة، وبعض المواضيع الفقهية الأخرى، ولكن الطرفين مسلمان، لهم دين واحد، ورسول واحد، ويصلون باتجاه قبلة واحدة، وكتابهم الديني القرآن، وهم متحدون وإخوة، ويتعاونان معًا من أجل ازدهار الإسلام وانتصاره على الكفر"(١).

تضيف الكتب: ما هو رأي أهل السنة حول خليفة الرسول؟

يضيف الدرس: "أهل السنة يعرفون أن أبا بكر هو خليفة الرسول، ويعتقدون أن الرسول لم يعين خليفة له، ولكن المجتمع الإسلامي يحتاج إلى قائد ليكون خليفة للرسول؛ حتى لا يختل النظام، لهذا- وبعد وفاة الرسول- اجتمع عدة أشخاص في السقيفة، وعينوا أبا بكر خليفة وبايعوه.

يعتقد أهل السنة أن أبا بكر عند وفاته عيّن عمر بن الخطاب خليفة له، وعين عمر بن الخطاب عند وفاته مجلسًا مكونًا من ستة أشخاص مسئوليته اختيار شخص من بينهم ليكون الخليفة. وفي هذه الأحداث انتُخب عثمان بن عفان، بعد ذلك بايع الناس وبإصرار منهم علي بن أبي طالب، الفريق الذي كان يؤمن بهذه العقيدة اشتهر

---

(١) فرهنك إسلامي وتعليمات اجتماعي، سال سوم، ص ٩٨.

فيما بعد بأهل السنة[١].

ما هو رأي أهل الشيعة حول خليفة الرسول؟

يذكر الدرس "الفريق الآخر من المسلمين يعتقدون أن الرسول لن يترك أمته بدون زعيم ومرشد، وباعتقادهم أن خلافة الرسول وقيادة المسلمين ليس بالأمر الذي يمكن أن يتدخل فيه الناس، بل هذا الموضوع حساس ومهم ولا يحيد عن مسير الرسول.

باعتقاد هذا الفريق أن الرسول- ومنذ الأيام الأولى- لإعلان دعوته عين علي ابن أبي طالب خليفة له وقال: "إمامكم وقائدكم من بعدي على بن أبي طالب"، وكذلك عندما دعا عشيرته المقربين في غدير خم، فإنه ذكر للناس الكثير من صفات وجدارة وعلم وتقوى علي[٢].

تعرف الكتب المدرسية لمرحلة الابتدائي مفهوم الولاية بالطاعة الكاملة لله ولرسوله والأئمة المعصومين؛ حيث إن الطاعة تظهر الحب لهم[٣].

تحليل النص:

نكرر مرةً أخرى حقيقة الغدير:

نقول: يرى الشيعة أن الرسول ﷺ أوصى لعلي بن أبي طالب ﷺ بالإمامة.

---

(١) المصدر نفسه، ص ٩٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٨-٩٩.

(٣) كتاب هديه هاي آسمان، تعليم وتربيت إسلامي، بنجم دبستان، جاب ششم، ١٣٨٩، حاشية، ص٨٧.

وأهم ما ترجع إليه الشيعة في ذلك ما يروى من نزول النبي ﷺ غدير خم بعد حجة الوداع، فقد أجمعت مصادر الشيعة على رواية حديث الغدير، وأنه دليل على إمامة علي بن أبي طالب.

لم تنكر مصادر أهل السنة حديث الغدير، فقد ذكرته وعدَّته في جملة فضائل الإمام علي بن أبي طالب ﷺ، ثم بينت أهميته، وأنه يفيد معنى المحبة، فالباقلاني (ت٤٠٣هـ) يعتبر حديث الغدير من أحاديث الآحاد، وقد فسر: "من كنت مولاه" بقوله: "إنه يحتمل أمرين؛ أحدهما: من كنت ناصره على هذا السبيل، ويحتمل أن يكون من كنت محبوبًا عنده ووليًا على ظاهري وباطني، فعلي مولاه، أي من أن ولاءه ومحبته ظاهرة واجبة، كما أن ولائي ومحبتي على هذا السبيل"(١).

ثم نقول: لو كان حديث الغدير يفيد الوصية بالإمامة لعلي بن أبي طالب، فلماذا يدور مثل هذا النقاش بين علي بن أبي طالب وعمه العباس عندما كان الرسول ﷺ على فراش الموت؟

أورد الزهري أن علي بن أبي طالب خرج من عند الرسول ﷺ في أثناء مرضه الأخير، فأخذ العباس بيده وقال له: "انطلق بنا إلى رسول الله، فإن الأمر فينا عرفناه، وإن كان في غيرنا كلمناه، فأوصى بنا الناس"، فقال له علي: "إني- والله- لا أفعل، والله لئن منعناه لا يؤتيناه أحد بعده"، فتوفي النبي ﷺ حين اشتد الضحاء من ذلك اليوم"(٢).

---

(١) الباقلاني، التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة، ص١٧٢.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص١٨٩.

تقول الكتب المدرسية: "هذه المجموعة من المسلمين المطيعة لله ورسوله يُعرفون بشيعة علي بن أبي طالب، يعتقدون أن الإمامة مثل النبوة، رتبة إلهية، والإمام هو المحافظ والمنفذ لأحكام الدين بعد الرسول، ويجب أن يكون عالمًا وملمًا بأحكام وقوانين الدين بشكل كامل، ولأن القادة يطبقون قوانين وبرامج الإسلام، فإنه يجب أن يُعين هذا الشخص من قبل الرسول حتى يستطيع أن يكون الإمام، وزعيم الناس، والمحافظ على أحكام الدين، ويستطيع الناس الاطمئنان والثقة بهم، وتقليد تصرفاتهم. الرسول- وبإرشاد من الله- كان يعرف هذا الشخص، وبأمر من الله فقد عين للناس- وعدة مرات- الإمام والخليفة من بعده.

وكذلك سيدنا علي بن أبي طالب- وبأمر من الرسول- عين الأئمة من بعده، وخاصة عين للناس الإمام من بعده؛ سيدنا الإمام الحسن، والإمام الحسن- وحسب وصية الرسول، وبأمر من الله- عين أخاه الإمام الحسين إمامًا من بعد، وكذلك الإمام حسين- وحسب وصية الرسول، وبأمر من الله- عين ابنه الإمام السجاد، وهكذا كل إمام وحتى الإمام الثاني عشر، عين كل إمام الإمام من بعده.

وهكذا فإن الشيعة يعتقدون بالإمامة، الشيعة لديهم اثنا عشر إمامًا، ومعروفون بالإمامية".[1]

تحليل النص:

*القول الفصل في معتقد الإمامة لدى الشيعة:

إن القضية الأساسية التي ركز عليها الشيعة الإمامية هي قضية الإمامة، ومن ثم حاولوا أن يثبتوا إمامة علي ﷺ وخلافته عن الرسول (عليه الصلاة والسلام)، وأنه

---

(١) فرهنك إسلامي وتعليمات اجتماعي، سال سوم، ص ٩٨-٩٩.

مستحق لهذه الخلافة، لا عن طريق الكفاية وحدها، كما يقول بقية المسلمين، ولا عن طريق ما ورد عن النبي (عليه الصلاة والسلام)، من أوصاف لا تنطبق إلا عليه، كما يقول الزيدية، بل عن طريق النص عليه بالاسم والتعيين المباشر، وذهبوا إلى أن النبي (صلوات الله وسلامه عليه) عين عليًا للإمامة، وهو بدوره يعين من بعده بوصيته من النبي ﷺ، ويسمون بالأوصياء، ثم رأوا أن الأئمة هم علي وأبناؤه من فاطمة على التعيين واحدًا بعد واحد في نهاية السلسلة، التي أشرنا إليها من قبل، وأن معرفة الإمام أصل من أصول الإيمان، واحتجوا لذلك بأنه ليس في الإسلام أمر أهم من تعيين الإمام، ولم يكن للنبي أن يفارق الدنيا قبل أن يحسم هذا الأمر، بأنه إنما بعث لرفع الخلاف، وتقرير الوفاق، فلا يجوز أن يفارق الأمة، ويتركهم هملاً يرى كل واحد منهم رأيًا، ويسلك كل واحد منهم طريقًا لا يوافقه في ذلك غيره، بل يجب أن يعين شخصًا هو المرجوع إليه، وينص على واحد هو الموثوق به، والمعول عليه، وقد عيّن عليًا ﷺ في مواضع تعريفًا، وفي مواضع تصريحًا"[1].

ويذهب الكاتب الشيعي، سعد القمي، إلى أن النبي ﷺ نص على إمامة علي، وأشار إليه باسمه وعينه، وقلد الأمة إمامته، وأقامه ونصبه لهم علمًا، وعقد له عليهم إمرة المؤمنين، وجعله وصيّه وخليفته ووزيره في مواطن كثيرة.[2].

ويعتقد الشيعة الإمامية الاثنا عشرية أن نص النبي ﷺ على إمامة علي لا يقتصر عليه، بل يتسلسل في الأئمة الاثني عشر من ولده، ويذهب المسعودي إلى أن أهل الإمامة انفردوا بالقول بأن: "الإمامة لا تكون إلا نصًا من الله ورسوله على عين

(١) الشهرستاني، ج١، ص١٦٢.

(٢) المقالات والفرق، ص١٦.

الإمام واسمه واشتهاره كذلك. وفي سائر الأعصار لا تخلو الناس من حجة لله فيهم ظاهرًا أو باطنًا". وبعد أن أورد المسعودي فضائل علي، والنصوص الواردة في إمامته يقول: "وإن عليًا نص على ابنه الحسن، ثم الحسين، والحسين على علي بن الحسين، وكذلك من بعده إلى صاحب الوقت الثاني عشر"[١].

وقد أكد الشيعة أن الإمامة لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان النبي (عليه الصلاة والسلام)، أو لسان الإمام الذي قبله[٢]، وليست هي بالاختيار والانتخاب من الناس. وبناء على هذا يذهب هؤلاء إلى القول ببطلان إمامة من تقدم على علي ﷺ، فالشيعة تقول-كما جاء في رواية الطوسي-: "إن من تقدم على أمير المؤمنين (ع) لا يصلح للإمامة"[٣]، ويرى هؤلاء الشيعة أن إمارة المؤمنين سلبت من علي بمؤامرة دبرها جماعة من بينهم أبو بكر وعمر، وذات مرة سمع الحارث بن الحصيرة الأسدي الإمام الباقر يقول: "كنت دخلت مع أبي الكعبة، فصلى على الرخامة الحمراء بين العمودين فقال: في هذا الموضع تعاقد القوم إن مات رسول الله ﷺ أو قتل، ألا يردوا هذا الأمر في أحد من أهل بيته أبدًا، قال: ومن كان؟ قال: كان الأول والثاني وأبو عبيدة بن الجراح وسالم بين الحبيبة"[٤].

وقد دافع الشيعة عن هذا المعتقد دفاعًا حارًا، فأوردوا العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وساقوا بعض الوقائع عن النبي ﷺ، واستنبطوا أدلة

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص ٢٣٧- ٢٣٨.

(٢) محمد رضا المظفر، عقائد الإمامية، ص٦٦.

(٣) الطوسي، تلخيص الشافي، ج٣، ص٩٦.

(٤) الكليني، الكافي، ج٤، ص ٥٤٥.

عقلية كثيرة، كل ذلك ليثبتوا أن عليًا ﷺ متميز عن غيره من الصحابة، وأنه مفضل عليهم، وأن النبي ﷺ عيّنه من أجل ذلك ليكون خليفة له من بعده. وسنكتفي في هذا المجال بالإشارة إلى نماذج من هذه الحجج والبراهين التي استند إليها الشيعة، وبيان قيمتها ومدى حجيتها في إثبات معتقدهم. فمن بين ما استدل به الشيعة: ما يروونه من أنه حين نزلت الآية القرآنية: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤] جمع النبي ﷺ بني هاشم وأنذرهم قائلاً: "أنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان، ثقيلتين في الميزان، تملكون بهما العرب والعجم، وتنقاد لكم بهما الأمم، وتدخلون بهما الجنة، وتنجون بهما من النار: شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فمن يجيبني إلى هذا الأمر، ويؤازرني على القيام به؛ يكن أخي ووزيري ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدي"، فلم يجبه أحد منهم، فقال أمير المؤمنين: أنا يا رسول الله، أؤازرك على هذا الأمر، فقال: "اجلس"، ثم أعاد القول على القوم ثانية وثالثة، فلم ينطق أحد منهم بحرف، فقام علي وقال: أنا أؤازرك يا رسول الله على هذا الأمر، فقال: "اجلس، فأنت أخي ووزيري ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدي"، فنهض القوم وهم يقولون لأبي طالب: ليهنك اليوم أن دخلت في دين ابن أخيك، فقد جعل ابنك وزيرًا عليك[1].

وقد ذهب الشيعة إلى أن هذا نص جلي بتعيين علي خليفة من بعد النبي ﷺ، وقد رفض ابن تيمية رواية الشيعة للحديث، وذكر أنها لم ترد في الكتب التي تقوم بها الحجة كالصحاح والمسانيد، بل إنها لم ترد في كتب السنن والمغازي والتفسير، ومن ثم فإن الحديث بالصورة التي رواه بها الشيعة كذب موضوع، ونصه مفتري على

---

(١) الطبرسي، مجمع البيان، ج١٩، تفسير الآية ٢١٤.

النبي ﷺ، ولا تصح نسبته إليه[١]. وقد ذكر هذه الرواية ابن كثير في تفسيره لسورة الشعراء، فقال: "وقد رواه أبو جعفر بن جرير، عن ابن حميد، عن سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الغفار بن القاسم بن أبي مريم، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله ابن الحارث، عن ابن عباس، عن علي بن أبي طالب... وبعد أن ذكر الحديث كما ورد أعلاه، عقَّب عليه قائلاً: "تفرد بهذا السياق عبد الغفار بن أبي مريم، وهو متروك كذاب شيعي، اتهمه علي بن المديني وغيره بوضع الحديث، وضعفه الأئمة-رحمهم الله-"[٢]، وقد قال الذهبي في ميزان الاعتدال: "عبد الغفار بن القاسم أبو مريم الأنصاري رافضي ليس بثقة، قال علي بن المديني: كان يضع الحديث، ويقال كان من رءوس الشيعة، قال أحمد: كان أبو مريم يحدث ببلايا في عثمان، وقال أبو حاتم والنسائي وغيرهما: متروك الحديث"[٣]، وهذا يؤيد ما ذهب إليه ابن تيمية من أن ما ورد من هذه الرواية ضعيف جدًا، ومن ثم لا يصح الاحتجاج بها. ويذهب الرازي إلى أنه ليس في الحديث إن صحت رواية الشيعة، دلالة على تعيين "علي"، أو الوصية له؛ لأن النبي ﷺ قال: "خليفتي فيكم"، ولم يقل: "خليفتي فيكم من بعدي" كما زعمه الشيعة، ولو قال ذلك لكانت نصًا جليًا. ويشير الرازي إلى أن الشيعة الزيدية ينكرون النص الجلي على "إمامة علي" مع أنهم من أشهر الناس حبًا لأمير المؤمنين[٤].

---

(١) منهاج السنة، ج٤، ص٨١- ٨٤.

(٢) تفسير القرآن الكريم، ج٣، ص ٣٥١.

(٣) الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٢، ص٦٤٠.

(٤) الرازي، نهاية العقول، ص٢٥.

ومما احتج به الشيعة: قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ** ﴾ [المائدة:٥٥]، إذ ذهبوا إلى أن الآية تنص على أن الذي يلي أمر الناس، ويدبر أمورهم، ويتولى مصالحهم هو الله تعالى ورسوله والذين آمنوا، وقد حدد وصف "الذين آمنوا" بأنهم الذين يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة وهم في حالة ركوعهم، وقد ثبت أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب حين تصدق بخاتمه على فقير وهو راكع، ولم يفعل غيره ذلك، مما يدل على أنه المعني بولاية المؤمنين[١]، ويؤيد هذا- في رأيهم- أحاديث تذكر هذه الحادثة، وتربط بها نزول هذه الآية، ويقول الطوسي: "اعلم أن هذه الآية من الأدلة الواضحة على إمارة أمير المؤمنين (عليه السلام)، ووجه الدلالة فيها أنه قد ثبت أن الولي في الآية بمعنى الأولى والأحق، وثبت أيضًا أن المعنى بقوله: (والذين آمنوا) أمير المؤمنين (عليه السلام)، فإذا ثبت هذان الأصلان دلَّ على إمامته؛ لأن كل من قال: إن معنى الولي في الآية ما ذكرناه قال: إنها خاصة فيه، ومن قال باختصاصها فيه عليه السلام قال: المراد بها الإمامة[٢].

وقول الشيعة بأن هذه الآية نزلت في علي غير صحيح، بل إن الأحاديث الثابتة الصحيحة تبين أن هذه الآية وما قبلها من الآيات التي تتحدث عن الولاء نزلت في عبادة بن الصامت ﷺ حين تبرأ من ولاية اليهود، ورضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين، ولهذا قال الله تعالى بعد هذا: ﴿ **وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ** ﴾ [المائدة:٥٦]، فالآية إذن عامة للمسلمين جميعًا، تحثهم على إخلاص الولاء لله ورسوله، وولاء بعضهم لبعض[٣].

---

(١) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج٤، ص ٢.

(٢) الطوسي، التبيان، مجلد ٣، ص ٥٤٩.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص٦٨، ٦٩، ومنهاج السنة النبوية، ج٤، ص ٤، ٥.

أما الآثار التي أوردها الشيعة، وربطوا فيها نزول الآية بعلي وحادثة تصدقه بخاتمه وهو راكع، فقد ذهب ابن كثير إلى أنه لا يصح فيها شيء بالكلية؛ لضعف أسانيدها، وجهالة رجالها[١]، هذا بالإضافة إلى أن فهم الشيعة للآية لا يستقيم ومقررات الشرع. وقد بين ابن كثير ذلك بقوله: "وقد توهم بعض الناس أن هذه الجملة (وهم راكعون) في موضع الحال من قوله: (ويؤتون الزكاة)، "أي حال ركوعهم"، ولو كان هذا كذلك لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره؛ لأنه ممدوح، وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء ممن نعلمه من أئمة الفتوى"[٢]. ويذهب الشوكاني إلى أن مما يدفع هذا الفهم للآية عدم جواز إخراج الزكاة في تلك الحال[٣]، وغاية ما في الآية، كما يقول ابن تيمية، أن المؤمنين عليهم موالاة الله ورسوله والمؤمنين، فيوالون عليًا من جملة المؤمنين، وهذا هو المعنى الواضح للولاية في هذه الآية، وليس المراد بها الإمارة كما ذهب الشيعة[٤].

ومما احتج به الشيعة أيضًا حديث "الكساء"، الذي ورد في إحدى رواياته عن أم سلمة، زوج النبي (عليه الصلاة والسلام)، أن قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ [الأحزاب:٣٣]، نزلت في بيتها، وقالت: إنها سألت الرسول ﷺ: أليست من أهل البيت؟ فقال: "إنك على خير، من أزواج النبي" (عليه الصلاة والسلام)، وكان في البيت رسول الله ﷺ

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص٧١.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٧١.

(٣) الشوكاني، فتح القدير، ج٢، ص٥١.

(٤) منهاج السنة النبوية، ج٤، ص٨.

وعلي وفاطمة والحسن والحسين، فجللهم بالكساء، وقال: "اللهم أهل بيتي؛ فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرًا"(١). وقد ذهب الشيعة إلى أن الآية نزلت في حق علي وفاطمة والحسن والحسين بنص هذا الحديث، ومن ثم فهي تدل على عصمتهم دلالة مؤكدة، وغير المعصوم لا يكون إمامًا(٢).

وحديث "الكساء"، كما يقول ابن تيمية، صحيح، رواه أحمد والترمذي من حديث أم سلمة، ورواه مسلم(٣) في صحيحه من حديث عائشة قالت: "خرج النبي ﷺ غداة وعليه مِرْط* مُرَحَّلٌ من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾. ويذهب ابن تيمية إلى أن هذا الحديث قد شرك عليًا فيه فاطمة وحسن وحسين ﷺ، فليس هو من خصائصه، ومعلوم أن المرأة لا تصلح للإمامة، فعلم أن هذه الفضيلة لا تختص بالأئمة، بل يشركهم فيها غيرهم، ثم إن مضمون الحديث لا يقتضي العصمة، بل يتضمن أن النبي ﷺ دعا لأهل بيته المذكورين أن يذهب الله عنهم الرجس، ويطهرهم تطهيرًا، وغاية ذلك أن يكون دعاء لهم بأن يكونوا من المتقين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم(٤).

---

(١) منهاج السنة النبوية، ج٤، ص٢٠.

(٢) الطبرسي، مجمع البيان، ج٢٢، ص١٣٧-١٣٩.

(٣) نص الحديث من رواية مسلم، وانظر صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ، ج٧، ص١٣٠.

* **المرط**: كساء من صوف أو خزٍّ يؤتزر به، أو يتلفع به.

(٤) منهاج السنة النبوية، ج٤، ص٢٠-٢٣.

واستشهد الشيعة أيضًا بقول الله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ [الشورى:٢٣]، وأوردوا في تفسير هذه الآية حديثًا عزوه إلى النبي ﷺ، حدد فيه القربى بعلي وفاطمة وأبنائهما، الأمر الذي يدل- في رأي الشيعة- على أفضليتهم، ووجوب مودتهم، ومن ثم وجوب طاعتهم واتخاذهم أئمة دون غيرهم[(١)].

وقد تتبع ابن كثير أيضًا الأحاديث الواردة في تفسير هذه الآية، وبين أن الأحاديث التي تنص على أن أولي القربى هم فاطمة وولداها، ضعيفة الإسناد، وأورد رواية عن ابن أبي حاتم قال: حدثنا رجل سماه، حدثنا حسين الأشقر، عن قيس، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﷺ قال: "لما نزلت هذه الآية: (قل لا أسألكم عليه أجرًا)– الآية- قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم؟ قال: "فاطمة وولداها" ﷺ. وهذا إسناد ضعيف فيه متهم لا يُعرف، عن شيخ شيعي مخترق، وهو حسين الأشقر، ولا يقبل خبره في هذا المحل. وذِكْر نزول الآية في المدينة بعيد؛ فإنها مكية، ولم يكن إذ ذاك لفاطمة (رضي الله عنها) أولاد بالكلية؛ فإنها لم تتزوج بعلي إلا بعد بدر من السنة الثانية من الهجرة، وتفسير هذه الآية بما فسرها به حبْر الأمة وترجمان القرآن، عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما)، كما رواه عنه البخاري"[(٢)].

---

(١) الطبرسي، مجمع البيان، ج٢٥، ص٤٩-٥١، ومختصر التحفة الاثني عشرية، ص١٥٤.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص١١٢. ونص حديث ابن عباس- كما ورد في البخاري- قال: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عبد الملك بن ميسرة قال: سمعت طاوسًا عن ابن عباس- رضي الله عنهما- أنه سُئل عن قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾، =

ومما تمسك به الشيعة أيضًا حديث "غدير خُمْ"، الذي يقال أنه حينما نزلت الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [المائدة:٦٧]، كان الرسول (عليه الصلاة والسلام) في طريق عودته من حجة الوداع، فلما بلغ "غدير خُمْ" وهو اسم لغيضة على ثلاثة أميال من الجحفة، ويقع بين مكة والمدينة، أخذ بيد علي وخاطب جماعة المسلمين قائلاً: "يا معشر المسلمين، ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى، قال: "من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا هل بلغت؟" ثلاثًا. وزعمت الشيعة بأن هذا نص صريح في ولاية علي، وفسروا المولى هنا بمعنى الأَوْلَى بالتصرف، وذهبوا إلى أن كونه أولى بالتصرف عين الإمامة".

والحديث بهذه الصورة لم يرد في أمهات الكتب، وأورد الترمذي جزءًا منه، وهو: "من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه"، ووصف الإمام أحمد باقي الحديث بأنه زيادة كوفية(١). وما صح من هذا الحديث ليس فيه

=

فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد ﷺ، فقال ابن عباس: عجِلت، إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة. صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿ إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾، حديث رقم ٣٤٩٧.

(١) روى الإمام أحمد في المسند (٤/ ٢٨١) عن البراء بن عازب، أن رسول الله ﷺ لما نزل بغدير خُمّ (بضم الخاء وتشديد الميم)- اسم لغيضة على ثلاثة أميال من الجحفة- أخذ بيد علي فقال: "ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟"، قالوا: بلى، قال: "ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟"، قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي فقال: "من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه"، فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئًا يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولى كل

=

دلالة على تعيين علي للإمامة؛ لأن تفسير الشيعة للمولى هنا المحبة، أو دخول علي في ولاية المسلمين العامة المنبثقة من الإيمان، والتي تجب على كل مسلم، وهذا مما لا غبار عليه، ولا يستلزم أحقيته في خلافة الرسول ﷺ دون من عداه[1].

والأحاديث التي أوردها الشيعة في فضائل علي، واستندوا عليها في القول بإمامته بعضها صحيح، ولكنه لا يسند دعواهم تلك، ومعظمها موضوع لا أساس له ولا سند.

ومن الأحاديث الصحيحة التي حاولوا الاستدلال بها ما يعرف بينهم بحديث: "المنزلة"، والذي ورد فيه أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف عليًا، فقال علي: "أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: "ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه ليس بعدي نبي"[2].

وذهب الشيعة إلى أن في هذا الحديث دلَّ النبي على إمامة علي، وذهب سعد القمي إلى أن النبي أعلمهم أن منزلته منه منزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعده، وإذ جعله نظير نفسه في حياته، وأنه أولى بهم بعده، كما كان هو ﷺ أولى بهم منهم بأنفسهم؛ إذ جعله في المباهلة كنفسه[3]. ويقول أبو حنيفة النعمان الإسماعيلي:

مؤمن ومؤمنة". وهذا الحديث سنده ضعيف. ولقد رواه الإمام أحمد من طرق أخرى، حديث رقم ٥٦٧٩، وكلها عن زيد بن أرقم نحوه، دون قوله: فلقيه عمر... وبالجملة فالمرفوع من الحديث صحيح، أي دون قول عمر ﷺ، ورواه الترمذي بسند صحيح بلفظ: "من كنت مولاه فعلي مولاه". حديث رقم ٣٧١٣، أما زيادة: "وانصر من نصره.." إلى آخر الحديث، فلم ترد عند أحمد ولا غيره.

(١) مختصر التحفة الاثني عشرية، ص ١٥٩-١٦٢.

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم ٤٤١٦.

(٣) سعد القمي، المقالات والفرق، ص١٦.

"ولا يقتضي قول رسول الله ﷺ لعلي "ع": "أنت مني بمنزلة هارون من موسى"، إلا أنه خليفته في أمته، كما قال موسى لهارون: أخلفني في قومي[١]. ويرى الشيخ المفيد أن حديث المنزلة نص لا خفاء فيه على إمامة علي؛ لأن رسول الله ﷺ حكم له بالفضل على الجماعة، والنصرة والوزارة والخلافة في حياته وبعد وفاته، والإمامة له بدلالة أن هذه المنازل كلها كانت لهارون من موسى في حياته، وإيجاب جميعها لأمير المؤمنين، إلا ما أخرجه الاستثناء منها ظاهرًا، وأوجبه بلفظه له، من بعد وفاته، بتقدير ما كان يجب لهارون من موسى لو بقى بعد أخيه، فلم يستثنه النبي ﷺ، فبقي لأمير المؤمنين بعموم ما حكم له من المنازل[٢].

ويعلق الموسوي على هذا الحديث بقوله: "فعلي، بحكم هذا النص، خليفة رسول الله في قومه، ووزيره في أهله، وشريكه في أمره- على سبيل الخلافة عنه، لا على سبيل النبوة- وأفضل أمته، وأولاهم به حيًا وميتًا، وله عليهم من فرض الطاعة زمن النبي- وزيارته له- مثل الذي كان لهارون على أمة موسى زمن موسى. ومن سمع حديث المنزلة قائمًا يتبادر منه إلى ذهنه هذه المنازل كلها، ولا يرتاب في إرادتها منه"[٣].

وحديث المنزلة هذا صحيح، أورده البخاري في الرواية السابقة، وفي رواية أخرى ليس فيها: "إلا أنه ليس نبي بعدي"[٤]، كما رواه مسلم[٥]، والترمذي[٦]،

(١) دعائم الإسلام، ج٢، ص٢٠.
(٢) نبيلة عبد المنعم، نشأة الشيعة، ص١١٧، نقلاً عن الشيخ المفيد، الإفصاح في إمامة علي، ص٦٠.
(٣) الموسوي، المراجعات، ص١٦٣.
(٤) صحيح البخاري، حديث رقم ٢٢١٩.
(٥) مسلم، حديث رقم ٢٤٠٤.
(٦) الترمذي، حديث رقم ٣٧٣١.

ولكن لا دلالة في الحديث على تعيين علي وتخصيصه بالإمامة بعد الرسول، كما يقول الشيعة، بل المراد منه ويفهم من سياقه: أن الرسول استخلف عليًا على أهله وعلى المدينة حينما توجه إلى غزوة تبوك، ويؤيد هذا ما ورد من أنه حينما فعل الرسول ﷺ ذلك، أرجف المنافقون في المدينة، وأشاعوا أن الرسول (عليه الصلاة والسلام) جفا علي بن أبي طالب وأبغضه، فلحق علي بالرسول وقال له: يا رسول الله، أتتركني مع الأخلاف؟ فرد عليه الرسول: "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي"، بمعنى أني لم أخلفك في المدينة بغضًا مني، كما أن موسى لم يخلف أخاه هارون في بني إسرائيل لما توجه لكلام ربه بغضًا ومقتًا له.

ويذهب الباقلاني إلى أنه مما يدل على أن هذا المعنى هو الذي قصده الرسول بقوله، علمنا بأنه كان لهارون من موسى منازل منها: أنه كان أخاه، ومنها أنه كان شريكًا له في النبوة، ومنها أنه خلفه في قومه لما توجه لكلام ربه، وليس منها أنه خلفه بعد موته؛ لأن هارون مات قبل موسى بسنين كثيرة، وإنما خلف موسى بعد موته يوشع بن نون، فلا يجوز أن يكون النبي ﷺ عني بقوله: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى"، أنك أخر(لعلها: أخي) لأبي وأمي، ولا أنك تخلفني بعد موتي؛ لأن هذه منزلة لم تكن لهارون من موسى؛ فثبت أنه أراد أنك خليفتي وعلى المدينة عند توجهي إلى هذه الغزوة، كما خلف موسى أخوه هارون في قومه عند توجهه لكلام ربه"[1]، فإن قالوا: ما معنى قوله ﷺ: «إلا أنه لا نبي بعدي»؟ وكيف يجوز أن يقول: أما ترضى أن تخلفني في قومي، وفي أيام حياتي، إلا أنه لا نبي بعدي"؟ قيل لهم: لم يُرِد "بعدي" بعد وفاتي، وإنما أراد لا نبوة بعد نبوتي؛ لا معي ولا بعدي،

---

(١) الباقلاني، التمهيد، ص١٧٣، ١٧٤.

وهذا كما يقول القائل: لا ناصر لك بدون فلان"[١].

ويذهب ابن حزم إلى أن هذا الحديث: (حديث أنت مني بمنزلة هارون... إلخ) لا يوجب لعلي فضلاً على من سواه، ولا استحقاق الإمامة بعده عليه السلام؛ لأن هارون لم يلِ أمر بني إسرائيل بعد موسى (عليهما السلام)، وإنما ولي الأمر بعد موسى (عليه السلام) يوشع بن نون، كما ولي الأمر بعد رسول الله ﷺ صاحبه في الغار"[٢].

أما الأحاديث الموضوعة التي استدل بها الشيعة فكثيرة جدًا، ومن ذلك ما رواه جابر عن النبي ﷺ أنه قال: "أنا مدينة العلم، وعلي بابها"، فهذا خبر مطعون فيه رغم رواية الترمذي له، إذ أنكره البخاري، وقال عنه يحيى بن معين: لا أصل له، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات، وقال النووي والذهبي: إنه موضوع[٣]، ويقول الألباني: وحديث "أنا مدينة العلم، وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب" موضوع، رواه العقيلي في الضعفاء، وابن عدي في الكامل، والطبراني في الكبير، والحاكم عن ابن عباس، ورواه ابن عدي والحاكم عن جابر رضي الله عنه[٤]، وكذلك حديث: "أقضاكم علي"، الذي ادعت الشيعة أنه نص في الإمامة، موضوع لم يروه أحد من أهل الكتب الستة، ولا أهل المسانيد المشهورة؛ لا أحمد ولا غيره، بإسناد

(١) المصدر نفسه، ص١٧٤.

(٢) ابن حزم، الفصل، ج٤، ص٩٤.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٤، ص٤١٠.

(٤) الألباني، ضعيف الجامع الصغير، ص١٣، رقم الحديث ١٤١٦.

صحيح ولا ضعيف، ورواته معروفون بالكذب والتدليس[١]، وكذلك حديث: "من ناصب عليًا الخلافة فهو كافر"، فلا أثر له بوجه في كتب أهل السنة أصلاً"[٢].

وهذه النماذج تكشف عن ضعف ما استند إليه الشيعة من حجج على اختصاص علي وتعيينه دون غيره للخلافة. ويؤيد هذا ما ذهب إليه ابن خلدون من أن ما استدل به الشيعة من نصوص إنما هي نصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم، لا يعرفها جهابذة السنة، ولا نقلة الشريعة، بل أكثرها موضوع، أو مطعون في طريقه، أو بعيد عن تأويلاتهم[٣]، وما أورده ابن حزم من أن سائر الأحاديث التي تتعلق بها الرافضة موضوعة، يعرف ذلك من له أدنى علم بالأخبار ونقلتها"[٤].

ويعترف الكاتب الشيعي، ابن أبي الحديد، بأثر الشيعة في وضع الأحاديث لتأييد مذهبهم في الإمامة، فيقول: "إن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة؛ فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلفة في صاحبهم، حملهم على وضعها عداوة خصومهم، فلما رأت البكرية (يريد بعض السنيين) ما صنعت الشيعة، وضعت لصاحبها (أبي بكر) أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث.. فلما رأت الشيعة ما قد وضعت البكرية.. أوسعوا في وضع الأحاديث.. ولقد كان الفريقان في غنية عما اكتسباه... ولقد كان في فضائل علي الثابتة الصحيحة، وفضائل أبي بكر

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٤، ص٤٠٨.

(٢) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج٤، ص١٠٧، ١٠٨.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ، ص ٢٠٨.

(٤) ابن حزم، الفصل، ج٤، ص ١٤٨.

المحققة المعلومة ما يغني عن تكلف العصبية لها"[١].

ورغم ضعف هذه الحجج وعدم قوتها؛ فإننا نجد أن بعض الشيعة المعاصرين لا زالوا يرددونها في كتاباتهم، ويستشهدون بها لإثبات معتقداتهم في الإمامة، وهذا أحد أئمتهم يذهب إلى أن الرسول يعتبر غير مبلغ للرسالة لو لم يعين عليًا خليفة من بعده، ويقول: "إن الرسول الكريم قد كلمه الله وحيًا أن يبلغ ما أنزل إليه فيمن يخلفه في الناس، وبحكم هذا الأمر فقد اتبع ما أمر به، وعين أمير المؤمنين عليًا للخلافة"[٢]، ويذهب إلى أن ولي الأمر هو الذي يتصدى لتنفيذ القوانين، وهكذا فعل الرسول ﷺ، ولو لم يفعل فما بلغ رسالته. وكان تعيين خليفة من بعده ينفذ القوانين، ويحميها، ويعدل بين الناس، عاملاً متممًا ومكملاً لرسالته"[٣].

وإلى جانب ما استدل به الشيعة من آيات وأحاديث، قدموا العديد من البراهين العقلية لإثبات هذا المعتقد، وقد كرّس الطوسي، المعروف عند الشيعة بشيخ الطائفة، كتابه الموسوم بـ:"تلخيص الشافي في الإمامة" لموضوع الإمامة، وانتهى إلى أن وجود الإمامة ضروري؛ لأن الشريعة مؤبدة، وأن المصلحة ثابتة إلى قيام الساعة لجميع المكلفين، وعلى هذا لابد لها من حافظ، وليس يخلو الحافظ من أن يكون جميع الأمة أو بعضها، ثم يستطرد فيقول: "وليس يجوز أن يكون الحافظ لها الأمة؛ لأن الأمة يجوز عليها السهو والنسيان، وارتكاب الفساد، والعدول عما علمته، فإذن لابد لها من حافظ معصوم يؤمن من جهته التغيير والتبديل والسهو؛ ليتمكن

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١١، ص ٤٨-٥٠.

(٢) الخميني، الحكومة الإسلامية، ص ٤٢، ٤٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٩.

المكلفون من المصير إلى قوله، وهذا هو الإمام الذي نذهب إليه"[١].

التحليل الثاني:

*** تصور الشيعة للإمام ووظيفته:**

قد جعل الشيعةُ العقيدةَ في الإمام أساسًا لمذهبهم، وركنًا من أركان الدين، ويقول أحد كتّابهم المعاصرين بعد حديثه عن أركان الإسلام: "ولكن الشيعة زادوا ركنًا خامسًا إلى جانب أركان الإسلام الأربعة الموجبة للعمل، وهي: الصلاة والصيام والزكاة والحج، أما الشهادة بالوحدانية ونبوة محمد فمجرد قول، هو الاعتقاد بالإمامة: يعني أن يعتقد أن الإمامة مَنْصِبٌ إلهي كالنبوة، فكما أن الله- سبحانه- يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة، ويؤيده بالمعجزة التي هي كنص من الله عليه... فكذلك يختار للإمامة من يشاء، ويأمر نبيه بالنص عليه، وأن ينصبه إمامًا للناس من بعده؛ للقيام بالوظائف التي كان على النبي أن يقوم بها، سوى أن الإمام لا يوحى إليه كالنبي، وإنما يتلقى الأحكام منه مع تسديد إلهي"[٢].

وهكذا أصبح الإيمان بالإمام عندهم جزءًا من العقيدة، وينسب الشيعة إلى بعض أئمتهم القول بأن: "من أصبح من هذه الأمة لا إمام له؛ أصبح ضالاً تائهًا، وإن مات على هذه الحال مات ميتة جاهلية"، ويقول أحد الشيعة المعاصرين: "وترى الشيعة أن موالاة هؤلاء الأئمة جزء من الإيمان"، ويتمسكون بقوله ﷺ: "من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية"، فالشيعي في كل زمان ومكان ملزم بالتعرف على إمام زمانه، وموالاته، ولا يشترط الشيعة في الإمام مباشرة

(١) الطوسي، تلخيص الشافي، ج١، ص ١٣٣، ١٣٤.

(٢) آل كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها، ص١٠٢.

الحكم، وتولي السلطة الزمنية في دولة الإسلام، فسواء باشر الحكم أم لم يباشره فموالاته من الفروض الشرعية عند الجعفرية[١].

ذلك لأن الإمام في تصور الشيعة يختلف اختلافًا كليًا عن تصور المسلمين جميعًا لخليفتهم؛ إذ إن المسلمين يعدون الإمام أو خليفة المسلمين شخصًا عاديًا في تكوينه ومعارفه، وإن دوره لا يتجاوز دور المنفذ لشرع الله، وأنه يعرض له الخطأ والانحراف كما يعرض لسائر الناس، فيُقوَّم ويُعارض، بل ويحارب إذا خالف أمر الله، وفوق هذا فإن الخليفة يختار وينتخب من قبل الجماعة المسلمة، وفقًا لمبدأ الشورى[٢].

خلافًا لهذا التصور، يذهب الشيعة إلى أن الإمام شخص غير عادي في تكوينه ومنزلته، فيذهبون إلى أن الأئمة كانوا قبل هذا العالم أنوارًا، وأن لهم ولاية تكوينية إلى جانب الولاية الحكمية.

وقد نسبوا إلى الرسول (عليه الصلاة والسلام) حديثًا أسندوه إلى علي بن أبي طالب ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: "كنت أنا وعلي نورًا في جبهة آدم (عليه السلام)، فانتقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام المطهرة الزاكية، حتى صرنا في صلب عبد المطلب، فانقسم النور قسمين، فصار قسم في عبد الله، وقسم في أبي طالب، فخرجت من عبد الله، وخرج علي من أبي طالب، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿ **ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا** ﴾ [الفرقان:٥٤][٣]، ونسبوا

---

(١) أضواء على خطوط محب الدين الخطيب، ص ٩٨-٩٩.

(٢) العوا، في النظام السياسي للدولة الإسلامية، ص ١٤٧-٢٣٦.

(٣) المسعودي، إثبات الوصية للإمام علي، ص ١٠٥.

إلى علي بن أبي طالب، من رواية جعفر بن محمد، قوله: "انتقل النور إلى غرائزنا، ولمع في أئمتنا، فنحن أنوار السماء، وأنوار الأرض، فبنا النجاة، ومنا مكنون العلم، وإلينا مصير الأمور، وبمهدينا تنقطع الحجج"(١)، وقوله أيضًا: "نحن أمان أهل الأرض، كما أن النجوم أمان لأهل السماء، ونحن الذين بنا تمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبنا تمسك الأرض أن تميد بأهلها، وبنا ينزل الغيث، وتنشر الرحمة، ولولا من في الأرض منا لساخت الأرض بأهلها، لم تخلُ الأرض منذ خلق الله آدم من حجة لله فيها؛ ظاهر مشهور، أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة، ولولا ذلك لم يُعبد الله"(٢)، ويوردون حديثًا ينسبونه إلى الرسول (عليه الصلاة والسلام)، يسأل فيه جابرُ بنُ عبد الله الأنصاري الرسولَ (عليه الصلاة والسلام) عن حال الأوصياء بعده في الولادة، فيسكت رسول الله ﷺ مليًا، كما تقول الرواية الشيعية، ثم يقول: "يا جابر، لقد سألت عن أمر جسيم لا يحتمله إلا ذو حظ عظيم. إن الأنبياء والأوصياء مخلوقون من نور عظمة الله جل ثناؤه، يودع الله أنوارهم أصلابًا طيبة، وأرحامًا طاهرة يحفظها بملائكته، ويربيها بحكمته، ويقدرها بعلمه، فأمرهم يجلّ عن أن يوصف، وأحوالهم تدق عن أن تُعلم؛ لأنهم نجوم الله في أرضه، وأعلامه في بريته، وخلفاؤه على عباده، وأنواره في بلاده، وحججه على خلقه، يا جابر، هذا من مكنون العلم ومخزونه، فاكتمه إلا من أهله"(٣).

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص ٣٣.

(٢) النشار، نشأة الفكر الفلسفي، ج٢، ص ٢٩٧.

(٣) القمي، من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص ٤١٤، ٤١٥.

ويقول أحد أئمة الشيعة المعاصرين: "وثبوت الولاية والحاكمية للإمام (عليه السلام) لا يعني تجرده من منزلته التي له عند الله، ولا تجعله مثل من عداه من الحكام؛ فإن للإمام مقامًا محمودًا، ودرجة سامية، وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون. وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث؛ فإن الرسول الأعظم ﷺ، والأئمة (عليهم السلام) كانوا قبل هذا العالم أنوارًا، فجعلهم الله محدقين، وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلا الله. وقد قال جبرائيل–كما ورد في روايات المعراج–: لو دنوت أنملة لاحترقت. وقد ورد عنهم عليهم السلام أن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب، ولا نبي مرسل"[(١)].

ودار الجدل في دوائر الشيعة حول أفضلية الأئمة على الأنبياء، وفي ذلك يقول أحد أعلامهم: "قد قطع قوم من الإمامية بفضل الأئمة (عليهم السلام) من آل محمد ﷺ على سائر من تقدم من الرسل والأنبياء، سوى نبينا محمد ﷺ، وأوجب فريق منهم لهم الفضل على جميع الأنبياء، سوى أولي العزم منهم (عليهم السلام)، وأبي القولين فريق منهم آخر قطعوا بفضل الأنبياء كلهم على سائر الأئمة (عليهم السلام). وهذا باب ليس للعقول في إيجابه والمنع منه مجال، ولا على أحد الأقوال فيه إجماع. وقد جاءت آثار عن النبي ﷺ في أمير المؤمنين (عليه السلام)، وذريته من الأئمة، والأخبار عن الأئمة الصادقين أيضًا من بعد. وفي القرآن مواضع تقوي العزم على ما قاله الفريق الأول في هذا المعنى"[(٢)].

(١) الخميني، الحكومة الإسلامية، ص ٥٢.

(٢) الشيخ المفيد، أوائل المقالات، ص ٤٢، ٤٣.

وبناءً على هذا التصور للإمام؛ فإن دوره لا يقف عند حد تنفيذ شرع الله، بل له هيمنة على شئون الكون ومجرياته، فعليٌّ عندهم الحاكم المهيمن الشرعي على شئون البلاد والعباد، وأن الملائكة تخضع له، ويخضع له الناس حتى الأعداء منهم؛ لأنهم يخضعون للحق في قيامه وقعوده، وفي كلامه وصمته، وفي خطبه وصلواته وحروبه[(١)]، والإمام عندهم له الولاية العامة على الناس، والتي هي في مرتبة النبوة، ويقول صاحب "عقائد الإمامية": "لابد أن يكون في كل عصر إمام هادٍ يخلف النبي في وظائفه، من هداية البشر، وإرشادهم إلى ما فيه الصلاح والسعادة في الشأنين، وله ما للنبي من الولاية العامة على الناس؛ لتدبير شئونهم ومصالحهم، وإقامة العدل بينهم، ورفع الظلم والعدوان عنهم"[(٢)].

وبالنسبة للشريعة، فإن دور الإمام يتجاوز دور التنفيذ، ليكمل الشريعة، وينشر ما استتر منها، ويأتي بما أوكل إليه تبليغه، ويقول أحد الشيعة في هذا: "ويعتقد الشيعة أن لله تعالى في كل واقعة حكمًا، وما من عمل من أعمال المكلفين إلا ولله فيه حكم من الأحكام الخمسة؛ الوجوب والحرمة والكراهة والندب والإباحة.. وقد أودع الله سبحانه جميع تلك الأحكام عند نبيه خاتم الأنبياء، وعرفها النبي بالوحي من الله أو بالإلهام، وبين كثيرًا منها لأصحابه؛ ليكونوا هم المبلغين لسائر المسلمين في الآفاق، وبقيت أحكام كثيرة لم تحصل الدواعي والبواعث لقيامها، وإن حكمة التدرج اقتضت بيان جملة من الأحكام، وكتمان جملة، كان سلام الله عليه أودعها عند أوصيائه، كل وصي يعهد بها إلى الآخر؛ لينشرها في الوقت المناسب لها حسب

---

(١) الحكومة الإسلامية، ص ١٤١.

(٢) محمد رضا المظفر، عقائد الإمامية، ص ٦٥، ٦٦.

الحكمة، فقد يذكر النبي ﷺ لفظًا عامًا، ويذكر مخصصه بعد برهة من حياته، وربما لا يذكره أصلاً، بل يودعه عند وصيه إلى وقته"[١].

فهذا النص يتضمن أن الأئمة استودعهم النبي (عليه الصلاة والسلام) أسرار الشريعة، وأنه لم يبينها كلها، بل بين بعضها- وهو ما اقتضاه زمانه- وترك للأوصياء أن يبينوا للناس ما تقتضيه الأزمنة من بعده، ومن ثم كانت أقوال الأئمة شرعًا إسلاميًا؛ لأنها تتميم للرسالة، ومن أجل ذلك نسب الشيعة إلى الأئمة علمًا خاصًا ورثوه عن النبي ﷺ، وأوجبوا على الأمة طاعتهم فيه.

ويقول حجتهم الكليني: "وقد ورث الأئمة علم النبي وعلم الأنبياء جميعًا، فعندهم علم جميع الكتب المنزلة التي نزلت من عند الله، وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها، وهم يعلمون القرآن كله، وتفسيره وتأويله، وناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه"، بل يذهب الكليني إلى "أن الأئمة يعلمون أكثر من الأنبياء، وينسب إلى جعفر الصادق قوله: "ورب الكعبة، ورب البنية، لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما، ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما؛ لأن موسى والخضر (عليهما السلام) أعطيا علم ما كان، ولم يُعطيا علم ما يكون، وما هو كائن حتى تقوم الساعة، وقد ورثناه من رسول الله وراثة"[٢]، ويذهب الكليني إلى أن الله لم يعلم نبيه علمًا إلا أمره أن يُعلِّمه أمير المؤمنين؛ فهو شريكه في العلم"[٣].

وينسبون إلى الحسن بن علي (رضي الله عنهما) قوله: "إنا نعلم المكنون والمخزون

---

(١) أصل الشيعة وأصولها، ص ٨٩، ٩٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٦٠، ٢٦١.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٦٣.

والمكتوم الذي لم يطلع عليه ملك مقرب، ولا نبي مرسل غير محمد وذريته"[١]، كما ينسبون إلى هؤلاء الأئمة نوعين من العلم الإلهي: فالإمام يتلقى المعارف والأحكام الإلهية وجميع المعلومات من طريق النبي، أو الإمام قبله، وإذا استجد شيء لابد أن يعلمه عن طريق الإلهام بالقوة القدسية التي أودعها الله تعالى فيه، فإن توجه إلى شيء وشاء أن يعلمه على وجهه الحقيقي لا يخطئ فيه ولا يشتبه، ولا يحتاج في كل ذلك إلى البراهين العقلية، ولا إلى تلقينات المعلمين[٢]. وإضافة إلى ذلك، فقد نسب الشيعة إلى أئمتهم مصادر علم معينة يستقون منها علومهم؛ كالاسم الأعظم، ومصحف فاطمة الذي فيه علم الأولين والآخرين، وكتاب الجفر، وصحيفة الجامعة التي تحوي علوم الأنبياء جميعًا. وهذان ينسبونهما إلى علي ﷺ. والجفر الأبيض والجفر الأحمر اللذان ينسبونهما إلى جعفر الصادق[٣].

ولم يقف الشيعة عند هذا الحد، بل جعلوا لأئمتهم صلة متجددة بالوحي بعد انقطاعه، وزعموا أن انقطاع الوحي بعدم نزول الملائكة لا يعني انقطاع علم الله عن الأئمة؛ لأن الله سدد خطى الأئمة بروح من عنده، كما قال تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ** ﴾ [الشورى:٥٢]، وينسبون إلى الصادق قوله: "منذ أنزل الله عزّ وجلّ ذلك الروح على محمد ما صعد إلى السماء، وإنه لفينا"[٤].

---

(١) أبو جعفر الطبري الشيعي، دلائل الإمامة، ص ٦٧.

(٢) عقائد الإمامية، ص ٦٧، ٦٨.

(٣) الكليني، الكافي، ج١، ص ٢٣٩-٢٤٢.

(٤) الكليني، الكافي، ج١، ص ٢٧٣.

ونتيجة لهذه المكانة، وهذه الدرجة من المعرفة المنسوبة إلى الأئمة، أصبحت أوامرهم ونواهيهم شرعًا، وصاروا حجة لله على الخلق تجب طاعتهم، ويجب اتباعهم، ويقول الشيعة في ذلك: "نحن نعلم أن أوامر الأئمة تختلف عن أوامر غيرهم، وعلى مذهبنا، فإن جميع الأوامر الصادرة عن الأئمة في حياتهم نافذة المفعول، وواجبة الاتباع حتى بعد وفاتهم". وحجة الله تعني أن الإمام مرجع للناس في جميع الأمور، والله قد عيّنه وأناط به كل تصرف وتدبير من شأنه أن ينفع الناس ويسعدهم، فحجة الله هو الذي عينه الله للقيام بأمور المسلمين، فتكون أفعاله وأقواله حجة على المسلمين يجب إنفاذها، ولا يسمح بالتخلف عنها، وفسروا أولي الأمر المشار إليهم في الآية القرآنية: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ** ﴾... بأنهم هم الأئمة الأطهار الذين كلفوا ببيان الأحكام، والأنظمة الإسلامية، ونشرها في المسلمين.. إلخ، ومن ثم فرض الله طاعتهم"[(١)].

ويصور شيعي آخر تصورهم لمكانة الإمام فيقول: "بل نعتقد أن أمرهم أمر الله تعالى، ونهيهم نهيه، وطاعتهم طاعته، ومعصيتهم معصيته، ووليهم وليه، وعدوهم عدوه، ولا يجوز الرد عليهم، والراد عليهم كالراد على الرسول، والرد على الرسول كالراد على الله تعالى، فيجب التسليم لهم، والانقياد لأمرهم، والأخذ بقولهم"[(٢)].

وتصور الشيعة للإمام ومكانته ودوره غريب عن التصور الإسلامي، وكل ما نسبوه إلى الأئمة في هذا الشأن لا سند له ولا أساس؛ ولهذا فإن عليًا "قد ثبت عنه في الصحيح، عن أبي جحيفة ﷺ قال: "قلت لعلي ﷺ: هل عندكم شيء من الوحي إلا

---

(١) الخميني، ولايت فقيه، ص ٣٤.

(٢) عقائد الإمامية، ص ٧٠.

ما في كتاب الله؟ قال: لا، والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا فهمًا يعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة، قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العُقُل، وفكاك الأسير، وأن لا يُقتل مسلم بكافر"[١]. فأين هذا مما ينسبه إليه الشيعة من علم يتجاوز علوم الأنبياء والمرسلين، ويتعدى الماضي والحاضر ليعلم الغيب؟

هذا بالإضافة إلى أن أحدًا من أئمتهم لم يدَّعِ مثل هذا النوع من العلم، أو يأتِ بأحكام تخالف ما ورد في القرآن والسنة. وسيرة هؤلاء الأئمة الثابتة، من غير المصادر الشيعية، تدل على فضلهم وعلمهم وتقواهم، على تفاوت فيما بينهم في الدرجة والمنزلة[٢].

اتحاد المسلمين ضد الكفر والغطرسة

تقول الكتب المدرسية: "الخلاف في وجهات النظر بين الشيعة والسنة كان على الأمور المذكورة سابقًا، ولكنهم يضعون هذا الخلاف موضوعًا للبحث والدراسة، أما في مواجهة أعداء الإسلام والقرآن؛ فإنهم يناضلون ويقفون ضدهم بقوة.

المسلمون يعرفون، ويجب أن يعرفوا أن أعداء الإسلام والقرآن يسعون- ومن دون أسباب- أن يوقعوا بينهم؛ لهذا يجب أن يكونوا حذرين أكثر من مكرهم؛ حتى لا يقعوا فريسة لغدر الأعداء، وأن يسعوا لتوطيد الوحدة والمحبة فيما بينهم أكثر".

تضيف الكتب المدرسية: "العالم الإسلامي يستطيع أن يظهر على المستوى الدولي عندما يُنحُّوا الخلافات والصراعات الداخلية الكبيرة والصغيرة جانبًا،

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم ٣٠٤٧.

(٢) منهاج السنة، ج٢، ص ١٤٠- ١٦٦.

وبذلك يتخلصون من شر الأجانب. يجب أن يعرف المسلمون قوتهم العظيمة، وأن يركزوا على هدفهم الواحد، وأن يسيروا معًا في طريق عظمة ورقي الإسلام.

الإمام الخميني- قدس سره- هو الداعي الكبير لوحدة المسلمين، وفي وصيته الإلهية السياسية قال مخاطبًا الأمة الإسلامية:

(أوصي شعوب البلاد الإسلامية جميعًا أن يضعوا أيديهم بأيدي إخوتهم المؤمنين، بغض النظر عن العنصرية. وإن الدين الإسلامي العظيم آخى فيما بينهم، وإن هذه الأخوة الإيمانية، وبهمة من الحكومات والشعوب، سوف تتحقق يومًا ما بإرادة الله تعالى، وسنرى عندها أكبر قوة في العالم تتشكل من المسلمين، على أمل أن يأتي اليوم الذي تتحقق فيه هذه الأخوة والمساواة بإرادة رب الكون"[1].

ثم يختم الدرس بملخص يقول:

١- المسلمون منقسمون إلى فئتين رئيستين (الشيعة والسنة) لخلاف في وجهات النظر حول عدد من الأمور، إلا أن المسلمين لهم دين واحد، ورسول واحد، ويصلون باتجاه قبلة واحدة، وكتابهم السماوي الديني القرآن، ويعملون من أجل نصرة الإسلام على الكفر، وهم متحدون ويتحركون من أجل عظمة الإسلام، وعزة المسلمين.

٢- يعتقد الشيعة أن الرسول لن يترك أمته بدون قائد ومرشد، وقد أشار في الكثير من المواقع إلى هذه الوصية الهامة، وعين علي بن أبي طالب خليفة له، ولكن أهل السنة يقولون: إن الرسول لم يعين خليفة له.

---

(١) فرهنك إسلامي وتعليمات اجتماعي، سال سوم، ص ٩٩-١٠٠.

٣- يجب أن يعرف المسلمون (الشيعة والسنة) أن أعداء الإسلام يحاولون أن يثيروا الخلافات بينهم بدون مبرر؛ لهذا يجب أن يتركوا الخلافات والصراعات الكبيرة والصغيرة جانبًا، وأن يسعوا جميعًا من أجل الدفاع عن القرآن، ومن أجل رقي وعظمة الإسلام[1].

آية من القرآن:

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران:١٠٣].

تحليل النص:

يحاول النص أن يثبت أن أصحاب العمائم في إيران حريصون على الوحدة الإسلامية أكثر من غيرهم (السنة).

كثيرًا ما نسمع حديث جهات عدة من السنة والشيعة عن ضرورة الوحدة الإسلامية، وهي فكرة يتمنى كل مسلم صادق غيور تحققها، وقد أُسس لأجل ذلك مركز فكري للتقريب يجمع ثلة من المنتمين للجانبين، ويوجد مقره بمؤسسة الأزهر على أرض الكنانة، في حين لا نجد له مقرًا مماثلاً على أرض ملالي إيران؛ ليبقى سؤال المصداقية مطروحًا بعمق عمن يروج لشيء ويفعل نقيضه، أو لا يبذل مجهودًا لتحقيقه غير رفع الشعارات.. كبُر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون. يُتهم بعض علماء السنة، ظلمًا وزورًا، قديمًا وحديثًا، بأنهم سبب إثارة الفتنة بين السنة والشيعة، على أساس أنهم ينبرون بالكلام على نقاط الخلاف، التي عفا عليها الزمن، ويريدون أن يمزقوا شتات الأمة الإسلامية بإثارة النعرة الطائفية والمذهبية

(١) المصدر نفسه، ص١٠٠-١٠١.

بين أبنائها، وكأن الأمة الإسلامية كانت متحدة، ولم يقوض وحدتها إلا علماء من السنة، في محاولة مستميتة، ودعاية مقيتة يحاول من خلالها المعسكر الشيعي تحميل المسئولية كلها لمعسكر السنة، وكأن الشيعة قلبهم على هذه الأمة دون غيرهم. لكن ينسى أولئك القوم، إن لم أقل يتناسون، أن المسئولية يتحملها من فرَّق بين أتباع خاتم المرسلين (صلى الله عليه وآله وسلم)، من الصحابة وأهل البيت، حين أقاموا جدارًا من العداوة الوهمية بين أناس مَنَّ الله سبحانه على نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، من فوق سبع سموات في الذكر الحكيم، أنه هو الذي جمع بين قلوبهم، وأنه لو أنفق ما في الأرض جميعًا لما استطاع أن يجمع بين قلوب قوم كانت سماتها التفرقة، والنعرة القبلية، والأخذ بالثارات الجاهلية قبل أن يمنَّ الله عليها بالإسلام، قال الله تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال:٦٣]، وقال أيضًا ممتنًا على عباده المؤمنين بالجمع بين قلوبهم، آمرًا لهم بوجوب الاعتصام بحبل الله جميعًا: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٣].

لقد ذكر الله تعالى أن الإسلام هو النعمة التي وحد الله بها قبائل العرب، وجمع بها شعثهم، ونظم بها أمرهم، وليس شيئًا آخر، ولم يفرق بينهم بجنس أو حسب أو نسب، وقال بأن (أكرمكم عند الله أتقاكم).

لكن الشيعة جعلوا أكرمهم عند الله أقربهم للنبي ﷺ وحدهم، مخالفين بذلك نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وأن حق وراثة علم النبوة مقتصر وحكر على قرابة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دون غيرهم من صحابة وتلامذة

رسول الله، وكأنهم الوحيدون الذين كانوا يتعلمون في مدرسة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وغيرهم كانوا منافقين كافري الباطن، مسلمي الظاهر، كما يعتقد بهذا الشيعة الإمامية، والنصوص بهذا عندهم فاحت رائحة الكذب منها، حتى إنها لم تترك الإيمان بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه آله وسلم) إلا في ثلاثة أو سبعة من الصحابة عن أبي جعفر، وهو الإمام الباقر، الإمام الخامس في سلسلة الأئمة المنصبين المزعومة: ارتد الناس إلا ثلاثة نفر: سلمان وأبو ذر والمقداد، وأناب الناس بعدُ، كان أول من أناب أبو ساسان وعمار وأبو عروة وشتيرة، فكانوا سبعة، فلم يعرف حق أمير المؤمنين إلا هؤلاء السبعة[1].

هل يصدق مسلم عاقل أن الله يرضى على أقوام، ويعدهم بالجنة والرضوان، ويمدحهم ويثني عليهم في غير آية في التنزيل الحكيم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد سبق في علمه سبحانه أنهم سيتفقون ويتآمرون على مخالفة أمر الله ورسوله في الاعتراف بحق علي في الوصية والإمامة، وينقلبوا على أدبارهم كافرين؟ صدق أو لا تصدق: الخميني يؤمن بهذا، بأن الصحابة، وعلى رأسهم الشيخان أبو بكر وعمر، تآمرا على مخالفة أمر الله ورسوله.

ونحن هنا نورد مثل هذه الأمور الدالة على افتراءات الخميني على صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ نظرًا لما روجت وتروج له أجهزة الدعاية الإيرانية وأذنابها وعملائها في كل مكان، التي تركز على شخصية الخميني، والتي تشير إلى أن الخميني فوق مستوى الاختلافات المثارة بين السنة والشيعة، إن لم يكن

---

(١) الكافي، ج٢، ص ٢٤٤، والطوسي، رجال الكشي، ج١، ص٢٦، والمجلسي، بحار الأنوار، ج٢٢، ص٣٣٣.

أرفع منها، وأنه كان يدعو إلى الوحدة الإسلامية، وأنه يحترم ويبجل الخلفاء الراشدين، كما أنه كان يصف مثيري الاختلافات بين الشيعة والسنة بأنهم شياطين، وهذه الدعاية، في الحقيقة، ما هي إلا نوع من التقية مَبنيَّة على الكذب والتضليل، من أجل الإيقاع بعوام أهل السنة، الذين لا دراية لهم ولا اطلاع بما سطرته وتسطره أيادي علماء ودعاة التشيع في كل زمان ومكان.

خلاصة بحث الخميني في القضية:

خلاصة كلامنا– الخميني– حول ذلك، ويقصد به نتيجة كلامه الذي أورده في شأن مخالفة الشيخين للقرآن، فيقول: "من جميع ما تقدم يتضح أن مخالفة الشيخين للقرآن لم تكن عند المسلمين شيئًا مهمًا جدًا، وأن المسلمين إما كانوا داخلين في حزب الشيخين، ومؤيدين لهما، وإما كانوا ضدهما ولا يجرءون أن يقولوا شيئًا أمام أولئك الذين تصرفوا مثل هذه التصرفات تجاه رسول الله وتجاه ابنته. وحتى إذا كان أحدهم يقول شيئًا، فإن كلامه لم يكن ليؤخذ به.

والخلاصة: حتى لو كان لهذه الأمور ذكر صريح في القرآن، فإن هؤلاء لم يكونوا ليكفوا عن نهجهم، ولم يكونوا ليتخلوا عن المنصب، ولكن؛ وحيث إن أبا بكر كان أكثر تظاهرًا من سواه، فإنه جاء بحديث أنهى المسألة، فأقدم على ما أقدم عليه بشان الإرث، كما أنه لم يكن من المستبعد بالنسبة لعمر أن يقول بأن الله أو جبريل أو النبي قد أخطئوا في إنزال هذه الآية، فيقوم باقي أبناء السنة بتأييده، كما قاموا بتأييده فيما أحدثه من تغييرات في الدين الإسلامي، وروجوا أقواله على آيات القرآن". هنا يحار العقلاء بعد أن يقرأوا مثل هذا الذي خطته يد الخميني الآثمة في كتابه: "كشف الأسرار"، في حق أفضل أتباع الأنبياء والمرسلين، وهم صحابة رسول الله

(صلى الله عليه وآله وسلم)، حيث اتهمهم بالكفر والنفاق والتواطؤ على تحريف كلام الله، والسير ضد إرادة الله ورسوله. هل يمكن أن يُعتبر هذا الكلام مقدمة وقاعدة جيدة كي تُبنى عليها الوحدة الإسلامية بين السنة والشيعة؟ أم أنه كلام يكرس الفرقة، ويقيم الفتنة من قبرها التاريخي ليحييها من جديد بين المسلمين في العصر الحديث تحت شعار: "الثورة الإسلامية الإيرانية"؟!

إن التاريخ يبرهن على كذب وبهتان الخميني وأمثاله من مراجع الشيعة، قديمًا وحديثًا، ويبين كيف أن أبا بكر وعمر وباقي الصحابة (رضي الله عنهم أجمعين) خدموا الإسلام في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعده، وضحوا لأجل ذلك بالغالي والنفيس، ويشهد أيضًا كيف أن أبا بكر وعمر خرجا من الخلافة، ولم يورثاها لأحد من أقاربهما، أو اكتسبا من وراء ذلك درهمًا أو دينارًا؛ كما يثبت التاريخ أن العلاقة التي كانت تجمع الصحابة وأهل البيت علاقة محبة ومودة، وأنه كانت بينهم مصاهرات وزيجات، وكانوا يسمون أبناءهم بأسماء بعضهم بعضًا. ختامًا، إن شعار الوحدة الإسلامية لا يجب أن يكون من أجل الاستهلاك الإعلامي، بقدر ما يجب أن يكون ترجمة حقيقية لمعاني الأخوة الإسلامية بين المؤمنين، التي وصفها القرآن الكريم بأنبل الصفات وأكرمها.

وتلك الوحدة تبدأ بما بدأ به الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ بتأليف قلوب المسلمين أجمعين صحابة وقرابة، وليس العمل بخلاف ذلك، عبر إقامة جدران من العداوة والكراهية المفتعلة بين أناس كانوا كالبنيان المرصوص، وبهم أزال الله من الدنيا أظلم قوى الكفر والشر؛ المجوس الفرس، وعباد الصليب الروم.

يختم الدرس بفكر واجب من خلال طرح الأسئلة التالية:

١- كيف وصل علي بن أبي طالب إلى الخلافة؟

٢- ما رأي الشيعة حول خليفة الرسول؟

٣- وضح موقفين مهمين تحدث عنهما الرسول في حياته حول الخليفة من بعده؟

٤- كيف يجب أن يكون تعامل السنة والشيعة مع أداء الإسلام والقرآن؟

٥-هل تذكر أحاديث لحضرة الإمام الخميني حول ضرورة اتحاد وتحالف المسلمين في نضالهم ضد الكفر والظلم؟ انقل بعضًا منها[1].

تحليل النص:

ماذا يقصد من الأسئلة؟

١- لا ينفك الشيعة (الفرس) ولا يملون من تكرار بل اجترار فكرة الولاية والوصية لعلي بن أبي طالب ﷺ. إن هذا الاجترار والتكرار يريد منه هؤلاء والكاتب منهم ترسيخ هذه المفاهيم في أذهان الطلاب في مختلف مراحل التعليم، خاصة أن الطرق القديمة التي تعتمد الدروس والخطب، إضافة للكتب لم تعد تفي بالغرض في ظل ثورة المعلومات، وانتشار الإنترنت، بحيث يستطيع الشاب في مختلف مراحل العمر أن يطلع على الأفكار المختلفة، وخاصة رأي أهل السنة والجماعة في مثل هذه القضايا، لذا نجد منظري التشيع يحاولون

(١) فرهنك إسلامي وتعليمات اجتماعي، ص ١٠١.

قدر الأماكن الانتشار الأفقي على الشبكة العنكبوتية للترويج لأفكارهم.

٢- كل المحاولات من الكاتب تعود لتكرر نفسها في إبراز دور الشيعة ودور الخميني في حياة المسلمين، وأنه حريص على وحدة المجتمع الإسلامي، متناسيًا موقفه من أهل السنة، الغالبية العظمى من المسلمين، وكذلك موقفه من الصحابة (رضوان الله عليهم)، فهم كفار ما خلا أربعة.

خلاصة القول:

إنه من خلال تتبع تطور تاريخ إيران عبر العصور، ومحاولة حكامها على مرّ العصور الالتصاق بالدين لإضفاء الشرعية والقداسة على أنظمة حكمهم، نقول: إنه من خلال ذلك كله يمكن القول: إن الشخصية الإيرانية قد تبلورت من خلال جملة من الركائز عبر تاريخها الطويل، ومن أهم هذه الركائز نظرية التفويض الإلهي، فقد كان نظام الحكم في إيران شكلاً واحدًا، ومضمونا واحدًا، مهما اختلفت مسمياته، وهو يرتبط بأصالة الشعب الإيراني وما انطوت عليه شخصيته التاريخية بشكل لم يتوافر في كثير من الشعوب، وبصورة تنتفي معها إمكانية التفكير في تغيير هذا النظام بشكل أو بآخر.

ولقد كان بقاء هذا النظام مرتبطًا بقدرته على التفاعل مع توالى الأزمنة، ووضوح الأحداث بنفس النسبة مع تطور وتفاعل العقلية الإنسانية.

لقد آمن الإيرانيون أن أول ملوكهم يومرث هو آدم (عليه السلام)، أو هو جابر ابن يافث بن نوح[1]، وما ذلك إلا لرغبتهم في إضفاء صفة القداسة على ملوكهم،

(١) المسعودي، أخبار الزمان، ص١٠٠.

بحيث يرتبط تاريخ الحاكم بالعقيدة الدينية، كذلك صورت الأساطير الإيرانية الملك فريدون، سادس ملوكهم، في صورة نوح (عليه السلام)، عندما قسم ملكه بين أبنائه الثلاثة؛ سلم ونور وإيرج، كما ذهبت الأساطير إلى أن زرادشت- نبي الفرس- رسول من قبل السماء، وأنه من أهل فلسطين، وأن أهوارامزدا هو الله المطلق، وأن أهريمن هو الشيطان، وأن نظرية الإثنية إنما هي تحريف قام به الكهنة من أجل مصالح دنيوية. وهكذا يرى الإيرانيون أن الحكم السياسي له جوانب سماوية تحددت من قبل الله؛ لتحقيق الحضارة والمدنية بين الناس، مما جعل فلسفة الحكم تختلط بالدين والأخلاق منذ قديم الزمان، وحتى قبل ظهور زرادشت. وإذا تجاوزنا الأساطير إلى التاريخ الحقيقي، نجد أن الآثار والنقوش والكتابات تشير إلى أن الحاكم لم يكن مجرد رئيس سياسي للبلاد، بل كان مرشدًا لشعبه بالدرجة الأولى، ولم يكن همه بناء الجسور، وشق القنوات، بقدر ما كان يهمه قيادة روح الشعب وفكره[1].

على أن نظرية التفويض الإلهي لم تسقط بدخول إيران في الإسلام، بل ظلت موجهة للشخصية الإيرانية، وتجلت آثارها في الحركات الاستقلالية عن الخلافة الإسلامية، وفي حركة الشعوبية، وفي الدويلات الإيرانية التي حكمت أجزاء من العالم الإسلامي، كما تجلت في قيام الدولة الصفوية، وإعلانها المذهب الشيعي الاثنى عشري مذهبًا رسميًا لإيران وسيلة لربط السياسة بالدين.

ولقد ظلت هذه النظرية تحرك الأمور في إيران خلال العصور الحديثة، ويمكن

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٢٥٣، وخطَّاب، قادة فتح بلاد فارس، ص٢٠. للمزيد، انظر: دورية مختارات إيرانية، العدد ٤٧، يونيو ٢٠٠٤م.

الرجوع إلى أقوال حكام إيران لتأكيد هذا المعنى، سواء قبل الثورة الإسلامية أو بعدها[١].

كما تحكم الشخصية الإيرانية وتبلور ملامحها نظرية الإثينية؛ لأنها تضبط التوازي القائم بين الناس والأشياء، خاصة تلك التناقضات التي كثيرًا ما تحكم هذه العلاقات، وهذه النظرية تضرب في عمق الشخصية الإيرانية منذ استطاع كهنة الدين والزرادشتي أن يجعلوا للديانة إلهين؛ أحدهما للخير هو أهورامزادا، والآخر للشر هو أهرمين، يتقاسمان العالم، ويدور بينهما وبين أنصارهما صراع دائم عبر التاريخ لا يحسم إلا مع ظهور مبعوث الزمان، وتبدو نظرية الإثينية هذه واضحة في الحضارة الإيرانية وفكرها وآثارها، حيث سمحت للإيرانيين أن يقدسوا الماء والنار معًا، وأن يقدروا الرسول (عليه السلام) وابن عمه علي بن أبي طالب بنفس القدر بعد الإسلام، ولقد انعكست هذه النظرية إلى حد كبير في سلوكيات الفرد والمجتمع، وسارت التقية الفردية والسياسية والجماعية أقرب إلى العقيدة منها إلى السلوك[٢].

(١) براون، تاريخ الأدب في إيران، ص٢٤٠.

(٢) كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين، ص١٠٣.

***الصورة التي رسمتها الكتب المدرسية من خلال النصوص السابقة:**

أولاً: صورة الفرس:

حاولت الكتب المدرسية إظهار الفرس بصورة نمطية اعتاد عليها مثل هؤلاء الكتاب، فالفرس شعب نقي العرق (آري)، استقر في بلاد إيران، واستطاع أن يؤسس حضارة عالمية استفادت منها كل الشعوب.

إن الفرس كانوا دائمًا يبحثون عن السلام والأمن، لكن أطماع جيرانهم من الروم واليونان دفعتهم إلى تشكيل الجيوش، وإعدادها لمواجهة الخطر الخارجي، ولما لم تفلح جهودهم مع جيرانهم شنوا عليهم الغارات والحروب حتى استطاعوا إخضاعهم تحت سيطرتهم.

بعد دخول الإسلام إلى بلاد فارس، فإن الفرس دخلوا بالدين الجديد عن عقيدة واقتناع؛ لذلك ساهموا أكثر من غيرهم في نشر الدين الجديد، ودافعوا عنه.

ولكن لما حدث الخلاف حول منصب الخلافة؛ فإن الفرس وقفوا إلى جانب آل البيت، الذين هم أحق بالخلافة من غيرهم، بناءً- على الوصية المزعومة- من النبي لآل البيت بالخلافة من بعده.

ارتبط الفرس بآل البيت على الدوام إمامًا تلو إمام، إلى الإمام الثاني عشر (المنتظر)، الذي غاب في السرداب، وهم ينتظرونه إلى يومنا هذا.

ولأجل رعاية مصالح المسلمين؛ فإن الخميني استحدث منصب ولاية الفقيه للقيام بهذا الأمر لحين ظهور الإمام.

ثانيًا: صورة آل البيت:

- أن الرسول ﷺ كان متصلاً بالله تعالى عن طريق الوحي، وكان يأخذ الأحكام المتينة للإسلام من الله، ويبلغها للناس، ولكن كانت تواجهه مشاكل عديدة، فلم يستطيع الرسول أن يعلم التعاليم الرفيعة للدين إلى الناس بشكل كامل، وكان مضطرًا أن يخاطب الناس على مستوى قدرتهم على الفهم والإدراك، وكان يستغل الوقت المناسب لتعليمهم وتربيتهم.

- رسول الله بالإضافة إلى تعليم وتربية عامة الناس، قام بتربية علي بن أبي طالب منذ طفولته، وأوصل نفسه الزكية إلى مرحلة الرشد، وتعلم العلم الإلهي، وتفتحت عيونه نحو علم الغيب. والأئمة الآخرون أيضًا مثل علي ﷺ استفادوا العلوم الدينية من منبع الفيض الإلهي، وارتبطت نفوسهم الطاهرة بعلم الغيب، وكلامهم كان كلام الرسول الطاهر والروحي، قال الإمام الصادق عليه السلام: "حديثي هو حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الإمام حسين، وحديث الإمام حسين حديث الإمام حسن، وحديث الإمام حسن حديث أبيه أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله، وحديث رسول الله هو كلام الله تعالى".

- أن علي بن أبي طالب ﷺ، والأئمة من بعده عينوا حسب وصية الرسول، وتعلموا كنوز العلم، ويجب على المسلمين أن يلجئوا إليهم؛ ليؤمنوا سعادة دنياهم وآخرتهم.

- أن أئمة آل البيت تعرضوا للظلم والاضطهاد على يد أهل السنة (الأمويين) و(العباسيين)، فقُتل البعض، وسُمَّ البعض الآخر؛ لذا، وخوفًا من ظلم

العباسيين اختفى الإمام الثاني عشر، لكن اختفاءه كان بأمر من الله. واستمرار النضال حُوِّل إلى علماء الدين ونواب الإمام الثاني عشر، هؤلاء وبتوجيه من هذا الإمام الغائب؛ فإن واحدًا تلو الآخر كانوا يناضلون ضد حكومات الظلم، ومن بعده، فإنه كان يسلم الراية إلى عالم ومرجع آخر، هذا الظلم استمر حتى وقتنا هذا، فقد تحقق النصر على يد فقيدنا القائد نائب إمام الزمان، حضرة آية الله العظمى، الإمام الخميني، وسوف يستمر حتى النصر الكامل على عالم الكفر والظلم والغطرسة، وقلع شوكة أي نوع من الظلم والاستبداد، وظهور حضرة ولي العصر، وتحقيق الحكومة الإسلامية العالمية.

ثالثًا: صورة العرب:

يفهم بأن أهل السنة هم الذين وقفوا موقف المعارض والمعادي للعلويين.

القيم التي أراد النص غرسها في نفس الطلاب:

- إن الشعب الإيراني شعب عريق (آري)، نقي الدم، متفوق على غيره من الشعوب المجاورة (العرب).

- أن هذا الشعب وبهمته العالية وطموحاته صار مطمعًا لجيرانه، لكنه تصدى لهم بحزم وقوة، حتى غزا بلادهم.

- أن الإيرانيين بعد أن دخل الإسلام بلادهم دخلوا فيه عن اقتناع، وساهموا بدور مهم في نشره والدفاع عنه.

- أن الإيرانيين وقفوا إلى جانب العلويين الذين ظُلموا من قبل أهل السنة، والذين أوصى الرسول ﷺ لهم بالإمامة من بعده.

- الأئمة معصومون، وهم مستودع العلم الإلهي.

- الأئمة يعلمون الغيب.

- ولاية الفقيه عقيدة يجب الإيمان بها لحين خروج الإمام المنتظر.

المنهج الذي كُتب به النص:

يلاحظ من القراءة المتأنية لنصوص الكتب المدرسية، أن كاتب هذه الكتب ومؤلفها كان يؤلف المناهج ونظرية التفوق العرقي على الغير مسيطرة على عقله وقلبه قبل قلمه، لذ جاءت صورة الإيرانيين بيضاء ناصعة كنقاء عرقهم الآري.

لذا فإن المنهجية المتبعة في كتابة نصوص الكتب المدرسية قامت على:

أولاً: اجتزاء الروايات والنصوص التي تظهر دور الفرس بمعزل عن العناصر الأخرى في صنع مجريات الأحداث التاريخية، بحيث تظهر للقارئ أنه لولا الفرس لما قامت الحضارة الإنسانية، ولولا وجود الفكر والنظام الفارسي لبقيت بلاد مجهولة الحضارة، ولولاهم بعد أن دخلوا في الدين الإسلامي لما قامت كذلك للمسلمين حضارة.

ثانيًا: حاول النص أن يوجد اقترانًا وارتباطًا لا تنفصم عراه بين الفرس وآل البيت، فالفرس وقفوا إلى جانب آل البيت وناصروهم ضد العرب: (يعنون بني أمية وبني العباس)، ولأجل ذلك فقد قدموا التضحيات الكثيرة من دمهم وزعمائهم.

ثالثًا: أورد النص أحاديث مكذوبة على النبي ﷺ تخدم فكر الفرس والمغالين من الشيعة، من ذلك: "أن رسول الله قال له يومًا: "يا علي، اكتب ما أقوله"، قلت: يا

رسول الله، أتخاف أن أنسى؟ قال: "لا، أخاف أن تنسى أنت؛ إرادة الله أن تكون أنت حافظًا لأحكام وعلوم الدين، لكن هذا ليس لك وحدك، ولكن إنها للأئمة من بعدك، لذلك اكتب".

رابعًا: الملاحظ أيضًا على منهجية كاتب النص أنه اعتمد اعتمادًا كبيرًا على مصادر فارسية وشيعية مغالية.

خامسًا: قام منهج الكاتب على التعصب الواضح للفرس، من خلال إبراز دورهم، والمبالغة في ذلك في صنع أحداث التاريخ.

الإمامة والقيادة في الإسلام

تقول الكتب المدرسية: "الدين الإسلامى الحنيف دين شامل يهتم بكل نواحى الحياة، ومرشد لبرامج الحياة. هذا الدين كما اهتم بالأمور الشخصية اهتم أيضًا بالأمور الاجتماعية، ووضع البرامج لإدارة المجتمع، بهذا التوضيح نستطيع أن نشاهد أحكام وتعاليم الدين من وجهتى نظر، الأولى: أن الأوامر الإسلامية تهتم بالأمور الشخصية للأفراد، مثل الصلاة، الصيام، الحج، الطهارة، والثانية: الأحكام والأوامر الاجتماعية، مثل الجهاد، الدفاع، القضاء، الحدود، الدية والقصاص، الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، بالرغم من أن هذه الأوامر الفردية لها جوانب وفوائد اجتماعية وسياسية، فهى أيضًا تتضمن برامج اجتماعية بالإضافة إلى الناحية الشخصية، والفائدة الفردية. هذان القسمان قريبان لبعضهما جدًا، بل متلاصقان.

القوانين الاجتماعية والسياسية الإسلامية وجدت لإقامة العدالة بين الناس، ولإحلال النظام والأمن العام، والمحافظة على المجتمع، القوانين الاجتماعية والسياسية الإسلامية تضمن بقاء وسعادة ورفاهية المجتمع، حتى يستطيع أفراد المجتمع أن يقوموا بواجباتهم العبادية على أكمل وجه"(١).

وتضيف: "لتنفيذ وإجراء القوانين الاجتماعية والسياسية الإسلامية، فهى بحاجة إلى منظمات وهيئات حكومية، يجب على أفراد المجتمع الإسلامى، وفي ظل الهيئات الحكومية الإسلامية، أن ينسجموا ويأخذوا على عاتقهم تنفيذ القوانين الاجتماعية والسياسية الإسلامية، وينفذوها بحزم وقوة، وبهذا فإنهم يحققون الأمن

---

(١) فرهنك إسلامي وتعليمات ديني، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلي، ص ٧٠.

بين الأمة الإسلامية، وجود منظمات ضروري لإدارة كل البلاد، ولكن بفرق، وهو أنه في الدول الإسلامية يجب أن تكون هذه المنظمات والهيئات الحكومية مبنية على الأسس الإسلامية، ويجب أن يكون قائدهم رجل متدين ويعرف الدين، ومعتدل، وقد اختاره الله لهذا المنصب، وأهم ركائز الدين الإسلامي الإمامة"[1].

كيف كانت الحكومة الإسلامية في عهد رسول الله حسب ما أوردته هذه الكتب؟

"في عهد رسول الله كانت قيادة المجتمع في عهدته، كان الرسول يطبق القوانين الاجتماعية والسياسية الإسلامية، وكان يدير المجتمع، كان يصدر أوامر الجهاد والدفاع، ويعين قادة الجيش، وكان هو القائد الأعلى للجيش، كذلك كانت تتم أحكام القضاء والتحكيم تحت إشرافه، كان يدرب القضاة ويرسلهم إلى القرى والمدن القريبة والبعيدة؛ ليحكموا بين الناس، ويحلوا مشاكلهم طبق القواعد والمعايير الإسلامية، وينفذوا حدود الله، وكذلك كان بيت المال وتوزيع غنائم الحرب بعهدة رسول الله، كان بيده جميع أبعاد الحكومة.

بالإضافة إلى ما ذكر، كان لرسول الله اتصال خاص مع الله، كانت يتلقى القوانين والبرامج الإلهية عن طريق الوحي، ويبلغها للناس، ولكن في النهاية انتهى عمر رسول الله، وانتقل إلى العالم الآخر"[2].

---

(١) المصدر نفسه ص ٧٠-٧١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧١.

الحكومة الإسلامية بعد وفاة رسول الله حسب ما تقوله الكتب المدرسية

"من يجب أن يحافظ على أحكام وقوانين الدين بعد وفاة رسول الله؟ هل يحتاج العالم الإسلامى بعد وفاة الرسول إلى قائد ورئيس حكومة؟ هل يمكن أن يترك الرسول المجتمع والشباب المسلمين بدون مرشد وقائد وإمام، وبعد كل الاهتمام الذي أولاه الرسول للمحافظة على الإسلام وإدارة أمور المجتمع الإسلامى، عرف الرسول الدين الإسلامى بالدين الخالد، وأحكامه وقوانينه ستبقى خالدة، إذن كيف لم يعين حارسًا لحفظ أحكام هذا الدين الدائم؟ هو لم يرسل أبدًا جندًا بدون قائد، وحتى إنه كان يعين عدة أشخاص بالترتيب لقيادة الجند من باب الاحتياط؛ ليكون في حالة استشهاد القائد الأول يتولى الآخر إدارة الجند، كيف يمكن أن يترك المجتمع وشرع الإسلام من دون ولي وقائد وزعيم؟ حتى لو أنه كان يريد السفر لعدة أيام كان يعين شخصًا لإدارة أمور المسلمين في أثناء غيابه.

كان الرسول ينظر إلى المستقبل باهتمام كبير، وإلى إدارة شئون المسلمين الاجتماعية والسياسية للأمة، هل نستطيع أن نقول أنه تجاهل ضرورة وجود إمام وقائد؟ الرسول كان يعلم أكثر من أي شخص آخر ضرورة وجود إمام لاستمرار الخط الأصيل للإسلام، الرسول يعلم جيدًا إلى أي حد يلزم وجود قائد يعرف أحكام وقوانين الإسلام؛ لحفظ وحماية المجتمع الإسلامى، وهو يعلم أيضًا من الشخص الجدير للقيام واستمرار مهمات الرسول"[١].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٧٢-٧١.

اعتقادنا:

تقول نصوص الكتب المدرسية: "نحن نعتقد- وبحق- أن الرسول لم يهمل هذا الأمر الهام والحساس، بل إنه أكد وفي عدة مواقع، وفي الكثير من المواقع الهامة والحساسة، أكد على هذا الأمر الهام، هذا الموضوع كان من وجهة نظر الرسول أساسى ومهم، وفي أول مرة أعلن فيها دعوته لأقاربه في منزله أشار وأكد- بشكل واضح- إلى موضوع خلافة على بن أبي طالب. الرسول ولآخر لحظات حياته في هذه الدنيا، وفي الأوقات المناسبة كان يذكر على بن أبي طالب على أنه خليفته، وولي وقائد المجتمع الإسلامى، وبالنهاية أيضًا، وفي غدير خم أعلن الأمر الإلهى، وأوصى- بشكل كامل- أمام آلاف المسلمين الذين كانوا عائدين من الحج بوصايته وإمامته.

أيضًا على بن أبي طالب- وبناء على أمر الرسول الكريم- أعلن ابنه حسنًا إمامًا من بعده، وكذلك كان كل إمام يعرف الإمام من بعده، حتى وصل الدور إلى الإمام الثاني عشر، ولكن ولي العصر وإمام المسلمين ما زال حيًا حتى الآن، ولكنه الآن في حالة غياب".[1]

(١) المصدر نفسه، ص ٧٢.

في زمان الغيبة

تبرر الكتب المدرسية موضوع القيادة في زمن الغيبة فتقول: "في زمن غيبة سيدنا ولي العصر، فإن القيادة والولاية بعهدة (الفقيه العادل)، ويجب أن يكون عالمًا بالزمان، وشجاعًا، وعلى دراية وتدبير، الكثير من الناس قبل بقيادته وولايته، شخص كهذا نائب لإمام العصر، حضرة الحجة بن الحسن، ليبيّن قوانين وأحكام الدين، وبقيادته يرشد المجتمع إلى الوجهة الفعلية، ولسعادة الدنيا والآخرة، ويوضح عزة وقدرة الإسلام، ويهيئ القلوب لظهور حضرة ولي العصر".[(١)]

ثم يختم الدرس في أربع نقاط مهمة:

١- الإمامة والقيادة مهمة لحفظ وتنفيذ القوانين الاجتماعية والسياسية للإسلام وإقامة العدالة.

٢- في عهد رسول الله كانت قيادة المجتمع الإسلامى الحديث في عهدة الرسول، وكانت قيادة المجتمع وإدارة كافة أمور الحكومة الإسلامية في عهدته.

٣- تعيين إمام للمجتمع الإسلامى على قدر من الأهمية والحساسية، لدرجة أن الرسول وفي عدة مرات عين على بن أبي طالب، وبأمر من الله تعالى، بصفة خليفته، وولي عهده، وإمام وقائد المسلمين.

٤- في زمان غيبة ولي العصر، فإن ولاية المجتمع الإسلامى بعهدة الفقيه العادل، ويجب أن يكون تقيًا، وعالمًا بالزمان، وشجاعًا، وعلى دراية وتدبير، الكثير من الناس قبل بقيادته وولايته، شخص كهذا نائب لإمام العصر.

---

(١) المصدر نفسه، ص ٧٣.

آية من القرآن الكريم:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾

تحليل النص:

إن القضية الأساسية التي ركز عليها الشيعة الإمامية هي قضية الإمامة، ومن ثم حاولوا أن يثبتوا إمامة علي ﷺ وخلافته عن الرسول (عليه الصلاة والسلام)، وأنه مستحق لهذه الخلافة، لا عن طريق الكفاية وحدها، كما يقول بقية المسلمين، ولا عن طريق ما ورد عن النبي (عليه الصلاة والسلام)، من أوصاف لا تنطبق إلا عليه، كما يقول الزيدية، بل عن طريق النص عليه بالاسم والتعيين المباشر، وذهبوا إلى أن النبي (صلوات الله وسلامه عليه) عين عليًا للإمامة، وهو بدوره يعين من بعده بوصيته من النبي ﷺ، ويسمون بالأوصياء، ثم رأوا أن الأئمة هم علي وأبناؤه من فاطمة على التعيين واحدًا بعد واحد في نهاية السلسلة، التي أشرنا إليها من قبل، وأن معرفة الإمام أصل من أصول الإيمان، واحتجوا لذلك بأنه ليس في الإسلام أمر أهم من تعيين الإمام، ولم يكن للنبي أن يفارق الدنيا قبل أن يحسم هذا الأمر، بأنه إنما بعث لرفع الخلاف، وتقرير الوفاق، فلا يجوز أن يفارق الأمة، ويتركهم هملاً يرى كل واحد منهم رأيًا، ويسلك كل واحد منهم طريقًا لا يوافقه في ذلك غيره، بل يجب أن يعين شخصًا هو المرجوع إليه، وينص على واحد هو الموثوق به، والمعول عليه، وقد عيّن عليًا ﷺ في مواضع تعريفًا، وفي مواضع تصريحًا"[٢].

(١) فرهنك إسلامي وتعليمات ديني، سال دوم، دوره‌ء راهنمايي تحصيلي، ص ٧٣.

(٢) الشهرستاني، ج١، ص١٦٢.

ويذهب الكاتب الشيعي، سعد القمي، إلى أن النبي ﷺ نص على إمامة علي، وأشار إليه باسمه وعينه، وقلد الأمة إمامته، وأقامه ونصبه لهم علمًا، وعقد له عليهم إمرة المؤمنين، وجعله وصيّه وخليفته ووزيره في مواطن كثيرة.(١).

ويعتقد الشيعة الإمامية الاثنا عشرية أن نص النبي ﷺ على إمامة علي لا يقتصر عليه، بل يتسلسل في الأئمة الاثني عشر من ولده، ويذهب المسعودي إلى أن أهل الإمامة انفردوا بالقول بأن: "الإمامة لا تكون إلا نصًا من الله ورسوله على عين الإمام واسمه واشتهاره كذلك. وفي سائر الأعصار لا تخلو الناس من حجة لله فيهم ظاهرًا أو باطنًا". وبعد أن أورد المسعودي فضائل علي، والنصوص الواردة في إمامته يقول: "وإن عليًا نصَّ على ابنه الحسن، ثم الحسين، والحسين على علي بن الحسين، وكذلك من بعده إلى صاحب الوقت الثاني عشر"(٢).

وقد أكد الشيعة أن الإمامة لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان النبي (عليه الصلاة والسلام)، أو لسان الإمام الذي قبله(٣)، وليست هي بالاختيار والانتخاب من الناس. وبناء على هذا يذهب هؤلاء إلى القول ببطلان إمامة من تقدم على علي ﷺ، فالشيعة تقول-كما جاء في رواية الطوسي-: "إن من تقدم على أمير المؤمنين (ع) لا يصلح للإمامة"(٤)، ويرى هؤلاء الشيعة أن إمارة المؤمنين سلبت من علي بمؤامرة دبرها جماعة من بينهم أبو بكر وعمر، وذات مرة سمع

---

(١) المقالات والفرق، ص١٦.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص ٢٣٧- ٢٣٨.

(٣) محمد رضا المظفر، عقائد الإمامية، ص٦٦.

(٤) الطوسي، تلخيص الشافي، ج٣، ص٩٦.

الحارث بن الحصيرة الأسدي الإمام الباقر يقول: "كنت دخلت مع أبي الكعبة، فصلى على الرخامة الحمراء بين العمودين فقال: في هذا الموضع تعاقد القوم إن مات رسول الله ﷺ أو قتل، ألا يردوا هذا الأمر في أحد من أهل بيته أبدًا، قال: ومن كان؟ قال: كان الأول والثاني وأبو عبيدة بن الجراح وسالم بين الحبيبة"(١).

وقد دافع الشيعة عن هذا المعتقد دفاعًا حارًا، فأوردوا العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وساقوا بعض الوقائع عن النبي ﷺ، واستنبطوا أدلة عقلية كثيرة، كل ذلك ليثبتوا أن عليًا رضي الله عنه متميز عن غيره من الصحابة، وأنه مفضل عليهم، وأن النبي ﷺ عيّنه من أجل ذلك ليكون خليفة له من بعده. وسنكتفي في هذا المجال بالإشارة إلى نماذج من هذه الحجج والبراهين التي استند إليها الشيعة، وبيان قيمتها ومدى حجيتها في إثبات معتقدهم. فمن بين ما استدل به الشيعة: ما يروونه من أنه حين نزلت الآية القرآنية: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤] جمع النبي ﷺ بني هاشم وأنذرهم قائلاً: "أنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان، ثقيلتين في الميزان، تملكون بهما العرب والعجم، وتنقاد لكم بهما الأمم، وتدخلون بهما الجنة، وتنجون بهما من النار: شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فمن يجيبني إلى هذا الأمر، ويؤازرني على القيام به؛ يكن أخي ووزيري ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدي"، فلم يجبه أحد منهم، فقال أمير المؤمنين: أنا يا رسول الله، أؤازرك على هذا الأمر، فقال: "اجلس"، ثم أعاد القول على القوم ثانية وثالثة، فلم ينطق أحد منهم بحرف، فقام علي وقال: أنا أؤازرك يا رسول الله على هذا الأمر، فقال: "اجلس، فأنت أخي ووزيري ووصيي ووارثي وخليفتي من

---

(١) الكليني، الكافي، ج٤، ص ٥٤٥.

بعدي"، فنهض القوم وهم يقولون لأبي طالب: ليهنك اليوم أن دخلت في دين ابن أخيك، فقد جعل ابنك وزيرًا عليك[١].

وقد ذهب الشيعة إلى أن هذا نص جلي بتعيين علي خليفة من بعد النبي ﷺ، وقد رفض ابن تيمية رواية الشيعة للحديث، وذكر أنها لم ترد في الكتب التي تقوم بها الحجة كالصحاح والمسانيد، بل إنها لم ترد في كتب السنن والمغازي والتفسير، ومن ثم فإن الحديث بالصورة التي رواه بها الشيعة كذب موضوع، ونصه مفتري على النبي ﷺ، ولا تصح نسبته إليه[٢] وقد ذكر هذه الرواية ابن كثير في تفسيره لسورة الشعراء، فقال: "وقد رواه أبو جعفر بن جرير، عن ابن حميد، عن سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الغفار بن القاسم بن أبي مريم، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس، عن علي بن أبي طالب... وبعد أن ذكر الحديث كما ورد أعلاه، عقَّب عليه قائلاً: "تفرد بهذا السياق عبد الغفار بن أبي مريم، وهو متروك كذاب شيعي، اتهمه علي بن المديني وغيره بوضع الحديث، وضعفه الأئمة- رحمهم الله-"[٣]، وقد قال الذهبي في ميزان الاعتدال: "عبد الغفار بن القاسم أبو مريم الأنصاري رافضي ليس بثقة، قال علي بن المديني: كان يضع الحديث، ويقال كان من رءوس الشيعة، قال أحمد: كان أبو مريم يحدث ببلايا في عثمان، وقال أبو حاتم والنسائي وغيرهما: متروك الحديث"[٤]، وهذا يؤيد ما ذهب إليه ابن تيمية من أن ما ورد من هذه الرواية ضعيف جدًا، ومن ثم لا يصح الاحتجاج بها. ويذهب الرازي

(١) الطبرسي، مجمع البيان، ج١٩، تفسير الآية ٢١٤.

(٢) منهاج السنة، ج٤، ص٨١- ٨٤.

(٣) تفسير القرآن الكريم، ج٣، ص ٣٥١.

(٤) الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٢، ص٦٤٠.

إلى أنه ليس في الحديث إن صحت رواية الشيعة، دلالة على تعيين "علي"، أو الوصية له؛ لأن النبي ﷺ قال: "خليفتي فيكم"، ولم يقل: "خليفتي فيكم من بعدي" كما زعمه الشيعة، ولو قال ذلك لكانت نصًا جليًا. ويشير الرازي إلى أن الشيعة الزيدية ينكرون النص الجلي على "إمامة علي" مع أنهم من أشهر الناس حبًا لأمير المؤمنين(١).

ومما احتج به الشيعة: قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ** ﴾ [المائدة:٥٥]، إذ ذهبوا إلى أن الآية تنص على أن الذي يلي أمر الناس، ويدبر أمورهم، ويتولى مصالحهم هو الله تعالى ورسوله والذين آمنوا، وقد حدد وصف "الذين آمنوا" بأنهم الذين يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة وهم في حالة ركوعهم، وقد ثبت أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب حين تصدق بخاتمه على فقير وهو راكع، ولم يفعل غيره ذلك، مما يدل على أنه المعني بولاية المؤمنين(٢)، ويؤيد هذا- في رأيهم- أحاديث تذكر هذه الحادثة، وتربط بها نزول هذه الآية، ويقول الطوسي: "اعلم أن هذه الآية من الأدلة الواضحة على إمارة أمير المؤمنين (عليه السلام)، ووجه الدلالة فيها أنه قد ثبت أن الولي في الآية بمعنى الأولى والأحق، وثبت أيضًا أن المعنى بقوله: (والذين آمنوا) أمير المؤمنين (عليه السلام)، فإذا ثبت هذان الأصلان دلَّ على إمامته؛ لأن كل من قال: إن معنى الولي في الآية ما ذكرناه قال: إنها خاصة فيه، ومن قال باختصاصها فيه عليه السلام قال: المراد بها الإمامة(٣).

---

(١) الرازي، نهاية العقول، ص٢٥.

(٢) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج٤، ص ٢.

(٣) الطوسي، التبيان، مجلد ٣، ص ٥٤٩.

وقول الشيعة بأن هذه الآية نزلت في علي غير صحيح، بل إن الأحاديث الثابتة الصحيحة تبين أن هذه الآية وما قبلها من الآيات التي تتحدث عن الولاء نزلت في عبادة بن الصامت ﷺ حين تبرأ من ولاية اليهود، ورضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين، ولهذا قال الله تعالى بعد هذا: ﴿ **وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ** ﴾ [المائدة:٥٦]، فالآية إذن عامة للمسلمين جميعًا، تحثهم على إخلاص الولاء لله ورسوله، وولاء بعضهم لبعض[١].

أما الآثار التي أوردها الشيعة، وربطوا فيها نزول الآية بعلي وحادثة تصدقه بخاتمه وهو راكع، فقد ذهب ابن كثير إلى أنه لا يصح فيها شيء بالكلية؛ لضعف أسانيدها، وجهالة رجالها[٢]، هذا بالإضافة إلى أن فهم الشيعة للآية لا يستقيم ومقررات الشرع. وقد بين ابن كثير ذلك بقوله: "وقد توهم بعض الناس أن هذه الجملة (وهم راكعون) في موضع الحال من قوله: (ويؤتون الزكاة)، "أي حال ركوعهم"، ولو كان هذا كذلك لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره؛ لأنه ممدوح، وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء ممن نعلمه من أئمة الفتوى"[٣]. ويذهب الشوكاني إلى أن مما يدفع هذا الفهم للآية عدم جواز إخراج الزكاة في تلك الحال[٤]، وغاية ما في الآية، كما يقول ابن تيمية، أن المؤمنين عليهم موالاة الله ورسوله والمؤمنين، فيوالون عليًا من جملة المؤمنين، وهذا هو المعنى

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص٦٨، ٦٩، ومنهاج السنة النبوية، ج٤، ص ٤، ٥.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص٧١.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٧١.

(٤) الشوكاني، فتح القدير، ج٢، ص٥١.

الواضح للولاية في هذه الآية، وليس المراد بها الإمارة كما ذهب الشيعة[١].

ومما احتج به الشيعة أيضًا حديث "الكساء"، الذي ورد في إحدى رواياته عن أم سلمة، زوج النبي (عليه الصلاة والسلام)، أن قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ [الأحزاب:٣٣]، نزلت في بيتها، وقالت: إنها سألت الرسول ﷺ: أليست من أهل البيت؟ فقال: "إنك على خير، من أزواج النبي" (عليه الصلاة والسلام)، وكان في البيت رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين، فجللهم بالكساء، وقال: "اللهم أهل بيتي؛ فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرًا[٢]. وقد ذهب الشيعة إلى أن الآية نزلت في حق علي وفاطمة والحسن والحسين بنص هذا الحديث، ومن ثم فهي تدل على عصمتهم دلالة مؤكدة، وغير المعصوم لا يكون إمامًا[٣].

وحديث "الكساء"، كما يقول ابن تيمية، صحيح، رواه أحمد والترمذي من حديث أم سلمة، ورواه مسلم[٤] في صحيحه من حديث عائشة قالت: "خرج النبي ﷺ غداة وعليه مِرْط* مُرَحَّلٌ من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم قال: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾. ويذهب ابن تيمية إلى أن هذا الحديث قد شرك عليًا فيه فاطمة وحسن وحسين ﷺ، فليس هو من

(١) منهاج السنة النبوية، ج٤، ص٨.

(٢) منهاج السنة النبوية، ج٤، ص٢٠.

(٣) الطبرسي، مجمع البيان، ج٢٢، ص١٣٧-١٣٩.

(٤) نص الحديث من رواية مسلم، وانظر صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ، ج٧، ص١٣٠.

* **المرط**: كساء من صوف أو خزٍّ يؤتزر به، أو يتلفع به.

خصائصه، ومعلوم أن المرأة لا تصلح للإمامة، فعلم أن هذه الفضيلة لا تختص بالأئمة، بل يشركهم فيها غيرهم، ثم إن مضمون الحديث لا يقتضي العصمة، بل يتضمن أن النبي ﷺ دعا لأهل بيته المذكورين أن يذهب الله عنهم الرجس، ويطهرهم تطهيرًا، وغاية ذلك أن يكون دعاء لهم بأن يكونوا من المتقين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم(١).

واستشهد الشيعة أيضًا بقول الله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ [الشورى:٢٣]، وأوردوا في تفسير هذه الآية حديثًا عزوه إلى النبي ﷺ، حدد فيه القربى بعلي وفاطمة وأبنائهما، الأمر الذي يدل- في رأي الشيعة- على أفضليتهم، ووجوب مودتهم، ومن ثم وجوب طاعتهم واتخاذهم أئمة دون غيرهم(٢).

وقد تتبع ابن كثير أيضًا الأحاديث الواردة في تفسير هذه الآية، وبين أن الأحاديث التي تنص على أن أولي القربى هم فاطمة وولداها، ضعيفة الإسناد، وأورد رواية عن ابن أبي حاتم قال: حدثنا رجل سماه، حدثنا حسين الأشقر، عن قيس، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﷺ قال: "لما نزلت هذه الآية: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا ..﴾- الآية- قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم؟ قال: "فاطمة وولداها" ﷺ. وهذا إسناد ضعيف فيه متهم لا يُعرف، عن شيخ شيعي مخترق، وهو حسين الأشقر، ولا يقبل خبره في هذا المحل. وذِكْر نزول الآية في المدينة بعيد؛ فإنها مكية، ولم يكن إذ ذاك لفاطمة (رضي الله

(١) منهاج السنة النبوية، ج٤، ص٢٠-٢٣.

(٢) الطبرسي، مجمع البيان، ج٢٥، ص٤٩-٥١، ومختصر التحفة الاثني عشرية، ص١٥٤.

عنها) أولاد بالكلية؛ فإنها لم تتزوج بعلي إلا بعد بدر من السنة الثانية من الهجرة، وتفسير هذه الآية بما فسرها به حبْر الأمة وترجمان القرآن، عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما)، كما رواه عنه البخاري"(١).

ومما تمسك به الشيعة أيضًا حديث "غدير خُمْ"، الذي يقال أنه حينما نزلت الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [المائدة:٦٧]، كان الرسول (عليه الصلاة والسلام) في طريق عودته من حجة الوداع، فلما بلغ "غدير خُمْ" وهو اسم لغيضة على ثلاثة أميال من الجحفة، ويقع بين مكة والمدينة، أخذ بيد علي وخاطب جماعة المسلمين قائلاً: "يا معشر المسلمين، ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى، قال: "من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا هل بلغت؟" ثلاثًا. وزعمت الشيعة بأن هذا نص صريح في ولاية علي، وفسروا المولى هنا بمعنى الأوْلَى بالتصرف، وذهبوا إلى أن كونه أولى بالتصرف عين الإمامة"(٢).

والحديث بهذه الصورة لم يرد في أمهات الكتب، وأورد الترمذي جزءًا منه،

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص١١٢. ونص حديث ابن عباس- كما ورد في البخاري- قال: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عبد الملك بن ميسرة قال: سمعت طاوسًا عن ابن عباس- رضي الله عنهما- أنه سُئل عن قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾، فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد ﷺ، فقال ابن عباس: عجِلت، إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة. صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿ إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾، حديث رقم ٣٤٩٧.

(٢) الطبرسي، مجمع البيان، ج٦، ص١٥- ١٥٣.

وهو: "من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه"، ووصف الإمام أحمد باقي الحديث بأنه زيادة كوفية[١]. وما صح من هذا الحديث ليس فيه دلالة على تعيين علي للإمامة؛ لأن تفسير الشيعة للمولى هنا المحبة، أو دخول علي في ولاية المسلمين العامة المنبثقة من الإيمان، والتي تجب على كل مسلم، وهذا مما لا غبار عليه، ولا يستلزم أحقيته في خلافة الرسول ﷺ دون من عداه[٢].

والأحاديث التي أوردها الشيعة في فضائل علي، واستندوا عليها في القول بإمامته بعضها صحيح، ولكنه لا يسند دعواهم تلك، ومعظمها موضوع لا أساس له ولا سند.

ومن الأحاديث الصحيحة التي حاولوا الاستدلال بها ما يعرف بينهم بحديث: "المنزلة"، والذي ورد فيه أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف عليًا، فقال علي: "أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: "ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون

---

(١) روى الإمام أحمد في المسند (٤/ ٢٨١) عن البراء بن عازب، أن رسول الله ﷺ لما نزل بغدير خُمّ (بضم الخاء وتشديد الميم)- اسم لغيضة على ثلاثة أميال من الجحفة- أخذ بيد علي فقال: "ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟"، قالوا: بلى، قال: "ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟"، قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي فقال: "من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه"، فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئًا يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة". وهذا الحديث سنده ضعيف. ولقد رواه الإمام أحمد من طرق أخرى، حديث رقم ٥٦٧٩، وكلها عن زيد بن أرقم نحوه، دون قوله: فلقيه عمر... وبالجملة فالمرفوع من الحديث صحيح، أي دون قول عمر ﷺ، ورواه الترمذي بسند صحيح بلفظ: "من كنت مولاه فعلي مولاه". حديث رقم ٣٧١٣، أما زيادة: "وانصر من نصره.." إلى آخر الحديث، فلم ترد عند أحمد ولا غيره.

(٢) مختصر التحفة الاثني عشرية، ص ١٥٩-١٦٢.

من موسى، إلا أنه ليس بعدي نبي"[١].

وذهب الشيعة إلى أن في هذا الحديث دلَّ النبي على إمامة علي، وذهب سعد القمي إلى أن النبي أعلمهم أن منزلته منه منزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعده، وإذ جعله نظير نفسه في حياته، وأنه أولى بهم بعده، كما كان هو ﷺ أولى بهم منهم بأنفسهم؛ إذ جعله في المباهلة كنفسه[٢]. ويقول أبو حنيفة النعمان الإسماعيلي: "ولا يقتضي قول رسول الله ﷺ لعلي "ع": "أنت مني بمنزلة هارون من موسى"، إلا أنه خليفته في أمته، كما قال موسى لهارون: أخلفني في قومي[٣]. ويرى الشيخ المفيد أن حديث المنزلة نص لا خفاء فيه على إمامة علي؛ لأن رسول الله ﷺ حكم له بالفضل على الجماعة، والنصرة والوزارة والخلافة في حياته وبعد وفاته، والإمامة له بدلالة أن هذه المنازل كلها كانت لهارون من موسى في حياته، وإيجاب جميعها لأمير المؤمنين، إلا ما أخرجه الاستثناء منها ظاهرًا، وأوجبه بلفظه له، من بعد وفاته، بتقدير ما كان يجب لهارون من موسى لو بقى بعد أخيه، فلم يستثنه النبي ﷺ، فبقي لأمير المؤمنين بعموم ما حكم له من المنازل[٤].

ويعلق الموسوي على هذا الحديث بقوله: "فعلي، بحكم هذا النص، خليفة رسول الله في قومه، ووزيره في أهله، وشريكه في أمره– على سبيل الخلافة عنه، لا على سبيل النبوة– وأفضل أمته، وأولاهم به حيًا وميتًا، وله عليهم من فرض الطاعة

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم ٤٤١٦.

(٢) سعد القمي، المقالات والفرق، ص١٦.

(٣) دعائم الإسلام، ج٢، ص٢٠.

(٤) نبيلة عبد المنعم، نشأة الشيعة، ص١١٧، نقلاً عن الشيخ المفيد، الإفصاح في إمامة علي، ص٦٠.

زمن النبي– وزيارته له– مثل الذي كان لهارون على أمة موسى زمن موسى. ومن سمع حديث المنزلة قائمًا يتبادر منه إلى ذهنه هذه المنازل كلها، ولا يرتاب في إرادتها منه"[(١)].

وحديث المنزلة هذا صحيح، أورده البخاري في الرواية السابقة، وفي رواية أخرى ليس فيها: "إلا أنه ليس نبي بعدي"[(٢)]، كما رواه مسلم[(٣)]، والترمذي[(٤)]، ولكن لا دلالة في الحديث على تعيين علي وتخصيصه بالإمامة بعد الرسول، كما يقول الشيعة، بل المراد منه ويفهم من سياقه: أن الرسول استخلف عليًا على أهله وعلى المدينة حينما توجه إلى غزوة تبوك، ويؤيد هذا ما ورد من أنه حينما فعل الرسول ﷺ ذلك، أرجف المنافقون في المدينة، وأشاعوا أن الرسول (عليه الصلاة والسلام) جفا علي بن أبي طالب وأبغضه، فلحق علي بالرسول وقال له: يا رسول الله، أتتركني مع الأخلاف؟ فرد عليه الرسول: "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي"، بمعنى أني لم أخلفك في المدينة بغضًا مني، كما أن موسى لم يخلف أخاه هارون في بني إسرائيل لما توجه لكلام ربه بغضًا ومقتًا له.

ويذهب الباقلاني إلى أنه مما يدل على أن هذا المعنى هو الذي قصده الرسول بقوله، علمنا بأنه كان لهارون من موسى منازل منها: أنه كان أخاه، ومنها أنه كان شريكًا له في النبوة، ومنها أنه خلفه في قومه لما توجه لكلام ربه، وليس منها أنه

---

(١) الموسوي، المراجعات، ص١٦٣.

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم ٢٢١٩.

(٣) مسلم، حديث رقم ٢٤٠٤.

(٤) الترمذي، حديث رقم ٣٧٣١.

خلفه بعد موته؛ لأن هارون مات قبل موسى بسنين كثيرة، وإنما خلف موسى بعد موته يوشع بن نون، فلا يجوز أن يكون النبي ﷺ عني بقوله: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى"، أنك أخي لأبي وأمي، ولا أنك تخلفني بعد موتي؛ لأن هذه منزلة لم تكن لهارون من موسى؛ فثبت أنه أراد أنك خليفتي في أهلي وعلى المدينة عند توجهي إلى هذه الغزوة، كما خلف موسى أخوه هارون في قومه عند توجهه لكلام ربه"[(١)]، فإن قالوا: ما معنى قوله ﷺ: "إلا أنه لا نبي بعدي"؟ وكيف يجوز أن يقول: أما ترضى أن تخلفني في قومي، وفي أيام حياتي، إلا أنه لا نبي بعدي"؟ قيل لهم: لم يُرِد "بعدي" بعد وفاتي، وإنما أراد لا نبوة بعد نبوتي؛ لا معي ولا بعدي، وهذا كما يقول القائل: لا ناصر لك بدون فلان"[(٢)].

ويذهب ابن حزم إلى أن هذا الحديث: (حديث أنت مني بمنزلة هارون... إلخ) لا يوجب لعلي فضلاً على من سواه، ولا استحقاق الإمامة بعده عليه السلام؛ لأن هارون لم يلِ أمر بني إسرائيل بعد موسى (عليهما السلام)، وإنما ولي الأمر بعد موسى (عليه السلام) يوشع بن نون، كما ولي الأمر بعد رسول الله ﷺ صاحبه في الغار"[(٣)].

أما الأحاديث الموضوعة التي استدل بها الشيعة فكثيرة جدًا، ومن ذلك ما رواه جابر عن النبي ﷺ أنه قال: "أنا مدينة العلم، وعلي بابها"، فهذا خبر مطعون فيه رغم رواية الترمذي له، إذ أنكره البخاري، وقال عنه يحيى بن معين: لا أصل له،

---

(١) الباقلاني، التمهيد، ص١٧٣، ١٧٤.

(٢) المصدر نفسه، ص١٧٤.

(٣) ابن حزم، الفصل، ج٤، ص٩٤.

وذكره ابن الجوزي في الموضوعات، وقال النووي والذهبي: إنه موضوع[١]، ويقول الألباني: وحديث "أنا مدينة العلم، وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب" موضوع، رواه العقيلي في الضعفاء، وابن عدي في الكامل، والطبراني في الكبير، والحاكم عن ابن عباس، ورواه ابن عدي والحاكم عن جابر ﷺ[٢]، وكذلك حديث: "أقضاكم علي"، الذي ادعت الشيعة أنه نص في الإمامة، موضوع لم يروه أحد من أهل الكتب الستة، ولا أهل المسانيد المشهورة؛ لا أحمد ولا غيره، بإسناد صحيح ولا ضعيف، ورواته معروفون بالكذب والتدليس[٣]، وكذلك حديث: "من ناصب عليًا الخلافة فهو كافر"، فلا أثر له بوجه في كتب أهل السنة أصلاً"[٤].

وهذه النماذج تكشف عن ضعف ما استند إليه الشيعة من حجج على اختصاص علي وتعيينه دون غيره للخلافة. ويؤيد هذا ما ذهب إليه ابن خلدون من أن ما استدل به الشيعة من نصوص إنما هي نصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم، لا يعرفها جهابذة السنة، ولا نقلة الشريعة، بل أكثرها موضوع، أو مطعون في طريقه، أو بعيد عن تأويلاتهم[٥]، وما أورده ابن حزم من أن سائر الأحاديث التي تتعلق بها الرافضة موضوعة، يعرف ذلك من له أدنى علم بالأخبار ونقلتها"[٦].

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٤، ص٤١٠.

(٢) الألباني، ضعيف الجامع الصغير، ص١٣، رقم الحديث ١٤١٦.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٤، ص٤٠٨.

(٤) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج٤، ص١٠٧، ١٠٨.

(٥) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٠٨.

(٦) ابن حزم، الفصل، ج٤، ص ١٤٨.

ويعترف الكاتب الشيعي، ابن أبي الحديد، بأثر الشيعة في وضع الأحاديث لتأييد مذهبهم في الإمامة، فيقول: "إن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة؛ فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلفة في صاحبهم، حملهم على وضعها عداوة خصومهم، فلما رأت البكرية (يريد بعض السنيين) ما صنعت الشيعة، وضعت لصاحبها (أبي بكر) أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث.. فلما رأت الشيعة ما قد وضعت البكرية.. أوسعوا في وضع الأحاديث.. ولقد كان الفريقان في غنية عما اكتسباه... ولقد كان في فضائل علي الثابتة الصحيحة، وفضائل أبي بكر المحققة المعلومة ما يغني عن تكلف العصبية لهما"(١).

ورغم ضعف هذه الحجج وعدم قوتها؛ فإننا نجد أن بعض الشيعة المعاصرين لا زالوا يرددونها في كتاباتهم، ويستشهدون بها لإثبات معتقداتهم في الإمامة، وهذا أحد أئمتهم يذهب إلى أن الرسول يعتبر غير مبلغ للرسالة لو لم يعين عليًا خليفة من بعده، ويقول: "إن الرسول الكريم قد كلمه الله وحيًا أن يبلغ ما أنزل إليه فيمن يخلفه في الناس، وبحكم هذا الأمر فقد اتبع ما أمر به، وعين أمير المؤمنين عليًا للخلافة"(٢)، ويذهب إلى أن ولي الأمر هو الذي يتصدى لتنفيذ القوانين، وهكذا فعل الرسول ﷺ، ولو لم يفعل فما بلغ رسالته. وكان تعيين خليفة من بعده ينفذ القوانين، ويحميها، ويعدل بين الناس، عاملاً متممًا ومكملاً لرسالته"(٣).

وإلى جانب ما استدل به الشيعة من آيات وأحاديث، قدموا العديد من البراهين

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١١، ص ٤٨-٥٠.

(٢) الخميني، ولايت فقيه، ص ٤٢، ٤٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٩.

العقلية لإثبات هذا المعتقد، وقد كرّس الطوسي، المعروف عند الشيعة بشيخ الطائفة، كتابه الموسوم بـ:"تلخيص الشافي في الإمامة" لموضوع الإمامة، وانتهى إلى أن وجود الإمامة ضروري؛ لأن الشريعة مؤبدة، وأن المصلحة ثابتة إلى قيام الساعة لجميع المكلفين، وعلى هذا لابد لها من حافظ، وليس يخلو الحافظ من أن يكون جميع الأمة أو بعضها، ثم يستطرد فيقول: "وليس يجوز أن يكون الحافظ لها الأمة؛ لأن الأمة يجوز عليها السهو والنسيان، وارتكاب الفساد، والعدول عما علمته، فإذن لابد لها من حافظ معصوم يؤمن من جهته التغيير والتبديل والسهو؛ ليتمكن المكلفون من المصير إلى قوله، وهذا هو الإمام الذي نذهب إليه"[1].

في الختام، هناك نشاط للطلبة تحت مسمى: فكِّرْ وأجِبْ، حيث يركز على التساؤلات التالية:

١- بعهدة من كانت قيادة المجتمع الإسلامى في عهد الرسول؟ اذكر أربعة أمثلة على الأقل من أعماله التي كان يقوم بها في مواقف القيادة.

٢- هل كان يمكن أن يترك الرسول المجتمع الإسلامى من بعده من دون قائد وزعيم؟

٣- ما هو اعتقادنا- نحن الشيعة- بخصوص خليفة الرسول وإمام المجتمع الإسلامى؟ كيف وضّح وأكد الرسول على هذا الأمر؟ (للجزء الثاني من السؤال اذكر نقطتين).

٤- بعهدة من قيادة وولاية المجتمع الإسلامي في زمان غيبة حضرة ولي العصر،

---

(١) الطوسي، تلخيص الشافي، ج١، ص ١٣٣، ١٣٤.

وما هي الشروط التي يجب أن تتوفر فيه؟[1]

تحليل النص:

- تهدف الأسئلة إلى ترسيخ جملة من الأصول والمبادئ في وجدان وعقلية التلاميذ، ومن ذلك:

- الوصية، فالرسول ﷺ لا يمكن أن يترك الأمة بدون إمام، وهو على بن أبي طالب.

- ترسيخ مفهوم ولاية الفقيه في عقيدة ووجدان الطالب، وأنه أساس من أسس المذهب، باعتبار ولي الفقيه ممثلاً ونائبًا عنه إلى حين ظهوره.

تحاول الأسئلة ترسيخ المفاهيم بل المعتقدات التى وضع أصولها علماء الشيعة حول بعض المفاهيم الاقتصادية كالخمس، وأن هذه جزء من إيمان الشيعى الذي يبقى ناقصًا إذا لم يؤده مؤمنًا ومقتنعًا بأنه من أركان المذهب.

* الصورة التي رسمتها الكتب المدرسية من خلال النصوص السابقة:

أولاً: صورة أهل السنة:

في هذا النص لا نجد صورة واضحة لأهل السنة العرب، خاصة أن النص يتناول تاريخ إيران عبر العصور، والصورة الوحيدة التي يمكن تلمسها هي الصورة النمطية التي اعتادت النصوص الأخرى تصويرها للسنة، من خلال الصحابة وموقفهم المنحاز ضد آل البيت.

---

(١) فرهنك إسلامي وتعليمات ديني، سال دوم، دوره‌ء راهنمايى تحصيلي، ص ٧٤.

ثانيًا: صورة الفرس:

النص بأكمله سُخِّر لإظهار الصورة (القومية) للفرس منذ ما قبل الميلاد، وكيف أن العنصر الآري استطاع بجهوده الفردية أن يؤسس الدولة، ويقيم النظام في تلك البلاد. وكما أن هذا النجاح الذي حققه الفرس قد خلق لها الأعداء من المجاورين اليونان والرومان، لكن الفرس استطاعوا إلى حد كبير الحد من نفوذ هؤلاء الغزاة؛ فالفارسي بطبعه يميل إلى الاستقرار والهدوء، لكن الأعداء كانوا مصرين على الحرب.

الفارسي بطبعه يقف إلى جانب الحق، ومن هذا المنطلق وقف الفرس إلى جانب آل البيت في مطالبتهم بحقهم، الذي(أوصى) به النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب ﷺ، ولأجل هذا المبدأ تعرض الفرس للاضطهاد من قبل المسلمين السُّنة.

ثالثًا: صورة آل البيت:

هي عينها الصورة التي يصر الكاتب الإيراني عامة على التأكيد عليها في كل مناسبة، فآل البيت الموصى لهم بالحق الإلهي تعرضوا لغدر الصحابة ومؤامراتهم، وبالتالي أبعدونا عن حقهم الشرعي.

ولما كانت الإمامة- في نظر الشيعة- ركن من أركان الدين، وفي ظل غياب المهدي المنتظر، كان لابد ممن ينوب عنه "ولاية الفقيه".

رابعًا: المنهج المتبع في كتابة النص:

لا يختلف منهج الكاتب عن غيره في آلية صياغة النص، لذا نلحظ جملة من الأمور التي قام عليها منهج الكتابة:

- الانتقاء للروايات بما يخدم الهدف والسياق العام للكتاب، وهو تمجيد الفرس، وإظهار الجانب المشرق من تاريخهم عبر العصور.
- تزييف الحقائق بما يخدم الهدف؛ كما في اتهام الصحابة بالتآمر على علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم أجمعين).
- حشد الأدلة من مصادر الشيعة للتأكيد في النهاية على أن ولاية الفقيه ضرورة من ضرورات المذهب لحماية مصالح المسلمين إلى أن يظهر المنتظر.

القيم التي أراد النص ترسيخها في وجدان الطالب:

- تأكيد نظرية التفوق العرقي الإيراني على بقية الشعوب المحيطة، وقد سبب لها ذلك ظهور الأعداء الحاقدين والحاسدين.
- ارتباط الفرس بآل البيت عبر الزمن.
- نظرية الخمس واجب ديني تؤدى للإمام؛ لأجل القيام على مصالح المسلمين. وفي ظل غيابه تؤدى لمن ينوب عنه.
- كما أن الإمامة من أسس المذهب، فإن ولاية الفقيه ضرورة ومصلحة لحماية مصالح المسلمين لحين ظهور المهدي المنتظر الذي (غاب في السرداب).

تركيب الصورة الكلية لأهل السنة في ضوء نصوص الكتب المدرسية الإيرانية التي تناولتها الدراسة

قبل أن نبدأ بالحديث عن موقف الشيعة من أهل السنة لابد من إبراز حقيقة مهمة، وهي حب أهل السنة لآل البيت عامة، فلا تكاد تجد كتابًا من كتب العقيدة التي فيها شمول لمسائل الاعتقاد إلا وفيها النص على هذه المسألة، وذلك لما لها من أهمية، وقد كتب فيها العلماء رسائل مستقلة لأهميتها.

وخلاصة الكلام في عقيدة أهل السنة ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية، قال فيها رحمه الله: «ويحبون أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، حيث قال يوم غدير خم: "أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي"[١]، وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضًا للعباس عمه وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفو بني هاشم: "والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي"[٢]، وقال: "إن الله اصطفى بني إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشًا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم"[٣].

ولا يخفى أن محبة كل مؤمن ومؤمنة واجب شرعي، وأما ما سبق ذكره من محبة آل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وموالاتهم، فهذه محبة وموالاة خاصة لا

---

(١) رواه مسلم وغيره في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل علي (رضي الله عنه) حديث رقم: ٢٤٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، حديث رقم: ٢٢٧٦.

يشاركهم فيها غيرهم، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (لقرابتي)، أما الأولى التي لله، فهي الأخوة الإيمانية، وأما الموالاة، فهذه للمسلمين عامة، فإن المسلم أخو المسلم، فهي تشمل جميع المسلمين بما فيهم آل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وقد جعل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لقرابته محبة خاصة بهم؛ لأجل قرابتهم من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال الله تعالى: ﴿ **قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ** ﴾ [الشورى:٢٣]، وهذا معنى الحديث السابق على المعنى الصحيح في الآية؛ لأن من المفسرين من قال: تحبونني لقرابتي فيكم؛ لأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) له قرابة بجميع بطون قبائل قريش. المقصود أن محبتهم وموالاتهم وتوقيرهم لأجل قرابتهم لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثابتة، وهي غير الموالاة العامة لأهل الإسلام.

فمن حقوقهم الصلاة عليهم، قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب:٥٦].

وروى مسلم في صحيحه، عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ قال: "أتاني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشر بن سعد: أمرنا الله تعالى أن نصلي عليك يا رسول الله! فكيف نصلي عليك؟ قال: فسكت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم في العالمين، إنك حميدٌ مجيد، والسلام كما قد علمتم". والأدلة على ذلك كثيرة، قال ابن القيم- رحمه الله-: "إنها حق لهم دون سائر الأمة، بغير خلاف بين الأئمة"[1]. وهذا في الصلاة الإبراهيمية.

---

(١) جلاء الأفهام، وقد بسط القول في ذلك.

أما الثناء على الصحابة (رضي الله عنهم)، فيجب على كل مسلم أن يعتقد علو مكانة أصحاب النبي محمد ﷺ، وأنهم أفضل الأمم، وأن خير قرون الإسلام قرنهم، وذلك لسبقهم للإسلام، وشرف اختصاصهم بصحبة خاتم الأنبياء، وسيد المرسلين محمد ﷺ، والجهاد معه، وتحمل الشريعة عنه، وتبليغها لمن بعده ﷺ.

وأن يعتقد المسلم كذلك أن أصحاب النبي ﷺ ليسوا على درجة واحدة في الفضل والمرتبة، بل تتفاوت مرتبتهم في الفضل بحسب سبقهم إلى الإسلام والجهاد والهجرة، وبحسب ما قاموا به رضي الله عنهم من أعمال تجاه نبيهم ودينهم؛ فالمسلمون يقدمون المهاجرين على الأنصار، ويقدمون أهل بدر على أهل بيعة الرضوان، ويقدمون من أسلم قبل الفتح وقاتل على غيره[1].

لقد ترضى الله (تبارك وتعالى) عن هؤلاء الصحابة، وأنزل رضاه ومدحه لهم في كتابه العزيز ليتلوه الناسُ إلى يوم القيامة، حيث قال عزّ من قائل: ﴿ **لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا** ﴾ [الفتح:١٨]، وقال: ﴿ **وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** ﴾ [الأنفال:٧٤]، وقال جلت قدرته: ﴿ **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا** ﴾ [الفتح:٢٩]، وقال عز من قائل:

(١) سنحاول الاعتماد على كتب الشيعة لتكون مصدرًا للروايات في هذا السبيل.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

والآيات في هذا المقام عديدة وكثيرة، وكلها تثني وتمتدح وتترضي على هؤلاء الكرام رضوان الله عليهم. فكيف يترضى الله (تبارك وتعالى) عليهم، وأنتم- يا معشر الشيعة الإمامية- تسبونهم، وتطعنون فيهم، وتحطون من قدرهم؟ وهم الذين قال النبي ﷺ عنهم: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أنّ أحدكم أنفق مثل أُحدٍ ذهبًا ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نَصِيفه»[1].

يلاحظ أن النصوص تؤكد، من خلال ما أوردته من صفات قادحة بالصحابة الذين توفي الرسول وهو عنهم راض، أنهم عادوا بمجرد موته إلى الجاهلية والتقاليد القبلية، تدفعهم المصالح الخاصة "فتنة أعداء الإسلام، مثل أبي سفيان، والتى ظهرت بثوب جديد فكَّر بإيجاد التفرقة، وتوجيه ضربة للإسلام، بهذه الظروف الخطيرة كانوا يفكرون بإثارة الفتنة".

إذا كان الوضع كما يزعمون، فإن هذا يدل- برأيه- على أن الرسول- حاشاه- لم يستطع أن يبدل في نفوسهم، ولم يستطع أن يغير في العقلية العربية.

لكن أقول: إنه لمجرد إثبات الولاية لعلى، فإن الشيعة ترى أن كل شيء مباح حتى الإساءة للمجتمع الذي بناه الرسول، بل والكذب عليه.

وهنا سؤال مهم يجب طرحه وهو: إذا كان الصحابة (رضوان الله عليهم) قد

(١) صحيح البخاري، حديث رقم ٣٦٧٣، وصحيح مسلم، حديث رقم: ٦٦٥١.

ارتدوا.. وقد كفروا بعد وفاة الرسول ﷺ، فكيف يرضى الإمام على بأن يكون وزيرًا ومستشارًا لأبي بكر ولعمر ولعثمان؟ وقد عَلِم كُفرهم وارتدادهم ومفارقتهم لملة الإسلام والإيمان.

إذا كان على ﷺ ووفق آراء الشيعة الإمامية ومروياتهم التاريخية هو الإمام والخليفة المنصوص عليه من قِبَل الله تعالى، ثم من قبل رسوله ﷺ، ومع ذلك تمّ سرقة الخلافة منه، وذهبت إلى أبي بكر الصديق، ثم إلى عمر الفاروق، ثم إلى عثمان (رضي الله عنهم)؟

كيف يرضى لنفسه ﷺ أن يكون مستشارًا وناصحًا وأمينًا لثلاثة من الخلفاء المرتدين والكافرين والعاصين لأمر الله ورسوله؟ أليس في هذا تناقض بيّن وواضح؟ ناهيك عن أن قياس على ﷺ على يوسف (عليه السلام) باطل؛ لأن يوسف (عليه السلام) عمل مستشارًا مطلوبًا مستخلصًا، ليوصل دعوته. أما على ﷺ، فهو يعلم أن المرتدين لا ينصحون ولا يُهادنون، إذ هناك حكم شرعى بشأنهم، إما أن يستطيع إنفاذه فيهم، أو يعتزلهم.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، هؤلاء الصحابة الذين كفروا وارتدوا عن الإسلام، كيف يحملون الإسلام ويُوصلونَه إلى غيرهم من الأمم والشعوب، وهم- أي الصحابة- رجعوا إلى الكفر والزندقة والجاهلية؟ إن منطق الأشياء يقول: (إن فاقد الشيء لا يعطيه)، وكان من المفترض على هؤلاء الصحابة أن يدعوا تلك الأمم وتلك الشعوب إلى الجاهلية الرعناء، وليس إلى الإسلام العظيم.

نحن لا نقول بهذا المنطق، ولا نفكر على هذا النحو، نحن نقول: إن عليًا كان وزيرًا مخلصًا، ومستشارًا أمينًا للخلفاء الثلاثة، ولكل الصحابة الكرام، والصحابة

الكرام هم الذين فتحوا البلاد.. وهم الذين حرروا العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وعلى أكتافهم قام هذا الدين العظيم، وبفضلهم، بعد فضل الله، انتشر الإسلام في ربوع الأرض.

وهذه هى قبورهم في تلك الأراضى البعيدة عن جزيرة العرب، شاهدة على صدقهم وإخلاصهم وتفانيهم في حمل رسالة هذا الدين للعالمين.

وهنا لابد من التعرض إلى طبيعة العلاقة بين الصحابة وآل البيت (رضوان الله عليهم) جميعًا؛ حيث يخلص الباحث المنصف أن العلاقة سادها الود والوئام، فلم ينظر آل البيت إلى الصحابة على أنهم خصوم أو مبغضين، بل إخوة في الدين، تربطهم علاقة لا تنفصم عراها، فالجميع تخرجوا من مدرسة النبي ﷺ، لذا لا نجد في كلام آل البيت إلا الثناء على الصحابة الكرام (رضي الله عنهم).

إليك أخي القارئ موقفًا لعلي بن أبي طالب ﷺ في وصف الصحابة، بعد أن جرّب أهل الكوفة ورأى خذلانهم له، قال متذكرًا ومادحًا أصحاب رسول الله ﷺ: "لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ، فما أرى أحدًا يشبههم منكم، لقد كانوا يصبحون شعثًا غبرًا، وقد باتوا سجدًا وقيامًا، يراوحون بين جباههم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذُكِر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف، خوفًا من العقاب ورجاء للثواب"[1].

---

(١) نهج البلاغة، ص:١٤٣، وانظر: المجلسي، الكافي، ج ٢، ص٢٣٦؛ وبحار الأنوار، ج٦٦، ص٣٠٧.

ويصف علي ﷺ حاله وحال أصحاب النبي ﷺ واستبسالهم جميعًا في وجه الأعداء بقوله: "ولقد كنا مع رسول الله ﷺ نقتُل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلا إيمانًا وتسليمًا، ومضيّا على اللَّقَم، وصبرًا على مضض الألم، وجِدًّا في جهاد العدِّو، ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما أيهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرة لنا من عدونا، ومرة لعدونا منا، فلما رأى الله صدقنا؛ أنزل بعدونا الكبت، وأنزل علينا النصر، حتى استقر الإسلام ملقيًا جرانه، ومتبوِّئًا أوطانه، ولعمري لو كنّا نأتي ما أتيتم- يعني أصحابه- ما قام للدين عمود، ولا اخضرَّ للإيمان عود، وايم الله، لتحتلبنها دمًا، ولتتبعنها ندمًا"[(١)].

وعلى هذا المنوال الجميل، والمنهج المستقيم سارت السلسلة الزكية من آل بيت النبي (عليهم السلام) في الثناء العاطر على رفقاء جدهم أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب (عليه السلام)؛ فهذا علي بن الحسين زين العابدين ﷺ يدعو في صلاته لأصحاب جده المصطفى ﷺ ويقول: "اللهم وأصحاب محمد خاصة، الذين أحسنوا الصحبة، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره، وكانفوه وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالته، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته، وانتصروا به، ومن كانوا منطوين على محبته، يرجون تجارةً لن تبور في مودته، والذين هجرتهم العشائر، إذ تعلقوا بعروته، وانتفت منهم القرابات؛ إذ سكنوا في ظل قرابته، فلا تنس لهم اللهم ما تركوا لك وفيك، وأرْضِهم من رضوانك، وبما حاشوا الخلق عليك، وكانوا مع رسولك دعاةً لك وإليك، واشكرهم على هجرهم فيك ديار

(١) بحار الأنوار، ج٢٢، ص٣٠٩.

قومهم، وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه، ومن كثَّرت في اعتزاز دينك من مظلومهم، اللهم وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان، الذين يقولون: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [الحشر:١٠] خير جزائك، الذين قصدوا سمتهم، وتحرَّوا جهتهم، ومضوا على شاكلتهم، لم يثنهم ريبٌ في بصيرتهم، ولم يختلجهم شك في قفوِ آثارهم، والائتمام بهداية منارهم، مُكانفين ومُؤازرين لهم يدينون بدينهم، ويهتدون بهديهم، يَتّفقون عليهم، ولا يتهمونهم فيما أدوا إليهم، اللهم وصلِّ على التابعين من يومنا هذا إلى يوم الدين، وعلى أزواجهم، وعلى ذُرِّياتهم، وعلى من أطاعك منهم صلاةً تعصمهم بها من معصيتك، وتفسح لهم في رياض جنَّتك، وتمنعهم بها من كيد الشيطان"[١].

وعن الصادق، عن آبائه، عن علي ﷺ قال: "أوصيكم بأصحاب نبيكم لا تسبوهم، الذين لم يحدثوا بعده حدثًا، ولم يؤووا محدثًا؛ فإن رسول الله أوصى بهم الخير"[٢].

ومن المعلوم أن وجود النبي ﷺ خير على الأرض لأهلها، وكذلك الصحابة (رضي الله عنهم) من بعده، وذلك لعظيم شأنهم، وعلو قدرهم في التزامهم بهدي سيد البشر ﷺ، ومن ثمَّ استجاب الله لدعائهم لخير الأمة، فعن موسى بن جعفر قال: قال رسول الله ﷺ: "أنا أمنة لأصحابي، فإذا قبضت دنا من أصحابي ما يُوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا قبض أصحابي دنا من أمتي ما يُوعدون، ولا يزال هذا الدين ظاهرًا على الأديان كلها ما دام فيكم من قد رآني"[٣].

---

(١) الصحيفة السجادية، ص٤٢٠.

(٢) بحار الأنوار، ج٢٢، ص٣٠٥.

(٣) بحار الأنوار، ج٢٢، ص٣٠٩.

وعن موسى بن جعفر، عن آبائه (رضي الله عنهم) قال: قال رسول الله ﷺ: «القرون أربع: أنا في أفضلها قرنًا، ثم الثاني، ثم الثالث، فإذا كان الرابع التقى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، فقبض الله كتابه من صدور بني آدم، فيبعث الله ريحًا سوداء، ثم لا يبقى أحد سوى الله تعالى إلا قبضه الله إليه»[١].

ودعا النبي ﷺ بالخير والرحمة لمن سيخلفه من بعده، من غير تعيين منه على معين بالإمامة، وجعل صفة من سيخلفه ميزته سيره على هديه ﷺ، للدلالة على اجتماع كلمة الصحابة على من سيختارونه من بعده.

فعن الرضا، عن آبائه، قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم ارحم خلفائي» ثلاث مرات، قيل له: يا رسول الله، ومن خلفاؤك؟ قال: «الذين يأتون من بعدي، ويروون أحاديثي وسنتي، فيسلمونها الناس من بعدي»[٢].

ولأجل مكانة الصحابة السامقة، تمنى نبي الله موسى (عليه السلام) أن يرى أولئك النفر الذين حازوا كل هذا الفضل العظيم؛ فعن الرضا (عليه السلام) قال: "لما بعث الله (عز وجل) موسى بن عمران واصطفاه نجيًا، وفلق له البحر، ونجّى بني إسرائيل، وأعطاه التوراة والألواح، رأى مكانه من ربه (عز وجل)، فقال موسى: يا رب، فإن كان آل محمد كذلك، فهل في أصحاب الأنبياء أكرم عندك من صحابتي؟ قال الله (عز وجل): يا موسى، أما علمت أن فضل صحابة محمد على جميع صحابة المرسلين، كفضل آل محمد على جميع آل النبيين، وكفضل محمد على جميع النبيين، فقال موسى: "يا رب، ليتني كنت أراهم! فأوحى الله (عز وجل) إليه:

(١) بحار الأنوار، ج٢٢، ص٣٠٩.

(٢) بحار الأنوار، ج٢، ص ١٤٤.

يا موسى، إنك لن تراهم، فليس هذا أوان ظهورهم، ولكن سوف تراهم في الجنات- جنات عدن والفردوس- بحضرة محمد، في نعيمها يتقلبون، وفي خيراتها يتبحبحون"[(١)].

من بعد أن تبين لنا كيف فاض المدح والثناء على الصحب الكرام، جاء التخصيص والتقييد على طائفة منهم، وهم الخلفاء الراشدون الثلاثة الأول.

ويمكن أن يستدل على حسن علاقة بعضهم ببعض، وعلى ما بينهم من مودة ومحبة وطاعة لله ولرسوله ﷺ، وإنما يظهر هذا جليًا لمن صلُح قلبه، وزالت غشاوة التعصب عن بصره، وقلَّب بصره في كتب التاريخ بأمور كثيرة، وروايات عدة.

قال علي ﷺ: "ولعمري إن مكانهما في الإسلام لعظيم، وإن المصاب بهما لجرح في الإسلام شديد، رحمهما الله، وجزاهما بأحسن ما عملا"[(٢)].

وقال ﷺ مثنيًا على خلافة الثلاثة، وعلى من اختارهم: "إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إمامًا كان ذلك لله رضًا، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة، ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتِّباع سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى"[(٣)].

وقال علي ﷺ مثنيًا على عمر بن الخطاب: "لله بلاء فلان! فلقد قوّم الأود،

---

(١) بحار الأنوار، ج١٣، ص٣٤٠.

(٢) نهج البلاغة، ص٣٦٦؛ وبحار الأنوار، ج٣٣، ص٧٦.

(٣) انظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٥، ص٧٦.

وداوى العمد، وأقام السُّنَّة، وخلف الفتنة، ذهب نقي الثوب، قليل العيب، أصاب خيرها، وسبق شرها، أدى إلى الله طاعته، واتقاه بحقه"[١].

وقال أيضًا لعمر بن الخطاب ﷺ في حياته، حين شاوره في الخروج إلى غزو الروم: "إنك متى تَسِرْ إلى هذا العدو بنفسك فتلقهم فتنكب لا تكن للمسلمين كانفة- ستر ووقاية- دون أقصى بلادهم، ليس بعدك مرجع يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلاً مجربًا، واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهر الله، فذاك ما تحب، وإن تكن الأخرى كنت رِدءًا للناس، ومثابة للمسلمين"[٢].

فهؤلاء آل بيت النبي ﷺ، وهم أقرب الناس عهدًا بالشيخين، لم يفُتهم ما عملا، ولا غاب عنهم ما فعلا، ألا تكفينا شهادتهم ورأيهم في أولئك النفر، أم نريد هديًا وقولاً غير هديهم وقولهم رضوان الله عنهم.

أما شيعة إيران الفرس، فلم ترُق لهم روح الوئام التي جمعت الصحابة بآل البيت، فإن التأكيد على هذه العلاقة يعني انتفاء مصالحهم، لذا لجئوا إلى التأويل للنصوص بما يتلاءم مع أفكارهم وعقائدهم، التي لم يستطيعوا، رغم مرور الأيام والسنوات، التخلص منها، فكان إلباس انحرافاتهم العقدية لباس الدين هو الوسيلة المثلى لتحقيق القصد والهدف.

إن ما طرحه هؤلاء الشيعة الفرس من أفكار غريبة ما هي إلا استمرار للفكر الزرادشتي، الذي استغله أكاسرة الفرس لخدمة مصالحهم السياسية، ومن أشهر

---

(١) نهج البلاغة، ص٣٥٠.

(٢) نهج البلاغة، ص٣٠٧.

هذه الأفكار الغريبة فكرة تقديس الأشخاص[١]، فقد استطاع أكاسرة فارس أن يوائموا بين الدين والسياسة من خلال تبني الفكر الديني، وخاصة الزرادشتية، وجعلها دينًا رسميًا لأهل فارس، وخاصة في الفترة الساسانية؛ "أقام أردشير بن بابك الساساني دولته على دعامة وطيدة من وحدة الملك وهذا الدين[٢]، فلا قيام للدين بغير الملك، ولا بقاء للملك بغير الدين، فكلاهما قائم على الآخر، معتمد عليه، غير مستغنٍ عنه.

ولا غرو أن يوصي أردشير ابنه سابورًا عندما نصبه ملكًا قائلاً له: "يا بني، إن الدين والملك أخوان، ولا غنى لواحد منهما عن صاحبه، فالدين أسس الملك، والملك حارسه، وما لم يكن له أسٌّ فمهدوم، وما لم يكن له حارس فضائع"[٣].

قام النظام الفارسي على الحكم المطلق، وكان لملوك الفرس الحق في أن يقتل رعاياه، أو يبقيهم على قيد الحياة كما يقول فلهاوزن[٤]، ذلك أن الفرس "منذ أقدم الأزمنة... يعتقدون اعتقادًا جازمًا بالحق الإلهي، ويكرهون كراهية شديدة فكرة الانتخاب الشعبي الديمقراطي"[٥].

كان تشيع الفرس لأنهم مرنوا أيام الحكم الفارسي على تعظيم البيت المالك وتقديسه، وأن دم المملوك ليس من جنس دم الشعب، فلما دخلوا في الإسلام نظروا

---

(١) عبد القادر، زرادشت الحكيم، ص٥١-٦١.

(٢) بدوي، جولة في شاهنامة الفردوسي، ص٤٠.

(٣) المسعودي، مرجع سابق، ج٢، ص٢٤٨.

(٤) تاريخ الدولة العربية، ص٥٣١.

(٥) براون، تاريخ الأدب في إيران، ص٢٤٠.

إلى النبي ﷺ نظرة كسروية، ونظروا إلى أهل بيته نظرتهم إلى البيت المالك، فإذا مات النبي ﷺ، فأحق الناس بالخلافة أهل بيته.

فقد رأى الفرس في أولاد شهبانو والحسين وارثين لملوكهم الأقدمين، كما رأوا فيهم ورثة لتقاليدهم القومية. وهذا الشعور الوطني يفسر لنا تعلق الفرس الشديد بعلي من جهة، ويفسر لنا ظهور التشيع هناك حزبًا منفصلاً من جهة أخرى"(١).

ويضيف أمين: "إن التشيع تطور لا بشيء من داخله، وإنما بإضافات وإسباغ من عناصر أخرى دخلت الإسلام واختارت التشيع، فنقلت ما عندها من أفكار وعقائد إليه، حتى أصبحت جزءًا منه، وإنّ الفرس بالذات تركوا بصماتهم على المذهب أكثر من غيرهم(٢).

ما هو مفهوم الخلافة (الإمامة)؟

هي: "حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية، الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة من صاحب الشرع في حراسة الدين، وسياسة الدنيا به"(٣).

يغلب تعريفات الخلافة أو الإمامة عند علماء أهل السنة، قديمهم وحديثهم، على إعطاء الطابع التنظيمي والتنفيذي لرئاسة الدولة الإسلامية، ولحفظ وتحقيق

---

(١) أمين، فجر الإسلام، ص٢٧٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٧٦.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ج١، ص٢٠٢.

مصالح الناس على هدي مبادئ الشريعة [١]، وهذا يشمل إقامة الحدود، وتدبير أمور الأمة، وتنظيم الجيوش، وسد الثغور، وردع الظالم، وحماية المظلوم، وقيادة المسلمين في حجهم وغزوهم، وتقسيم الفيء بينهم[٢].

وهم بذلك لا يعترفون بفصل الدين عن الدولة وسياستها وشئونها الإدارية، بل يعتبرون أنهما قائمان على بعضهما بعضًا، ومن هذا المبدأ الأساس ينطلق مفهوم الحاجة إلى القيادة الإسلامية، ويقول ابن تيمية في ذلك: "يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين إلا بها؛ فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولابد لحراسة الدين من رأس"[٣].

ويبين الماوردي الدور الخطير الذي يلعبه الإمام بشأن حراسة الدين بقوله: "فليس دين زال سلطانه إلا بدلت أحكامه، وطمست أعلامه، وكان لكل زعيم بدعة، ولكل عصر فيه وهاية أثر. كما أن السلطان إن لم يكن على دين تجتمع به القلوب، حتى يرى أهله الطاعة فيه فرضًا، والتناصر عليه حتمًا؛ لم يكن للسلطان لبث، ولا لأيامه صفو، وكان سلطان قهر، أو مفسدة دهر. ومن هذين الوجهين وجب إقامة إمام يكون سلطان الوقت، وزعيم الأمة، فيكون الدين محروسًا بسلطانه، والسلطان جاريًا على سنن الدين وأحكامه"[٤].

---

(١) العوا، النظام السياسي للدولة الإسلامية، ص ١٢٦، ١٢٧ .

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٥، ١٦.

(٣) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص ١٦٥.

(٤) الماوردي، أدب الدين والدنيا، ص١١١.

وبالرغم من هذا التزاوج الواضح بين الدين والدولة، بحيث إن صلاح أحدهما لا يكون إلا بصلاح الآخر، فإن موقع النظر في مسألة ولاية أمر المسلمين، المتمثلة بالخلافة والإمامة، لا ينسجم مع أهميتها العظمى هذه، ويصنفها العلماء القدماء من أهل السنة ليس ضمن فروع الدين وأحكام الفقه فقط، وإنما يحثون على عدم خوض الكلام والبحث فيها أيضًا؛ لما قد يجلب ذلك من انتقاد بحق الخلفاء، لاسيما الأوائل منهم! فيقول الغزالي: "اعلم أن النظر في الإمامة ليس من المهمات، وليس أيضًا "من فن المعقولات- بمعنى أنه ليس من العقائد- بل من الفقهيات، ثم إنها مثار للتعصبات، والمعرض عن الخوض فيها أسلم من الخائض فيها وإن أصاب، فكيف إذا أخطأ؟"[١].

أما الإمامة عند الشيعة، فهي أصل من أصول الدين، بل هي أعظم الأركان، وأن الله لا يقبل ممن أخل بها، وزعموا أن الله قد أوصى نبيه بالإمامة أكثر من أي شيء آخر، وأن الله قد أخذ المواثيق من الأنبياء عند بعثتهم بالولاية، ففضلوا الأئمة على الأنبياء والملائكة[٢]، ونسبوا إليهم العصمة، وأنهم يعلمون الغيب، كل ذلك مُسطَّرًا في كتبهم الموثوقة. وهذه العقيدة الخبيثة منشؤها الأول اليهودي الخبيث ابن السوداء عبد الله بن سبأ[٣]. ومن زعم أن هذه العقائد ليست موجودة قد اندرست،

---

(١) الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، ص ٢٣٤.

(٢) اشتهر عند متأخريهم قولهم: "إن لإئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرب، ولا نبي مرسل"، انظر: "الخميني في تفضيل الأئمة على الأنبياء"، لمؤلفه مال الله، من عقائد الشيعة، لعبد الله السلفي، ص٢٥.

(٣) ابن سبأ حقيقة لا خيال، للدكتور سعدى الهاشمي، ص ٢٣٣.

أو أن مذهب الشيعة لا يخرج في أهم أوضاعه عن حيز الاجتهاد المسموح به[(١)]، فقد فحش غلطه، حتى وإن كان ممن يذكر من أهل العلم؛ لأن النار قد تخبو، وأن الجواد قد يكبو، وأن الصارم قد ينبو، فالكمال لله الواحد القهار؛ فإنهم ما زالوا يعادون أصحاب رسول الله، ويشتمونهم، وينكرون القرآن الموجود، أو يثبتون له التحريف والتبديل[(٢)].

وإن كانوا يلبسون أحيانًا لباس التقية، فيخدعون به من جهلهم، وكل ذلك ورثوه كابرًا عن كابر- هل تلد الحية إلا الحية؟!- فإذا كانت مثل هذه الأشياء تظهر من علمائهم، فكيف بأتباعهم؟

فالمسألة التي كانت محورًا مهمًا للنصوص هي مسألة الإمامة، والنص على أنها من حق آل البيت، فالشيعة (الاثنا عشرية) ترى أن الإمامة عندهم أصل من أصول الدين، و(حجر الزاوية في المذهب الشيعي).

ويمكننا تلخيص عقيدة الشيعة في الإمامة بما يلي:

١- وجوب الإمامة على الله.

٢- وجوب النص على الإمام.

٣- وجوب عصمة الإمام.

---

(١) الرد الكافي على مغالطات الدكتور علي عبد الواحد وافي، في كتابه بين الشيعة وأهل السنة، لإحسان إلهي ظهير.

(٢) كتاب الإمامة والرد على الرافضة، للحافظ أبي نعيم الأصفهاني، ص١٢٢-١٤١، وكتاب الشيعة والقرآن، لإحسان إلهي ظهير ص٨٤-١٢٦.

٤- علم الإمام إلهام من الله.

٥- منزلة الإمام كمنزلة النبي باستثناء الوحي والكتاب.

ننتقل الآن إلى موضوعنا الأساس: كيف صورت النصوص أهل السنة؟

قبل الشروع في تفصيل ما ورد من نصوص إساءة إلى أهل السنة، ووصفهم بصفات لا تليق بصحابة رسول الله ﷺ، والذي انتقل إلى جوار ربه وهو عنهم راضٍ.

إليكم صورة تطور الخلافة، كما صورتها النصوص، وقد حاولت قدر الإمكان جمع هذه النصوص المتناثرة وتنسيقها؛ لتقديم صورة متسلسلة لتطور الخلافة الإسلامية كما يصورها الشيعة.

تبدأ النظرية الشيعية حول مفهوم الخلافة (الإمامة) بـ"أن الرسول ﷺ ومنذ الأيام الأولى لرسالته كان يفكر بموضوع تعيين خليفته، وبعد ذلك- وفي حوادث مختلفة- أشار إلى هذا الموضوع، ومن أهم هذه الحوادث بالتأكيد كانت حادثة غدير خم. الرسول ﷺ في طريق عودته من الحج في السنة العاشرة للهجرة، وقبل أن يتفرق الحجاج، ويذهب كل واحد في طريقه، توقف في مكان يسمى غدير، وبعد ثلاثة أيام من الانتظار حتى اجتمع جميع الحجاج في هذا المكان، وفي خطاب عام له عرف على بن أبي طالب (عليه السلام) خليفته، وقائد المجتمع الإسلامى من بعده، بعد خطاب الرسول ﷺ، الناس على (عليه السلام)، وأعلنوا تبريكهم ومساندتهم له وبايعوه. الرسول ﷺ في آخر خطبته أكد على عدم فصل القرآن عن أهل البيت، وضرورة أن يتمسك الناس بهاتين الذاكرتين.

إلا أن "المنافسة وطالبى الامتيازات من الفرق المختلفة من ناحية الأنصار، وبالاعتماد على الخدمات، ودورهم في تأسيس وانتصار الحكومة الإسلامية، كانوا يرون أنهم أحق بخلافة الرسول ﷺ، ومن ناحية أخرى قادة قريش الذين يرون أن لقبيلتهم حق احتكار خلافة الرسول ﷺ، علاوة على الخلافات والمنافسة بين أفرع قريش الأخرى. الرسول ﷺ كان من بنى هاشم، والكثير من الأفرع الأخرى لم يرغبوا أن تستمر الخلافة في هذه العائلة.

كما لعبت المؤامرة التى قادها أبو سفيان، وهى ما أسماها النص: "المؤامرة المخفية" فتنة أعداء الإسلام، مثل أبي سفيان، والتى ظهرت بثوب جديد فكَّر بإيجاد التفرقة، وتوجيه ضربة للإسلام. بهذه الظروف الخطيرة كانوا يفكرون بإثارة الفتنة.

"بعد وفاة الرسول، وعندما كان سيدنا على مع أقرب صحابة الرسول ﷺ مشغولين بدفنه، اجتمع فريق من الأنصار معًا، وذلك لانتخاب واحد من بينهم ليحكم المسلمين، ولم يأخذوا بوصية الرسول ﷺ في غدير خم. وصل خبر اجتماع هذا الفريق إلى أبي بكر وعمر، وكانا من المهاجرين، وصحابة رسول الله، فذهبوا إلى مكان اجتماع الأنصار، ووقع خلاف بينهم حول أحقية الخلافة للمهاجرين أم إلى الأنصار، وخطب أبو بكر، وذكر في خطابه فضل المهاجرين على الأنصار. عند ذلك عادت الخلافات القبلية من جديد، وبايع عدد من الحاضرين أبا بكر بالخلافة، بعض المسلمين قبِل بالبيعة".

ويرى النص أن عددًا من الصحابة "كان مصرًا أن الخلافة حق على، حسب وصية الرسول ﷺ، ومنهم الصحابة المقربون من الرسول ﷺ، ومنهم أبو ذر وعمار".

"في أواخر خلافة أبي بكر عيَّن عمر خليفة له، وفي هذه الأثناء كان المسلمون يحاربون على حدود الرومان وإيران، وبعد تولي عمر الخلافة أرسل قوة لمساعدتهم، وكذلك أمر بتغيير قائد الجند".

"في أواخر أيام خلافة عمر شكل مجلسًا حتى يعين الخليفة من بعده، وكان من ضمن أعضاء هذا المجلس علي (عليه السلام) وعثمان وعبد الرحمن بن عوف. أمر عمر أن تكون الخلافة لمن يعطيه أعضاء المجلس أصواتًا أكثر، وفي حالة مساواة الأصوات ستكون الخلافة لمن يقبل به عبد الرحمن بن عوف، بالنهاية- وبعد ثلاثة أيام من المناقشة والبحث- التفت عبد الرحمن إلى الإمام علي (عليه السلام) وقال له: أبايعك، ولكن بشرط، وهو: أن تعمل بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وتسير على نهج الخليفتين من قبلك. وقبِل الإمام علي بشرطين، وهما: العمل بكتاب الله وسنة نبيه الكريم. بعد ذلك التفت عبد الرحمن إلى عثمان وكرر عليه شروطه، وقبل عثمان بكل الشروط، وأصبح خليفة، وفي عهده تم فتح باقي إيران إلا السواحل جنوب بحر الخزر؛ كيلان وجزء من مازندران، وذلك لوجود الجبال الشاهقة، والغابات الكثيفة".

"بعد عثمان، وبعد مرور ٢٥ سنة على يوم عيد الغدير، اليوم الذي نصب فيه الرسول ﷺ الإمام علي لقيادة المسلمين، طلب الناس من الإمام علي أن يكون الخليفة، في البداية رفض قبول الخلافة، ونتيجة لإصرار الناس على ذلك قبِل، وكان أول من بايع الإمام عليًا طلحةُ والزبيرُ".

"استطاع معاوية بعدما وعد عبيدالله بن عباس بمنحه المال الكثير وعددًا من أصحاب الإمام الحسن (عليه السلام) أن يكسبهم إلى صفه، حتى إن بعضهم وعده

بقتل الإمام الحسن، وكذلك أعلن معاوية في كل مكان أنه يريد الصلح، وكذلك قبِل الإمام الحسن (عليه السلام) الصلح، هذا الأمر أوجد الخلافات بين جند الإمام الحسن (عليه السلام)، بعضهم، الذي كان يريد الراحة، انطلت عليهم حيلة معاوية، وأصروا عليه أن يتصالح مع معاوية".

"صمم معاوية أن يهاجم الكوفة، الإمام علي استعد أيضًا بجيشه لمواجهته، التقى الجيشان في مكان يسمى صفين. الإمام علي- من أجل أن يهدي الضالين، وإتمام الحجة على معاوية- لم يأمر جنوده بالهجوم حتى لا يريق الدماء، أرسل رسلاً لنصيحة جند الشام. بعد فترة أعلن معاوية أن الحرب هي الطريقة الوحيدة، هي الحرب، وبالتالي قامت حرب شديدة، واستمرت عدة أيام، قُتل فيها الكثير منهم، انتصر في المعركة جند الإمام علي بقيادة مالك الأشتر، الذي استطاع أن يهزم جيش معاوية، وبمؤامرة من عمرو بن العاص وضع جند معاوية القرآن على الرماح، وطلبوا التحكيم إلى القرآن، ولكن الإمام عليًا (عليه السلام) وقائده مالكًا أصرا على استمرار المعركة، ولم تنجح فتنة معاوية. في النهاية تم اختيار عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري للتحكيم، خُدع أبو موسى، وحُكم لصالح معاوية".

"عندما وافق الإمام علي (عليه السلام) على تولي الخلافة، وأنه يسعى إلى العدالة، أدرك بعض الأفراد، مثل طلحة والزبير، أنهم لن يستطيعوا أن يحققوا مطالبهم، ومنها أن يحكموا المدن المهمة، وبحجة زيارة بيت الله الحرام خرجوا من المدينة، وتوجهوا إلى مكة، وقد اصطحبوا معهم إلى مكة عائشة (زوجة الرسول). لم يمض وقت طويل حتى خرجت عائشة وطلحة والزبير وأنصارهم من مكة إلى البصرة، وهناك بدءوا بالاستعداد لمحاربة الإمام علي (عليه السلام). الإمام لم يكن إمامه إلا أن يتجه وجيشه من المدينة إلى البصرة".

"عندما وصل الإمام علي (عليه السلام) إلى العراق، أرسل أناسًا إلى عائشة وطلحة والزبير، ودعاهم إلى الصلح، ولكنهم لم يقبلوا دعوته، وفي النهاية وقعت الحرب، وبعد معركة شديدة انتصر فيها جند الإمام علي، في هذه الحرب كانت عائشة تركب على الجمل، ولذلك سميت بـ"معركة الجمل".

"بعد معركة الجمل لم يعد الإمام علي (عليه السلام) إلى المدينة، وأعلن مدينة الكوفة في العراق مركزًا للخلافة. مدينة الكوفة موقعها مناسب؛ نظرًا لقربها من إيران والشام والحجاز، وكما سنرى فإن الإمام عليًا كان يريد أن يكون قريبًا من الشام".

"في عهد خلافة عثمان.... أن معاوية ومعه أبوه أبوسفيان، اللذين أسلما عند فتح مكة، أصبحت حكومة الشام تحت أيديهم، وكان يحكم وكأنه ملك، ولهذا عزله عن الحكم، ولكنه لم يطع أمر الإمام علي (عليه السلام). بعد ذلك، وبمنح بعض المسلمين من الأموال العامة للمسلمين أصبحوا من أنصاره، وكذلك قام بخداع أهالي الشام، وحرضهم على الانتقام لدم عثمان من الإمام علي (عليه السلام). الإمام طلب مرارًا من معارضيه أن يقدموا قاتل أو قتلة عثمان لمجازاتهم، ولكنهم لم يكونوا يقدمون غير الاتهامات الواهية".

"كان هدف معاوية الأساسي أن يحكم كل المسلمين، وحتى يصل إلى هدفه، وبما أنه كان مخادعًا، كان يعطي وعودًا لأي شخص، ومن ضمنهم عمرو بن العاص (حاكم مصر السابق)، وعده إذا وصلت له الخلافة سيعيده حاكمًا على مصر".

"وصل معاوية إلى الخلافة. وبقبوله بشروط الإمام الحسن إلى الخلافة في السنة الحادية والأربعين للهجرة، ولكنه تجاهل معاهدة الصلح فورًا. استشهد عدد كبير

من الشيعة، وانتشر الظلم والكراهية في المجتمع. هذه الأحداث كشفت وجه معاوية الحقيقي، وأدرك الجميع النتيجة التي وصلوا إليها لعدم إطاعتهم للإمام الحسن (عليه السلام)، معاوية كان يمنع الإمام حسن (عليه السلام) من تحقيق أهدافه، واستشهد الإمام بالسم، معاوية تصور أنه لم يعد له معارضون، زاد ظلمه للناس يومًا بعد يوم، كان يوزع الأموال العامة للمسلمين بين أنصاره وأقربائه، وكان في عاصمته دمشق يحكم مثل الملوك، وكمثال لتدابيره أنه عين ابنه يزيد خليفة له. الحسين بن علي (ثالث الأئمة الشيعة) خالف هذه التدابير التي قام بها معاوية".

"في اليوم العاشر من محرم (عاشوراء) سنة واحد وستين للهجرة، لم يبق من أصحاب الإمام إلا اثنان وسبعون من، بدأت المعركة، الحرُّ سمع كلام الإمام حسين، انضم إلى صفوف جيش الحسين واستشهد، استمرت الحرب يوم عاشوراء منذ الصباح حتى بعد الظهر، الحسين بن علي، بالنهاية قاتل الإمام حسين وجميع أصحابه، ولأجل بقاء الدين الإسلامي قاتل ببسالة في هذه الحرب، في واقعة كربلاء، استشهد حضرة العباس أخ الإمام حسين، وعلي الأكبر ابن الإمام. جيش يزيد لم يرحم أيضًا الرضيع عليًا الأصغر. في هذا الوقت الذي قتل فيه جميع أصحابه لم يبق غير الإمام حسين وحيدًا يقاتل جند الأعداء، وقد خاف جنود يزيد بسالته وشجاعته وفروا، وقد استطاع أن يقتل منهم عددًا كبيرًا، وبالنهاية استشهد الإمام حسين (عليه السلام)، كان الإمام حسين (عليه السلام) مثلاً للشجاعة والإيثار، وكان من أسعد شهداء الإسلام، حضرته- وبتحمله المصائب الكبيرة، وإيثاره في تقديم نفسه- فقد أعطى الكثيرين درسًا في الحرية والشجاعة، وأحيا الإسلام. قام جند معاوية بعد استشهاد الإمام حسين (عليه السلام) بالهجوم على عائلته، وأخذوهم أسرى النساء والأطفال، وحتى الإمام علي بن الحسين (الإمام الرابع

للشيعة)، وكان مريضًا طريح الفراش، وأخذوهم إلى الشام إلى يزيد".

"كان حكام بني أمية ظالمين، كانوا يحكمون الأراضي الإسلامية ومن ضمنها إيران، كانوا يأخذون ضرائب كبيرة من الناس، وكانوا يقمعون أي مخالفة لهم بشدة، في عهد الأمويين تحمل المسلمون، وبخاصة الشيعة، الكثير من التعذيب والاضطهاد، كما استشهد الإمام محمد باقر (عليه السلام)، على أثر الثورات التي قامت ضد بني أمية، وضعت هذه الثورات حكومة بني أمية على حافة السقوط. عداء بني أمية الحقيقي كان لعائلة الرسول ﷺ ومحبيهم، ومع هذا فقد كان عدد الشيعة يزداد يومًا بعد يوم، وخاصة في إيران، وبالنهاية وبسبب ظلم بني أمية وفسادهم قام المسلمون لمواجهتهم، أحد قادة هذه المواجهة أبو مسلم الخراساني، وقد ادعى أنه من أنصار عائلة الرسول ﷺ، ولهذا اجتمع حوله عدد كبير، ثم بدأ يحارب بني أمية، وهزم مروان (وكان آخر الخلفاء الأمويين)، وأثناء هروب مروان قُتل، وانقرضت حكومة بني أمية".

"بعد بني أمية، وصل بنو عباس إلى السلطة، وكانوا مخالفين لبني أمية، لم يكن للعباسيين سمعة جيدة بين الناس، ولكنهم استطاعوا الوصول إلى السلطة عن طريق المكر والخُدع، وللوصول إلى الحكم أرسلوا مندوبين إلى كافة المدن المختلفة، من جملتها خراسان، وأشهر من أرسلوا أبو مسلم الخراساني، إلى كل مكان وصل إليه المندوبون كانوا يدعون الناس للنهضة؛ ليتولى الحكم أحد أفراد عائلة الرسول، ولكنهم لم يقولوا مَن يقصدون، وبالتالي كان ينضم إليهم كل من يحب عائلة الرسول والمعارضون لبني أمية، وكان أكثرهم من الإيرانيين، وبعد هذه الثورة على بني أمية وانتصارهم، لم يعطهم العباسيون فرصة للاختيار، وفورًا جلسوا مكانهم. أول من تولى الحكم من العباسيين: السفاح".

ها هي الصورة التي رسمتها النصوص لأهل السنة في موقفهم من مسألة الخلافة، من خلال حديثها عن الصحابة الذين هم- بنظر الشيعة- أوائل أهل السنة.

يمكن تلخيص تلك الصورة بما يلي:

- أن الصحابة (أهل السنة) لم يلتزموا بوصية الرسول ﷺ لعلي بن أبي طالب ﷺ.
- أن الخليفة الصديق عهد لعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) دون استشارة أحد من الصحابة.
- أن الصحابة عندما رأوا الأمر- لابد- سائرًا إلى علي بن أبي طالب لجئوا إلى الخروج، وإعلان الحرب على علي بن أبي طالب ﷺ. وقد قاد هذه المؤامرة السيدة عائشة وطلحة والزبير (رضي الله عنهم أجمعين).
- أن أهل السنة- ممثلين بمعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص- قد خدعوا علي بن أبي طالب ﷺ في قضية التحكيم.
- أن أهل السنة لم يكتفوا بحرمان آل البيت من حقهم، بل مارسوا تجاههم سياسة البطش والقتل والظلم.
- أن بني أمية مارسوا المكر والخداع لأجل الوصول إلى السلطة؛ "كان هدف معاوية الأساسي أن يحكم كل المسلمين، وحتى يصل إلى هدفه، وبما أنه كان مخادعًا، كان يعطي وعودًا لأي شخص، ومن ضمنهم عمرو بن العاص (حاكم مصر السابق) وعده إذا وصلت له الخلافة سيعيده حاكمًا على مصر". وبعد أن وصلوا إلى الحكم مارسوا الظلم والاضطهاد ضد أعدائهم، وخاصة تجاه آل البيت.

- سار بنو العباس- وكأنهم ليسوا من آل البيت- على نهج بني أمية، فقد خدعوا العلويين واستولوا على الحكم.

بعد استعراض الصورة التي رسمتها النصوص لأهل السنة، وكانت في مجملها حول موضوع الخلافة، وتلخيص أبرز معالم تلك الصورة، لابد من تناولها واحدة تلوى أخرى حسب التسلسل الزمني، معتمدين- بإذن الله- المنهج العلمي في النقد والتحليل.

اتهام المسلمين السنة بعدم طاعة أوامر الرسول ﷺ

من أمثلة ذلك: اعتراض المسلمين على تأمير أسامة بن زيد قائدًا للجيش الذي أمر الرسول بإرساله: "اعترض عدد من المسلمين على تعيين أسامة قائدًا لهذا الجيش من المهاجرين والأنصار؛ وذلك لصغر سنه. وقال الرسول الكريم: إنه أهل لهذه القيادة. في هذه الأيام مرض الرسول ﷺ، واستغل البعض...- وبحجة مرض الرسول- ورفضوا وغضبوا من قيادة أسامة للجيش، وتخلف البعض منهم عن الالتحاق بالجيش". (النص الأول).

كما أنهم خالفوا أمر الرسول ﷺ في أمر الوصية لعلى: "ولم يأخذوا بوصية الرسول ﷺ في غدير خم". (النص الأول).

ولنبدأ في تفسير هذه القضية، والتي هي محور الفكر والعقيدة الشيعية: "إن الصحابة (أهل السنة) لم يلتزموا بوصية الرسول ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهم الأئمة أصحاب العصمة".

نتوقف عند مفهوم الشيعة للإمامة، وحديث الغدير الذي احتج فيه الشيعة بالوصاية، وبأحقية علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالخلافة.

كانت القضية الأساسية التي ركز عليها الشيعة الإمامية هي قضية الإمامة، ومن ثم حاولوا أن يثبتوا إمامة علي رضي الله عنه وخلافته عن الرسول (عليه الصلاة والسلام)، وأنه مستحق لهذه الخلافة، لا عن طريق الكفاية وحدها، كما يقول بقية المسلمين، ولا عن طريق ما ورد عن النبي (عليه الصلاة والسلام)، من أوصاف لا تنطبق إلا عليه، كما يقول الزيدية، بل عن طريق النص عليه بالاسم والتعيين

المباشر، وذهبوا إلى أن النبي (صلوات الله وسلامه عليه) عين عليًا للإمامة، وهو بدوره يعين من بعده بوصيته من النبي ﷺ، ويسمون بالأوصياء، ثم رأوا أن الأئمة هم علي وأبناؤه من فاطمة على التعيين واحدًا بعد واحد في نهاية السلسلة، التي أشرنا إليها من قبل، وأن معرفة الإمام أصل من أصول الإيمان، واحتجوا لذلك بأنه ليس في الإسلام أمر أهم من تعيين الإمام، ولم يكن للنبي أن يفارق الدنيا قبل أن يحسم هذا الأمر، بأنه إنما بعث لرفع الخلاف، وتقرير الوفاق، فلا يجوز أن يفارق الأمة ويتركهم هملاً يرى كل واحد منهم رأيًا، ويسلك كل واحد منهم طريقًا لا يوافقه في ذلك غيره، بل يجب أن يعين شخصًا هو المرجوع إليه، وينص على واحد هو الموثوق به، والمعول عليه، وقد عيّن عليًا ﷺ في مواضع تعريفًا، وفي مواضع تصريحًا"[١].

ويذهب الكاتب الشيعي، سعد القمي، إلى أن النبي ﷺ نص على إمامة علي، وأشار إليه باسمه وعينه، وقلد الأمة إمامته، وأقامه ونصبه لهم علمًا، وعقد له عليهم إمرة المؤمنين، وجعله وصيّه وخليفته ووزيره في مواطن كثيرة[٢].

ويعتقد الشيعة الإمامية الاثنا عشرية أن نص النبي ﷺ على إمامة علي لا يقتصر عليه، بل يتسلسل في الأئمة الاثني عشر من ولده، ويذهب المسعودي إلى أن أهل الإمامة انفردوا بالقول بأن: "الإمامة لا تكون إلا نصًا من الله ورسوله على عين الإمام واسمه واشتهاره كذلك. وفي سائر الأعصار لا تخلو الناس من حجة لله فيهم ظاهرًا أو باطنًا". وبعد أن أورد المسعودي فضائل علي، والنصوص الواردة في

(١) الشهرستاني، ج١، ص١٦٢.

(٢) المقالات والفرق، ص١٦.

إمامته يقول: "وإن عليًا نص على ابنه الحسن، ثم الحسين، والحسين على علي بن الحسين، وكذلك من بعده إلى صاحب الوقت الثاني عشر"[١].

وقد أكد الشيعة أن الإمامة لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان النبي (عليه الصلاة والسلام)، أو لسان الإمام الذي قبله[٢]، وليست هي بالاختيار والانتخاب من الناس. وبناء على هذا يذهب هؤلاء إلى القول ببطلان إمامة من تقدم على علي ﷺ، فالشيعة تقول-كما جاء في رواية الطوسي-: "إن من تقدم على أمير المؤمنين (ع) لا يصلح للإمامة"[٣]، ويرى هؤلاء الشيعة أن إمارة المؤمنين سلبت من علي بمؤامرة دبرها جماعة من بينهم أبو بكر وعمر، وذات مرة سمع الحارث بن الحصيرة الأسدي الإمام الباقر يقول: "كنت دخلت مع أبي الكعبة، فصلى على الرخامة الحمراء بين العمودين فقال: في هذا الموضع تعاقد القوم إن مات رسول الله ﷺ أو قتل، ألا يردوا هذا الأمر في أحد من أهل بيته أبدًا، قال: ومن كان؟ قال: كان الأول والثاني وأبو عبيدة بن الجراح وسالم بين الحبيبة"[٤].

وقد دافع الشيعة عن هذا المعتقد دفاعًا حارًا، فأوردوا العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وساقوا بعض الوقائع عن النبي ﷺ، واستنبطوا أدلة عقلية كثيرة، كل ذلك ليثبتوا أن عليًا ﷺ متميز عن غيره من الصحابة، وأنه مفضل عليهم، وأن النبي ﷺ عيّنه من أجل ذلك ليكون خليفة له من بعده. وسنكتفي في

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص ٢٣٧- ٢٣٨.

(٢) محمد رضا المظفر، عقائد الإمامية، ص٦٦.

(٣) الطوسي، تلخيص الشافي، ج٣، ص٩٦.

(٤) الكليني، الكافي، ج٤، ص ٥٤٥.

هذا المجال بالإشارة إلى نماذج من هذه الحجج والبراهين التي استند إليها الشيعة، وبيان قيمتها ومدى حجيتها في إثبات معتقدهم. فمن بين ما استدل به الشيعة: ما يروونه من أنه حين نزلت الآية القرآنية: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤] جمع النبي ﷺ بني هاشم وأنذرهم قائلاً: "أنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان، ثقيلتين في الميزان، تملكون بهما العرب والعجم، وتنقاد لكم بهما الأمم، وتدخلون بهما الجنة، وتنجون بهما من النار: شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فمن يجيبني إلى هذا الأمر، ويؤازرني على القيام به؛ يكن أخي ووزيري ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدي"، فلم يجبه أحد منهم، فقال أمير المؤمنين: أنا يا رسول الله، أؤازرك على هذا الأمر، فقال: "اجلس"، ثم أعاد القول على القوم ثانية وثالثة، فلم ينطق أحد منهم بحرف، فقام علي وقال: أنا أؤازرك يا رسول الله على هذا الأمر، فقال: "اجلس، فأنت أخي ووزيري ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدي"، فنهض القوم وهم يقولون لأبي طالب: ليهنك اليوم أن دخلت في دين ابن أخيك، فقد جعل ابنك وزيرًا عليك[١].

وقد ذهب الشيعة إلى أن هذا نص جلي بتعيين علي خليفة من بعد النبي ﷺ، وقد رفض ابن تيمية رواية الشيعة للحديث، وذكر أنها لم ترد في الكتب التي تقوم بها الحجة كالصحاح والمسانيد، بل إنها لم ترد في كتب السنن والمغازي والتفسير، ومن ثم فإن الحديث بالصورة التي رواه بها الشيعة كذب موضوع، ونصه مفتري على النبي ﷺ، ولا تصح نسبته إليه[٢]. وقد ذكر هذه الرواية ابن كثير في تفسيره لسورة

(١) الطبرسي، مجمع البيان، ج١٩، تفسير الآية ٢١٤.

(٢) منهاج السنة، ج٤، ص٨١- ٨٤.

الشعراء، فقال: "وقد رواه أبو جعفر بن جرير، عن ابن حميد، عن سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الغفار بن القاسم بن أبي مريم، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس، عن علي بن أبي طالب... وبعد أن ذكر الحديث كما ورد أعلاه، عقَّب عليه قائلاً: "تفرد بهذا السياق عبد الغفار بن أبي مريم، وهو متروك كذاب شيعي، اتهمه علي بن المديني وغيره بوضع الحديث، وضعفه الأئمة- رحمهم الله-"[١]، وقد قال الذهبي في ميزان الاعتدال: "عبد الغفار بن القاسم أبو مريم الأنصاري رافضي ليس بثقة، قال علي بن المديني: كان يضع الحديث، ويقال كان من رءوس الشيعة، قال أحمد: كان أبو مريم يحدث ببلايا في عثمان، وقال أبو حاتم والنسائي وغيرهما: متروك الحديث"[٢]، وهذا يؤيد ما ذهب إليه ابن تيمية من أن ما ورد من هذه الرواية ضعيف جدًا، ومن ثم لا يصح الاحتجاج بها. ويذهب الرازي إلى أنه ليس في الحديث إن صحت رواية الشيعة، دلالة على تعيين "علي"، أو الوصية له؛ لأن النبي ﷺ قال: "خليفتي فيكم"، ولم يقل: "خليفتي فيكم من بعدي" كما زعمه الشيعة، ولو قال ذلك لكانت نصًا جليًا. ويشير الرازي إلى أن الشيعة الزيدية ينكرون النص الجلي على "إمامة علي" مع أنهم من أشهر الناس حبًا لأمير المؤمنين[٣].

ومما احتج به الشيعة: قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ** ﴾ [المائدة:٥٥]، إذ ذهبوا إلى أن الآية تنص

(١) تفسير القرآن الكريم، ج٣، ص ٣٥١.
(٢) الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٢، ص٦٤٠.
(٣) الرازي، نهاية العقول، ص٢٥.

على أن الذي يلي أمر الناس، ويدبر أمورهم، ويتولى مصالحهم هو الله تعالى ورسوله والذين آمنوا، وقد حدد وصف "الذين آمنوا" بأنهم الذين يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة وهم في حالة ركوعهم، وقد ثبت أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب حين تصدق بخاتمه على فقير وهو راكع، ولم يفعل غيره ذلك، مما يدل على أنه المعني بولاية المؤمنين[١]، ويؤيد هذا- في رأيهم- أحاديث تذكر هذه الحادثة، وتربط بها نزول هذه الآية، ويقول الطوسي: "اعلم أن هذه الآية من الأدلة الواضحة على إمارة أمير المؤمنين (عليه السلام)، ووجه الدلالة فيها أنه قد ثبت أن الولي في الآية بمعنى الأولى والأحق، وثبت أيضًا أن المعنى بقوله: (والذين آمنوا) أمير المؤمنين (عليه السلام)، فإذا ثبت هذان الأصلان دلَّ على إمامته؛ لأن كل من قال: إن معنى الولي في الآية ما ذكرناه قال: إنها خاصة فيه، ومن قال باختصاصها فيه عليه السلام قال: المراد بها الإمامة[٢].

وقول الشيعة بأن هذه الآية نزلت في علي غير صحيح، بل إن الأحاديث الثابتة الصحيحة تبين أن هذه الآية وما قبلها من الآيات التي تتحدث عن الولاء نزلت في عبادة بن الصامت ﷺ حين تبرأ من ولاية اليهود، ورضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين، ولهذا قال الله تعالى بعد هذا: ﴿ **وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ** ﴾ [المائدة:٥٦]، فالآية إذن عامة للمسلمين جميعًا، تحثهم على إخلاص الولاء لله ورسوله، وولاء بعضهم لبعض[٣].

---

(١) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج٤، ص ٢.

(٢) الطوسي، التبيان، مجلد ٣، ص ٥٤٩.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص٦٨، ٦٩، ومنهاج السنة النبوية، ج٤، ص ٤، ٥.

أما الآثار التي أوردها الشيعة، وربطوا فيها نزول الآية بعلي وحادثة تصدقه بخاتمه وهو راكع، فقد ذهب ابن كثير إلى أنه لا يصح فيها شيء بالكلية؛ لضعف أسانيدها، وجهالة رجالها(١)، هذا بالإضافة إلى أن فهم الشيعة للآية لا يستقيم ومقررات الشرع. وقد بين ابن كثير ذلك بقوله: "وقد توهم بعض الناس أن هذه الجملة (وهم راكعون) في موضع الحال من قوله: (ويؤتون الزكاة)، "أي حال ركوعهم"، ولو كان هذا كذلك لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره؛ لأنه ممدوح، وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء ممن نعلمه من أئمة الفتوى"(٢). ويذهب الشوكاني إلى أن مما يدفع هذا الفهم للآية عدم جواز إخراج الزكاة في تلك الحال(٣)، وغاية ما في الآية، كما يقول ابن تيمية، أن المؤمنين عليهم موالاة الله ورسوله والمؤمنين، فيوالون عليًا من جملة المؤمنين، وهذا هو المعنى الواضح للولاية في هذه الآية، وليس المراد بها الإمارة كما ذهب الشيعة(٤).

ومما احتج به الشيعة أيضًا حديث "الكساء"، الذي ورد في إحدى رواياته عن أم سلمة، زوج النبي (عليه الصلاة والسلام)، أن قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ [الأحزاب:٣٣]، نزلت في بيتها، وقالت: إنها سألت الرسول ﷺ: أليست من أهل البيت؟ فقال: "إنك على خير، من أزواج النبي" (عليه الصلاة والسلام)، وكان في البيت رسول الله ﷺ

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص٧١.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٧١.

(٣) الشوكاني، فتح القدير، ج٢، ص٥١.

(٤) منهاج السنة النبوية، ج٤، ص٨.

وعلي وفاطمة والحسن والحسين، فجللهم بالكساء، وقال: "اللهم أهل بيتي؛ فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرًا"[١]. وقد ذهب الشيعة إلى أن الآية نزلت في حق علي وفاطمة والحسن والحسين بنص هذا الحديث، ومن ثم فهي تدل على عصمتهم دلالة مؤكدة، وغير المعصوم لا يكون إمامًا[٢].

وحديث "الكساء"، كما يقول ابن تيمية، صحيح، رواه أحمد والترمذي من حديث أم سلمة، ورواه مسلم[٣] في صحيحه من حديث عائشة قالت: "خرج النبي ﷺ غداة وعليه مِرْط* مُرَحَّلٌ من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾. ويذهب ابن تيمية إلى أن هذا الحديث قد شرك عليًا فيه فاطمة وحسن وحسين ﷺ، فليس هو من خصائصه، ومعلوم أن المرأة لا تصلح للإمامة، فعلم أن هذه الفضيلة لا تختص بالأئمة، بل يشركهم فيها غيرهم، ثم إن مضمون الحديث لا يقتضي العصمة، بل يتضمن أن النبي ﷺ دعا لأهل بيته المذكورين أن يذهب الله عنهم الرجس، ويطهرهم تطهيرًا، وغاية ذلك أن يكون دعاء لهم بأن يكونوا من المتقين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم[٤].

---

(١) منهاج السنة النبوية، ج٤، ص٢٠.

(٢) الطبرسي، مجمع البيان، ج٢٢، ص١٣٧-١٣٩.

(٣) نص الحديث من رواية مسلم، وانظر صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ، ج٧، ص١٣٠.

* **المرط**: كساء من صوف أو خزٍّ يؤتزر به، أو يتلفع به.

(٤) منهاج السنة النبوية، ج٤، ص٢٠-٢٣.

واستشهد الشيعة أيضًا بقول الله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ [الشورى:٢٣]، وأوردوا في تفسير هذه الآية حديثًا عزوه إلى النبي ﷺ، حدد فيه القربى بعلي وفاطمة وأبنائهما، الأمر الذي يدل- في رأي الشيعة- على أفضليتهم، ووجوب مودتهم، ومن ثم وجوب طاعتهم واتخاذهم أئمة دون غيرهم[1].

وقد تتبع ابن كثير أيضًا الأحاديث الواردة في تفسير هذه الآية، وبين أن الأحاديث التي تنص على أن أولي القربى هم فاطمة وولداها، ضعيفة الإسناد، وأورد رواية عن ابن أبي حاتم قال: حدثنا رجل سماه، حدثنا حسين الأشقر، عن قيس، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﷺ قال: "لما نزلت هذه الآية: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا ﴾- الآية- قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم؟ قال: "فاطمة وولداها" ﷺ. وهذا إسناد ضعيف فيه متهم لا يُعرف، عن شيخ شيعي مخترق، وهو حسين الأشقر، ولا يقبل خبره في هذا المحل. وذِكْر نزول الآية في المدينة بعيد؛ فإنها مكية، ولم يكن إذ ذاك لفاطمة (رضي الله عنها) أولاد بالكلية؛ فإنها لم تتزوج بعلي إلا بعد بدر من السنة الثانية من الهجرة، وتفسير هذه الآية بما فسرها به حبْر الأمة وترجمان القرآن، عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما)، كما رواه عنه البخاري"[2].

---

(١) الطبرسي، مجمع البيان، ج٢٥، ص٤٩-٥١، ومختصر التحفة الاثني عشرية، ص١٥٤.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص١١٢. ونص حديث ابن عباس- كما ورد في البخاري- قال: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عبد الملك بن ميسرة قال: سمعت طاوسًا عن ابن عباس- رضي الله عنهما- أنه سُئل عن قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾، =

ومما تمسك به الشيعة أيضًا حديث "غدير خُمْ"، الذي يقال أنه حينما نزلت الآية: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [المائدة:٦٧]، كان الرسول (عليه الصلاة والسلام) في طريق عودته من حجة الوداع، فلما بلغ "غدير خُمْ" وهو اسم لغيضة على ثلاثة أميال من الجحفة، ويقع بين مكة والمدينة، أخذ بيد علي وخاطب جماعة المسلمين قائلاً: "يا معشر المسلمين، ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى، قال: "من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا هل بلغت؟" ثلاثًا. وزعمت الشيعة بأن هذا نص صريح في ولاية علي، وفسروا المولى هنا بمعنى الأَوْلَى بالتصرف، وذهبوا إلى أن كونه أولى بالتصرف عين الإمامة"[1].

والحديث بهذه الصورة لم يرد في أمهات الكتب، وأورد الترمذي جزءًا منه، وهو: "من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه"، ووصف الإمام أحمد باقي الحديث بأنه زيادة كوفية[2]. وما صح من هذا الحديث ليس فيه

= فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد ﷺ، فقال ابن عباس: عجِلت، إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة. صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿ إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾، حديث رقم ٣٤٩٧.

(١) الطبرسي، مجمع البيان، ج٦، ص١٥ – ١٥٣.

(٢) روى الإمام أحمد في المسند (٤/ ٢٨١) عن البراء بن عازب، أن رسول الله ﷺ لما نزل بغدير خُمّ (بضم الخاء وتشديد الميم)– اسم لغيضة على ثلاثة أميال من الجحفة– أخذ بيد علي فقال: "ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟"، قالوا: بلى، قال: "ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟"، قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي فقال: "من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه، =

دلالة على تعيين علي للإمامة؛ لأن تفسير الشيعة للمولى هنا المحبة، أو دخول علي في ولاية المسلمين العامة المنبثقة من الإيمان، والتي تجب على كل مسلم، وهذا مما لا غبار عليه، ولا يستلزم أحقيته في خلافة الرسول ﷺ دون من عداه(١).

والأحاديث التي أوردها الشيعة في فضائل علي، واستندوا عليها في القول بإمامته بعضها صحيح، ولكنه لا يسند دعواهم تلك، ومعظمها موضوع لا أساس له ولا سند.

ومن الأحاديث الصحيحة التي حاولوا الاستدلال بها ما يعرف بينهم بحديث: "المنزلة"، والذي ورد فيه أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف عليًا، فقال علي: "أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: "ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه ليس بعدي نبي"(٢).

وذهب الشيعة إلى أن في هذا الحديث دلَّ النبي على إمامة علي، وذهب سعد القمي إلى أن النبي أعلمهم أن منزلته منه منزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعده، وإذ جعله نظير نفسه في حياته، وأنه أولى بهم بعده، كما كان هو ﷺ أولى بهم

=

وعادِ من عاداه"، فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئًا يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة". وهذا الحديث سنده ضعيف. ولقد رواه الإمام أحمد من طرق أخرى، حديث رقم ٥٦٧٩، وكلها عن زيد بن أرقم نحوه، دون قوله: فلقيه عمر... وبالجملة فالمرفوع من الحديث صحيح، أي دون قول عمر ﷺ، ورواه الترمذي بسند صحيح بلفظ: "من كنت مولاه فعلي مولاه". حديث رقم ٣٧١٣، أما زيادة: "وانصر من نصره.." إلى آخر الحديث، فلم ترد عند أحمد ولا غيره.

(١) مختصر التحفة الاثني عشرية، ص ١٥٩-١٦٢.

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم ٤٤١٦.

منهم بأنفسهم؛ إذ جعله في المباهلة كنفسه(١). ويقول أبو حنيفة النعمان الإسماعيلي: "ولا يقتضي قول رسول الله ﷺ لعلي "ع": "أنت مني بمنزلة هارون من موسى"، إلا أنه خليفته في أمته، كما قال موسى لهارون: أخلفني في قومي(٢). ويرى الشيخ المفيد أن حديث المنزلة نص لا خفاء فيه على إمامة علي؛ لأن رسول الله ﷺ حكم له بالفضل على الجماعة، والنصرة والوزارة والخلافة في حياته وبعد وفاته، والإمامة له بدلالة أن هذه المنازل كلها كانت لهارون من موسى في حياته، وإيجاب جميعها لأمير المؤمنين، إلا ما أخرجه الاستثناء منها ظاهرًا، وأوجبه بلفظه له، من بعد وفاته، بتقدير ما كان يجب لهارون من موسى لو بقي بعد أخيه، فلم يستثنه النبي ﷺ، فبقي لأمير المؤمنين بعموم ما حكم له من المنازل(٣).

ويعلق الموسوي على هذا الحديث بقوله: "فعلي، بحكم هذا النص، خليفة رسول الله في قومه، ووزيره في أهله، وشريكه في أمره– على سبيل الخلافة عنه، لا على سبيل النبوة– وأفضل أمته، وأولاهم به حيًا وميتًا، وله عليهم من فرض الطاعة زمن النبي– وزيارته له– مثل الذي كان لهارون على أمة موسى زمن موسى. ومن سمع حديث المنزلة قائمًا يتبادر منه إلى ذهنه هذه المنازل كلها، ولا يرتاب في إرادتها منه"(٤).

---

(١) سعد القمي، المقالات والفرق، ص١٦.

(٢) دعائم الإسلام، ج٢، ص٢٠.

(٣) نبيلة عبد المنعم، نشأة الشيعة، ص١١٧، نقلاً عن الشيخ المفيد، الإفصاح في إمامة علي، ص٦٠.

(٤) الموسوي، المراجعات، ص١٦٣.

وحديث المنزلة هذا صحيح، أورده البخاري في الرواية السابقة، وفي رواية أخرى ليس فيها: "إلا أنه ليس نبي بعدي"(١)، كما رواه مسلم(٢)، والترمذي(٣)، ولكن لا دلالة في الحديث على تعيين علي وتخصيصه بالإمامة بعد الرسول، كما يقول الشيعة، بل المراد منه ويفهم من سياقه: أن الرسول استخلف عليًا على أهله وعلى المدينة حينما توجه إلى غزوة تبوك، ويؤيد هذا ما ورد من أنه حينما فعل الرسول ﷺ ذلك، أرجف المنافقون في المدينة، وأشاعوا أن الرسول (عليه الصلاة والسلام) جفا علي بن أبي طالب وأبغضه، فلحق علي بالرسول وقال له: يا رسول الله، أتتركني مع الأخلاف؟ فرد عليه الرسول: "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي"، بمعنى أني لم أخلفك في المدينة بغضًا مني، كما أن موسى لم يخلف أخاه هارون في بني إسرائيل لما توجه لكلام ربه بغضًا ومقتًا له.

ويذهب الباقلاني إلى أنه مما يدل على أن هذا المعنى هو الذي قصده الرسول بقوله، علمنا بأنه كان لهارون من موسى منازل منها: أنه كان أخاه، ومنها أنه كان شريكًا له في النبوة، ومنها أنه خلفه في قومه لما توجه لكلام ربه، وليس منها أنه خلفه بعد موته؛ لأن هارون مات قبل موسى بسنين كثيرة، وإنما خلف موسى بعد موته يوشع بن نون، فلا يجوز أن يكون النبي ﷺ عني بقوله: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى"، أنك أخي لأبي وأمي، ولا أنك تخلفني بعد موتي؛ لأن هذه منزلة لم تكن لهارون من موسى؛ فثبت أنه أراد أنك خليفتي في أهلي وعلى المدينة

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم ٢٢١٩.

(٢) مسلم، حديث رقم ٢٤٠٤.

(٣) الترمذي، حديث رقم ٣٧٣١.

عند توجهي إلى هذه الغزوة، كما خلف موسى أخوه هارون في قومه عند توجهه لكلام ربه"(١)، فإن قالوا: ما معنى قوله ﷺ: "إلا أنه لا نبي بعدي"؟ وكيف يجوز أن يقول: أما ترضى أن تخلفني في قومي، وفي أيام حياتي، إلا أنه لا نبي بعدي"؟ قيل لهم: لم يُرِد "بعدي" بعد وفاتي، وإنما أراد لا نبوة بعد نبوتي؛ لا معي ولا بعدي، وهذا كما يقول القائل: لا ناصر لك بدون فلان"(٢).

ويذهب ابن حزم إلى أن هذا الحديث: (حديث أنت مني بمنزلة هارون... إلخ) لا يوجب لعلي فضلاً على من سواه، ولا استحقاق الإمامة بعده عليه السلام؛ لأن هارون لم يلِ أمر بني إسرائيل بعد موسى (عليهما السلام)، وإنما ولي الأمر بعد موسى (عليه السلام) يوشع بن نون، كما ولي الأمر بعد رسول الله ﷺ صاحبه في الغار"(٣).

أما الأحاديث الموضوعة التي استدل بها الشيعة فكثيرة جدًا، ومن ذلك ما رواه جابر عن النبي ﷺ أنه قال: "أنا مدينة العلم، وعلي بابها"، فهذا خبر مطعون فيه رغم رواية الترمذي له، إذ أنكره البخاري، وقال عنه يحيى بن معين: لا أصل له، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات، وقال النووي والذهبي: إنه موضوع(٤)، ويقول الألباني: وحديث "أنا مدينة العلم، وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب" موضوع، رواه العقيلي في الضعفاء، وابن عدي في الكامل، والطبراني في الكبير،

---

(١) الباقلاني، التمهيد، ص١٧٣، ١٧٤.

(٢) المصدر نفسه، ص١٧٤.

(٣) ابن حزم، الفصل، ج٤، ص٩٤.

(٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٤، ص٤١٠.

والحاكم عن ابن عباس، ورواه ابن عدي والحاكم عن جابر ﷺ[١]، وكذلك حديث: "أقضاكم علي"، الذي ادعت الشيعة أنه نص في الإمامة، موضوع لم يروه أحد من أهل الكتب الستة، ولا أهل المسانيد المشهورة؛ لا أحمد ولا غيره، بإسناد صحيح ولا ضعيف، ورواته معروفون بالكذب والتدليس[٢]، وكذلك حديث: "من ناصب عليًا الخلافة فهو كافر"، فلا أثر له بوجه في كتب أهل السنة أصلاً"[٣].

وهذه النماذج تكشف عن ضعف ما استند إليه الشيعة من حجج على اختصاص علي وتعيينه دون غيره للخلافة. ويؤيد هذا ما ذهب إليه ابن خلدون من أن ما استدل به الشيعة من نصوص إنما هي نصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم، لا يعرفها جهابذة السنة، ولا نقلة الشريعة، بل أكثرها موضوع، أو مطعون في طريقه، أو بعيد عن تأويلاتهم[٤]، وما أورده ابن حزم من أن سائر الأحاديث التي تتعلق بها الرافضة موضوعة، يعرف ذلك من له أدنى علم بالأخبار ونقلتها[٥].

ويعترف الكاتب الشيعي، ابن أبي الحديد، بدورالشيعة في وضع الأحاديث لتأييد مذهبهم في الإمامة، فيقول: "إن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة؛ فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلفة في صاحبهم، حملهم

---

(١) الألباني، ضعيف الجامع الصغير، ص١٣، رقم الحديث ١٤١٦.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٤، ص٤٠٨.

(٣) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج٤، ص١٠٧، ١٠٨.

(٤) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٠٨.

(٥) ابن حزم، الفصل، ج٤، ص ١٤٨.

على وضعها عداوة خصومهم، فلما رأت البكرية (يريد بعض السنيين) ما صنعت الشيعة، وضعت لصاحبها (أبي بكر) أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث.. فلما رأت الشيعة ما قد وضعت البكرية.. أوسعوا في وضع الأحاديث.. ولقد كان الفريقان في غنية عما اكتسباه... ولقد كان في فضائل علي الثابتة الصحيحة، وفضائل أبي بكر المحققة المعلومة ما يغني عن تكلف العصبية لهما"[١].

ورغم ضعف هذه الحجج وعدم قوتها؛ فإننا نجد أن بعض الشيعة المعاصرين لا زالوا يرددونها في كتاباتهم، ويستشهدون بها لإثبات معتقداتهم في الإمامة، وهذا أحد أئمتهم يذهب إلى أن الرسول يعتبر غير مبلغ للرسالة لو لم يعين عليًا خليفة من بعده، ويقول: "إن الرسول الكريم قد كلمه الله وحيًا أن يبلغ ما أنزل إليه فيمن يخلفه في الناس، وبحكم هذا الأمر فقد اتبع ما أمر به، وعين أمير المؤمنين عليًا للخلافة"[٢]، ويذهب إلى أن ولي الأمر هو الذي يتصدى لتنفيذ القوانين، وهكذا فعل الرسول ﷺ، ولو لم يفعل فما بلغ رسالته. وكان تعيين خليفة من بعده ينفذ القوانين، ويحميها، ويعدل بين الناس، عاملاً متممًا ومكملاً لرسالته"[٣].

وإلى جانب ما استدل به الشيعة من آيات وأحاديث، قدموا العديد من البراهين العقلية لإثبات هذا المعتقد، وقد كرّس الطوسي، المعروف عند الشيعة بشيخ الطائفة، كتابه الموسوم بـ:"تلخيص الشافي في الإمامة" لموضوع الإمامة، وانتهى إلى أن وجود الإمامة ضروري؛ لأن الشريعة مؤبدة، وأن المصلحة ثابتة إلى قيام الساعة

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١١، ص ٤٨-٥٠.

(٢) الخميني، الحكومة الإسلامية، ص ٤٢، ٤٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٩.

لجميع المكلفين، وعلى هذا لابد لها من حافظ، وليس يخلو الحافظ من أن يكون جميع الأمة أو بعضها، ثم يستطرد فيقول: "وليس يجوز أن يكون الحافظ لها الأمة؛ لأن الأمة يجوز عليها السهو والنسيان، وارتكاب الفساد، والعدول عما علمته، فإذن لابد لها من حافظ معصوم يؤمن من جهته التغيير والتبديل والسهو؛ ليتمكن المكلفون من المصير إلى قوله، وهذا هو الإمام الذي نذهب إليه"[1].

*** وننتقل إلى العصمة التي أصبغتها الكتب المدرسية الإيرانية على آل البيت من نسل علي بن أبي طالب (أبناء السيدة فاطمة رضي الله عنها).**

نتيجة لما أضفاه الشيعة على الأئمة من صفات ومواهب علمية غير محدودة، ذهبوا إلى أن الإمام ليس مسئولاً أمام أحد من الناس، ولا مجال للخطأ في أفعاله مهما أتى من أفعال، بل يجب تصديقه والإيمان بأن كل ما يفعله خير لا شر فيه؛ لأن عنده من العلم ما لا قِبَل لأحد بمعرفته، ومن هنا قرر الشيعة للإمام من ضمن ما قرروا: العصمة؛ فذهبوا إلى أن الأئمة معصومون في كل حياتهم لا يرتكبون صغيرة ولا كبيرة، ولا يصدر عنهم أية معصية، ولا يجوز عليهم خطأ ولا نسيان، ويقول محمد باقر المجلسي (توفي سنة ١١١٠هـ)- أحد علمائهم-: "اعلم أن إجماع علماء الإمامية قد انعقد على أن الإمام معصوم من جميع الذنوب، صغيرة كانت أم كبيرة، من أول العمر إلى آخره، فلا يقع منهم ذنب أصلا، لا عمدًا ولا نسيانًا ولا سهوًا ولا غير ذلك"[2]، ويقول عالم آخر من علمائهم: "إن الأئمة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام، وإقامة الحدود، وحفظ الشرائع، وتأديب الأنام- معصومون

---

(١) الطوسي، تلخيص الشافي، ج١، ص ١٣٣، ١٣٤.

(٢) أمين، ظهر الإسلام، ج٤، ص١١٠.

كعصمة الأنبياء، وإنهم لا يجوز منهم كبيرة ولا صغيرة، وإنه لا يجوز منهم سهو في شيء في الدين، ولا ينسون شيئًا من الأحكام. وعلى هذا مذهب سائر الإمامية إلا من شذَّ منهم"[١]، ويقول صاحب "عقائد الإمامية": "إن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصومًا من جميع الرذائل والفواحش، ما ظهر منها وما بطن، من سن الطفولة إلى الموت عمدًا وسهوًا، كما يجب أن يكون معصومًا من السهو والخطأ والنسيان"[٢]، بل إن جماعة من الشيعة يزعمون أن الرسول ﷺ جائز عليه أن يعصي الله، وأن النبي قد عصى في أخذ الفداء يوم بدر، أما الأئمة فلا يجوز ذلك عليهم؛ لأن الرسول ﷺ إذا عصى فالوحي يأتيه من قبل الله، فينبهه على وجه الخطأ، فيتوب منه، والأئمة لا يوحى إليهم، ولا تهبط الملائكة عليهم، وهم من أجل ذلك معصومون لا يجوز أن يسهوا أو يغلطوا، وإن جاز على الرسول العصيان"[٣].

والذي دعا الشيعة إلى القول بعصمة الأئمة هو خطؤهم في إعطاء الأئمة وظائف لم يقل بها أهل السنة لأمير المؤمنين أو الخليفة؛ إذ أسند الشيعة إلى الإمام- كما سبق أن أشرنا- حفظ الشريعة والقيام عليها بعد النبي ﷺ، فهو الذي يفسرها، ويقيد مطلقها، ويوضح غامضها، ويمنع عنها التحريف والتزييف والضلال، ولا ينبغي أن يكون مثل هذا الشخص عرضة للخطأ، وإلا لما أمن أن يقوم بوظيفته، يقول الشريف المرتضى: "لقد ثبت عندنا وعند مخالفينا أنه: لابد من إمام في الشريعة يقوم بالحدود، وتنفيذ الأحكام... وإذا ثبت ذلك وجبت عصمته؛ لأنه لو لم يكن

---

(١) الشيخ المفيد، أوائل المقالات، باب القول في عصمة الأئمة، ص٣٥.

(٢) محمد رضا المظفر، عقائد الإمامية، ص٦٧.

(٣) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص٤٨.

معصومًا وهو إمام فيما قام به من الدين، الذي من جملته إقامة الحدود وغيرها، وواجب الاقتداء به من حيث قام وفعل، لجاز وقوع الخطأ منه في الدين، ولكنّا إذا وقع منه ذلك مأمورون باتباعه والاقتداء به في فعله، وهذا يؤدي إلى أن نكون مأمورين بالقبيح على وجه من الوجوه، وإذا فسد أن نكون مأمورين بالقبيح، وجب عصمة من أمرنا باتباعه والاقتداء به في الدين"[(١)]. ويقول الحلي في "نهج الحق": "ذهب الإمامية إلى أن الأئمة كالأنبياء في وجوب عصمتهم عن جميع القبائح والفواحش، من الصغر إلى الموت، عمدًا وسهوًا؛ لأنهم حفظة الشرع والقوامون به، حالهم في ذلك كحال الأنبياء، ولأن الحاجة إلى الإمام إنما هي للانتصاف للمظلوم من الظالم، ورفع الفساد، وحسم مادة الفتن، ولأن الإمام لطف يمنع القاهر من التعدي، ويحمل الناس على فعل الطاعات، واجتناب المحرمات، ويقيم الحدود والفرائض، ويؤاخذ الفساق، ويعزر من يستحق التعزير، فلو جازت عليه المعصية وصدرت عنه، انتفت هذه الفوائد، وافتقر إلى إمام آخر"[(٢)].. وهكذا يحتج الشيعة لمعتقدهم هذا بأن العلة التي لأجلها كانت الحاجة للإمام هي عدم عصمة الأمة، فلو لم يكن معصومًا لكانت الحاجة إلى إمام معصوم آخر[(٣)].

ويمكن الرد على الشيعة بأن وظيفة الإمام وواجبه حفظ مصالح الأمة، وتطبيق شرع الله فيها عن طريق إقامة الحدود، وتنفيذ الأحكام، ودرء المفاسد، وهذا كله لا يحتاج إلى عصمة من يقوم به، أما الذي يحفظ الشريعة، ويقوم عليها بعد النبي ﷺ،

---

(١) كتاب الشافي، ص٤٠، وانظر أيضًا: عقائد الإمامية، ص٦٧.

(٢) الشيعة في الميزان، ص٣٨-٣٩.

(٣) الطوسي، كتاب الغيبة، ص١٥.

فهم علماء الأمة، وذلك عن طريق الدراسة والاجتهاد وفقًا لقوله تعالى: ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَ ﴾ [المائدة:٤٤]، وقوله تعالى: ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴾ [آل عمران:٧٩][(١)].

هذا بالإضافة إلى أن الأئمة الذين نسبوا لهم العصمة قد باشروا كثيرًا من الأعمال، فكانت أعمالهم واضحة للناس بعضها صواب، وبعضها خطأ، فلم يكن هناك مجال لادعاء عصمتهم، بل إنهم هم أنفسهم قد شهدوا باحتمال الخطأ منهم... إذ إنه روي عن علي ﷺ أنه قال لأصحابه: "لا تكفوا عن مقالة بحق، أو مشورة بعدل؛ فإني لست آمن أن أُخطئ"[(٢)]، وما ورد من أن الحسين كان يظهر الكراهية لصلح أخيه الحسن مع معاوية، وأبدى لومه لأخيه على ذلك، بل وحثّه على قتال أهل الشام[(٣)]. ولو كان علي معصومًا من الخطأ أو عالمًا بالغيب كما قالوا- ما قبل التحكيم- ولو كان الحسين كذلك لما انتهى إلى المصير الذي انتهى إليه.

وتاريخ أئمة الشيعة مليء بالأحداث والمواقف التي جانبهم الصواب فيها، مما يدل على عدم عصمتهم، وأنهم كغيرهم من البشر عرضة للخطأ والصواب، وعلى كلٍّ فإن العصمة بهذا المفهوم الشيعي غريبة على التصور الإسلامي، بعيدة عن تعاليم القرآن الذي لم ينسب العصمة إلا للأنبياء؛ لأن العصمة المطلقة بعيدة عن الطبائع البشرية التي ركبت فيها الشهوات، وركب فيها الخير والشر، والذي يبدو

(١) انظر: مختصر التحفة الاثني عشرية، ص١٢١.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١١، ص١٠٢.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص١٦-١٥٠.

أن الأئمة الأولين؛ كعلي والحسن والحسين، لم تعرف لديهم العصمة التي ادّعاها الشيعة ونسبوها لهم، كما يتضح من أقوالهم التي سبق أن أشرنا إليها.

بل إن بعض الشيعة، لاسيما المعاصرين منهم، أدركوا خطأ هذا التصور للعصمة، ومن ثم حاولوا تأكيد أن الأئمة كغيرهم من البشر في طبائعهم وغرائزهم وصفاتهم، وما لديهم من سمو ورفعة إنما نالوه بتقيدهم بأوامر الله ونواهيه، "فالصفات التي ينطلق منها الإنسان إلى المعاصي؛ كالرضا والغضب والشهوة وغير ذلك، موجودة في الأئمة والأنبياء، كما هي في سائر الناس، فمع أنهم يحبون ويكرهون، ويرضون ويغضبون، لكن في حدود أوامر الله ونواهيه، فحبهم للدنيا ومظاهرها وشهواتها مغلوب دائمًا لرضاء الله المسيطر على نفوسهم وقلوبهم، الذي حبب إليهم الطاعات، وأبعدهم عن الفسوق والنفاق". ووفقًا لهذا، فإن العصمة ليس لها مفهوم يتخطى إمكانيات الإنسان بنحو يكون هذا المخلوق البشري إنسانًا آخر له طبيعة غير طبائع الناس، بل إن المعصوم إنسان يغضب ويرضى، ويحزن ويفرح، ويتلذذ ويتألم، ويحب ويكره، إلى غير ذلك من صفات الإنسان. وهذه الحالات وإن كانت من شأنها أن تسيطر على الإنسان، وتسوقه إلى المعاصي والمنكرات واتباع الشهوات والملذات، إلا أنها في الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) تكون مغلوبة للقوة الخيرة التي تصرفهم إلى الطاعات، وتسيطر على الدواعي التي تحرك إلى المعصية بنحو تصبح تلك الدواعي معدومة التأثير وكأنها لم تكن"[(١)]. وقد استنكر هذا الكاتب الزعم بأن الأئمة يستحيل صدور المعصية عنهم والذنوب، واعتبر هذا نوعًا من المبالغة والغلو؛ لأن ذلك يؤدي كما يقول إلى الإلجاء، وعدم

---

(١) الحسني، الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة، ص٢٠٤-٢٠٥.

استحقاقه للمدح والثواب على أفعاله؛ لأنها لم تصدر عن إرادة واختيار، هذا بالإضافة إلى أنها لو كانت بهذا المعنى لم يبق لتعلق النهي بالمحرمات أثر؛ لأن الأفعال المنهي عنها لا تدخل تحت قدرة المعصوم بناء على هذا التفسير"[(١)].

بعد هذا الاستعراض الموجز لمفهوم الإمامة، وموقف كل من أهل السنة والشيعة منها، ننتقل إلى الصورة (المظلمة) التي حاولت النصوص رسمها لهم، ويمكن تلخيص أبرز معالمها بما يلي:

*** رسمت الكتب المدرسية الإيرانية صورة الحاكم المطلق المستبد للخلفاء الراشدين.**

"في أواخر خلافة أبي بكر عيَّن عمر خليفة له".

لكن الحقائق التاريخية، التي في المصادر الأصلية والمعتمدة، تشير إلى غير ذلك، فقد شعر الخليفة الصديق ﷺ بضرورة العهد لرجل من بعده؛ تجنبًا للمشاكل[(٢)].

ويبدو أن أبا بكر اتخذ هذه الخطوة تجنبًا لما حدث بعد وفاة النبي ﷺ من انقسامات حول مشكلة الحكم، فقد قال: "اللهم إني لم أرد بذلك إلا صلاحهم، وخفت عليهم الفتنة"[(٣)].

نفهم من الرواية، التي أوردناها قبل قليل، أن البادرة الأولى لبحث مشكلة الحكم كانت من قبل آل البيت، وأن العباس هو الذي فكَّر بالأمر، لكن هذه المبادرة

---

(١) الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة، ص٢٠٣-٢٠٤.

(٢) حمدان، نشأة الخلافة الإسلامية، ص٤٤، نقلا عن البلاذري، أنساب الأشراف.

(٣) حمدان، نشأة الخلافة الإسلامية، ص٤٤.

لم تتم بسبب تخوف علي بن أبي طالب من رفض الرسول ﷺ، وبالتالي حرمانهم من حق المطالبة بالحكم من بعده.

أما مسألة الاستشارة في أمر تولية عمر، فقد أجمعت المصادر على ذلك، فقد استمزج رأي كبار الصحابة، فلما اطمأن إلى الرضا لدى غالبيتهم، استخلف عمر بن الخطاب(١)، وأثبت المسلمون إمامته(٢)، وكان رأي الصديق في خلفه: "وليتُ عليهم خيرهم، وأقواهم عليهم، وأحرصهم على ما أرشدهم"(٣).

*** محاولة تصوير الكتب المدرسية الإيرانية للصحابة بصور الحسد والأنانية وتغليب المصلحة الشخصية على مصلحة الأمة؛ حيث يرى كُتَّاب النصوص:** أن الصحابة عندما رأوا الأمر- لابد- سائرًا إلى علي بن أبي طالب، لجئوا إلى الخروج وإعلان الحرب على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد قاد هذه المؤامرة السيدة عائشة وطلحة والزبير (رضي الله عنهم أجمعين).

إليكم تفاصيل ما جرى في موقعة الجمل:

ويظهر من تفاصيل الروايات حرص كل من طرفي الخلاف على الصلح وحقن الدماء، وأن هناك فئة من الطرفين كانت لا ترغب في الصلح، وكانت السبب فيما جرى من اقتتال.

أرسل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه القعقاع ين عمرو وقال له: الق هذين

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص٢٠٧.

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٨.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص٢٠٧، وللمزيد انظر: الدوري، النظم الإسلامية، ص٣٢.

الرجلين بابن الحنظلية- كان القعقاع من أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم)- فادعهما إلى الألفة والجماعة، وعظِّم عليهما الفرقة، وقال له: كيف أنت صانع فيما جاءك منهما مما ليس عندك فيه وصاة مني؟ فقال: نلقاهم بالذي أمرت به، فإذا جاء منهما أمر ليس عندنا منك فيه رأي، اجتهدنا الرأي، وكلمناهم على قدر ما نسمع ونرى أنه ينبغي، قال: أنت لها. فخرج القعقاع حتى قدم البصرة، فبدأ بعائشة (رضي الله عنها) فسلم عليها وقال: أي أمة، ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بني، إصلاح بين الناس، قال: فابعثي إلى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما. فبعثت إليهما فجاءا، فقال: إني سألت أم المؤمنين ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد، فقالت: إصلاح بين الناس، فما تقولان أنتما؟ أمتابعان أم مخالفان؟ قالا: متابعان، قال: فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح، فوالله لئن عرفنا لنصلحن، ولئن أنكرناه لا نصلح، قالا: قتلة عثمان ﷺ؛ فإن هذا إن ترك كان تركًا للقرآن، وإن عمل به كان إحياءً للقرآن، فقال: قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة، وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم، قتلتم ستمائة إلا رجلاً، فغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم، وطلبتم ذلك الذي أفلت- يعني حرقوص بن زهير- فمنعه ستة آلاف وهم على رجل، فإن تركتموه كنتم تاركين لما تقولون، وإن قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فأديلوا عليكم، فالذي حذرتم وقربتم به هذا الأمر أعظم مما أراكم تكرهون، وأنتم أحميتم مضر وربيعة من هذه البلاد، فاجتمعوا على حربكم وخذلانكم نُصرةً لهؤلاء، كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدث العظيم، والذنب الكبير، فقالت أم المؤمنين: فتقول أنت ماذا؟ قال: أقول هذا الأمر دواؤه التسكين، وإذا سكن اختلجوا، فإن أنتم بايعتمونا، فعلامة خير، وتباشير رحمة، ودرك بثأر هذا الرجل، وعافية وسلامة لهذا الأمة، وإن أنتم أبيتم إلا

مكابرة هذا الأمر واعتسافه، كانت علامة شر، وذهاب هذا الثأر، وبعثه الله في هذه الأمة هزاهزها، فآثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم تكونون، ولا تعرضونا للبلاء، ولا تعرضوا له فيصرعنا وإياكم. وايم الله، إني لأقول هذا وأدعوكم إليه وإني لخائف ألا يتم حتى يأخذ الله (عز وجل) حاجته من هذه الأمة، التي قلَّ متاعها، ونزل بها ما نزل، فإن هذا الأمر الذي حدث أمر ليس يقدر، وليس كالأمور، ولا كقتل الرجل الرجل، ولا النفر الرجل، ولا القبيلة الرجل، فقالوا: نعم، إذا قد أحسنت وأصبت المقالة، فارجع؛ فإن قدم علي وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر، فرجع إلى علي فأخبره، فأعجبه ذلك، وأشرف القوم على الصلح.

ويستدل من هذا القول على أن عليًا كان يرغب في تتبع قتلة عثمان، إلا أنه ما كان يريد أن يثير أصحابًا لهم، فيوقع المسلمين بين كتلتين متقاتلتين.

جاءت وفود أهل البصرة إلى أهل الكوفة، ورجع القعقاع من عند أم المؤمنين وطلحة والزبير بمثل رأيهم. جمع عليٌّ الناس، ثم قام على الغرائر فحمد الله (عز وجل) وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، وذكر الجاهلية وشقاءها، والإسلام والسعادة، وإنعام الله على الأمة بالجماعة، بالخليفة بعد رسول الله ﷺ، ثم الذي يليه، ثم حدث هذا الحدث الذي جره على هذه الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا، حسدوا من أفاءها الله عليه على الفضيلة، وأرادوا رد الأشياء على أدبارها، والله بالغ أمره، ومصيب ما أراد. ألا وإني راحل غدًا فارتحلوا، ألا ولا يرتحلن غدًا أحد أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس، وليغنِ السفهاء عني أنفسهم.

فاجتمع نفر منهم علباء بن الهيثم، وعدي بن حاتم، وسالم بن ثعلبة العبسي، وشريح بن أوفى بن ضبيعة، والأشتر، في عدة ممن سار إلى عثمان، ورضي بسير من

سار، وجاء معهم المصريون ابن السوداء وخالد بن ملجم، وتشاوروا فقالوا: ما الرأي وهذا والله علي وهو أبصر الناس بكتاب الله وأقرب ممن يطلب قتلة عثمان، وأقربهم إلى العمل بذلك، وهو يقول ما يقول ولم ينفر إليه إلا هم والقليل من غيرهم، فكيف به إذا شام القوم وشاموه، وإذا رأوا قلتنا في كثرتهم، أنتم والله ترادون وما أنتم بأنجى من شيء، فقال الأشتر: أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما، وأما علي فلم نعرف أمره حتى كان اليوم، ورأي الناس فينا- والله- واحد، وإن يصطلحوا وعلي فعلى دمائنا، فهلموا فلنتواثب على عليّ فنلحقه بعثمان، فتعود فتنة يرضى منا فيها بالسكون"[١].

فلما نزل الناس واطمأنوا، خرج علي، وخرج طلحة والزبير، فتواقفوا وتكلموا فيما اختلفوا فيه، فلم يجدوا أمرًا هو أمثل من الصلح ووضع الحرب، حين رأوا الأمر قد أخذ في الانقشاع، فافترقوا عن موقفهم على ذلك، ورجع علي إلى عسكره، وطلحة والزبير إلى عسكرهما.

ويوضح الطبري دور أولئك النفر المستفيدين من الخصام والاقتتال، فيقول[٢]: "وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: وبعث علي من العشي عبدالله بن عباس إلى طلحة والزبير، وبعثا هما من العشي محمد بن طلحة إلى علي، وأن يكلم كل واحد منهما أصحابه، فقالوا: نعم. فلما أمسوا، وذلك في جمادى الآخرة، أرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما، وأرسل علي إلى رؤساء أصحابه، ما خلا أولئك الذين هضوا على عثمان، فباتوا على الصلح، وباتوا بليلة لم

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٩١-٤٩٩.

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص٥٠٦-٥٠٧.

يبيتوا بمثلها؛ للعافية من الذي أشرفوا عليه، والنزوع عما اشتهى الذين اشتهوا، وركبوا ما ركبوا، وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة باتوها قط، قد أشرفوا على الهلكة، وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها حتى اجتمعوا على إنشاب الحرب في السر، واستسروا بذلك؛ خشية أن يفطن بما حاولوا من الشر، فغدوا مع الغلس وما يشعر بهم جيرانهم، انسلوا إلى ذلك الأمر انسلالاً وعليهم ظلمة، فخرج مضريهم إلى مضريهم، وربيعهم إلى ربيعهم، ويمانيهم إلى يمانيهم، فوضعوا فيهم السلاح، فثار أهل البصرة، وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين بهتوهم.

وخرج الزبير وطلحة في وجوه الناس من مضر، فبعثا إلى الميمنة، وهم ربيعة، يعبئها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وإلى الميسرة عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، وثبتا في القلب، فقال: ما هذا؟ قالوا: طرقنا أهل الكوفة ليلاً، فقالا: قد علمنا أن عليًا غير مُنتهٍ حتى يسفك الدماء، ويستحل الحرمة، وأنه لن يطاوعنا، ثم رجعا بأهل البصرة، وقصف أهل البصرة أولئك حتى ردوهم إلى عسكرهم، فسمع علي وأهل الكوفة الصوت وقد وضعوا رجلاً قريبًا من علي ليخبره بما يريدون، فلما قال: ما هذا؟ قال ذاك الرجل: ما فاجأنا إلا وقوم منهم بيَّتونا، فرددناهم من حيث جاءوا، فوجدنا القوم على رجل فركبونا، وثار الناس، وقال علي لصاحب ميمنته: ائت الميمنة، وقال لصاحب ميسرته: ائت الميسرة، ولقد علمت أن طلحة والزبير غير منتهيين حتى يسفكا الدماء، ويستحلا الحرمة، وأنهما لن يطاوعانا، والسبئية لا تفتر إنشابًا، ونادى علي في الناس: أيها الناس، كفوا، فلا شيء. فكان من رأيهم جميعًا في تلك الفتنة ألا يقتتلوا حتى يبدءوا يطلبون بذلك الحجة، ويستحقون على الآخرين، ولا يقتلوا مدبرًا، وألا يجهزوا على جريح، ولا يتبعوا، فكان مما اجتمع عليه الفريقان، ونادوا فيما بينهما.

ولما تأزم الأمر لم يكن أمام العقلاء إلا الاستعانة بأم المسلمين عائشة (رضي الله عنها)؛ لإصلاح الوضع، وحفظ دماء المسلمين، يقول الطبري[١]: "وأقبل كعب بن سور حتى أتى عائشة (رضي الله عنها) فقال: أدركي؛ فقد أبى القوم إلا القتال، لعل الله يصلح بك، فركبت وألبسوا هودجها الأدراع، ثم بعثوا جملها- وكان جملها يدعى عسكرًا- حملها عليه يعلى بن أمية اشتراه بمائتي دينار، فلما برزت من البيوت، وكانت بحيث تسمع الغوغاء وقفت، فلم تلبث أن سمعت غوغاء شديدة، فقالت: ما هذا؟ قالوا: ضجة العسكر، قالت: بخير أو بشر؟ قالوا: بشر، قالت: فأي الفريقين كانت منهم هذه الضجة؛ فهم المهزومون".

وهذا يدل على أن علي بن أبي طالب وعائشة (رضي الله عنهما) كانا بعيدين عن الفتنة كل البعد، وأنهما اجتمعا على التوافق وعدم الحرب، إلا بعد نفاذ كل الحجج.

لن نفصل الحديث عن تفاصيل ما جرى في موقعة الجمل، فمن أراد المزيد يمكنه الرجوع إلى المصادر الأصلية الموثوقة.

ومما يؤكد أن الأمر لم يكن عداء بين عائشة وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنهما) ما جرى من حوار بينهما بعد انتهاء المعركة، فبعد أن جهز عليٌّ أمَّ المؤمنين بكل شيء ينبغي لها من مركب أو زاد أو متاع، وأخرج معها كل من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، وقال: تجهز يا محمد، فبلغها. فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه جاءها حتى وقف لها، وحضر الناس، فخرجت على الناس وودعوها وودعتهم، وقالت: يا بني، تعتب بعضنا على

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٤، ص٥٠٧.

بعض استبطاء واستزادة، فلا يعتدن أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه عندي على معتبتي من الأخيار، وقال علي: يا أيها الناس، صدقت والله وبرَّت، ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيكم (صلى الله عليه وسلم) في الدنيا والآخرة[(١)]".

"إن أهل السنة- ممثلين بمعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص- قد خدعوا علي بن أبي طالب ﷺ في قضية التحكيم".

"وضع جند معاوية القرآن على الرماح، وطلبوا التحكيم إلى القرآن، ولكن الإمام علي (عليه السلام) وقائده مالك أصرَّا على استمرار المعركة، ولم تنجح فتنة معاوية، في النهاية تم اختيار عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري للتحكيم، خُدع أبو موسى وحكم لصالح معاوية".(النص الأول).

نطرح سؤالاً على النص والكاتب: من الذي أجبر علي بن أبي طالب ﷺ على وقف الحرب والقبول بالتحكيم؟ هل هم رجال معاوية أم فئة أخرى؟

إن الذي أجبر علي بن أبي طالب على وقف الحرب وقبول التحكيم هم رجاله وجنده. لقد كان في جيش علي فئة الأعراب الذين كانوا قد أتوا مع الفتح إلى العراق، واستقروا في الكوفة والبصرة. كان هؤلاء على اتجاهين، منهم من تمسك بالإسلام تمسكًا تلازمه شدة وتعصب، وفئة لم يؤمنوا بالإسلام كما يتطلب الإسلام منهم[(٢)]، وهؤلاء هم الذين شاركوا في قتل عثمان. ولما تولى علي الخلافة رأى منهم

(١) الطبري، تاريخ، ج٤، ص٥٤٤.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٥، ص٧٢.

تعبدًا وخشوعًا وتُقى في العبادة لم ير مثله، وكان ذلك السبب الذي منع عليًا من معاقبتهم على قتل عثمان، فقد رجا من الله أن يتوب عليهم.

ولما رفعت المصاحف على رءوس الرماح حيث قبل الأمام علي بن أبي طالب بالتحكيم، لولا موقف رجاله؛ فرغم محاولة علي إقناعهم بالمنطق، فلم يفلح معهم، ثم فرضوا على عليٍّ أبا موسى الأشعري ليكون ممثلاً له في التحكيم، ثم عادوا من صفين مع علي بانقلاب غريب، فإذا هم يصرخون: "لا حكم إلا لله"[(١)].

حسنًا إن التحكيم خدعة من معاوية.

نقول إن السياسة هي الدهاء، وقد أدرك علي ما يرمي إليه معاوية ورجاله من رفع المصاحف، لكن: من الذي أجبره على قبول التحكيم؟

من جهة أخرى، فإن رجال علي هم الذين جعلوه يدخل في مجال للمقارنة مع معاوية، ويتنازل عن حق أقرته الأمة (البيعة بالخلافة).

*** الصورة المظلمة التي رسمتها الكتب المدرسية لثالث الخلفاء الراشدين عثمان ابن عفان ﷺ.**

يرى الفرس أن طريقة إدارة حكومة عثمان في توزيع الثروات العامة "أدت إلى تلاشي روح المساواة والأخوة التى كانت سائدة في العصر النبوي، الأشخاص الذين لهم تاريخ في الإسلام، أو لهم دور في انتشار الإسلام طالبوا بامتيازات اقتصادية وسياسية خاصة".

---

(١) انظر تفاصيل ذلك: الطبري، تاريخ، ج٤، ص٦٣-٦٧.

كما أن الخليفة عثمان بن عفان ﷺ "ضعف مقابل مصالح أقاربه الأمويين، ومهد الطريق لطالبي السلطة الأمويين، وهيمنت هذه الأسرة على أراضي واسعة من الأراضي الإسلامية، وبالتالي، ونتيجة للارستقراطية الأموية طالبي الرفاهية والسلطة العسكرية والمناصب، أدى هذا بالتدريج إلى ظهور وانتشار عدم الرضا العام عنهم".

❋ أما صورة الصحابي معاوية بن أبي سفيان ﷺ، فقد كانت سوداء، وأشد ظلمة من سابقتها، وكأن معاوية لم يتربَّ في كنف الرسول ﷺ، ولم يكن كاتبًا من كُتّاب الوحي، بل ليس مسلمًا!

ومما جاء في النصوص في وصف معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنهما): "بعد ذلك وبمنح بعض المسلمين من الأموال العامة للمسلمين أصبحوا من أنصاره، وكذلك قام بخداع أهالي الشام، وحرضهم على الانتقام لدم عثمان من الإمام علي (عليه السلام)".

كذلك "وصلت قدرة وثروة معاوية وسائر أفراد عائلته إلى أوجها في عهد خلافة عثمان. في التاريخ معروف أن هذه الجماعة الأشرار وصل ظلمهم إلى فلسطين، وقتلوا الكثيرين... هؤلاء بقيادة معاوية، بحجة المطالبة بالثأر لمقتل عثمان، حملوا المجتمع الإسلامي حربًا أخرى، هذه الحرب وقعت في منطقة صفين".

ويرى الفرس- من خلال النصوص أيضًا- أن معاوية بن أبي سفيان (رضى الله عنهما) عمل على جذب وتوظيف الأشخاص الماكرين وطالبى الجاه، فمعاوية لا يستطيع وحده إقناع وإرضاء الرأي العام، ومنَع الناس من المعارضة الواسعة النطاق. لهذا وبكل وسيلة ممكنة، سواء من سوء استخدام بيت مال المسلمين، حيث وظف العديد من الأشخاص من طالبي الجاه، بعض هؤلاء الأشخاص كانوا إما

عن طريق الخداع والحيل والتزوير، أو عن طريق وضع الأساليب لفرض الهيمنة والسلطة على الناس، البعض الآخر أيضًا عن طريق التنكر بملابس العلماء ورجال الدين، وقاموا بتحريف الأحاديث والتاريخ، وهذه الطرق من الجهود المبذولة للتغلب على الأفكار العامة للجمهور، وفريق آخر بالبراعة والقوة العسكرية كان يساعد في قمع المعارضين، من بينهم عمرو بن العاص، المغيرة بن شعبة، وزياد بن أبيه".

أيها السادة، أيعقل أن تكون مثل هذه الأوصاف في الجيل الأول من صحابة النبى ﷺ؟ إن مثل هذا يتناقض مع التربية الإسلامية التى ربّى عليها رسول الله ﷺ أصحابه.

ألم يكن معاوية من الصحابة الذين مات الرسول وهو عنهم راضٍ؟

أليس معاوية ممن رضي الله عنهم من الصحابة؟

لابد للقارئ للتاريخ والباحث فيه أن يسبر أغوار الأحداث قبل أن يصدر الأحكام الجاهزة مسبقًا؛ ففي هذا الكلام إساءة عامة للمسلمين الذين باعوا دينهم بدنياهم كما يزعم الكاتب، ولكن نود أن نؤكد على حقيقة مهمة حول طبيعة الرجال الذين كانوا حول معاوية من أهل الشام، لقد كان إلى جانب معاوية رجال لا يسألونه ما فعل وما يفعل، فمعظم العرب الذين كانوا في بلاد الشام متحضرون بعض التحضر، ألفوا الحكم وطرائق الروم فيه، ثم عاشرهم معاوية عشرين عامًا، فعرفهم وعرفوه، واستولى على قلوبهم بذكائه وحكمته، فأطاعوه طاعة عمياء، فكان بإمكانه أن يعتمد عليهم كل الاعتماد[1].

---

(١) للمزيد من التحليل حول ذلك انظر: العش، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها، ص١١٧-١١٩.

* **صورة قاتمة أيضًا لبعض الصحابة أمثال:** طلحة والزبير (رضى الله عنهما)، فقد كان لهم دور في الشغب ضد عثمان، كانوا يعتقدون أنهم يستحقون الحصول على امتيازات خاصة من الإمام على، ولم يكونوا مستعدين لقبول توسيع العدالة الاجتماعية والاقتصادية، على الرغم من أنهم بايعوا الإمام عليًا في البداية، ولكنهم بعد مدة قصيرة نقضوا البيعة، وبدءوا بحشد الحشود"، كما أنهم "كانوا يريدون مقابل انتسابهم إلى الأمويين الحصول على امتيازات".

* **لم ينج من جلد الشيعة من الصحابة إلا أربعة، يعتبرهم الشيعة من اللذين لم يرتدوا عن الدين:** أبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، وسلمان، والمقداد؛ فقد كان مصدر اعتراضهم أنهم "خافوا من نسيان الدين وذهاب السنة النبوية".

"في غزوة تبوك تأخر أبو ذر عن جند الإسلام، بعد عدة أيام من تحمله لمشقات كثيرة لحق بالجيش، عند مشاهدة الرسول لأبي ذر نهض من مكانه وأخذه بحضنه وقال: "أهلاً وسهلاً أبا ذر، رحمك الله، تأتي وحدك، وتموت وحدك، وتخرج من التراب وحدك. أبو ذر وبسبب اعتراضه على عثمان أُبعد إلى قرية نائية، وتوفي هناك".

نقول: إن الشيعة اعتبرت هؤلاء الأربعة الأوائل- بهتانًا- من شيعة علي، وهم: سلمان الفارسي، وأبو ذر، وعمار بن ياسر، والمقداد بن الأسود، ويرون أنهم كانوا يتصرفون في حياة النبي باعتبارهم شيعة تصرُّفَهم في نهاية الأمر، حين انكشف تشيعهم واضحًا، وكان ذلك يعرف عنهم. وهذا ابن حجر يذكر في الصواعق المحرقة أن النبي خاطب عليًا بقوله: "يا عليّ، أنت وأصحابك في الجنة"[1]، وأخرج

---

(١) الصواعق المحرقة، ص١٥٩.

ابن عساكر قول النبي: "والذي نفسي بيده، إن هذا [يعني عليًا] وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة"(١).

ثم يذكر اليعقوبي أنه "تخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين ومالوا مع علي بن أبي طالب، منهم: العباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس، والزبير بن العوام، وخالد بن سعيد، والمقداد بن عمر، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، والبراء بن العازب، وأبي بن كعب"(٢). أما عمار بن ياسر فإنه أشهر من أن تخفى شيعته في جميع أدوار حياته، وهو القائل بعد انتخاب عثمان: يا معشر قريش، أما إذا صرفتم هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم ها هنا مرة، وها هنا مرة، فما أنا بآمن من أن ينزعه الله فيضعه في غيركم، كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله"(٣).

كما يمكن أن نضيف إلى ما سبق مجموعة من الصور المفزعة التي حاولت الكتب المدرسية إظهار أهل السنة بها، منها:

*** اتهام أهل السنة بأنهم عاجزين عن فهم العلوم الإلهية، ولابد من الرجوع لعلي ابن أبي طالب والأئمة من بعده، الذين هم مستودع العلوم الإلهية.**

فـ:"مصدر العلوم والأحكام الإسلامية والعلم الإلهي وبلا نهاية لله سبحانه وتعالى، وصلت إلى الرسول الكريم عن طريق الوحي، وكانت تصل إليه تعاليم الدين من الله سبحانه وتعالى بشكل مباشر، وكان عليه أن يحمل هذه العلوم

---

(١) أصل الشيعة وأصولها، ص٨٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٠٣.

(٣) مروج الذهب، للمسعودي، ج١، ص٤٣٩-٤٤٠.

والأحكام الإلهية المتينة، وأن يبلغها إلى الناس، وبذل قصارى جهده في هذا الطريق.... بالإضافة إلى أن هؤلاء الناس لم يكن لديهم القدرة على فهم العلوم العالية للدين الحنيف؛ ولهذا كان الرسول مجبرًا أن يخاطبهم على قدر عقلهم وإدراكهم". لذا عليهم الاستفادة من علي بن أبي طالب ﷺ، والذي أودعه الرسول ﷺ: "كنوز علمه إلى أفراد يستحقون ذلك، حتى تكون فرصة إلى المسلمين للنمو، وفهم أعلى وأكبر، ليستفيدوا من هذه الكنوز من العلم والمعرفة. رسول الله بالإضافة إلى التبليغ العام الذي كان يقوم به بنفسه، إلا أنه ربى شخصًا مثل علي بن أبي طالب منذ صغره، ووصلت نفسه الطاهرة إلى مرحلة من الرشد؛ لأنه تعلم أيضًا من منبع العلم الإلهي، وتنورت روحه مثل روح رسول الله بالنور الإلهي"؛ لذلك "يجب على المسلمين أن يلجئوا إليهم ليؤمنوا سعادة دنياهم وآخرتهم".

*** عمدت الكتب المدرسية الإيرانية إلى تشويه صورة الفتح الإسلامي وجيوش الفتح لبلاد فارس:**

فقد قدم الجيش الإسلامى الذي توجه للفتوحات في بلاد فارس: "نموذجًا ناقصًا ومضللاً عن الدين. أكثر الأفراد جيش المسلمين يتشكل من البدو، أو المسلمين حديثى الإسلام، ويفتقرون إلى التربية الإسلامية؛ لهذا السبب كانوا يوصلون الدين بشكل ناقص، وفي بعض الأحيان كانوا يوصلونه ناقصًا إلى البلاد المفتوحة".

*** اتهام الجيش الإسلامى والمسلمين الذين ساهموا في الفتوح بأن هدفهم الأول كان جمع المال والثروة على حساب مهمة الجهاد التي توجهوا لأجلها.**

"بعد توسع الفتوحات الإسلامية والثروات الكبيرة التي وصلت إليهم وسعى

الكثير من المسلمين لجمع الثروات، عندما ترك الخليفة الثاني توزيع المكاسب ظهرت روح تكديس الثروات، والتميز الاقتصادي في المجتمع الإسلامى، وصلت إلى أوجها في عهد الخليفة الثالث".

*** تصوير أهل السنة بالجشع والطمع:**

ومحاولة الطعن بإجراءات الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ: "عندما ترك الخليفة الثاني توزيع المكاسب ظهرت روح تكديس الثروات، والتميز الاقتصادي في المجتمع الإسلامي، وصلت إلى أوجها في عهد الخليفة الثالث".

إن في هذا غاية الافتراء على جهود الفاروق عمر ﷺ.

نقول: إنه بعد أن تم وضع الديوان على عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، وتم تثبيت أسماء المقاتلين، ومقدار أعطياتهم، كان لابد من مورد ثابت لتأمين عطاء الجند وأرزاقهم، ولمن يأتي بعدهم. وقد طلب بعض الصحابة من الخليفة عمر ﷺ أن يوزع عليهم ما أفاء الله عليهم من الشام والعراق، وقالوا: اقسم الأرضين بين الذين افتتحوها كما تقسم غنيمة العسكر. فأبى الخليفة ذلك عليهم وقال: قد أشرك الله الذين يأتون من بعدكم في هذا الفيء، فلو قسمته لم يبق لمن بعدكم شيء، ولئن بقيت ليبلغن الراعي بصنعاء نصيبه من هذا الفيء ودمه في وجهه[1]. ثم كتب إلى سعد بن أبي وقاص بعد تحرير العراق: فإذا أتاك كتابي هذا، فانظر ما أجلب الناس عليك به إلى العسكر من كراع ومال، فاقسمه بين من حضر من المسلمين، وأترك الأرضين والأنهار لعمالها؛ ليكون ذلك في أعطيات المسلمين؛ فإنك إن قسمتها بين

---

(١) أبو يوسف، الخراج، ص٢٤.

من حضر لم يكن لمن بعدهم شيء[١].

وقد دلَّ هذا الإجراء على بُعد نظر الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ في تطبيق النهج الإنساني والحضاري لرسالة الإسلام؛ لأن تقسيم دخل هذه المقاطعات بين من اشترك في تحريرها من المقاتلة، سيؤدي إلى خلق طبقة من المقاتلة الأوائل الذين سيستأثرون وحدهم بالواردات، ولا يبقى شيء لمن يأتي بعدهم، وبذلك سيصبح في كل مصر طبقتان: أحدهما تأخذ العطاء، والأخرى محرومة منه، مما سيكون سببًا للتصادم والانشقاق، وإذا اقتصر توزيع الفيء على المقاتلة الأوائل، فقد يؤدي بهم إلى التراخي، وعدم الاشتراك في الحروب المقبلة، ويعيق الدولة عن تهيئة المقاتلة الذين تحتاج إليهم لغرض الاستمرار في حروب التحرير[٢]، ورغم معارضة بعض الصحابة للخليفة عمر في هذا الإجراء[٣]، إلا أن غالبية الصحابة أيدوه في ذلك، وعلى رأسهم علي بن أبي طالب ﷺ، الذي قال: "إن قسمتها اليوم لم يكن لمن يجيء بعدنا شيء، ولكن نقرها في أيديهم يعملونها، فتكون لنا ولمن بعدنا"[٤].

*** محاولة إخفاء الكتب المدرسية الإيرانية للصفحات المشرقة في تاريخ أهل السنة:**

من ذلك على سبيل المثال: عندما تحدث النص عن الجهود الحربية في عهد الخليفة عثمان بن عفان، لم يُشر صراحةً إلى دور معاوية بن أبي سفيان ﷺ في تأسيس

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٤.

(٢) العلي، التنظيمات الاقتصادية، ص١٢٦.

(٣) أبو يوسف، الخراج، ص٢٤- ٢٦.

(٤) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ١٢٩.

الأسطول، فجاء النص: "وتأسست القوات البحرية لجيش المسلمين، ووصلوا إلى جزيرة قبرص".

*** تشويه الصورة الأخلاقية لأهل السنة، ووصفهم بأبشع الصور التى لا تليق بصحابي تربى في مدرسة المصطفى ﷺ.**

جاء في وصف حكم الخليفة عثمان بن عفان ﷺ: "كان الخليفة الثالث من بنى أمية، على الرغم من أنه يعد من المسلمين الأوائل، إلا أنه ضعف مقابل مصالح أقاربه الأمويين، ومهد الطريق لطالبى السلطة الأمويين، وهيمنت هذه الأسرة على أراضى واسعة من الأراضى الإسلامية، وبالتالي ونتيجة للارستقراطية الأموية طالبى الرفاهية والسلطة العسكرية والمناصب، أدى هذا بالتدريج إلى ظهور وانتشار عدم الرضا العام عنهم".

وشنت النصوص هجومًا شرسًا على بنى أمية، من ذلك: "وصلت قدرة وثروة معاوية وسائر أفراد عائلته إلى أوجها في عهد خلافة عثمان. في التاريخ معروف أن هذه الجماعة الأشرار وصل ظلمهم إلى فلسطين، وقتلوا الكثيرين".

*** أن بعض المسلمين من أهل السنة دخلوا في الإسلام مجبرين، فأظهروا الإسلام، وأخفوا كفرهم.**

"بُعث رسول الإسلام لإتمام مكارم الأخلاق، وتنشئة أناس طاهرين من ناحية الفكر والعمل، ولهذا السبب- ومنذ بداية رسالته وحتى وفاته- اهتم بشكل جاد لإحداث تغيير في التفكير والتصرفات في المجتمع في العصر الجاهلى. هذا التغيير الذي وقف ضده وقاومه أعداء الرسول ﷺ، وعلى رأسهم بنو أمية، الذين وقفوا بوجهه حتى آخر الأيام قبل فتح مكة. في نهاية المطاف انتهت هذه المقاومة، واضطر

أبو سفيان وأولاده وكافة قادة الشرك أن يسلموا بالظاهر، ولكن التاريخ أثبت أن إسلام هؤلاء المتأخر لم يكن ذا أساس، وعندما سنحت الفرصة لهم وبدءوا بالتأثير على المجتمع مرة أخرى، وعاد الفكر والخصائص الجاهلية بلباس جديد، وفرض على الناس. في الواقع الخلافة الأموية كانت استمرارًا للتفكير الجاهلى في مجتمع إسلامي".

وفي موضع آخر من النص يقول: "في ذلك الوقت كان أبوسفيان وعائلته من ألد أعداء الإسلام، وأعلنوا إسلامهم، وقد عفا عنهم رسول الإسلام".

*** تزوير الحقائق التاريخية بما يتلاءم مع معتقداتهم.**

فأول من اتخذ التاريخ الهجري، يقول النص: "إنه على بن أبي طالب"، رغم أن الحقائق تثبت بما لا يدع مجالاً للشك، بأن عمر الفاروق هو الذي اتخذ هذا الإجراء ضمن سلسلة من الإجراءات في سبيل بناء الدولة الإسلامية. "في عهد خلافة عمر توسعت الأقاليم الإسلامية، وزاد عددهم، وتوسعت الأمور الإدارية والمالية، لهذه الأسباب رأى الإمام على (عليه السلام) أن تكون السنة التى هاجر فيها الرسول هي بداية التاريخ الإسلامي، وأن تثبت بشكل دائم".

في هذا النص خطأ تاريخي واضح، وهو أن الذي وضع التقويم الهجري هو علي بن أبي طالب ﷺ، وهو مخالف لما أجمعت عليه جميع كتب التاريخ المعتبرة حول أول من اتخذ التاريخ الهجري، والأسباب التي كانت وراء ذلك، ونورد تفاصيل ذلك مما أورده ابن كثير في هذه المسألة، حيث قال[1]: "اتفق الصحابة (رضي الله

---

(١) البداية والنهاية، ج٧، ص١٨١، وانظر كذلك: ابن الجوزي، المنتظم، ج٤، ص٢٢٤.

عنهم) في سنة ست عشرة، وقيل: سنة سبع عشرة أو ثماني عشرة في الدولة العمرية، على جعل ابتداء التاريخ الإسلامي من سنة الهجرة، وذلك أن أمير المؤمنين عمر ﷺ رُفِع إليه صكٌّ، أي حجة، لرجل على آخر، وفيه أنه يحل عليه في شعبان، فقال عمر: أي شعبان: أشعبان هذه السنة التي نحن فيها، أو السنة الماضية، أو الآتية؟ ثم جمع الصحابة فاستشارهم في وضع تاريخ يتعرفون به حلول الديون وغير ذلك، فقال قائل: أرخوا كتاريخ الفرس، فكره ذلك- وكانت الفرس يؤرخون بملوكهم واحدًا بعد واحد- وقال قائل: أرخوا بتاريخ الروم- وكانوا يؤرخون بملك إسكندر المقدوني- فكره ذلك، وقال آخرون: أرخوا بمولد رسول الله ﷺ، وقال آخرون: بل بمبعثه، وقال آخرون: بل بهجرته، وقال آخرون: بل بوفاته (عليه السلام)، فمال عمر ﷺ إلى التاريخ بالهجرة؛ لظهوره واشتهاره، واتفقوا معه على ذلك.

*** ومن صور تزييف الحقائق ما جاء في النص أن الخليفة عثمان نفى أبا ذر: "وبسبب اعتراضه على عثمان أبعد إلى قرية نائية، وتوفي هناك".**

نقول: لم يثبت في المصادر المعتبرة رواية تثبت هذا الرأي، وأن عثمان ﷺ نفى أبا ذر رغمًا عنه.

أما السبب المباشر لخروجه من المدينة إلى الربذة، فهو الخلاف الذي وقع بينه وبين معاوية، حينما كان في الشام، حول تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [التوبة:٣٤].

فبعث معاويةُ إلى عثمان يخبره ما يفعل من حث الفقراء على مطالبة الأغنياء بمالهم من حق في أموالهم، ويغلظ القول للأغنياء حتى إذا ما شاهدوه ابتعدوا عنه، وكان أبو ذر ﷺ لا يقبل من الأغنياء إخراج الزكاة فقط، بل الإنفاق الشديد حتى لا

يبقى عنده إلا ما يكفيه لحاجاته الضرورية، عن الأحنف بن قيس قال: "كنت بالمدينة فإذا أنا برجل يفر الناس منه حين يرونه، قال: قلت من أنت؟ قال: أنا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ، قال: قلت: ما يفر الناس منك؟ قال: إني أنهاهم عن الكنوز بالذي كان ينهاهم عنه رسول الله ﷺ"(١).

ولما وصل أبو ذر ﷺ إلى المدينة المنورة اجتمع حوله الناس، وأخذ يطلق من الكلام ما لم يكن يصدر منه في عهد عمر بن الخطاب ﷺ، فخشي من العامة أن تثور وتحصل الفتنة، فإن أبا ذر ﷺ كان يحملهم على التزهد، وهذا الأمر لا يتحمله جميع الناس، وإنما هي مخصوصة ببعض المسلمين الذين وصلوا إلى مستوى معين من الزهد والترفع عن الدنيا وملذاتها، فقال عثمان ﷺ لأبي ذر ﷺ: "لو اعتزلت"، ويقصد من ذلك إبعاده عن الناس؛ لأنه صاحب مذهب يجب عليه أن ينفرد به بنفسه، فخرج إلى الربذة(٢).

ومن صور تزييف التاريخ، واختيار ما يلائم توجه كُتّاب النصوص، أن سبب الفتنة التي حدثت في عهد الخليفة عثمان بن عفان هو أن الثوار: "كانوا يريدون من الخليفة أن يعزل مروان بن الحكم، الذي كان سكرتيره ونسيبه، وكان يتدخل في كافة الأمور".

إن مثل هذا الكلام ليس فقط انتقاء، بل هو تزوير للحقائق، ومحاولة الإساءة إلى العرب، وخاصة بني أمية، ممثلين بمروان بن الحكم.

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٥، ص١٧٧.

(٢) للمزيد انظر: الدراسة الجامعية بعنوان: أبو ذر وآراؤه في السياسة، ص١٦١ وما بعدها.

* أن سياسة أهل السنة الاقتصادية أدت إلى "تلاشى روح المساواة والأخوة التى كانت سائدة في العصر النبوي: الأشخاص الذين لهم تاريخ في الإسلام، أو لهم دور في انتشار الإسلام طالبوا بامتيازات اقتصادية وسياسية خاصة، بالإضافة إلى أشخاص مثل طلحة والزبير، الذين كان لهم دور في الشغب ضد عثمان، كانوا يعتقدون أنهم يستحقون توسيع العدالة الاجتماعية والاقتصادية".

*** أن المسلمين السنة (العرب) غير مؤهلين للقيادة وتولي زعامة المسلمين:**

"بالإضافة إلى ذلك، أولئك الذين لم يكونوا مؤهلين لحكم المسلمين، ومع ذلك كانوا يصدرون الأوامر".

فـ"العباسيون لم يكونوا يعرفون الطرق الصحيحة لإدارة البلاد، وقد وجد هؤلاء- ومنذ البداية- أنهم بحاجة إلى الإيرانيين لإدارة أراضيهم؛ لهذا اختاروا وزراءهم من بين الإيرانيين. الإيرانيون وبتشجيعهم إلى الكتاب والشعراء والكتاب، أدى ذلك إلى ازدهار العلم والأدب في ذلك الوقت".

وأنه لولا الفرس لما استمر حكمهم: "والسبب الرئيسي لقوة العباسيين في ذلك الوقت، أنه كان يدير أمور الحكومة العباسية عائلة إيرانية تدعى البرامكة، وهي من العائلات الإيرانية العريقة، وكانت وزارة هارون الرشيد بأيديهم، وكانوا مشهورين بالقدرة، حتى أصبح مقام الخليفة العباسي في الواقع مقامًا تشريفيًا"، "وكذلك العباسيون ليس لديهم القدرة على إدارة شئون البلاد".

لذلك بعد أن تخلص هارون الرشيد من البرامكة: "وبالتدريج خرجت إفريقيا من حكم العباسيين، وكذلك عمت الفوضى في إيران، والشيعة أيضًا لم يكونوا راضين عن حكم العباسيين".

كما أن المأمون بعد أن عجز عن مواجهة أخيه الأمين "قرر- ولمواجهة الأمين- كسب حماية الإيرانيين، في المقابل كانت العائلة العباسية تحمي الأمين".

*** اتهام أهل السنة بنقض العهد: فعلى الرغم من أنهم "بايعوا الإمام عليًا في البداية، لكنهم بعد مدة قصيرة نقضوا البيعة، وبدءوا بحشد الحشود. إن جهود الإمام علي (عليه السلام) لم تصل إلى نتيجة لدفع الفتنة".**

ويقول النص في معرض حديثه عن الصلح الذي تم بين معاوية والحسن (رضى الله عنهما): "معاوية أخلف بكل التزاماته، وأكبر خطأ ارتكبه الناس في العراق أنهم تركوا الإمام عليًا (عليه السلام)، والإمام حسن (عليه السلام) وحدهما، وتحملوا أكبر خسارة ومعاناة طوال حكم معاوية وباقى الخلفاء الأمويين".

*** أن المسلمين من أهل السنة عنصريون لم تؤثر فيهم مبادئ الإسلام، وكان همهم المال والسلطة.**

"ولكن بعض العرب كانوا يخالفون تعاليم الإسلام، وكانوا يفرقون بين العرب وغير العرب، وكذلك ومع التوسع وفتح الكثير من الأراضى وحصول المسلمين على الكثير من الغنائم، ولكن مع وجود قانون الإسلام الذي يدعو إلى مراعاة العدالة، كان عدد منهم بدون وجه حق يجمعون لأنفسهم الثروات الكبيرة".

*** محاولة تصوير تاريخ أهل السنة بأنه تاريخ قام على الاختلاف والدسائس والفتن والاقتتال لأجل السلطة.**

من ذلك اختلافهم في يوم السقيفة: "ووقع خلاف بينهم حول أحقية الخلافة للمهاجرين أم إلى الأنصار، وخطب أبو بكر، وذكر في خطابة فضل المهاجرين على الأنصار، عند ذلك عادت الخلافات القبيلة من جديد، وبايع عدد من الحاضرين".

كما أن الفتنة التى أدت إلى موقعة الجمل كان سببها أن "هؤلاء بقيادة معاوية- بحجة المطالبة بالثأر لمقتل عثمان- حملوا المجتمع الإسلامى حربًا أخرى. هذه الحرب وقعت في منطقة صفين، مكان على الحدود بين الشام والعراق. على عتبة انتصار الإمام على، بمؤامرة من عمرو بن العاص، الذي كان من جيش الأمويين، جيش معاوية وضعوا القرآن على الرماح، وطالبوا بالحكومة. جهود أصحاب الإمام الصادقة مثل مالك الأشتر لم تصل إلى نتيجة، وبسبب ضيق نظر التحكيم لبعض أفراد جيش الإمام علي حملوه أيضًا هذه الحرب".

*** أن كبار الصحابة مارسوا التقية بإظهار عكس ما كانوا يخفونه تجاه على بن أبي طالب ﷺ.**

"لأن الكثيرين من مخالفى الإمام على (عليه السلام) يشكلون شخصيات بارزة، وكان لهم في الظاهر اعتبار دينى، فإن الإمام (عليه السلام) كان- وبصعوبة- يستطيع تعبئة الناس ضد هذه الشخصيات البارزة. الإمام (عليه السلام)، وفي خطبة تاريخية له، وبكلام ملمح للناس، قال: بدلاً من أن نحكم على الناس بظاهرهم، يجب أن نحكم وفق معايير الحق والباطل. في البداية يجب أن نسعى لمعرفة الحق من الباطل، بعد ذلك نحكم وفق معايير الحق على الأفراد، نعرف أفكارهم وتصرفاتهم".

*** أن أهل السنة قامت حياتهم على التآمر والكيد للآخر:**

"بعد معركة نهروان، قرر أن يستعد لمواجهة الأمويين مرة أخرى، ولكن في هذه الحالة وقد قتل أفضل أصحاب الإمام، مثل محمد بن أبي بكر، ومالك الأشتر، بمؤامرة من معاوية".

وفي معرض حديثه عن أسباب مقتل الخليفة عثمان، يرى النص أن كبار الصحابة أمثال طلحة والزبير وعمرو بن العاص قد ساهموا في إشعال نار الفتنة، من خلال: "زادت حدة الاعتراض، وذلك بتحريض من بعض الأشخاص مثل طلحة والزبير وعمرو بن العاص، وحاصر المعترضين بيت عثمان. الإمام علي (عليه السلام) ومن أجل الحد من الفتنة والفوضى، طلب من المعترضين أن يحافظوا على الهدوء، ولكن جموع المعترضين هاجموا منزل عثمان وقتلوه".

مارس أهل السنة، وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان ﷺ، سياسة الاضطهاد والقمع تجاه آل البيت من العلويين: "تشديد الحرب النفسية ضد الإمام حسن (عليه السلام) عن طريق إرسال الجواسيس، وإرسال المرتزقة لإثارة الفتنة، ونشر الشائعات، والتفرقة في الأراضي الإسلامية، وخاصة في العراق، مركز خلافة الإمام حسن (عليه السلام)".

*** محاولة تقسم الصحابة إلى فئتين: موالاة ومعارضة في مسألة الخلافة:**

وبالتالي ترسيخ مفهوم التشيع في أذهان الطلاب بأنه قديم قدم الدعوة الإسلامية: "بعض المسلمين قبل بالبيعة، ولكن البعض الآخر كان مصرًا أن الخلافة حق على، حسب وصية الرسول ﷺ، ومنهم الصحابة المقربون من الرسول ﷺ، ومنهم أبو ذر وعمار.

*** استخدام عبارات القدح والذم لأهل السنة، فالخداع والمكر من أهم صفاتهم:**

يقول النص في وصف معاوية بن أبي سفيان: "بعد ذلك وبمنح بعض المسلمين من الأموال العامة للمسلمين أصبحوا من أنصاره، وكذلك قام بخداع أهالي الشام وحرضهم على الانتقام لدم عثمان من الإمام علي (عليه السلام). الإمام طلب مرارًا

من معارضيه أن يقدموا قاتل أو قتلة عثمان لمجازاتهم، ولكنهم لم يكونوا يقدمون غير الاتهامات الواهية. كان هدف معاوية الأساسي أن يحكم كل المسلمين، وحتى يصل إلى هدفه، وبما أنه كان مخادعًا، كان يعطي وعودًا لأي شخص، ومن ضمنهم عمرو بن العاص (حاكم مصر السابق)، وعده إذا وصلت له الخلافة سيعيده حاكمًا على مصر".

*** التهرب الفاضح من الحقائق التاريخية التي تدين الشيعة:**

ولعل في موقف الشيعة من الحسين ﷺ دليلاً على ذلك، فلم تشر النصوص بشكل واضح لتخلي أهل الكوفة عن الحسين في اللحظة الحرجة، كما تخلت عن والده من قبل. " في اليوم العاشر من محرم (عاشوراء) سنة واحد وستين للهجرة، لم يبق من أصحاب الإمام إلا اثنان وسبعون من أصحابه".

*** محاولة تزييف الحقائق، وإبراز وجه مشرق للشيعة، وإظهار دورهم في أحداث التاريخ الإسلامي:**

جاء في النص: "وبما أن المأمون يدرك علاقة الإيرانيين بالأئمة الشيعة، وحتى يكسب ودهم، أجبر الإمام الرضا (عليه السلام) بأن يأتي إلى بغداد، وعينه خليفة له".

ومن ذلك أيضًا: "كان مذهب حكام آل بويه المذهب الشيعي، في عصرهم توسعت وقويت المراكز العلمية الشيعية في بغداد وري وقم، وكان العلماء البارزون مشغولين بتدريس والتأليف".

العباسيون لم يكونوا قادرين على إدارة البلاد، فـ"وجد هؤلاء، ومنذ البداية، أنهم بحاجة إلى الإيرانيين لإدارة أراضيهم؛ لهذا اختاروا وزراءهم من بين

الإيرانيين".

كما عملت النصوص على إخفاء الصورة العلمية وجهود أهل السنة الثقافية، لذا فإن أهم العلماء والشعراء في العصر الإسلامي كانوا- كما قالوا-: "ومن العلماء المعروفين في ذلك الزمان أبوعلي.. سينا، وأبو ريحان، والبيروني"، إضافة للشاعر رودكي".

*** تزييف الحقائق التاريخية، والسرد التاريخي المؤيد للشيعة، وتعظيم دورهم عبر التاريخ:**

من ذلك أن الفرس جميعًا "استقبلوا الدين الإسلامي بصدر رحب، وبدخول الدين الإسلامي المقدس إلى إيران بدأ عهد جديد من تاريخ بلادنا". (النص الثالث).

إذا كان هذا الكلام صحيحًا، فمن أين تسربت العقائد المجوسية والمانوية المنحرفة إلى الدين؟

ومن صور التزييف وإخفاء الحقيقة: "أصيب عمر بجراح على يد أحد معارضيه بعد عشر سنوات من الخلافة، وتوفي بعد عدة أيام".

ولكن لماذا لم يشر الكاتب إلى قاتل الفاروق ﷺ، أليس لأنه فارسي مجوسي، ألم يكن قاتل الخليفة هو أبا لؤلؤة المجوسي؟ اسأل: لماذا لم يذكر قاتله؟ لو كان من العرب لذكره، ووصف العرب بأفدح الأوصاف، لكن لأنه مجوسي فارسي، قال: إن قتله كان من خلال أحد معارضيه. ولا ندري ما هي أسباب المعارضة، وما هو الفكر العقائدي الذي كان يحمله المجوسي غير الحقد الفارسي على كل شيء أصله عربي، وخاصة الفاروق الذي أزال دولة الفرس من الوجود.

وكذلك، أن الخليفة المأمون حرص على كسب الإيرانيين إلى جانبه، لأنه "يدرك علاقة الإيرانيين بالأئمة الشيعة، وحتى يكسب ودهم أجبر الإمام الرضا (عليه السلام) أن يأتي إلى بغداد، وعيَّنه خليفة له".

إن ما ورد في هذه الفقرة افتراء واضح على الحقائق التاريخية المسلم بها في جميع المصادر، فالمأمون عندما أسند منصب ولاية العهد لعلي الرضا[١]، كان وقت وجوده في بلاد فارس، أي قبل وصوله إلى بغداد[٢]، وكان ذلك يوم الثلاثاء الثاني من رمضان سنة (٢٠١هـ/ ٨١٧م)، ولعل المأمون كان يقصد من هذه الخطوة إعادة بناء عناصر الثقة بين أطراف آل البيت: العلويين والعباسيين، ولتأكيد قصده زوجه المأمون ابنته أم حبيب[٣].

كما يحاول النص تأكيد الشك في نسب العباسيين، وأنهم ليسوا من آل البيت كما يدعون. "الخلفاء العباسيون، أحد الفرق التي لم تكن راضية، هؤلاء كانوا يعرفون أنفسهم أنهم من سلالة أبناء عم الرسول، ولهذا السبب كانوا يتصورون أن الحكومة من حقهم. بنو العباس- ومع الدعاية الكثيرة- استطاعوا أن يجدوا مؤيدين لهم من بين الإيرانيين، واختاروا شخصًا باسم أبي مسلم الخراساني ليقود القوات الموالية لهم. استطاع أبو مسلم أن يهزم جنود بني أمية في عدة حروب، وبهذا وصل الحكم إلى بني العباس".

---

(١) انظر نص عهد البيعة، القلقشندى، صبح الأعشى، ج٩، ص٣٦٢.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٣٣.

(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص٣٣.

*** رسم صورة العلاقة بين السنة والشيعة على أنها علاقة صراع وعداء:**

يرى النص في أسباب بيعة المأمون لعلي الرضا "وأهداف المأمون الأخرى من ذلك: أن يكون الإمام الرضا (عليه السلام) تحت نظره، وأن يمنع الشيعة من الثورة، ولكنه لم يصل إلى أي هدف من أهدافه، ولهذا السبب استشهد الإمام الرضا، أما الأئمة الثلاثة من بعد الإمام الرضا، يعني الإمام جواد (عليه السلام)، الإمام هادي (عليه السلام)، والإمام الحسن العسكري أيضًا استمرت مخالفتهم لسياسة العباسيين الخاطئة، قام الخلفاء العباسيون بسجنهم، وبالنهاية قتلهم (استشهدوا)، وبهذه الشروط كانت الإرادة الإلهية بأن يغيب الإمام المهدي (عليه السلام) عن الأنظار".

*** عنجهية الرُّؤى والتفوق العرقي الفارسي الشيعي على العرب السنة:**

"في أوائل القرن الثالث أرسل الخليفة العباسي المأمون أحد قادته الإيرانيين باسم طاهر أميرًا على خراسان".وظهر هذا النفس في: "قرر المأمون ولمواجهة الأمين كسب حماية الإيرانيين".

*** أن السبب في موقف آل البيت، ومن ورائهم الشيعة، ضد الخلفاء الأمويين والعباسيين من بعدهم (أهل السنة)، هو السياسة الخاطئة، وقد كلفتهم تلك المواقف أرواحهم.**

"استمرت مخالفتهم لسياسة العباسيين الخاطئة، فقام الخلفاء العباسيون بسجنهم، وبالنهاية قتلهم (استشهدوا).

"وقيادة المجتمع الإسلامي كانت إحدى مهمات الأئمة المعصومين، ومن واجب المسلمين أن يعرفوا إمامهم وقائدهم الإلهي، وأن يؤيدوا ويثبتوا ولايته، وأن

يجاهدوا في سبيل تثبيت وتوسيع الحكومة الإلهية. أئمتنا الأعزاء ومن أجل القيام بمسئوليتهم قضوا أعمارهم في السعي والنضال، وعند انقضاء أعمارهم الشريفة، فإنهم يسلمون هذه المهمة للإمام الذي بعده، لتتم متابعة النضال، وذلك مع المساعدين المتقين والمؤمنين، وذلك لزعزعة قاعدة حكومة المتغطرسين أعداء الناس؛ لقبول الولاية الإلهية، والإطاحة بحكومة الظلم والجور".

*** التناقض الواضح في تناول تاريخ أهل السنة، فمرة تجد النصوص تصفهم بصفاتهم الحقيقية من تضحية وجهاد في سبيل الإسلام.**

"حروب المسلمين ضد الحكومة المستبدة في إيران في صدر الإسلام كانت لهذا السبب، المسلمين لم يقوموا بالحروب من أجل السيطرة على الأراضي وكسب المال، ولكن حاربوا من أجل حرية الناس من تسلط المستكبرين، ونجاتهم من نيران الظالمين، والحكام الظالمين".

وكذلك: ".. آداب وسلوك هو ببساطة من أهم الأسباب الرئيسية لانتصارهم"، وكذلك: "المعاملة الإنسانية وطلب الصلح لقادة جند الإسلام". (النص الثالث).

في المقابل، ترى الصورة المظلمة للسنة: "ظهرت روح تكديس الثروات والتميز الاقتصادي في المجتمع الإسلامي، وصلت إلى أوجها في عهد الخليفة الثالث".

*** الدس والكذب والافتراء على أهل السنة:**

"الإمام الحسين (عليه السلام) ومن أجل إنهاء حكومة بني أمية، رأى أن من مصلحة الإسلام والمسلمين أن يقوم بثورة؛ حتى يفهم العالم أن أبناء الرسول

مخالفين لحكومة يزيد المعارضة للإسلام، وأنه جاهد ضده". (النص الثالث)، وكذلك قوله: "عداء بني أمية الحقيقي كان لعائلة الرسول ﷺ".

* **إبراز الجانب الإيجابي في تاريخ الشيعة الفرس، وإخفاء الجانب السلبي**: "ومع هذا فقد كان عدد الشيعة يزداد يومًا بعد يوم، وخاصة في إيران، وبالنهاية وبسبب ظلم بني أمية وفسادهم قام المسلمون لمواجهتهم. أحد قادة هذه المواجهة أبو مسلم الخراساني".

وقد قبل الشيعة بخلافة أبي بكر: "بالنهاية انتخب أبو بكر للخلافة، بايع مجموعة من الناس أبا بكر، يعني عاهدوه أن يطيعوا أوامره. اختار سيدنا علي وأتباعه الصمت حتى لا يقع خلاف بين المسلمين، وهذا الصمت كان له أثر بالغ ومؤثر في تنمية الإسلام في شبه الجزيرة العربية".

القارئ العادي يلاحظ التناقض الواضح في النص، كما يلاحظ أن مثل هذا الكلام فيه إساءة لعلي بن أبي طالب ﷺ، فإذا كان أمر الحكم والإمامة محسوم كما يدعي الشيعة من خلال حديث الغدير، وأنه أمر من الرسول ﷺ، فهو بالتالي أمر غير قابل للنقاش أو التفاوض، بل واجب التنفيذ امتثالاً لأمر النبي ﷺ، فإذا جانب الصحابة وغالبية المسلمين الحق- كما يزعمون- فكيف يقبل علي بن أبي طالب (وهو صاحب الحق الشرعي بأمر من النبي) أن يوافقهم على مخالفة أمر الله ورسوله، أليس هو الإمام المعصوم بنظرهم؟

نقول: إنه في صبيحة يوم الانتخاب جعل عبد الرحمن بن عوف اتباع سياسة أبي بكر وعمر أساسًا للترشيح، فقد طلب من كل من علي وعثمان (رضي الله عنهما) "أن يقسم كل منهما أن يجعل كتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخليفتين من بعده، وألاّ

يحمل أي منهما بني أمية أو بني عبد المطلب على رقاب الناس[١]".

أما علي بن أبي طالب فأجاب بتحفظ قائلاً: "اللهم لا، ولكن على جهدي وطاقتي"، وأما عثمان فوافق عبد الرحمن على شرطه قائلاً: "اللهم نعم"، وبهذا يظهر أن علي بن أبي طالب اتبع أسلوب الاجتهاد أساسًا لبيعته، فكان لهاتين الإجابتين الأثر المهم في تقديم عثمان على علي، وإعطائه البيعة من قبل عبد الرحمن وأصحاب الشورى، ثم تتابع الناس على بيعته، وبايعه علي أيضًا[٢].

*** تصوير العلاقة بين العلويين والخلفاء العباسيين بأنها علاقة كراهية وظلم من قبل الخلفاء، وأن بني العباس قد خدعوا العلويين، واستولوا على الحكم واضطهدوهم.**

هنا لابد من التأكيد على أن العلاقة بين طرفي آل البيت (العلويين والعباسيين) لم تسر على نسق واحد، فقد تجاذبتها قوى الشد من الطرفين، وذلك لأجل الحكم؛ فالعباسيون بذلوا كل شيء لأجل الوصول إلى الحكم، ولا يمكن أن يتنازلوا عنه، خاصة أنهم كالعلويين من آل البيت، والعلويون يرون أن العباسيين خدعوهم، واستغلوا محبة الناس لهم لأجل تحقيق غايتهم.

لكن هذا لا يعني أن العباسيين كانوا حريصين على تعقب العلويين وقتلهم، بل اقتضت السياسة وصلات القربى تقريبهم، والإحسان إليهم، وسنورد مثلاً واحدًا من طبيعة العلاقة بين الطرفين، ونقصد الخليفة المنصور وجعفر الصادق: تذكر

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٤، ص ٢٣٨، ومجهول، الإمامة والسياسة، ص٢٧.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٤، ص ٢٣٨، ٢٣٩، ومجهول، الإمامة والسياسة، ص٢٧.

الروايات التاريخية أن المنصور كان يجلّ الصادق ويستشيره، ويأمر ولاته على المدينة باستشارته في الأمور، وأكثر من ذلك؛ شجّع المنصور الصادق وأتباعه على التعمق في العلوم الشرعية والفقهية ليصرفهم عن السياسة، كما وأن المنصور هو الذي أطلق لقب (الصادق)[١] على الإمام جعفر، ولم يدّخر المنصور وسعًا في الثناء على الصادق، فكان يعتبره من ألمع فقهاء عصره، وأعلم المحدّثين في المدينة.

وفي رسالته إلى الثائر محمد النفس الزكية الحسني، أشار المنصور إلى الصادق فأطراه واعتبره أفضل العلويين[٢]. والمعروف أن الصادق وقف موقفًا سلبيًا من ثورة النفس الزكية، ولم يبايع لمحمد النفس الزكية، وحذّر أتباعه من الانضمام إليه حين تنبأ بفشل الثورة ومقتل النفس الزكية.

إن هذه العلاقة الودية بين المنصور والصادق قد قاربت بين مذهب الخلافة العباسية ومذهب الصادق، والواقع أن تلك الفترة كانت فترة تكوين المذاهب، حيث لم تتبلور فيها المذاهب بعد. ولذلك لا يمكننا أن نرى اختلافًا واضحًا بين مذهب الدولة ومذهب جعفر الصادق. إن إطلاق تسمية "أهل السنة والجماعة" أو "الإمامية الاثنا عشرية" على مذهبي العباسيين والشيعة الجعفرية إنما وقع في فترة متأخرة عن الفترة التي نبحث فيها؛ ولهذا السبب ذاته نلاحظ أن الفقهاء والعلماء من أهل الحديث والقضاة الذين يعملون للدولة العباسية كانوا يجتمعون بالصادق، ويسألونه في المسائل الشرعية، فيفتي لهم، ويأخذون برأيه دون أن يجدوا حرجًا في ذلك، أو تمنعهم الدولة العباسية من ذلك؛ فقد اتصل بالصادق العديد من الفقهاء

---

(١) الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص ٢٥٦- ٣٠٣.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٧، ص ٥٦٧.

من أمثال مالك بن أنس، وأبي حنيفة، وابن أبي ليلى، وابن شبرمة، وسفيان الثوري وغيرهم.

يقول المستشرق جب: "ليس هناك في الحقيقة برهان قاطع في تلك الفترة عن أي انشقاق مذهبي بين السنة والشيعة المعتدلة، ولم يكن هناك من يهتم بإحباط نشاطهم أو معاقبتهم بسبب مذهبهم؛ بشرط أن يظلوا على ما هم عليه من المثالية التي لا علاقة لها بالسياسة"[(١)].

ويلاحظ الأستاذ هودسون أنه كان يُنظر إلى جعفر الصادق كإمام من أئمة الحديث والفقه، مثله كمثل مالك بن أنس وأبي حنيفة والأوزاعي وغيرهم من الفقهاء، الذين يركزون اهتمامهم لإيجاد التشريعات المناسبة التي تساعد المسلمين على حل المشاكل التي تواجههم[(٢)].

ويؤكد المستشرق وات[(٣)] تلك النظرة إلى آل الحسين، فيقول: "لم تكن هناك حركة سرية ثورية غرضها إقامة خلافة يرأسها إمام من آل الحسين في تلك الفترة المبكرة التي نبحثها، وأن حركة الشيعة الإمامية (الاثني عشرية) لم تتبلور إلا حوالي سنة ٢٨٧هـ أو ٩٠٠م.

على أن هناك فرقًا بين الصادق وغيره من المحدثين والفقهاء، ذلك أنه كان علويًا فاطميًا، وهذا ما جعله أكثر وزنًا ونفوذًا، وربما خطرًا من وجهة النظر العباسية، خاصة وأن شيعة الصادق كانوا يعتبرونه إمامهم، مستندين على مبدأ

(1) H. Gibb، Government and Islam، E. DI. Islam، VIII، P. 118.

(٢) عمر، التاريخ الإسلامي، ص١٠٢، نقلاً عن هودسون، المصدر السابق، ص١١.

(3) Watt، Shi'ism Under the Umayyads، J. R. A. S. P 169، 1960.

النص الذي أشرنا إليه سابقًا. على أن الصادق فرّق بين الإمامة والخلافة؛ فالأولى رئاسة دينية وروحية، أما الثانية فهي سلطة دنيوية، وأكد الصادق أنه ليس من الضروري على الإمام أن يتقلد السلطة الدنيوية والدينية معًا إذا كانت الظروف غير مواتية لذلك.

لقد استطاع الصادق أن يقنع أتباعه بأن الظروف غير مناسبة لإقامة الخلافة العلوية، وبذلك برّر اتجاهه المسالم والودي تجاه العباسيين.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى بشّر الصادق أتباعه بقرب ظهور (القائم)، وهو الإمام السابع الذي سيقودهم إلى الثورة والسلطة[1].

إن تبشير الصادق أتباعه بالقائم أدى إلى نقل آمالهم وطموحاتهم إلى خليفته، وبهذا تخلّص من إلحاح الشيعة عليه بضرورة الثورة ضد العباسيين، وأزال عبئًا ثقيلاً عن كاهله، ووضعه على كاهل الإمام السابع الذي يخلفه في رئاسة الشيعة الإمامية.

ولم يكن الخليفة المنصور غافلاً عما يدور في حلقات الشيعة من آراء ومعتقدات، ولذلك حاول أن يقابل أو يعارض كل فكرة علوية بأخرى عباسية، وذلك واضح في الرسائل المتبادلة بينه وبين محمد النفس الزكية، كما وأن المنصور قابل فكرة المهدي أو القائم العلوي بفكرة المهدي العباسي، والمنصور العباسي، ومقابل ادعاء العلويين بامتلاكهم العلم السري المتوارث عن الرسول ﷺ، ادعى المنصور بأن للعباسيين علمًا سريًا موروثًا، حيث قال في وصيته لابنه المهدي: "انظر هذا السفط فاحتفظ به، فإن فيه علم آبائك؛ ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة".

---

(١) الكليني، الكافي، ١٣٠٢، ص ١٤٨ وما بعدها، والعاملي، أعيان الشيعة، ج٤، ص١٦.

وإذا أخذنا بنظر الاعتبار وجود فِرَقٍ شيعية متطرفة اعتقدت بآراء غالية حول الأئمة وصفاتهم؛ فإننا عند ذاك فقط ندرك لماذا تساهل العباسيون الأوائل مع الراوندية، وهم الجناح المتطرف من الشيعة العباسية، والذين دانوا بآراء غالية حول الخلفاء العباسيين إلى درجة تقديسهم وتأليههم.

وبمعنى آخر، أراد العباسيون أن يجعلوا من الراوندية واجهة تغالي في تمجيدهم والدعاية لهم، مقابل الفِرق المتطرفة الأخرى التي تشايع غيرهم، وخاصة العلويين.

ولا ننسى أخيرًا بأن العباسيين بعد أن وصلوا إلى السلطة لم يؤكدوا فقط قرابتهم للرسول ﷺ، بل ادعوا بأن الرسول ﷺ قد أوصى لعمه العباس بن عبد المطلب من بعده! وفي هذا معارضة لادعاءات الشيعة العلوية حول النص والوصية.. وهكذا ضرب العباسيون على نفس النغمة التي ضرب عليها خصومهم السياسيون، وساروا على نفس النهج مقابلين حجة بحجة، وتكتيكًا بتكتيك مثله، وربما بأقوى منه؛ ذلك لأن العباسيين ادعوا بأنهم وصلوا إلى الحكم عن طريق الثورة التي أسقطت الأمويين، الأمر الذي لا يستطيع العلويون أن يدّعوه، ذلك لأن حركاتهم كلّها انتهت بالفشل.

لقد أقلق الصادق تطور الحركة المتطرفة في صفوف أتباعه بزعامة أبي الخطاب الأسدي، فقد استطاع أبو الخطاب أن يجمع حوله العديد من أتباع الصادق، وجذب إليه كذلك إسماعيل بن جعفر الصادق مكونًا نواة لحركة معارضة فعالة ضدّ السلطة العباسية. وحين سمع المنصور بفعاليات الخطابية، استدعى الإمام الصادق وابنه إسماعيل إلى العراق، وحذّرهما من نشاطات الخطابية المتطرفة، ولكنه لم يمسهما بأذى، بل قتل أحد أتباعهما، وهو بسام بن عبد الله الصيرفي[1].

---

(١) الكشي، رجال الشيعة، ص١٥٩.

وحين ثار محمد النفس الزكية الحسني في المدينة، التحق بعض أتباع الصادق به سنة ١٤٥هـ، رغم تحذيرات الصادق لهم، وتنبئه بفشل الثورة.

ولعل الذي جذبهم إلى هذه الحركة كونها حركة مقاومة إيجابية تدعو لحمل السلاح ضدّ العباسيين أولاً، ثم إنها دعت إلى المنقذ المنتظر "المهدي"؛ حيث أعلن محمد النفس الزكية أنه مهدي أهل البيت، مما جذب إليه الكثير من الأتباع.

ولعلّ ذلك يؤكد بأن ولاء الشيعة العلوية كان لا يزال في ذلك الوقت من المرونة وعدم التبلور، بحيث ينتقل الشيعي من الولاء لإمام علوي معين إلى الولاء لإمام آخر، من فرع علوي آخر، بكل سهولة ودون إحراج!. ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك المعلّى بن خنيس، الذي كان من أتباع الصادق وأحد وكلائه، ولكنه استطاع أن يوفق بين ولائه للصادق وانتمائه إلى المغيرية، ثم حوَّل ولاءه إلى حركة محمد النفس الزكية. وقد قُتل وهو يقوم بالدعاية للنفس الزكية.

وفي سنة ١٤٧هـ، ذهب المنصور للحج، واجتمع بجعفر الصادق. ولا شك فإن المنصور أراد في لقائه بالصادق أن يؤكد رضاه على سياسة الصادق السلمية، وتبرؤه من كل ما له علاقة بالحركات السياسية، وليظهر له بأن السلطة العباسية تراقب الأمور عن كثب ويقظة[١]، تلك المراقبة التي أودت بحياة الكثير من الثوار أو المعارضين الفعالين، ومن بينهم عدد لا بأس به من أتباع الصادق نفسه.

---

(١) تشير بعض الروايات إلى أن المنصور استفسر من الصادق حول الخُمس الذي كان يدفعه الشيعة للإمام، وذلك لأن الخمس كان له مضمون سياسي، ويدل على ولاء الشيعة للإمام الصادق دون غيره. راجع: الكليني، الكافي، ج١، ص١٣٩-٣٥٥.

*** اتهام أهل السنة، وعلى رأسهم خلفاؤهم، أهل شماتة وتشفٍّ بآل البيت والشيعة:**

"لقد فرح يزيد بشهادة الإمام حسين (عليه السلام) مع أصحابه، وانتصار بني أمية، وهم يعرفون أنهم من عائلة الرسول، ولكن سعادتهم كانت ظاهرية".

*** أن أهل السنة ممثلين بالأمويين ومن بعدهم العباسيون لم يستطيعوا الاستمرار في الحكم إلا بالظلم والبطش ومخالفة تعاليم الإسلام:** "بعد مدة بدأ بنو العباس بالظلم أيضًا، لم يراعوا أو يهتموا بأوامر الإسلام، وقاموا بالقتل الجماعي، وسجن الناس. وهذا كان سبب عدم رضا الناس في تلك الفترة. في هذه الفترة أيضًا تعرض أئمة الشيعة إلى الأذى والاضطهاد".

وختامًا نقول: إن في تصوير الصحابة، بهذه الصور المفزعة لقدح واضح في نجاح الرسول ﷺ في تربية جيل من المؤمنين بربهم، المخلصين للدين، الذي أمروا أن يتحملوا الأعباء والتضحية بالروح قبل المال لأجل إعلاء شأنه ونشره.

ليس هذا فحسب، إن إخراج الصحابة من دائرة الإيمان إلا أربعة فيه طعن صريح بصحة الدين والرسالة. أيعقل أن الجهود التي بذلها الرسول ﷺ على مدى دعوته لم تفلح في تغيير العقلية الجاهلية في نفوس المسلمين؟

نتائج الدراسة

حاولت هذه الدراسة الإجابة عن التساؤلات التي تمحور حولها هذا الكتاب، وهي المتعلقة بالكشف عن صورة أهل السنة التي تسعى الكتب المدرسية إلى بلورتها وغرسها في عقول طلبة المدارس الإيرانية ووجدانهم، حيث توصلت الدراسة من دون شك إلى أنّ معالجة الكتب المدرسية الإيرانية لصورة أهل السنة كانت مشوّهة جدا ومنحازة بشكل كبير إلى جانب واحد وهم الشيعة، مليئة بالعيوب والنواقص. وعمليا تحتوي جميع الكتب المدرسية التي جرت مراجعتها عددا كبيرا من الأفكار والآراء والعبارات المضللة عن الصراع. وهي مضللة لأنها ناقصة وخارجة عن السياق وتحتوي على مواد غير موثوقة، ولا موثقة المصدر؛ لأن المعلومات المقدمة ليست كاملة الوضوح، وفيها تزوير كبير.

ومن خلال التساؤلات التي طرحتا مشكلة الدراسة فقد تعرفنا على صورة الشخصية النمطية لأهل السنة التي تسعى الكتب المدرسية إلى بلورتها وغرسها في عقول طلبة المدارس الإيرانية، ووجدانهم.

استخدمت الدراسة منهج تحليل المحتوى في دراسة وتحليل محتوى جميع الكتب المدرسية الإيرانية، حيث اتخذت النصوص كوحدات للتحليل لاستخراج الصورة المتضمنة في الكتب المذكورة، وهي منهجية تقوم على أساس تشكيل صورة أهل السنة في الكتب المدرسية بعد تحليل محتوى الكتب المدرسية بعد ترجمتها من اللغة الفارسية إلى العربية، ثم جمع البيانات وتحليلها، تحقيقها علميا، ودلالات هذه البيانات، ثم استخلاص هذه النتائج من خلال التأكد من صدقية النصوص بصورة

علمية محايدة، مع الاحتفاظ بخصوصيات ما ذكرته الكتب المدرسية، حتى وعلى صعيد الدلالة اللفظية.

توصلت الدراسة إلى رسم شكل صورة أهل السنة المضمنة في الكتبَ المدرسية الإيرانية، وتحليل محتواها ومضمونها، وتوصلنا إلى التوجهات التي يراد غرسها في عقل الناشئ الإيراني، والتوجهات والأفكار التي تكررت أكثر من غيرها في هذه الكتب المتعلقة بصورة أهل السنة، من حيث طبيعة توزُّعها في الكتب المدرسية، والكيفية التي تؤثر بها المناهج التعليمية في إيران في تشكيل وبلورة صورة أهل السنة لدى الطالب الإيراني، وهذا ساعدنا على التعرف على الإيجابيات والسلبيات في تناول المناهج لهذه الصورة، وأبعاد ذلك، حيث توصلنا إلى مدى توافق وانسجام التوجهات التي تضمنتها الكتب المدرسية حول هذه الصورة مع أهداف ومتطلبات الثورة، ونظرتها للآخر والذي تسعى لترسيخه في وجدان النشء، خدمة وتعرية لهذه الثورة التي تطبل وتزمر للوحدة الإسلامية. لنقوم في النهاية بتركيب الصورة الكاملة لشخصية السني المبعثرة في ثنايا المناهج كما عرضته الكتب المدرسية الإيرانية.

النقطة الأولى: لا شك بأن مؤلفي هذه الكتب المدرسية هم من أصحاب المعتقد الشيعي اللذين يعتبرون خارج الزمان والمكان التاريخي، ورواد المدرسة القومية الإيرانية التي تربطهم بوجهة النظر القومو- مذهبية روابط عميقة الجذور. ويعتمد كثير من المؤلفين في كتاباتهم على الموسوعات الشيعية والتاريخية التي تغلب عليها السطحية والانحياز أيضا.

النقطة الثانية: بعد العرض والتحليل لمحتوى الكتب المدرسية الإيرانية فيما يتعلق بصورة أهل السنة... يمكننا التساؤل هل أمكن لإيران الدولة والثورة عن

طريق المناهج التي تقدمها للطلاب في المدارس الابتدائية، الإعدادية والثانوية أن تعمل على صهر هذه الأقليات المتنافرة في مجتمع تدعي إيران أنها وحدته؟ وإلى أي حد أو مستوى تتسق سياسة التعليم وفلسفته خلال هذه المراحل مع طبيعة الثورة الإيرانية وأهدافها؟ للإجابة على مثل هذه التساؤلات التي حددتها مشكلة الدراسة، نخلص إلى النتائج التالية:

١- أن عنصرية إيران من خلال مناهجها التعليمية ليست ضد أهل السنة اللذين يعيشون خارج إيران وحدهم، بل ضد الأقليات اللذين يعيشون على التراب الإيراني.

٢- اهتمام إيران بالتعليم إجباريا بهدف غرس الصورة عن الآخر "السني" قسرا، وهي ما تريده إيران الدولة والثورة.

٣- يلقن الطالب الإيراني في ضوء فلسفة التعليم أن قدره ومصيره، حاضره ومستقبله، ودوره العالمي مرتبط بوجود ما يقرأه في الكتب المدرسية، وأن بقائه مرهون من خلال بقائه يقظًا حذرًا، متأهبًا لمواجهة الآخر "السني" الذي يتربص به، وضرورة استحضار التاريخ الملحمي للصراع بين الشيعة (الخير، النور) والسنة (الشر، الظلام)، مما يساعد على بقاء الثورة الإسلامية الإيرانية واستمرارها، وأن كل مهمة وهدف يجب أن تنطلق من هذه القضية، وأنه لا وجود له كإيراني بدون الثورة الشيعية وبقائها.

٤- لقد سعت إيران من خلال مناهجها التدريسية، وسياستها التعليمية العنصرية في هذه المراحل التعليمية إلى محاولة إقناع الطالب الإيراني بأن الثورة الإيرانية، هي ثورة عالمية تمثل الإسلام الخالص الحقيقي، وأن عليها رسالة مهمة ووظيفة

تسعى لتحقيقها، وتجسيد الهدف النهائي بإقامة الدولة العادلة الموعودة التي ستملأ الأرض عدلا بعد أن ملأها السنة ظلما وجورا عبر التاريخ وإلى الآن.

٥- حاولت الكتب المدرسية إقناع الطالب الإيراني عن طريق المناهج التدريسية بأن الطالب الإيراني الشيعي، بأنه مواطن، جندي... ذو رسالة إلهية للحفاظ على الثورة الإسلامية، وتحقيق الرسالة العالمية لإيران الشيعية، وأن عليه في النهاية عليه واجب المشاركة في إقامة دولة العدل والمساواة التي تمتلك الشرعية الإلهية.

٦- إعطاء الطالب الإيراني صورة مشوهة عن أهل السنة، وصورة الشخصية الإيرانية على أنها شخصية شيعية، مظلومة، مستهدفة، لكنها في الوقت نفسه متفوقة عقليا، حضاريا، معرفيا، عقائديا...

٧- محاولة التفنن، وممارسة أساليب البراعة والابتكار في بث الفلسفة التربوية الإيرانية على أنهم وحدهم اللذين يحتكرون الحقيقة من خلال تمثيلهم للإسلام الشيعي الفعلي، وأنهم يتمسكون بمبادئهم، ويضحون، رغم ما يلاقوه من مجابهة، حصار، استهداف... لأنهم أتباع آل البيت اللذين نذروا أنفسهم لخدمة الإسلام عبر تاريخ طويل وحافل من التضحيات.

٨- تعبئة الطالب الإيراني منذ المدرسة بإشغاله بفكرة العدو السني الدائم، وبهذا نجحت الكتب المدرسية في احتواء الطالب الإيراني ودمجه في مجتمع الكراهية، وقدمت له البرامج التعليمية والمناهج، الإجراءات والأساليب التي توفر له الجلوكوز الدائم من الحقد مما عزز لديه شعوره بالانتماء للقومية الفارسية، والولاء للتشيع الصفوي.

٩- اهتمام إيران في تطوير مستوى محتوى ومضمون المناهج التدريسية ليواكب

التطورات التي تعزز المواجهة مع الآخر، خصوصا أن الكتب المدرسية قد شهدت عملية تطوير معرفية مضللة، لأن الهدف النهائي لإيران الدولة والثورة تعديل هذه المناهج بما يتفق مع سياستها، وأهدافها على المستويين الحالي والمستقبلي، وبما يضمن بقاء نظامها السياسي واستمراره.

النقطة الثالثة: لا شك بأن الكتب المدرسية الإيرانية قد ركزت على الجانب القومي المذهبي، أكثر من اهتمامها بالجانب المعرفي والمعلوماتي. ويعني هذا أن الكتب المدرسية ركزت كثيرا على الغايات والأهداف التي قصد منها خلق مواطن فارسي شيعي صالح، والذي يستطيع أن يتكيف مع قيم الثورة الإيرانية المغلفة مذهبيا وقوميا ويتفاعل معها تفاعلا إيجابيا، ولم تسهم الكتب المدرسية في التأقلم مع المحيط الخارجي، خاصة العربي السني منه، بحيث يتفاعل معه تفاعلا بنيويا وظيفيا، قائما على الانسجام والعطاء المتبادل وخلق البيئة التصالحية، بل أسهمت الكتب المدرسية الإيرانية - للأسف الشديد -في خلق بيئة صراعية، أسهمت في غياب نظرة التصالح مع الآخر كيفما كانت عقيدته ولغته وجنسيته. ولقد وجدنا ذلك بوضوح عندما غيبت الكتب المدرسية دور العرب أهل السنة، فغيبت مجموعة من الدروس المعرفية، ومجموعة من المحاور والمحتويات التعليمية التي لا تنسجم حسب رأيها مع متطلبات الثورة الإيرانية الشيعية.

النقطة الرابعة: مست هذه السياسة جميع الكتب المدرسية في جميع مستوياتها، وحملت بقيم فارسية شيعية استوجبتها سياسة عدم الانفتاح مع أهل السنة، ولم تعزز الاعتراف بمنطق التضامن والتعاون والتعايش بين إيران الشيعية والعالم الإسلامي السني مطلقا، ولم تسهم داخليا في التواصل مع الأقلية السنية، إذ إن الكتب المدرسية الإيرانية لم تؤمن بالتعدد اللغوي والعرقي المذهبي......، والانفتاح على

أهل السنة، ولم تعظم سياسة التسامح، فعوضا عنه لجأت –للأسف الشديد – إلى سياسة الانغلاق والتطرف والانطواء على الذات.

النقطة الخامسة: الصراع الفارسي الشيعي – السني ليس صراعا عسكريا ولا جغرافيا ولا أمنيا فحسب، بل هو صراع تربوي أيضا، حيث يجب تنبيه أجيال الدارسين لتلك الحقيقة الشاملة التي تنظر للأمور بصورة عدائية نزاعية، لذلك ينبغي أن يكون للتربية والتعليم في العالم العربي دورا أساسيا في تفهيم الأجيال أبعاد ذلك الصراع ومراميه، لهذا يجب تضمين الكتب المدرسية العربية على تنوعها واختلاف مستوياتها الحقائق والمفاهيم الصحيحة، التي تكشف تلك الأبعاد، وتجعل النشء العربي على دراية كافية وكاملة.

لا بد كذلك من الاعتراف بالأثر السلبي لهذه المناهج على علاقات إيران بالعالم العربي الذي يمثل أهل السنة، من جهة تركيز الكتب المدرسية الإيرانية لحالة عدم الثقة والشك، ونستطيع القول أن ما يتم تدريسه داخل جدران المدارس أثر سلبا من خلال إيجاد الفكر المسبق السلبي في ذهن ووجدان الطالب الإيراني الشيعي تجاه كراهية أهل السنة، واحتقارهم، بدلا من تعليمهم قيم الحوار والمصالحة والتسامح.

نأمل من الله تعالى عز وجل أن يفتح هذا الكتاب الآفاق أمام الدراسات الأخرى التي ستعنى بحقل الكتب المدرسية الإيرانية، والله الموفق والمستعان.

مصادر تحليل نصوص الكتب المدرسية الإيرانية

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م.
- ابن العربي، محمد بن عبد الله المعافري، العواصم من القواصم، تحقيق: محيي الدين الخطيب، مكتبة أسامة بن زيد، بيروت، ١٩٨٢م.
- ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦.
- ابن بابويه، محمد بن علي، كتاب مَن لا يحضره الفقيه، مكتبة الصدوق، طهران، ١٣٩٣هـ.
- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٨.
- منهاج أهل السنة في نقض كلام الشيعة والقدرية، مكتبة الرياض، الرياض.
- ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني، منهاج أهل السنة في نقض كلام الشيعة والقدرية، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٢١هـ.
- سؤال في يزيد بن معاوية، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٦.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت).

-ابن حزم، الفصل في الأهواء والنحل، مكتبة المثنى، بغداد.

- ابن حنبل، الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ.

- ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، تصحيح: أبو عبد الله السعيد، ط٣، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت (د ت).

- ابن خياط، خليفة الجعفري، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩.

- ابن دحية الكلبي، أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين، مخطوطة نسختي الخاصة.

- ابن سعد، محمد بن سعيد، الطبقات الكبرى، ط٣، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

- ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦.

- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق: محمد صبيح، دار التعاون، القاهرة، ١٩٧٤.

- ابن كثير، أبو الفداء، البداية والنهاية، تحقيق: محيي الدين ذيب وآخرون، دار ابن كثير، بيروت- دمشق، ٢٠٠٧، وطبعة مكتبة المعارف، بيروت.

- تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٩.

- ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب، السيرة النبوية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٥هـ.

- أجروال، دنيش، العدد ٢٣٨، الجمعة ٠٢ مايو ٢٠٠٣م، الموافق ٢٩ صفر ١٤٢٤هـ.

- أبو الحسن الأشعري، علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين، ط بيروت، (د ت).

- أرنولد، توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة، القاهرة.

- الإحقاقي، ميرزا حسن الحائري، رسالة الإيمان، مكتبة الصادق، الكويت، ط ٢، ١٤١٢هـ.

- الأشعري، علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ط٣، ١٩٨٠.

- الأصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٥م.

- الألباني، ناصر الدين، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، منشورات المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٧٩.

- الإمام مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح الإمام مسلم، دار السلام، الرياض، ١٤١٩هـ.

- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، الفرق بين الفرق، اعتنى بها وعلق عليها: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧م.

- البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، تحقيق: صلاح الدين المنجد، النهضة المصرية، القاهرة، (د.ت).

- آل كاشف الغطاء، محمد، أصل الشيعة وأصولها، ط٣، ١٩٤٤.

- أمحزون، محمد، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين، ط٣، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٣م.

- الباقلاني، التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة، تحقيق: محمود الخضري ومحمد أبو ريدة، دار الفكر، بيروت، ١٩٤٧م.

- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح الإمام البخاري، دار الفيحاء- دمشق، دار السلام- الرياض، ١٤١٩هـ.

- الشهرستاني، أبو الفتح، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق: أمير مهنا، وعلي فاعور، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٨م.

- أرنولد، توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة، القاهرة.

- الأشعري، علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ط٣، ١٩٨٠.

- الباقلاني، التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة، تحقيق: محمود الخضري، ومحمد أبو ريدة، دار الفكر، بيروت، ١٩٤٧م.

- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح الإمام البخاري، دار الفيحاء- دمشق، دار السلام- الرياض، ١٤١٩هـ.

- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، الفرق بين الفرق، اعتنى بها وعلق عليها: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧م.

- الجهشياري، محمد بن عبدوس، كتاب الوزراء والكتاب، ط٣، مطبعة مصطفى الباب الحلبي، القاهرة، ١٩٨٠م.

- الجنابي، خالد، تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي، منشورات دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، (د.ت).

- الخزاعي، علي بن محمد، تخريج الدلالات السمعية على ما كان على عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والمعاملات الشرعية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٦.

- الدوري، عبد العزيز، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، مطبعة السريان، بغداد، ١٩٤٥.

- النظم الإسلامية، منشورات جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٨م.

- دراسات في العصور العباسية المتأخرة، مطبعة السريان، بغداد، ١٩٤٥.

- الذهبي، محمد بن أحمد، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٣.

- الذهبي، أبو عبد الله بن محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، مجموعة من المحققين، دار الرسالة، بيروت، مختلف سنوات الطبع.

- الذهبي، أبو عبد الله بن محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام، (عهد معاوية)، تحقيق: عمر التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت.

- سير أعلام النبلاء، مجموعة من المحققين، دار الرسالة، بيروت، مختلف سنوات الطبع.

- دول الإسلام، تحقيق: محمد فهيم شلتوت ومحمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤.

- الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال، دار المسيرة، بيروت، (د ت).

- الريس، محمد ضياء، النظريات السياسية الإسلامية، دار التراث، القاهرة.

- السقاف، أديب، الدين في الصين والهند وإيران، مطبعة العصور الجديدة، القاهرة، ٢٠٠٠م.

- الشهرستاني، أبو الفتح، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق: أمير مهنا، وعلي فاعور، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٨م.

- الشيبي، كامل، الصلة بن التصوف والتشيع، ط٣، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٢.

- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١.

- الشيخ المفيد، محمد بن النعمان، تقديم: فضل الزنجاني، مطبعة رضائي، طهران، ١٣٧١هـ.

- الشيخ المفيد، محمد بن النعمان، تقديم: فضل الزنجاني، مطبعة رضائي، طهران، ١٣٧١هـ.

- العاني، حسن، سياسة المنصور أبي جعفر الداخلية والخارجية، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١.

- العش، يوسف، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها، دار الفكر، دمشق، ط ٥، ٢٠٠٠م.

- الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج على أهل اللجاج، منشورات دار النعمان، النجف، ١٩٦٦.

- الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٠.

- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، (د ت).

- الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج على أهل اللجاج، منشورات دار النعمان، النجف، ١٩٦٦.

-الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٠.

- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، (د ت).

- الطوسي، محمد بن الحسين، تلخيص الشافي، النجف، ١٩٦٣.

- الطوسي، محمد بن الحسين، كتاب الغيبة، مطبعة النعمان، النجف، ١٣٨٥هـ.

- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، (د ت).

- آل كاشف الغطاء، محمد، أصل الشيعة وأصولها، ط٣، ١٩٤٤.

- العش، يوسف، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها، دار الفكر، دمشق، ط ٢٠٠٠م.

-الغيث، خالد، مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، (رسالة دكتوراة)، دار الأندلس، جدة، ٢٠٠٠م.

- القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلق عليه: محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت).

- الكروي، إبراهيم، البويهيون والخلافة العباسية، ط١، مكتبة دار العروبة للنشر، الكويت، ١٩٨٢م.

- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، مؤسسة دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨١هـ.

- الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٧٣.

- المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار نهضة مصر، القاهرة.

- المقريزي، أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة.

- المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرحه وقدم له: مفيد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت).

- إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب، ط٣، المطبعة الحيدرية، النجف، (د ت).

- أخبار الزمان، دار الأندلس للطباعة، بيروت، ١٩٨٧.

- المقدسي، محمد بن أحمد الشامي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بعناية: دي غويه، ليدن، ١٩٦٧.

- المناوي، محمد بن عبد الرءوف، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، ج١، مصر، ١٩٣٨، ج٢، مصر، ١٩٦٣.

- النووي، شرح صحيح مسلم، دار الريان، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ.

- النجار، محمد الطيب، الدولة الأموية في المشرق، دار الاتحاد، القاهرة، ١٩٨١.

- النشار، علي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج١، ط١، دار المعارف، مصر، ١٩٨١.

- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق، تاريخ اليعقوبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠.

- أمين، أحمد، فجر الإسلام، مكتبة النهضة، القاهرة.

- بارندر، جفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: إمام عبد الفتاح، عالم المعرفة، ١٩٩٣.

- براون، تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، ترجمة: أحمد حلمي، جامعة الكويت، الكويت، ١٩٨٤.

- بطروشوفكي، الإسلام في إيران، ترجمة: د. السباعي محمد السباعي، دار الثقافة، القاهرة، (د ت).

- بيومي، زكريا، قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين، عالم المعرفة، ١٩٩١.

- تنسر، كتاب تنسر، ترجمة: يحيى الخشاب، القاهرة، ١٩٥٤.

- جولد تسهير، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة: محمد موسى وآخرون، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

- حلمي، أحمد محمد، الخلافة والدولة في العصر العباسي، ط٢، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٧٢م.

- حمدان، سمير، نشأة الخلافة الإسلامية (رسالة ماجستير غير منشورة)، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨١م.

-خطاب، محمود شيت، قادة فتح بلاد فارس، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٤.

- خميني، الحكومة الإسلامية، دروس ألقيت في النجف تحت عنوان: ولاية الفقيه، ١٣٨٩هـ.

- عبد القادر، حامد، زرادشت الحكيم نبي قدامى الإيرانيين، مكتبة النهضة، مصر، (د ت).

- عبد المنعم، نبيلة، نشأة الشيعة الإمامية، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٨.

- عريب، ابن سعيد القرطبي، صلة تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت (د ت).

- عمر، فاروق، التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٨٥.

- عمر، فاروق، الثورة العباسية، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨.

- عمر، فاروق، الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية، ط٢، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٧٧م.

- عياد، محمد، تاريخ اليونان، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٠.

-غانم، خالد، الزرادشتية تاريخًا وعقيدة، دار خطوات، دمشق، ٢٠٠٩.

- شعبان، محمد عبد الحي، الثورة العباسية، ترجمة: عبد المجيد القيسي، دار الدراسات الخليجية، (د م)، (د ت).

- صعب، أديب، الأديان الحية نشأتها وتطورها، دار النهار، بيروت، (د ت).

- طرابيشي، جورج، مذبحة التراث، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٣.

- ظهير، إحسان إلهي، السنة والشيعة، مطبعة المعارف، لاهور.

- كريستنسن، آرثر، تاريخ إيران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت.

- ليمبرت، إيران حرب التاريخ، منشورات جامعة البصرة، العراق، ١٩٩٢.

- ماجد، عبد المنعم، العصر العباسي الأول، مطبعة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م.

- متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٤٠.

- فخري، أحمد، مصر الفرعونية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د ت).

- فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الإسلام إلى سقوط الدولة الأموية،

ترجمة: أبو ريدة، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٦٨.

- ماجد، عبد المنعم، العصر العباسي الأول، مطبعة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م.

- فيصل، شكري، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٦.

- مجهول، الإمامة والسياسة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

- محمود، حسن، الإسلام في آسيا الوسطى، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢.

- منينمة، حسن، تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي (٣٣٤-٤٤٧هـ/ ٩٤٥-١٠٥٥م)، الدار الجامعية، بيروت، ١٩٨٧م.

- النووي، نور الدين علي بن أبي بكر، شرح صحيح مسلم، دار الريان، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ.

- ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩.

فهرس هجائي للموضوعات

فهرس المحتويات